The Islamic University–Gaza
Research and Postgraduate Affairs
Faculty of Oussoul Eddine
Master of Interpretation & Sciences of Quran

الجـــــامعة الإســـــلامية – غـــزة
شئون البحث العلمي والدراسات العليا
كلـــــــية أصـــــول الديـــــن
ماجســـتير/ التفســـير وعلوم القرآن

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف الحزب الخامس والخمسين من القرآن الكريم (سورة المجادلة – الحشر – الممتحنة – الصف)

The analytical Study of Purposes and Objectives of Hizb fifty five of the Holy Quran (Surat Al-mujadilah – Al-Hashar – Al-mumtahanah – As-saff)

إِعدَادُ البَاحِثِ
بلال خالد عبد الحي كلاب

إِشرَافُ
الأستاذ الدُكتُور
جمال محمود محمد الهوبي

قُدمَت هَذه الرسالة اِستِكمَالاً لِمُتَطلباتِ الحُصولِ عَلى دَرَجَةِ الْمَاجِستِيرِ
فِي التفسير وعلوم القرآن بِكُليةِ أصول الدين فِي الْجَامِعَةِ الإسلامِيةِ بِغَزة

جمادي الثاني/ 1438هـ– مارس/ 2017م

إقــــــرار

أنا الموقع أدناه مقدم الرسالة التي تحمل العنوان:

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف الحزب الخامس والخمسين من القرآن الكريم (سورة المجادلة – الحشر – الممتحنة – الصف)

The analytical Study of Purposes and Objectives of Hizb fifty five of the Holy Quran (Surat Al-mujadilah – Al-Hashar – Al-mumtahanah – As-saff)

أقر بأن ما اشتملت عليه هذه الرسالة إنما هو نتاج جهدي الخاص، باستثناء ما تمت الإشارة إليه حيثما ورد، وأن هذه الرسالة ككل أو أي جزء منها لم يقدم من قبل الآخرين لنيل درجة أو لقب علمي أو بحثي لدى أي مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى.

Declaration

I understand the nature of plagiarism, and I am aware of the University's policy on this.

The work provided in this thesis, unless otherwise referenced, is the researcher's own work, and has not been submitted by others elsewhere for any other degree or qualification.

Student's name:	بلال خالد كلاب	اسم الطالب:
Signature:		التوقيع:
Date:		التاريخ:

بسم الله الرحمن الرحيم

الجامعة الإسلامية-غزة
The Islamic University of Gaza

مكتب نائب الرئيس للبحث العلمي والدراسات العليا   هاتف داخلي 1150

الرقم: ج س غ/35/ Ref:
التاريخ: 2017/04/08 م Date:

نتيجة الحكم على أطروحة ماجستير

بناءً على موافقة شئون البحث العلمي والدراسات العليا بالجامعة الإسلامية بغزة على تشكيل لجنة الحكم على أطروحة الباحث/ **بلال خالد عبدالحي كلاب** لنيل درجة الماجستير في **كلية *أصول الدين*/ قسم التفسير وعلوم القرآن** وموضوعها:

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف الحزب الخامس والخمسين من القرآن الكريم
(سورة المجادلة - الحشر - الممتحنة - الصف)

وبعد المناقشة العلنية التي تمت اليوم السبت 11 رجب 1438هـ، الموافق 2017/04/08 م الساعة العاشرة صباحاً، اجتمعت لجنة الحكم على الأطروحة والمكونة من:

أ.د. جمال محمود الهوبي	مشرفاً و رئيساً	....
أ.د. عبد السلام حمدان اللوح	مناقشاً داخلياً	....
أ.د. عصام العبد زهد	مناقشاً خارجياً	....

وبعد المداولة أوصت اللجنة بمنح الباحث درجة الماجستير في **كلية *أصول الدين*/ قسم التفسير وعلوم القرآن.**

واللجنة إذ تمنحه هذه الدرجة فإنها توصيه بتقوى الله ولزوم طاعته وأن يسخر علمه في خدمة دينه ووطنه.

والله ولي التوفيق ،،،

نائب الرئيس لشئون البحث العلمي والدراسات العليا

أ.د. عبدالرؤوف علي المناعمة

مُلخّص الرّسالة

تمَّ بحمد الله وتوفيقه إتمام هذه الرسالة التي بعنوان: الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف الحزب الخامس والخمسين من القرآن الكريم **(سورة المجادلة – الحشر – الممتحنة –الصف)؛ والمكونة من مقدمة وتمهيد وأربعة فصول وخاتمة.**

تحدث الباحث في التمهيد عن المقصود بالدراسة التحليلية والمقاصد والأهداف ثم التعريف بالسور القرآنية (سورة المجادلة – الحشر – الممتحنة – الصف)، وبيان فضلها؛ ثم تحدث في الأربعة فصول حول الدراسة التحليلة لمقاصد وأهداف هذه السور، وكل فصلٍ منها مقسم لعدة مباحث، مشتملة على عدة مطالب، حيث كل مطلب منها يحمل هدفاً أو مقصداً من مقاصد وأهداف القرآن الكريم في السور الأربع، وكذلك استباط أهم الدروس والعبر منها.

وقد سلك الباحث المنهج الاستنباطي والتحليلي الموضوعي في التفسير، حيث تناول في كل مطلب من المطالب ذكر الآية أو الآيات المراد تحليل هدفها ومقصدها وتقسيمه لعدة عناوين موجزة؛ ليسهل على القارئ الوصول لمقصد الآية الكريمة وفهمه واستشعاره، وهي على الترتيب: التحليل لمفردات الآية الكريمة وبيان معناها في اللغة وأقوال المفسرين، وما تشتمل عليه من لطائف بيانية وقراءات قرآنية، ثم معنى الآية الإجمالي، وأهم مقاصدها والعبر والدروس المستفادة.

أهم النتائج التي توصل إليها الباحث:

1- إنّ علم مقاصد السور يُعين على فهم كتاب الله ﷻ فهماً صحيحاً من خلال استنباط المعاني والأهداف وتدبرها.

2- منهج القرآن منهج شامل ومتكامل في عرضه للقضايا المحورية، وعنايته بكافة جوانب الحياة.

أهم التوصيات:

أوصي نفسي والمؤمنين بتقوى الله أولاً، والسعي إلى مرضاته، والاهتمام بعلوم القرآن الكريم ومن بينها علم المقاصد، كما أوصي طلبة العلم والدعاة بنشر علوم القرآن الكريم وتعليمها للناس ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً.

Abstract

Thanks to Allah, this thesis has been completed with the title : "the Analytic Study for the Purposes and Aims of the fifth part from the holy Quran { surah : Al mujadela al hashr al mumtahanan and al saff . Which consists of an introduction preface, four chapters and a conclusion.

In the preface the researcher speaks about what is meant by the analytic study, the purposes and aims and the definitions of surah Almujadelah, Alhasher, Almumtahenah and Alsaff and explanation of their importance . In the four chapters, the researcher speaks about the analytic study for the purposes and aims these surahs.

Each chapter is divided into four subjects , including several demands. Each demand has an aim or purpose from the HOLY QURAN in the surahs and also deducing the most important lessons and morals .

The researcher uses the deducive and analytic method

In explanation. In each demand , he discusses mentioning the verse or verses that he wants to analyses , their aim and purpose and dividing them into some brief titles to facilitate for the reader to understand the purpose of the verse and feel it . They are in the following order analysis for the verse vocabulary, explanation.

Its meaning in language and the explainers' opinions , what it includes of rhetorical issues,

Quran readings, the total meaning of the verse, its most important purposes and lessons and morals utilized.

The most important results that the researcher reaches:

1.The science of the purposes of the Surahs-the Holy Quran helps to fully and correctly understand the Holy Quran through deducing and meditating the needed meanings and aims.

2.The approach of the Holy Quran is a comprehensive and integrated one in showing the central issues.It also cares about all the sides of the life.

The most important recommendations :

I recommend myself and all the believers to fear the God firstly,seeking to his satisfaction,caring about the Holy Quran sciences and among them the science of purposes. I also recommends the preachers of Allah and all the students to proliferate the Holy Quran sciences,teaching them to the people as much as possible .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ جَبَلٖ لَّرَأَيۡتَهُۥ خَٰشِعٗا
مُّتَصَدِّعٗا مِّنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا
لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴾

[الحشر:21]

الإهدَاْءُ

- إلى روح صاحبِ الجبينِ الأزهرِ والوجهِ الأنور، والمِنهاجِ الأطهر، إلى قائد الدعاة وإمام المتقين، البشيرِ النذير، والسراج المنير، الذي عانى ألمَ الحصارَ وأوذي بكيد الأعداء فما زاد إلا صبرًا حتّى أتاه نصر الله المؤزّر، فصلوات ربي وتسليماته عليه.
- إلى فرسان الجيل الأول، النُّجوم النيرات، والكواكب الزاهرات، الثابتين على العهد، الأوفياء بالوعد، الآل الأطهار الصحابة الأبرار، صدقوا ما عاهدوا الله عليه وما بدّلوا تبديلا، حطّموا القيود وأناروا المعمورة بضياء الدين ومشاعل التوحيد، رضوان الله عليهم جميعاً..
- إلى سرِّ نجاحي ومدادِ فكري " والدتي الحبيبة" أمدَّ الله في عمرها، كم صبرت لتقطفَ بعضَ ثمارها وترى حُسن غرسها، فهذا من عطائك يا أماه، أعانَ الله على البرَّ والوفاء.
- وإلى صاحب الأفضال، الذي ما ضنّ يومًا قط، حبيبِ قلبي " والدي الغالي " بارك الله في عمره وأحسَن عملَه.
- وإلى زوجتي الغالية، المعطاءة الوفيَّة، التي كانت معي في السرّاء والضرّاء، وتحملت الجهد والعناء، حفظها ربُّ السماء.
- وإلى ولديّ العزيزين، هبة الرحمن ومهجة الجَنان " البراء واليمان" حفظهما ربي وجعلهما ذخراً للإسلام .
- وإلى أهلي جميعاً وإخوتي وأخواتي، أكرمهم ربي ورعاهم.
- إلى من امتزجت هموم دعوتهم مع إيمانهم بالله ويقينه بنصره، فتولّد في قلوبهم الإصرار على مواصلة طريق الأنبياء، وانبثقت في نفوسهم همّة لا ترضى إلا بالقمة، إلى القابضين على دينهم كالقابض على الجمر، إلى العلماء والدعاة إلى الله ﷻ.
- وإلى أرواح الشهداء الأطهار ممن سبقونا إلى الجنان الحسان، وإلى المجاهدين في سبيل الله، المرابطين في ثغور الأمة، نصرهم الله وبارك في جهادهم.
- ولا أنسى أسود الأمة خلف قضبان الحصار، أسرانا الأبطال عجّلَ المولى بفكاك قيودهم.

إليكم جميعاً كلٌ في ثغر رباطه أهدي ثمرة هذا الجهد

شكرٌ وتقديرٌ

الحمد لله الذي بنعمته تتمُّ الصّالحات، القائل: " لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُم " [إبراهيم: 7]، ربِّ ما أنعمت عليَّ بهِ من نعمةٍ أو أحدٍ من خلقك فمنك وحدك لا شريك لك، سبحانك لك الحمدُ حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه على جودك وكرمك وعطائك، والصلاة والسلام على مُعلّم البشرية، وصاحبِ النفس الزكيّة الذي علّمنا الدعاء لأهل العلم فقال: (إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ وَأَهْلَ السَّمَوَاتِ وَالأَرَضِينَ حَتَّى النَّمْلَةَ فِي جُحْرِهَا وَحَتَّى الحُوتَ لَيُصَلُّونَ عَلَى مُعَلِّمِ النَّاسِ الخَيْرَ) [1]

وعرفانًا بجهد أهل الفضل والعلم فإني أتوجّه بأسمى معاني الشكر والعرفان، إلى أستاذي ومشرفي **فضيلة الأستاذ الدكتور/ جمال محمود الهوبي** ـ حفظه الله تعالى ـ على تفضّله بالإشراف على هذه الرسالة، وإسداءِ النُّصح والتوجيه، فجزاه الله خير الجزاء.

والشكر ممتدٌ إلى الأستاذين القديرين الذَين شرُفتُ بقبولهما مناقشة هذه الرسالة:

فضيلة الأستاذ الدكتور/ عبد السلام اللوح ، "مناقشًا داخليًّا".

فضيلة الأستاذ الدكتور / عصام زهد ، "مناقشًا خارجيًّا".

فجزاهما الله عنّي خير الجزاء.

ولا يفوتني أن أحتفي بجامعتي الإسلامية العريقة، وكليتي الحبيبة كليّة أصول الدين، وإلى كل أساتذتي الميامين في قسم التفسير وعلوم القرآن، على كرم عطائهم وجميل نصحهم أثناء الدراسة في مرحلة الدراسات العليا.

ولا أنسى أن أشكر رفيق دربي في الحياة، **أخي وصديقي الحبيب/ محمد حسن حمد،** الذي وقف بجانبي وكان له دور رائع في هذا الجهد المبارك.

وواصبُ دعواتي لكل من قدّم لي نصحًا أو مساعـــدة من زملائي في مرحلة الدراســة، ومن دعا لي بظهر الغيب، والشكر لكم جميعًا على وفائكم، أعانني المولى على الوفاء والبر لكل أحبتي.

[1] [الترمذي: سنن الترمذي، أبواب العلم/باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة، 50/5 : رقم الحديث 2685]؛ قال الترمذي: " هذا حديث حسن صحيح غريب ".

فهرس المحتويات

إقـــــــرار .... أ

مُلخّص الرّسالة ....ب

Abstract .... ج

ألإهدَاْءُ .... ه

شكرٌ وتقديرٌ .... و

فهرس المحتويات ....ز

المقدمة .... ف

أولاً : أهمية الموضوع: .... ف

ثانياً: أسباب اختيار الموضوع: .... ص

ثالثاً: أهداف البحث: .... ص

رابعاً : منهج الباحث:.. ص

خامساً :الدراسات السابقة: ....ق

سادساً: خطة البحث: ....ق

الفصل التمهيدي 1

التعريف بالدارسة التحليلية والمقاصد والأهداف 1

المبحث الأول 2

التعريف بالدراسة التحليلية والمقاصد والأهداف 2

المطلب الأول: التعريف بالدراسة التحليلية ومتطلباتها 2

أولاً: المقصود بالدراسة التحليلية: 2

ثانياً: متطلبات الدراسة التحليلية:.. 3

المطلب الثاني: التعريف بالمقاصد والأهداف وأهميتها 4

أولاً: تعريف مقاصد وأهداف السور والآيات 4

ثانياً: أهمية معرفة مقاصد وأهداف السور والآيات: 6

ثالثاً: طرق معرفة مقاصد السور والآيات: 7

رابعاً: أهم المصنفات في مقاصد وأهداف السور والآيات: 8

المبحث الثاني: تعريفٌ عامٌ بسور الحزب [المجادلة- الحشر- الممتحنة- الصف] 9

المطلب الأول: تعريفٌ عامٌ بسورة المجادلة 9

أولاً: أسماء السورة، وسبب تسميتها، وعدد آياتها: 9

ثانياً: مكان نزول السورة وزمانها، وترتيبها في المصحف: 9

ثالثاً: أسباب نزول السورة، وجو نزولها: 11
رابعاً: فضائل السورة: 13
خامساً: محور السورة، وخطوطها الرئيسة: 13
سادساً: أهداف السورة، ومقاصدها العامة: 13
المطلب الثاني: تعريفٌ عامٌ بسورة الحشر 14
أولاً: أسماء السورة، وسبب تسميتها، وعدد آياتها: 14
ثانياً: مكان نزول السورة وزمانها، وترتيبها في المصحف: 15
ثالثاً: أسباب نزول السورة، وجو نزولها: 17
رابعاً: فضائل السورة: 18
خامساً: محور السورة، وخطوطها الرئيسة: 18
سادساً: أهداف السورة، ومقاصدها العامة: 19
المطلب الثالث: تعريفٌ عامٌ بسورة الممتحنة 19
أولاً: أسماء السورة، وسبب تسميتها، وعدد آياتها: 19
ثانياً: مكان نزول السورة وزمانها، وترتيبها في المصحف: 20
ثالثاً: أسباب نزول السورة، وجو نزولها: 22
رابعاً: المحور العام للسورة، وخطوطها الرئيسة: 23
خامساً: أهداف السورة، ومقاصدها العامة: 24
المطلب الرابع: تعريفٌ عامٌ بسورة الصّف 24
أولاً: أسماء السورة، وسبب تسميتها، وعدد آياتها: 24
ثانياً: مكان نزول السورة وزمانها، وترتيبها في المصحف: 25
ثالثاً: أسباب نزول السورة، وجو نزولها: 26
رابعاً: المحور العام للسورة، وخطوطها الرئيسة: 27
خامساً: أهداف السورة، ومقاصدها العامة: 27
الفصل الأول الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة المجادلة 28
المبحث الأول المقاصد والأهداف لسورة المجادلة من الآية (1-6). **29**
المطلب الأول: رعاية الإسلام للأسرة المُسلمة 29
أولاً: المفردات: 29
ثانياً: اللطائف البيانيّة: 31
ثالثاً: سبب النزول: 31
رابعاً: المعنى الإجمالي: 31
خامساً: تحقيق المقاصد والأهداف: 32
سادساً: العبر والعظات المستفادة: 34

المطلب الثاني: حُكم الظِّهــار وكفَّارته 35
أولاً: المفردات: 35
ثانياً: اللطائف البيانيّة: 36
ثالثاً: سبب النزول: 37
رابعاً: المعنى الإجمالي: 37
خامساً: تحقيق المقاصد والأهداف: 38
سادساً: العبر والعظات المستفادة: 44
المطلب الثالث: الوعيــد للذين يحادّون الله ورسوله. 44
أولاً: المفردات: 44
ثانياً: اللطائف البيانيّة: 46
ثالثاً: المعنى الإجمالي: 47
رابعاً: تحقيق المقاصد والأهداف: 48
خامساً: العبر والعظات المستفادة: 51
المبحث الثاني المقاصد والأهداف لسورة المجادلة من الآية (7-13). 51
المطلب الأول: إحاطة علم الله ﷻ بكل شيء 51
أولاً: المفردات: 51
ثانياً: اللطائف البيانيّة: 52
ثالثاً: سبب النزول: 53
رابعاً: المعنى الإجمالي: 54
خامساً: تحقيق المقاصد والأهداف: 54
المطلب الثّاني: أحكام المنـــاجاة وآدابـــــها 57
أولاً: المفردات: 57
ثانياً: اللطائف البيانيّة: 57
ثالثاً: سبب النزول: 58
رابعاً: المعنى الإجمالي: 59
خامساً: تحقيق المقاصد والأهداف: 61
سادساً: العبر والعظات المستفادة: 67
المطلب الثّالث:آداب المجــالس 68
أولاً: المفردات: 68
ثانياً: اللطائف البيانيّة: 69
ثالثاً: سبب النزول: 69
رابعاً: المعنى الإجمالي: 70
خامساً: تحقيق المقاصد والأهداف: 70

سادساً: العبر والعظات المستفادة: 74
المطلب الرّابع:أحكام مناجاة النبي ﷺ وآدابها 75
أولاً: المفردات: 75
ثانياً: اللطائف البيانيّة: 75
ثالثاً: سبب النزول: 75
رابعاً: المعنى الإجمالي: 77
خامساً: تحقيق المقاصد والأهداف: 78
سادساً: العبر والعظات المستفادة: 81
المبحث الثالث المقاصد والأهداف لسورة المجادلة من الآية (14-22). **82**
المطلب الأول: بيان أوصاف المنافقين . 82
أولاً: المفردات: 82
ثانياً: اللطائف البيانيّة: 83
ثالثاً: القراءات المتواترة: 84
رابعاً: سبب النزول: 84
خامساً: تحقيق المقاصد والأهداف: 85
المطلب الثاني: العزة والغلبة لله ﷻ ولرسوله وللمؤمنين 91
أولاً: المفردات: 91
ثانياً: المعنى الإجمالي: 92
ثالثاً: تحقيق المقاصد والأهداف: 92
رابعاً: العبر والعظات المستفادة: 93
المطلب الثالث: الـــولاء والبـــــراء في الإسلام 94
أولاً: المفردات: 94
ثانياً: اللطائف البيانيّة: 94
ثالثاً: سبب النزول: 95
رابعاً: المعنى الإجمالي: 95
خامساً: تحقيق المقاصد والأهداف: 96
الفصل الثاني الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة الحشر. 101
المبحث الأول المقاصد والأهداف لسورة الحشر من الآية (1-4). **102**
المطلب الأول: تنزيه الله ﷻ عن كل نقص 102
أولاً: المفردات: 102
ثانياً: اللطائف البيانيّة: 102
ثالثاً: المعنى الإجمالي: 102

رابعاً: تحقيق المقاصد والأهداف: 103
خامساً: العبر والعظات المستفادة: 104
المطلب الثاني: إجـــلاء بني النضير 105
أولاً: المفردات: 105
ثانياً: اللطائف البيانيّة: 108
ثالثاً: القراءات المتواترة: 109
رابعاً: سبب النزول: 109
خامساً: المعنى الإجمالي: 111
سادساً: تحقيق المقاصد والأهداف: 111
سابعاً: العبر والعظات المستفادة: 115
المبحث الثاني المقاصد والأهداف لسورة الحشر من الآية (5-10) 115
المطلب الأول: أحكـــــــــام الفيء 115
أولاً: المفردات: 115
ثانياً: اللطائف البيانيّة: 117
ثالثاً: سبب النزول: 117
رابعاً: المعنى الإجمالي: 118
خامساً: تحقيق المقاصد والأهداف: 119
سادساً: العبر والعظات المستفادة: 126
المطلب الثاني: بيان فضل المهاجرين والأنصار ومن تبعهم بإحسـان. 126
أولاً: المفردات: 126
ثانياً: اللطائف البيانيّة: 128
ثالثاً: سبب النزول: 128
رابعاً: المعنى الإجمالي: 129
خامساً: تحقيق المقاصد والأهداف: 129
سادساً: العبر والعظات المستفادة: 136
المبحث الثالث المقاصد والأهداف لسورة الحشر من الآية (11-17). 137
المطلب الأول: صفات المنافقين وموالاتهم لأهل الكتاب 137
أولاً: المفردات: 137
ثانياً: اللطائف البيانيّة: 137
ثالثاً: سبب النزول: 137
رابعاً: المعنى الإجمالي: 138
خامساً: تحقيق المقاصد والأهداف: 138
سادساً: العبر والعظات المستفادة: 141

المطلب الثاني: صفات أهل الكتاب الضـــالين 141
أولاً: المفردات: 141
ثانياً: اللطائف البيانيّة: 143
ثالثاً: القراءات المتواترة: 143
رابعاً: المعنى الإجمالي: 144
خامساً: تحقيق المقاصد والأهداف: 144
المطلب الثالث: الكفر ملة واحدة ومصيره واحد 149
أولاً: المفردات:. 149
ثانياً: سبب النزول: 150
ثالثاً: المعنى الإجمالي: 151
رابعاً: تحقيق المقاصد والأهداف: 152
المبحث الرّابع المقاصد والأهداف لسورة الحشر من الآية (18-24) 155
المطلب الأول: وجوب تقوى الله واستشعار مراقبته ﷻ في السر والعلن 155
أولاً: المفردات: 155
ثانياً: اللطائف البيانيّة: 156
ثالثاً: المعنى الإجمالي: 156
رابعاً: تحقيق المقاصد والأهداف: 156
خامساً: العبر والعظات المستفادة: 159
المطلب الثاني: أهل الجنة وأهل النار لا يستوون أبداً 159
أولاً: المفردات: 159
ثانياً: اللطائف البيانيّة: 159
ثالثاً: المعنى الإجمالي: 159
رابعاً: تحقيق المقاصد والأهداف: 160
خامساً: العبر والعظات المستفادة: 160
المطلب الثالث: إجلال قدر القرآن الكريم وبيان عظيم أثره وعظاته. 161
أولاً: المفردات: 161
ثانياً: اللطائف البيانيّة: 161
ثالثاً: المعنى الإجمالي: 161
رابعاً: تحقيق المقاصد والأهداف: 161
خامساً: العبر والعظات المستفادة: 164
المطلب الرابع: لله الأسمـــاء الحسنى والصفات العلا المنزّهة عن كل نقص. 164
أولاً: المفردات: 164
ثانياً: اللطائف البيانيّة: 166

ثالثاً: المعنى الإجمالي: 166
رابعاً: تحقيق المقاصد والأهداف: 167
خامساً: العبر والعظات المستفادة: 170
الفصل الثالث الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة الممتحنة 171
المبحث الأول المقاصد والأهداف لسورة الممتحنة من الآية (1-6). **172**
المطلب الأول:الولاء لله ﷻ ولرسوله وللمؤمنين. 172
أولاً: المفردات: 172
ثانياً: اللطائف البيانيّة: 173
ثالثاً: سبب النزول: 174
رابعاً: المعنى الإجمالي: 174
خامساً: تحقيق المقاصد والأهداف: 175
سادساً: العبر والعظات المستفادة: 182
المطلب الثاني: الاقتداء بإبراهيم ﵇ في البراءة من المشركين. 183
أولاً: المفردات: 183
ثانياً: المعنى الإجمالي: 184
ثالثاً: تحقيق المقاصد والأهداف: 186
رابعاً: العبر والعظات المستفادة: 190
المبحث الثاني المقاصد والأهداف لسورة الممتحنة من الآية (7-9). **190**
المطلب الأول: تسلية المؤمنين وبث الأمل في نفوسهم. 190
أولاً: المفردات: 190
ثانياً: سبب النزول: 190
ثالثاً: المعنى الإجمالي: 191
رابعاً: تحقيق المقاصد والأهداف: 192
خامساً: العبر والعظات المستفادة: 193
المطلب الثاني: علاقة المسلمين بغيرهم في السلم والحرب. 193
أولاً: المفردات: 193
ثانياً: اللطائف البيانيّة: 195
ثالثاً: سبب النزول: 195
رابعاً: المعنى الإجمالي: 196
خامساً: تحقيق المقاصد والأهداف: 196
سادساً: العبر والعظات المستفادة: 198
المبحث الثالث المقاصد والأهداف لسورة الممتحنة من الآية (10-13). **199**
المطلب الأول: أحكـــام المهاجرات من الكفر إلى الإيمان. 199

أولاً: المفردات: 199
ثانياً: اللطائف البيانيّة: 200
ثالثاً: سبب النزول: 201
رابعاً: المعنى الإجمالي: 203
خامساً: تحقيق المقاصد والأهداف: 204
سادساً: العبر والعظات المستفادة: 212
المطلب الثاني: أحكـــام مبايعة المؤمنات 214
أولاً: المفردات: 214
ثانياً: المعنى الإجمالي: 214
ثالثاً: تحقيق المقاصد والأهداف: 215
رابعاً: العبر والعظات المستفادة: 221
المطلب الثالث: النهي عن تولي الكفار والمشركين 221
أولاً: المفردات: 221
ثانياً: اللطائف البيانيّة: 222
ثالثاً: سبب النزول: 222
رابعاً: المعنى الإجمالي: 222
خامساً: تحقيق المقاصد والأهداف: 223
سادساً: العبر والعظات المستفادة: 223
الفصل الرّابع الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة الصف. 224
المبحث الأول المقاصد والأهداف لسورة الصف من الآية (1-4). **..225**
المطلب الأول: مطابقة القول للعمل. 225
أولاً: المفردات: 225
ثانياً: اللطائف البيانيّة: 225
ثالثاً: سبب النزول: 226
رابعاً: المعنى الإجمالي: 226
خامساً: تحقيق المقاصد والأهداف: 226
سادساً: العبر والعظات المستفادة: 230
المطلب الثاني: الدعوة إلى الوحدة والثبات في القتال في سبيل الله 231
أولاً: المفردات: 231
ثانياً: اللطائف البيانيّة: 232
ثالثاً: سبب النزول: 232
رابعاً: المعنى الإجمالي: 232

خامساً: تحقيق المقاصد والأهداف: 232

سادساً: العبر والعظات المستفادة: 234

المبحث الثاني المقاصد والأهداف لسورة الصف من الآية (5-9).. 234

المطلب الأول: دروس وعبر من مناصحة موسى عليه السلام لقومه. 234

أولاً: المفردات: 234

ثانياً: اللطائف البيانيّة: 235

ثالثاً: المعنى الإجمالي: 235

رابعاً: تحقيق المقاصد والأهداف: 236

خامساً: العبر والعظات المستفادة: 239

المطلب الثاني:دروس وعبر من مناصحة عيسى عليه السلام لبني إسرائيل. 239

أولاً: المفردات: 240

ثانياً: اللطائف البيانيّة: 240

ثالثاً: القراءات المتواترة: 240

رابعاً: المعنى الإجمالي: 241

خامساً: تحقيق المقاصد والأهداف: 241

سادساً: العبر والعظات المستفادة: 247

المطلب الثالث: الدين الإسلامي يعلو ويظهر على جميع الأديان. 248

أولاً: المفردات: 248

ثانياً: اللطائف البيانيّة: 248

ثالثاً: سبب النزول: 249

رابعاً: المعنى الإجمالي: 249

خامساً: تحقيق المقاصد والأهداف: 250

سادساً: العبر والعظات: 255

المبحث الثالث المقاصد والأهداف لسورة الصف من الآية (10-14).. 255

المطلب الأول:التجارة الرابحة مع الله. 255

أولاً: المفردات: 255

ثانياً: اللطائف البيانيّة: 256

ثالثاً: المعنى الإجمالي: 256

رابعاً: تحقيق المقاصد والأهداف: 256

خامساً: العبر والعظات: 259

المطلب الثاني: الدعوة إلى نصرة الله جل جلاله 259

أولاً: المفردات: 259

ثانياً: القراءات المتواترة: 260

ثالثاً: المعنى الإجمالي: 261
رابعاً: تحقيق المقاصد والأهداف: 261
خامساً: العبر والعظات المستفادة: 262
الخاتمة 262
المصادر والمراجع 266
الفهارس العامَّــة 278
أولًا: فهرس الآيات القرآنية **...279**
ثانيًا: فهرس أطراف الأحاديث النبوية **...285**
ثالثًا: فهرس الأعلام المترجم لهم **..288**

المقدمة

الحمد لله الذى خلق الإنسان، علمه البيان، وأنزل القرآن فيه هدىً ونور وشفاءٌ للجَنان؛ والصلاة والسلام على خاتم النبيّين وإمام المرسلين، محمد بن عبد الله، وعلى آله وصحبه ومن اقتفى أثره إلى يوم الدين، وبعد..

فإن القرآن الكريم معجزة الله ﷻ الخالدة، ورسالته الباقية لعباده ومنارة الهدى لهم، خير هادٍ يهدي إلى الله وخير مرشدٍ إلى تقوى الله، فيه بالغ الحِكم وعظيم الأثر؛ ولذا كانت علوم القرآن أجلّ العلوم وأشرفها، وعلم التفسير من أعظم العلوم وأجلّها؛ لأنه يتعلق بأصدق الكلام وأعظمه، فمن حاز هذا العلم فقد حاز خيراً عظيماً؛ فالمسلم كلما فهم آيات الله ﷻ وتعمق في معانيها وأسرارها، كان ذلك معيناً له على الالتزام بأحكام القرآن والتخلّق بأخلاقه والتأدّب بآدابه، وتطبيقه واقعاً في حياته.

وانطلاقاً من هذا: كان لا بدّ من الوقوف على أهداف القرآن الكريم ومقاصده ومراميه من خلال هذه الدراسة: " **الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف الحزب الخامس والخمسين من القرآن الكريم (سورة المجادلة – الحشر – الممتحنة – الصف)** ".

علماً بأن هذا البحث ضمن سلسلة قرآنية تبحث في أهداف ومقاصد القرآن الكريم كاملاً، وتشرف عليها كلية أصول الدين في الجامعة الإسلامية، فأسأل الله أن يشرح صدورنا لفهم القرآن الكريم وتدبر معانيه.

أولاً : أهمية الموضوع:

1- تعلّق موضوع الدراسة بأشرف وأجل وأعظم الكلام، وهو كلام الله ﷻ.

2- يُبرز هذا الموضوع جانباً من أسرار القرآن الكريم وبلاغته وكمال نظمه، وكمال تشريعاته .

3- بيان المقاصد والأهداف القرآنية يبعث على رسوخ الإيمان في النفس، والإقبال على القرآن وتدبره وفهمه.

4- يقدم أساليب القرآن الكريم في الدعوة والتربية الإيمانية، كما يقدم الحلول المناسبة للمشاكل التي تعاني منها الأمة.

ثانياً: أسباب اختيار الموضوع:

1- ابتغاء مرضاة الله ﷻ من خلال التدبر والتفكر في آيات القرآن الكريم.

2- الرغبة في خدمة كتاب الله ﷻ من خلال إتمام السلسلة القرآنية للدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف القرآن الكريم.

3- محاولة تعميق النظر والغوص في ثنايا الآيات الكريمة وإبراز ما فيها من حِكم وأحكام، وردوسٍ وتوجيهات.

ثالثاً: أهداف البحث:

1- إظهار المقاصد والأهداف الأساسية لسور الحزب الخامس والخمسين (المجادلة، الحشر، الممتحنة، الصف)

2- إثراء المكتبة الإسلامية ببحث علمي محكم يتناول دراسة تحليلية شاملة للمقاصد والأهداف المستنبطة من آيات الدراسة.

3- ربط مقاصد الآيات وأهدافها بواقع المسلمين المعاصر ووضع الحلول المناسبة.

4- صقل الخبرة الذاتية للباحث عبر الدراسة والتحليل العميقين للآيات محل الدراسة.

رابعاً : منهج الباحث:

1- وضع الباحث مقدمة وتمهيداً لسور الحزب يبين الباحث فيها اسم السورة وزمن نزولها وفضلها ومحورها الرئيس.

2- تقسيم آيات الحزب إلى مباحث مختلفة في أربعة فصول، جاعلاً كل سورة في فصل، ولكل فصل مباحث، ولكل مبحث عدة مطالب، ويحتوي كل مطلب عدة آيات حسب موضوع الآيات.

3- استنباط ما تحتويه آيات كل مطلب من مقاصد وأهداف، وتحليلها وربطها بواقع الأمة قدر الإمكان، بما يساهم في حل مشاكلها.

4- عزو الآيات القرآنية إلى سورها وذكر اسم السورة ورقم الآية، وكتابتها بالرسم العثماني، وذلك كله في متن الدراسة بهدف التخفيف على الحواشي.

5- تخريج الأحاديث المستشهد بها في البحث وعزوها إلى مصادرها الأصلية، وذلك حسب ضوابط وأصول التخريج، ونقل حكم العلماء عليها عدا الصحيحين.

6- بيان معاني المفردات الغريبة الواردة في البحث، وذلك في الحواشي.

7- الاكتفاء في التوثيق بذكر اسم المؤلف ثم اسم كتابه مختصراً، ورقم الجزء والصفحة، وترك مواصفات المرجع لقائمة المراجع تخفيفاً عن الحاشية.

8- الترجمة للشخصيات والأعلام المغمورة في البحث.

9- عمل الفهارس اللازمة للوصول إلى المعلومة بأقرب وأسهل طريق.

خامساً :الدراسات السابقة:

بعد الاطلاع والبحث في المكتبة المركزية في الجامعة الإسلامية، ومركز الملك فيصل للأبحاث، وشبكات الإنترنت، وسؤال المختصين في هذا المجال، لم أعثر على رسالة علمية تناولت هذا الموضوع، كما سأكون ضمن الباحثين الستين المشتركين في هذه السلسلة التي أقرها قسم التفسير وعلوم القرآن في كلية أصول الدين في الجامعة الإسلامية، والتي تتناول الدراسة التحليلية للمقاصد والأهداف المتنوعة والمختلفة لآيات القرآن الكريم.

وقد كان نصيبي في هذه الدراسة مقاصد وأهداف الحزب الخامس والخمسين من القرآن الكريم.

سادساً: خطة البحث:

تحقيقاً لأهداف البحث سابقة الذكر وضعت هذه الخطة والتي تتكون من: مقدمة، وتمهيد، وأربعة فصول، والفهارس المطلوبة، وبيان ذلك فيما يلي:

المقدمة: وتشتمل على العناصر التالية:

أولاً: أهمية موضوع البحث.

ثانياً: أسباب اختيار البحث.

ثالثاً: أهداف البحث.

رابعاً: منهج البحث.

خامساً: الدراسات السابقة.

سادساً: خطة البحث.

الفصل التمهيدي: ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: التعريف بالدراسة التحليلية والمقاصد والأهداف.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: التعريف بالدراسة التحليلية ومتطلباتها.

أولاً: المقصود بالدراسة التحليلية.

ثانياً: متطلبات الدراسة التحليلية.

المطلب الثاني: التعريف بالمقاصد والأهداف وأهميتها، ويشتمل على:

أولاً: تعريف مقاصد وأهداف السور والآيات.

ثانياً: أهمية معرفة مقاصد وأهداف السور والآيات.

ثالثاً: طرق معرفة مقاصد السور والآيات.

رابعاً: أهم المصنفات في مقاصد وأهداف السور والآيات.

المبحث الثاني: تعريف عام بسور الحزب (المجادلة – الحشر – الممتحنة – الصف)

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: تعريف عام بسورة المجادلة، ويشمل على:

أولاً: أسماء السورة، وسبب تسميتها، وعدد آياتها.

ثانياً: مكان وزمان نزول السورة، وترتيبها في المصحف.

ثالثاً: أسباب نزول السورة وجو نزولها.

رابعاً: فضائل السورة.

خامساً: المحور العام للسورة وخطوطها الرئيسة.

سادساً: أهداف السورة ومقاصدها العامة.

المطلب الثاني: تعريف عام بسورة الحشر، ويشمل على:

أولاً: أسماء السورة، وسبب تسميتها، وعدد آياتها.

ثانياً: مكان وزمان نزول السورة، وترتيبها في المصحف.

ثالثاً: أسباب نزول السورة وجو نزولها.

رابعاً: فضائل السورة.

خامساً: المحور العام للسورة وخطوطها الرئيسة.

سادساً: أهداف السورة ومقاصدها العامة.

المطلب الثالث: تعريف عام بسورة الممتحنة، ويشمل على:

أولاً: أسماء السورة، وسبب تسميتها، وعدد آياتها.

ثانياً: مكان وزمان نزول السورة، وترتيبها في المصحف.

ثالثاً: أسباب نزول السورة وجو نزولها.

رابعاً: فضائل السورة.

خامساً: المحور العام للسورة وخطوطها الرئيسة.
سادساً: أهداف السورة ومقاصدها العامة.
المطلب الرابع: تعريف عام بسورة الصف، ويشمل على:
أولاً: أسماء السورة، وسبب تسميتها، وعدد آياتها.
ثانياً: مكان وزمان نزول السورة، وترتيبها في المصحف.
ثالثاً: أسباب نزول السورة وجو نزولها.
رابعاً: فضائل السورة.
خامساً: المحور العام للسورة وخطوطها الرئيسة.
سادساً: أهداف السورة ومقاصدها العامة.

الفصل الأول

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة المجادلة

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: المقاصد والأهداف لسورة المجادلة من الآية (1 – 4)
وفيه ثلاثة مطالب:
المطلب الأول: رعاية الإسلام للأسرة المسلمة.
المطلب الثاني: حكم الظهار وكفارته.
المطلب الثالث:الوعيد للذين يحادّون الله ورسوله.
المبحث الثاني: المقاصد والأهداف لسورة المجادلة من الآية (5 – 13)
وفيه أربعة مطالب:
المطلب الأول: إحاطة علم الله ﷻ بكل شيء.
المطلب الثاني: أحكام المناجاة وآدابها.
المطلب الثالث: آداب المجالس.
المطلب الرابع: أحكام مناجاة النبي ﷺ وآدابها.
المبحث الثالث: المقاصد والأهداف لسورة المجادلة من الآية (14 – 22)
وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: بيان أوصاف المنافقين.

المطلب الثاني: العزة لله ولرسوله وللمؤمنين.

المطلب الثالث: الولاء والبراء في الإسلام.

الفصل الثاني

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة الحشر

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: المقاصد والأهداف لسورة الحشر من الآية (1 – 4)

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تنزيه الله ﷻ عن كل نقص.

المطلب الثاني: إجلاء بني النضير.

المبحث الثاني: المقاصد والأهداف لسورة الحشر من الآية (5 – 10)

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: أحكام الفيء.

المطلب الثاني: بيان فضل المهاجرين والأنصار ومن تبعهم بإحسان.

المبحث الثالث: المقاصد والأهداف لسورة الحشر من الآية (11 – 17)

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: صفات المنافقين وموالاتهم لأهل الكتاب.

المطلب الثاني: صفات أهل الكتاب الضالّين.

المطلب الثالث: الكفر ملة واحدة ومصيره واحد.

المبحث الرابع: المقاصد والأهداف لسورة الحشر من الآية (18 – 24)

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: وجوب تقوى الله ﷻ واستشعار مراقبته في السر والعلن.

المطلب الثاني: أهل الجنة وأهل النار لا يستوون أبداً.

المطلب الثالث: إجلال قدر القرآن الكريم وبيان عظيم أثره وعظاته.

المطلب الرابع: لله ﷻ الأسماء الحسنى والصفات العلا المنزهة عن كل نقص.

الفصل الثالث

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة الممتحنة

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: المقاصد والأهداف لسورة الممتحنة من الآية (1 – 6)

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الولاء لله ﷻ ولرسوله وللمؤمنين.

المطلب الثاني: الاقتداء بإبراهيم عليه السلام في البراءة من المشركين.

المبحث الثاني: المقاصد والأهداف لسورة الممتحنة من الآية (7 – 9)

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تسلية المؤمنين وبث الأمل في نفوسهم.

المطلب الثاني: علاقة المسلمين بغيرهم في السلم والحرب.

المبحث الثالث: المقاصد والأهداف لسورة الممتحنة من الآية (10 – 13)

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: أحكام المهاجرات من الكفر إلى الإيمان.

المطلب الثاني: أحكام مبايعة المؤمنات.

المطلب الثالث: النهي عن موالاة الكفار والمشركين.

الفصل الرابع

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة الصف

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: المقاصد والأهداف لسورة الصف من الآية (1 – 4)

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مطابقة القول للعمل.

المطلب الثاني: الدعوة إلى الوحدة والثبات في القتال في سبيل الله..

المبحث الثاني: المقاصد والأهداف لسورة الصف من الآية (5 – 9)

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: دروس وعبر من مناصحة موسى عليه السلام لقومه.

المطلب الثاني: دروس وعبر من مناصحة عيسى عليه السلام لبني إسرائيل.

المطلب الثالث: الدين الإسلامي يعلو ويظهر على جميع الأديان.

المبحث الثالث: المقاصد والأهداف لسورة الصف من الآية (10 – 14)

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: التجارة الرابحة مع الله ﷻ.

المطلب الثاني: الدعوة إلى نصرة الله ﷻ.

الفهارس:-

1. فهرس الموضوعات
2. فهرس المصادر والمراجع.
3. فهرس الآيات القرآنية.
4. فهرس أطراف الأحاديث النبوية.
5. فهرس الأعلام المترجم لهم.

الفصل التمهيدي

التعريف بالدارسة التحليلية والمقاصد والأهداف

المبحث الأول
التعريف بالدراسة التحليلية والمقاصد والأهداف

المطلب الأول: التعريف بالدراسة التحليلية ومتطلباتها

أولاً: المقصود بالدراسة التحليلية:

يلاحظ أنه لبيان المقصود بالدراسة التحليلية، لابد من بيان حقيقة الدراسة ثم بيان حقيقة التحليل؛ ليتوصل من خلالهما إلى بيان المقصود بالدراسة التحليلية – كمركب إضافي–

أ– المقصود بالدراسة:

الدراسة لغةً :" مصدر (درَس)، وتدور في اللغة على معانٍ عديدة، والمراد منها ها هنا إذا ما اقترن الفعل بالْكتاب وَنَحْوه تكون بمعنى: قَرَأَهُ وَأَقْبل عَلَيْهِ ليحفظه ويفهمه"[1] ؛ "و(الْمدرّس) الْكثير الدَّرْس والتلاوة فِي الْكتاب والمعلم، (المدرَس) الْموضع يدرس فِيهِ، والجمع: مدارس؛ و(الْمدرسَة) مَكَان الدَّرْس والتعليم، وَجَمَاعَة من الفلاسفة أَو المفكرين أَو الباحثين تعتنق مذهبا معينا أَو تَقول بِرَأْي مُشْتَرك، وَيُقَال هُوَ من مدرسة فلَان على رَأْيه ومذهبه"[2].

ب– المقصود بالتحليل:

التحليل لغةً: "من (حلل) وللفعل معانٍ عدة، والمراد منها هنا من حَلَلْتُ العُقدة أَحُلُّهَا حَلاًّ: أي فتحتها، فانحلت"[3] "وحلل الشَّيْء رجعه إِلَى عناصره؛ و(تَحْلِيل الْجُمْلَة) بَيَان أَجْزَائِهَا ووظيفة كل مِنْهَ"[4].

ج– المقصود بالدراسة التحليلية القرآنية :

من خلال ما سبق بيانه من المفردات اللغوية: يرى الباحث أنه يمكن تعريف الدراسة التحليلية القرآنية بأنها: **تحليل آيات القرآن الكريم لفظةً لفظة، وبيان ما فيها من حِكمٍ وأحكام، ومعانٍ وبلاغةٍ وبيان، ووجوه الإعراب وعلاقة كل كلمة بما قبلها وما بعدها، وذلك بناءً على الفهم المستفيض للآيات ومقاصدها.**

---

[1] الرازي، مختار الصحاح(ص:103)؛ ابن منظور، لسان العرب(ج80/6).

[2] مجمع اللغة العربية–القاهرة–، المعجم الوسيط(ج280/1)

[3] الفارابي، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (ج4/ 1672)

[4] مجمع اللغة العربية–القاهرة–، المعجم الوسيط(ج194/1)

ثانياً: متطلبات الدراسة التحليلية:

إن الدراسة التحليلية لأهداف ومقاصد القرآن الكريم متعلقةٌ بأعظم الكلام وبأجلّ العلوم على الإطلاق؛ إذ إنّ فيها بيان لمراد الله ﷻ من كلامه؛ لذا ينبغي على الباحث في هذا المجال أن يكون مؤهلاً له، ولا تختلف الشروط الواجب تحققها في سالك هذا الميدان –في جملتها– عن شروط المجتهد في أي بابٍ شرعي، ولا شك أنّ في مقدمتها اشتراط صحة الاعتقاد والالتزام بالهدى والتقى. "فإن من كان مغموصاً عليه في دينه لا يؤتمن على الدنيا فكيف على الدين، ثم لا يؤتمن من الدين على الإخبار عن عالم فكيف يؤتمن في الإخبار عن أسرار الله تعالى"[1] .

وبعد صحة الاعتقاد والهدى والتقى: لا بدّ من توافر شروط علمية في المجتهد في تفسير الآيات الكريمة.

ومن الشروط العلمية الواجب توفرها في المفسر:

1- ألا يخوض فى التفسير الاجتهادى حتى يتم له النظر والإثبات فى التفسير بالمأثور على النحو التالى: [2]

أ- أن يطلب التفسير من القرآن نفسه، فإن القرآن يشرح بعضُه بعضاً فى آيات مختلفة.

ب- فإن لم يجد يطلب التفسير من السنة، فإنها تبين القرآن وتفصل مجمله.

ت- فإذا لم يجد يرجع إلى أقوال الصحابة الكرام، فهم أدرى بما شهدوه من قرائن وأحوال عند تنزل القرآن، ثم إلى رأي التابعين .

ث- ثم إن لم يجد: اجتهد فى تفسير آيات الذكر الحكيم بما حصّل من الأدوات الضرورية واللازمة لكل مفسر وهى تحصيل العلوم المعينة على التفسير والبيان، ومن أهمها: [العلم باللغة العربية- العلم بالنحو- علوم البلاغة الثلاثة: المعانى، والبيان، والبديع- علم القراءات- علم أصول الفقه- علم أصول الدين- علم الناسخ والمنسوخ- علم الحديث] .

2- " دقة الفهم التي تمكن المفسر من ترجيح معنى على آخر، أو استنباط معنى يتفق مع نصوص الشريعة "[3].

ولاختصاص هذا العلم ببيان مقاصد وأهداف السور: ينبغي على المجتهد أن يفهم مقاصد الشريعة الإسلامية ويمتلك القدرة على الاستنباط بناءً على هذا الفهم.

---

[1] السيوطي، الإتقان في علوم القرآن(ج200/4)

[2] انظر: عبد الجواد خلف، مدخل إلى التفسير وعلوم القرآن (137/1).

[3] مناع القطان، مباحث في علوم القرآن (ج342/1).

وقد عدّ الإمام الشاطبي* هذا الشرط أول شرطٍ لبلوغ درجة الاجتهاد، حيث قال:" أوصاف من تحصل له درجة الاجتهاد: الأولى: فهم مقاصد الشريعة على كمالها...الثانية: التمكن من الاستنباط بناء على فهمه فيها "[1] .

" بل إنه عمل على تأكيد وترسيخ أهمية المقاصد وضرورتها للمجتهد في مناسبات عدة، وبأساليب شتى؛ حتى إنه نبه على أن العالم المجتهد، وإن كان عالمًا بالمقاصد، فإنه إذا غفل عنها زل في اجتهاده؛ فقال: "فزلة العالم أكثر ما تكون عند الغفلة عن اعتبار مقاصد الشرع في ذلك المعنى الذي اجتهد فيه"[2] ؛ وكتب فصلًا آخر بعنوان: أدلة الشريعة اللفظية لا تستغني عن معرفة المقاصد الشرعية، أكد فيه ضرورة أخذ النصوص بمقاصدها""[3].

المطلب الثاني: التعريف بالمقاصد والأهداف وأهميتها

أولاً: تعريف مقاصد وأهداف السور والآيات

أ-المقصود بالمقاصد

المقاصد لغةً: "من قصد يقصد قصداً ومقصداً، وقد استعملت كلمة القصد في لغة العرب لمعانٍ عديدةٍ، منها: إتيان الشيء، واستقامة الطريق، التوسط وعدم الإفراط والتفريط، قال تعالى: ﴿وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ ﴾[لقمان: 19]، ومنه: القَصْدُ في المعيشة ألا تسرف ولا تقتر[4]، والقصد في الحكم: العدل[5].

المقاصد اصطلاحاً:

إن المتأمل في كتب المفسرين والفقهاء الأوائل لا يكاد يجد تعريفاً حدياً لكلمة " المقاصد"، وإنما يجد أنهم عبروا عنها بتعبيراتٍ مختلفة تدلل على معناها، بالرغم من أنها كانت حاضرة في عملية فهم النصوص والأحكام والاجتهاد[6].

---

* إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي، أصوليّ حافظ من أهل غرناطة، وكان من أئمة المالكية، من كتبه: الموافقات، والاعتصام في أصول الفقه، توفي 790هـ-1388م؛ انظر: الزركلي، الأعلام (ج75/1).

[1] الشاطبي، الموافقات(ج443/5)

[2] المرجع السابق (ج135/5)

[3] الريسوني، نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي(ج200/4)

[4] انظر: الفراهيدي، العين(ج54/5)؛ ابن منظور، لسان العرب(ج354/3)؛ الفارابي، الصحاح(ج524/2)؛ ابن فارس، مجمل اللغة(ص:755)؛ مجمع اللغة العربية-القاهرة-، المعجم الوسيط(ج738/2) .

[5] الرازي، مختار الصحاح(ص:254).

[6] انظر: الخادمي، علم المقاصد الشرعية(ج15/1).

ويعلل الباحث هذا لكون دلالة اللفظة واضحة على معناها ومرادها في الأحكام الشرعية.

أما عند المعاصرين فقد حظيت مقاصد الشريعة في العصر الحديث بعناية خاصة من قبل العلماء والباحثين؛ وذلك لأهميتها ودورها في عملية الاجتهاد الفقهي، وفي معالجة قضايا الحياة المعاصرة في ضوء الأدلة والنصوص والقواعد الشرعية؛ وكان من ضروب هذا الاعتناء تدوين المقاصد وتأليفها واعتبارها علمًا شرعيًا وفنًا أصوليًا له ما لسائر العلوم والفنون من تعريفات ومصطلحات وتقسيمات وغير ذلك[1].

وقد وردت عدة تعريفات لهذا العلم نوردها فيما يلي:

- عرفَّها ابن عاشور* بأنها: " المباني والحِكَم الملحوظة للشارع في جميع أحوال التشريع أو معظمها؛ بحيث لا تختص ملاحظتها بالكون في نوع خاص من أحكام الشريعة"[2].
- عرفها الفاسي بقوله: "المراد بمقاصد الشريعة الإسلامية: الغاية منها والأسرار التي وضعها الشارع عند كل حكم من أحكامها"[3].
- وعرفها الريسوني* بقوله: "إن مقاصد الشريعة هي الغايات التي وضعت الشريعة لأجل تحقيقها لمصلحة العباد"[4].

من خلال ما سبق من كلام العلماء في تحديد معنى المقاصد، يمكن للباحث أن يعرف المقاصد بأنها: **الغايات والحِكم المُرادة من الأحكام الشرعية والتي تهدف إلى تحقيق مصالح العباد في الدنيا والآخرة.**

---

[1] انظر: الخادمي، علم المقاصد الشرعية(ج15/1).

* محمد الطاهر بن عاشور: نقيب أشراف تونس وكبير علمائها، وشيخ جامعة الزيتونة، مالكيّ المذهب، تولى قضاء تونس سنة1267هـ، ثم الفُتيا في نقابة الأشراف، ولد ودرس في تونس وتوفي بها، له كتب منها: التحرير والتنوير، مقاصد الشريعة الإسلامية. (انظر: الزركلي، الأعلام (ج173/6))

[2] ابن عاشور، مقاصد الشريعة الإسلامية(ص154)

[3] الفاسي، مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها(ص7)

* د.أحمد بن عبد السلام بن محمد الريسوني، ولد بالمغرب 1953م، حاصل على الدكتوراة في أصول الفقه، عمل بصفة خبير أول لدى مجمع الفقه الإسلامي ونائب لرئيس الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين، من مؤلفاته: المقاصد عند الإمام الطبري، (نقلاً عن موقع الأستاذ أحمد الريسوني)

[4] الريسوني، نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي(ص7)

ب- المقصود بالأهداف:

الأهداف لغةً: "الهدف -بفتحتين- كل شيء عظيم مرتفع، والهدف: الغرض"[1]، "والهدف: الرجل العظيم"[2].

الأهداف اصطلاحاً:

للأهداف تعريفات عديدة حسب المجالات الواردة بشأنه، ونحن هنا بصدد تحديد المقصود من الأهداف الشريعة، إذ الرسالة مرتبطة بالعلم الشرعي.

أهداف الشرع: " هي المصالح التي تعود إلى العباد في دنياهم وآخرتهم، سواء كان تحصيلها عن طريق جلب المصالح أو درء المفاسد"[3] .

ج- الفرق بين المقاصد والأهداف:

بعد بيان المراد بالمقاصد والأهداف يتبين أن ثمة نقطة تلاقٍ بين المقاصد والأهداف من حيث كونهما تعنيان: الغايات والحِكم التي أرادها الشرع من أحكامه الشرعية والتي يسعى من خلالها لتحقيق مصالح العباد في الدنيا والآخرة.

كما أن هناك نقاط اختلافٍ وافتراقٍ بينهما تكمن في أن المقاصد أعم وأشمل؛ فهي تمثل الرسالة والغاية العامة من الأحكام الشرعية، أما الأهداف فتمثل الغايات والحِكم الجزئية المندرجة تحت إطار الرسالة العامة، والمراد تمثلها وتطبيقها واقعاً في حياة المسلم؛ لتحقق مصالحه العاجلة والآخرة.

ثانياً: أهمية معرفة مقاصد وأهداف السور والآيات:

1- إن معرفة مقاصد وأهداف الآيات الكريمة يعين على فهم كلام الله ﷻ فهماً صحيحاً، وتفسيره تفسيراً صحيحاً؛ ويسهل الوصول لمعنى الآيات الكريمة وحِكمها[4].

2- "تمكين المجتهد من الاستنباط في ضوء المقصد يعينه على فهم الحكم وتحديده وتطبيقه"[5].

3- "إبراز علل التشريع وحكمه وأغراضه ومراميه الجزئية والكلية، العامة والخاصة، وفي شتى مجالات الحياة، وفي مختلف أبواب الشريعة"[6].

---

[1] الفراهيدي، العين(ج28/4)؛ الرازي، مقاييس اللغة(ج39/6)

[2] الفيروزآبادي، القاموس المحيط (ج861/1).

[3] يوسف العالم، المقاصد العامّة للشريعة الإسلامية(ص79)

[4] انظر: البقاعي، مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور (ج155/1).

[5] ابن عاشور، مقاصد الشريعة الإسلامية(ص8).

[6] المرجع السابق،(ص8)

4- " التوفيق بين خاصتي الأخذ بظاهر النص، والالتفات إلى روحه ومدلوله، على وجه لا يخل فيه المعنى بالنص، ولا بالعكس؛ لتجري الشريعة على نظام واحد لا اختلاف فيه ولا تناقض"[1].

5- "عون المكلف على القيام بالتكليف، والامتثال على أحسن الوجوه وأتمهما"[2].

6- " عون الخطيب، والداعية، والمدرس، والقاضي، والمفتي، والمرشد، والحاكم، وغيرهم على أداء وظائفهم وأعمالهم على وفق مراد الشارع ومقصود الأمر والنهي، وليس على وفق حرفيات النصوص، وظواهر الخطاب، ومباني الألفاظ" [3].

ثالثاً: طرق معرفة مقاصد السور والآيات:

إن أول ما يبدأ به المسلم طريقه إلى العلم الشرعي هو الاستعانة بالله ﷻ والإخلاص له ﷻ في المراد من بلوغ هذا العلم، الذي لا يحصل دون أسباب الهداية من الله الرحيم.

وكما يقول ابن تيمية : "إن النظر المجرد في الدليل دون توافر أسباب الهداية، من ذكر الله واللجوء إليه ودون انتفاء الموانع المعوقة من وسوسة الشيطان: لا يحصل الفقه الصحيح"[4]؛ بعد هذا ينبغي على الباحث المريد لمعرفة مقاصد السور والآيات ما يلي:

1- الالتزام بما سبق بيانه من شروط المفسر وضوابط التفسير.

2- دراسة كتب التفسير والبحث بين ثناياها عما يخدم علم المقاصد.

3- الاستعانة بالكتب التي تعتني ببيان مقاصد السور والآيات الكريمة.

4- استقراء الشريعة ومقاصدها والفهم العميق لتعليلات الأحكام الشرعية[5].

5- معرفة مقدمات السورة من أحوال نزولها، وفضائلها، وخصائصها، مراعاة السياق والقرائن، والفهم التام والمتكامل للآيات الكريمة [6].

6- المعايشة الروحية الحيّة للسورة: قال سيد قطب: "إن هذا القرآن لا يمنح كنوزه إلا لمن يقبل عليه بهذه الروح، روح المعرفة المنشئة للعمل"[7].

---

[1]الشاطبي، الموافقات(ج134/3).

[2]الخادمي، علم المقاصد الشرعية(ج52/1).

[3]المرجع السابق،(ص52)

[4]ابن تيمية، نقض المنطق(ص35).

[5]انظر: ابن عاشور، مقاصد الشريعة الإسلامية(ص:190).

[6] انظر: لبد، الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف الحزب الثاني من القرآن الكريم(ص10-11).

[7]سيد قطب، معالم في الطريق(ص:18).

رابعاً: أهم المصنفات في مقاصد وأهداف السور والآيات:

لقد نشأت المقاصد الشرعية مع نشأة الأحكام الشرعية نفسها، فقد كانت مبثوثة في نصوص الكتاب والسنة، ومتضمنة في أحكامها وتعاليمها بتفاوت من حيث التصريح بها، أو الإيماء والإشارة إليها؛ وعليه فالمتأمل في كتب التفسير يرى أن المفسرين الأوائل قد أشاروا إلى مقاصد السور خلال تفسيرهم، ومنهم من صرّح ببيان هذه المقاصد كالزمخشري والرازي؛ غير أن تلك المقاصد لم تكن لتحظى بالإبراز والإظهار على مستوى التأليف والتدوين كعلمٍ خاص؛ ولكن مع مرور الوقت حظيت مقاصد الشريعة في العصر الحديث بعناية خاصة من قبل العلماء والباحثين؛ وذلك لأهميتها البالغة، وكان من ضروب هذا الاعتناء: تصنيف مصنفاتٍ خاصة ببيان المقاصد[1]، ومن هذه المصنفات:

1- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، لـ: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى.

2- تفسير المراغي، لـ: أحمد بن مصطفى المراغي.

3- صفوة التفاسير، لـ: محمد علي الصابوني.

4- مَصَاعِدُ النَّظَرِ للإِشْرَافِ عَلَى مَقَاصِدِ السِّوَرِ، ويُسَمَّى: "المَقْصِدُ الأَسْمَى في مُطَابَقَةِ اسْمِ كُلِّ سُورَةٍ لِلمُسَمَّى"، لـ: إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي.

5- الفوائد في اختصار المقاصد، لـ: أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام

6- علم المقاصد الشرعية ، لـ: نور الدين بن مختار الخادمي.

7- فتحُ البيان في مقاصد القرآن، لـ: أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري.

[1] انظر: الخادمي، علم المقاصد الشرعية(ج53/1).

المبحث الثاني: تعريفٌ عامٌ بسور الحزب [المجادلة- الحشر- الممتحنة- الصف]

المطلب الأول: تعريفٌ عامٌ بسورة المجادلة

أولاً: أسماء السورة، وسبب تسميتها، وعدد آياتها:

- **أسماؤها:**

- "سميت هذه السورة في كتب التفسير وفي المصاحف وكتب السنة «سورة المجادلة» -بكسر الدال أو بفتحه؛ وتسمى «سورة قد سمع» وهذا الاسم مشتهر في الكتاتيب في تونس، وسميت في مصحف أبي بن كعب ﷺ «سورة الظهار»"[1].

- ووجه تسميتها «سورة المجادلة» لأنها افتتحت بقضية مجادلة امرأة أوس بن الصامت لدى النبي ﷺ في شأن مظاهرة زوجها[2]؛ وتسمى: قد سمع؛ لقوله تعالى في أوّلها: ﴿ قَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوۡجِهَا﴾[المجادلة: 1] [3].

- **عدد آياتها:**

- "اثنتان وعشرون عند الجمهور، وإحدى وعشرون عند المدني الأخير والمكِّي؛ المختلف فيها آية واحدة:﴿ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡأَذَلِّينَ ﴾[المجادلة: 20]، لم يعدها الْمدنِي الْأَخير والمكي وعدها الباقُون"[4].

- " **كلماتها** أَربعمائة وثلاث وسبعون، **وحروفها** أَلف وسبعمائة واثنتان وتسعون"[5].

- وتتميز سورة المجادلة بأن كل آية من آياتها لم تخلُ من ذكر اسم الله ﷻ[6].

ثانياً: مكان نزول السورة وزمانها، وترتيبها في المصحف:

- **مكان نزولها:**

- سورة المجادلة سورة مدنية بالإجماع"، كما قال ابن عطية [7].

---

[1] ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج5/28).

[2] انظر: الفيروزآبادي، بصائر ذوي التمييز(ج456/1)؛ جعفر شرف الدين، الموسوعة القرآنية خصائص السور (ج162/9).

[3] انظر: جعفر شرف الدين، الموسوعة القرآنية، خصائص السور(ج162/9).

[4] الداني، البيان في عد آي القرآن(ص:242).

[5] الفيروزآبادي، بصائر ذوي التمييز(ج456/1)؛ عبد الكريم الخطيب، التفسير القرآني للقرآن(ج14/ 807).

[6] انظر: البقاعي، مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور (ج3/ 68).

[7] انظر: ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز"تفسير ابن عطية" (ج5/272).

– وفي « تفسير القرطبي »:" مدنية في قول الجميع. إلا رواية عن عطاء: أن العشر الأول منها مدني وباقيها مكي؛ وفيه عن الكلبي أنها مدنية إلا قوله تعالى:﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ ...﴾[المجادلة: 7] الآية نزلت بمكة"[1].

- **زمان نزولها:**

- هي السورة المائة وثلاث في عداد نزول سور القرآن، نزلت بعد سورة المنافقون وقبل سورة التحريم؛ وقال السخاوي: "نزلت سورة المجادلة بعد سورة المنافقون وقبل سورة الحجرات"[2].

– "وهذا يعني أنّ نزول سورة «المجادلة» كان فيما بين صلح الحديبية وغزوة تبوك؛ إذ إن سورة «المنافقون» نزلت بعد غزوة بني المصطلق، في السنة الخامسة من الهجرة"[3] .

- **مكانها وترتيبها في المصحف:**

– "هذه السورة أول النصف الثاني من القرآن، باعتبار عدد السور، فهي الثامنة والخمسون منها، وهي أول العشر الأخير من القرآن باعتبار عدد أجزائه"[4]، وقد سبقها في الترتيب سورة الحديد، والسورة التي تليها سورة الحشر.

- **مناسبتها لما قبلها:**

– قال الله ﷻ في سورة الحديد: ﴿ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ ﴾[الحديد: 4]، وختمت السورة بقوله تعالى: ﴿ وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾[الحديد: ية29]؛ وما جاء في بداية سورة المجادلة من سماع قول المجادِلة التي شكت إلى رسول الله ﷺ والاستجابة لاستغاثتها فإنه فضل عظيم من الله العليم بحال عباده؛ أي إن المجادلة بيّنت نفس الصفات الواردة في سورة الحديد[5].

---

[1]القرطبي: الجامع لأحكام القرآن "تفسير القرطبي" (ج269/17).

[2]انظر: الزمخشري، الكشّاف عن حقائق غوامض التنزيل "تفسير الزمخشري" (ج484/4)؛ ابن عاشور: التحرير والتنوير (ج28/ 5).

[3]جعفر شرف الدين، الموسوعة القرآنية خصائص السور (ج167/9).

[4] القنوجي، فتح البيان في مقاصد القرآن (ج14/ 7).

[5] انظر: المراغي، تفسير المراغي (ج3/28)؛ جعفر شرف الدين، الموسوعة القرآنية خصائص السور (ج9/ 171)؛ عبد الكريم الخطيب، التفسير القرآني للقرآن (ج14/ 807)

- ختم الله سورة الحديد ببيان ابتداع بعض المتعبدين من الرهبانية بما لم يصرح لهم بالإذن فيه، فكان سبباً للتضييع، وبدأت سورة المجادلة بالحديث عن الظهار؛ والظهار يدخل في الرهبانية؛ إذ إنّ فيه تحريم ما أحل الله من الطيبات [1].

ثالثاً: أسباب نزول السورة، وجو نزولها:

- **أسبابُ النُّزول:**

1 - أخرج الإمام أحمد[2] وابن ماجه[3] وغيرهم بروايات قريبة- (عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَسِعَ سَمْعُهُ الْأَصْوَاتَ، لَقَدْ جَاءَتِ الْمُجَادِلَةُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ تُكَلِّمُهُ وَأَنَا فِي نَاحِيَةِ الْبَيْتِ، مَا أَسْمَعُ مَا تَقُولُ: فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾ [المجادلة: 1]).

2 - ما أخرجه أحمد عَنْ خَوْلَةَ بِنْتِ ثَعْلَبَةَ قَالَتْ: "فِيَّ - وَاللهِ - وَفِي أَوْسِ بْنِ صَامِتٍ أَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ صَدْرَ سُورَةِ الْمُجَادَلَةِ قَالَتْ: كُنْتُ عِنْدَهُ وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ سَاءَ خُلُقُهُ وَضَجِرَ، قَالَتْ: فَدَخَلَ عَلَيَّ يَوْمًا فَرَاجَعْتُهُ بِشَيْءٍ فَغَضِبَ، فَقَالَ: أَنْتِ عَلَيَّ كَظَهْرِ أُمِّي، قَالَتْ: ثُمَّ خَرَجَ فَجَلَسَ فِي نَادِي قَوْمِهِ سَاعَةً، ثُمَّ دَخَلَ عَلَيَّ، فَإِذَا هُوَ يُرِيدُنِي عَلَى نَفْسِي، قَالَتْ: فَقُلْتُ: كَلَّا وَالَّذِي نَفْسُ خُوَيْلَةَ بِيَدِهِ، لَا تَخْلُصُ إِلَيَّ وَقَدْ قُلْتَ مَا قُلْتَ حَتَّى يَحْكُمَ اللهُ وَرَسُولُهُ فِينَا بِحُكْمِهِ، قَالَتْ: فَوَاثَبَنِي وَامْتَنَعْتُ مِنْهُ، فَغَلَبْتُهُ بِمَا تَغْلِبُ بِهِ الْمَرْأَةُ الشَّيْخَ الضَّعِيفَ، فَأَلْقَيْتُهُ عَنِّي، قَالَتْ: ثُمَّ خَرَجْتُ إِلَى بَعْضِ جَارَاتِي فَاسْتَعَرْتُ مِنْهَا ثِيَابَهَا، ثُمَّ خَرَجْتُ حَتَّى جِئْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَجَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَذَكَرْتُ لَهُ مَا لَقِيتُ مِنْهُ، فَجَعَلْتُ أَشْكُو إِلَيْهِ ﷺ مَا أَلْقَى مِنْ سُوءِ خُلُقِهِ، قَالَتْ: فَجَعَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺيَقُولُ: " يَا خُوَيْلَةُ، ابْنُ عَمِّكِ شَيْخٌ كَبِيرٌ فَاتَّقِي اللهَ فِيهِ "، قَالَتْ: فَوَاللهِ مَا بَرِحْتُ حَتَّى نَزَلَ فِيَّ الْقُرْآنُ، فَتَغَشَّى رَسُولُ اللهِ ﷺمَا كَانَ يَتَغَشَّاهُ، ثُمَّ سُرِّيَ عَنْهُ فَقَالَ لِي: " يَا خُوَيْلَةُ، قَدْ أَنْزَلَ اللهُ فِيكِ وَفِي صَاحِبِكِ "، ثُمَّ قَرَأَ عَلَيَّ: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ﴾[المجادلة: 1]إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ" مُرِيهِ فَلْيُعْتِقْ رَقَبَةً "، قَالَتْ: فَقُلْتُ: وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ مَا عِنْدَهُ مَا يُعْتِقُ، قَالَ: " فَلْيَصُمْ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ "، قَالَتْ: فَقُلْتُ: وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّهُ شَيْخٌ كَبِيرٌ مَا بِهِ مِنْ صِيَامٍ، قَالَ: " فَلْيُطْعِمْ سِتِّينَ مِسْكِينًا، وَسْقًا مِنْ تَمْرٍ "، قَالَتْ: فَقُلْتُ: وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ مَا ذَاكَ عِنْدَهُ، قَالَتْ: فَقَالَ

---

[1] انظر: البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (ج332/19).

[2] [أحمد، مسندأحمد، مسند النساء/ مسند السيدة عائشة 228/40: رقم الحديث24195]؛ قال الأرنؤوط: "إسناده صحيح على شرط مسلم، تميم بن سلمة من رجاله، وبقية رجاله ثقات رجال الشيخين".

[3] [ابن ماجه، سنن ابن ماجه، كتاب السنة/ باب فيما أنكرت الجهمية 130/1: رقم الحديث189]؛ قال المحقق الأرنؤوط: "إسناده صحيح".

رَسُولُ اللهِ ﷺ: " فَإِنَّا سَنُعِينُهُ بِعَرَقٍ مِنْ تَمْرٍ "، قَالَتْ: فَقُلْتُ: وَأَنَا يَا رَسُولَ اللهِ سَأُعِينُهُ بِعَرَقٍ آخَرَ، قَالَ: " قَدْ أَصَبْتِ وَأَحْسَنْتِ، فَاذْهَبِي فَتَصَدَّقِي عَنْهُ، ثُمَّ اسْتَوْصِي بِابْنِ عَمِّكِ خَيْرًا "، قَالَتْ: فَفَعَلْتُ)[1].

هكذا جاء في سبب نزول هذه الآيات الكريمة، وقد تنوعت اختيارات المفسرين لهذه الأسباب؛ فمنهم من ذكر الحديثين كالطبري وابن كثير[2]؛ ومنهم من ذكر حديث عائشة – رضي الله عنها – كالقرطبي[3]، وأضاف إلى ذلك روايات أخرى.

ومنهم من ذكر حديث خولة بنت ثعلبة – رضي الله عنها – كابن عاشور[4]؛ ومنهم من اعتمد على روايات أخرى قريبة في المعنى مما سبق ذكرها كالبغوي وابن عطية[5].

"وعليه فإن الأحاديث السابقة هي سبب نزول الآية الكريمة؛ لإجماع المفسرين على ذلك وموافقتها لسياق القرآن وتصريحها بالنزول، وصحة أسانيد بعضها، والله أعلم"[6].

- **جو نزول السورة:**

سورة «المجادلة» ، حافلة بآداب التربية، وتهذيب السلوك، وتحذير المسلمين من مكايد المنافقين؛ " فقد نزلت هذه السورة بعد سورة «المنافقون» ، وكانت الجماعة الإسلامية في المدينة لا تزال في دور الإعداد والتكوين، وكان المسلمون يتألّفون من المهاجرين والأنصار وقد انضمّ إليهم، من لم يتلقّ من التربية الإسلامية القدر الكافي، ومن لم يتنفس في الجو الإسلامي فترة طويلة، كما دخل في الإسلام جماعة من المنافقين، حرصوا على الاستفادة المادية وأخذوا يتربّصون بالمسلمين الدوائر، ويعرضون ولاءهم على المعسكرات المناوئة للمسلمين، وهي معسكرات المشركين واليهود.

وقد اقتضت تربية النفوس وإعدادها للدور الكبير المقدر لها في الأرض، جهوداً ضخمة وصبراً طويلاً، وعلاجاً بطيئاً في صغار الأمور وكبارها.

---

(1) [أحمد، مسند أحمد، مسند القبائل/ حديث خولة بنت ثعلبة، 300/45: رقم الحديث 27319]؛ قال المحقق الأرنؤوط في حكمه: "إسناده ضعيف"

(2) انظر: الطبري، جامع البيان "تفسير الطبري" (ج225/23)؛ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم "تفسير ابن كثير" (ج66/8).

(3) انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج270/17).

(4) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج7/28).

(5) انظر: البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن (ج38/5)؛ ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (ج237/5).

(6) خالد المزيني، المحرر في أسباب نزول القرآن من خلال الكتب التسعة(ج961/2).

وفي هذه السورة، وفي هذا الجزء كلّه، طرفاً من تلك الجهود الضخمة وطرفاً من الأسلوب القرآني كذلك في بناء تلك النفوس، وفي علاج الأحداث والعادات والنّزوات كما نشهد جانباً من الصراع الطويل، بين الإسلام وخصومه المختلفين، من مشركين ويهود ومنافقين"[1].

رابعاً: فضائل السورة:

لا ريب أن القرآن الكريم أشرف الكلامِ وأجلُّه وأعظمه، إذ هو كلام رب العالمين ﷻ ، لنا في تلاوة كلّ حرفٍ منه أجرٌ عظيم، الحرف فيه بحسنة والحسنة بعشر أمثالها، وربنا الكريم يضاعف لمن يشاء.

وهذا فضلٌ عظيم لهذه السورة ولكل سورة القرآن، أما عن فضلٍ تختص به سورة المجادلة فلم يعثر الباحث على حديث صحيحٍ في فضلها.

خامساً: محور السورة، وخطوطها الرئيسة:

- "سورة «المجادلة»، حافلة بآداب التربية، وتهذيب السلوك، وتحذير المسلمين من مكايد المنافقين"[2].
- **ومعظم مقصود السّورة:** " بيان حُكْم الظِّهار، وذكر النجوى والسّرار، والأَمر بالتَّوسع فى المجالس، وبيان فضل أَهل العلم، والشكاية من المنافقين، والفرق بين حِزب الرّحمن، وحزب الشيطان، والحكم على بعض بالفلاح، وعلى بعض بالخسران، فى قوله: ﴿ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴾ و ﴿ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾ "[3].

سادساً: أهداف السورة، ومقاصدها العامة:

إن المتأمل لآيات هذه السورة الكريمة «سورة المجادلة» يجد أنها تتمركز حول معانٍ وأهدافٍ، أهمها:

- رعاية الإسلام للأسرة المسلمة، من خلال تحريم ما يؤثر على الأسرة المسلمة وأفرادها –كالظهار مثلاً–.
- الوعيد الشديد للذين يحادّون الله ورسوله.
- إحاطة علم الله ﷻ بكل شيء.
- الإرشاد إلى آداب التناجي وضوابطه، وآداب المجالس ومناجاة النبي ﷺ.
- بيان أوصاف المنافقين، والفرق بين حزب الله ﷻ وحزب الشيطان.
- الولاء والبراء من لوازم الإيمان.

---

[1] جعفر شرف الدين، الموسوعة القرآنية خصائص السور (ج9/ 161)

[2] المرجع السابق (ج9/ 161)

[3] الفيروزآبادى، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز (ج1/ 456).

المطلب الثاني: تعريفٌ عامٌ بسورة الحشر

أولاً: أسماء السورة، وسبب تسميتها، وعدد آياتها:

- **أسماؤها:**

– اشتهرت هذه السورة باسم «سورة الحشر»، وبهذا الاسم دعاها النبيﷺ حيث قال: (مَنْ قَالَ حِينَ يُصْبِحُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ: أَعُوذُ بِاللهِ السَّمِيعِ الْعَلِيمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، ثُمَّ قَرَأَ الثَّلَاثَ آيَاتٍ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْحَشْرِ..) (1)

– "وتسمى «سورة بني النّضير»"(2)، ورد في «صحيح البخاري» (عَنْ سَعِيدٍ، قَالَ: قُلْتُ لِابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: سُورَةُ الحَشْرِ، قَالَ: " قُلْ: سُورَةُ النَّضِيرِ) (3)، "–أي سورة بني النضير– ؛ فابن جبير سماها باسمها المشهور، وابن عباس يسميها سورة بني النضير"(4)؛ وعلّل ابن حجر كلام ابن عباس على أنه كره تسميتها بـ «الحشر»؛ لئلا يظن أن المراد بالحشر يوم القيامة(5).

–وجه تسميتها: «سورة الحشر» لوقوع لفظ الحشر فيها، ولكونها ذكر فيها حشر بني النضير من ديارهم؛ وأما وجه تسميتها «سورة بني النضير» فلأن قصة بني النضير ذكرت فيها (6).

- **عدد آياتها:**
  - عدد آياتها: أربع وعشرون آية في جميعِ العدد، ولا اختلاف فيها (7).
  - "**عدد كلماتها:** أربعمائة وخمس وأربعون كلمة، **وعدد حروفها:** ألف وتسعمائة وثلاثة عشر حرفا"(8).

---

(1) [أحمد، مسند أحمد، مسند البصريين/ حديث معقل بن يسار، 421/33: رقم الحديث 20306]؛ قال المحقق: "إسناده ضعيف"؛ [الترمذي، سنن الترمذي، كتاب فضائل القرآن، 182/5: رقم الحديث 2922] وقال عنه: "هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه" ، ضعّفه الألباني في ضعيف الجامع الصغير (826/1)ح(5732).

(2)القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج2/18)؛ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج86/8).

(3) [البخاري، صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، 147/6: رقم الحديث 4883].

(4)ابن عاشور،. التحرير والتنوير (ج28/ 62).

(5) انظر: ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري(ج332/7).

(6) انظر: الفيروزآبادى، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز (ج1/ 458)؛ ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج28/ 62)

(7)انظر: البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن (ج51/5)؛ الزمخشري، الكشاف (ج498/4)؛ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن(ج1/18)

(8) الفيروزآبادى، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز (ج1/ 458)؛ أبو عمرو الدّاني: بيان في عد آي القرآن (ص: 243)؛ عبد الكريم الخطيب: التفسير القرآني للقرآن (14/ 846).

ثانياً: مكان نزول السورة وزمانها، وترتيبها في المصحف:

- **مكان النزول:** سورة مدنية بالاتفاق[1].
- **زمان النزول:**

– "هي الثامنة والتسعون في عداد نزول السور"[2].

– نزلت سورة الحشر قبل سورة النصر، وبعد سورة البيّنة، ونزلت سورة البيّنة فيما بين صلح الحديبية وغزوة تبوك، فيكون نزول سورة الحشر في ذلك التاريخ –أيضاً–[3]، "والحقّ أنها من السّور التي نزلت فيما بين غزوة بدر وصلح الحديبية، لأنها نزلت في غزوة بني النّضير، وكانت هذه الغزوة في السنة الرابعة من الهجرة"[4].

- **مكانها وترتيبها في المصحف:**

سورة الحشر– باعتبار عدد السور– هي التاسعة والخمسون منها، وقد سبقها في الترتيب سورة المجادلة، والسورة التي تليها سورة الممتحنة.

- **مناسبتها لما قبلها:**

– "آخر سورة المجادلة نزل فيمن قتل أقرباؤه من الصحابة يوم بدر، وأول الحشر نازل في غزوة بني النضير، وهي عقبها، وذلك نوع من المناسبة والربط.

– وفي آخر المجادلة قال تعالى:﴿ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغۡلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ ﴾ [المجادلة: 21]؛ وفي أول الحشر قال تعالى:﴿ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنۡ حَيۡثُ لَمۡ يَحۡتَسِبُواْۖ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعۡبَۚ ﴾[الحشر: 2].

– وفي آخر تلك ذكر من حاد الله ورسوله، وفي أول هذه ذكر من شاق الله ورسوله"[5].

---

[1]انظر: الواحدي، التفسير الوسيط(ج269/4)؛ البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن (ج51/5)؛ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج1/18)؛ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم(ج86/8)

[2] ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج28/ 63

[3]انظر: الزمخشري، الكشاف (ج498/4)؛ ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج28/ 63)؛ جعفر شرف الدين، الموسوعة القرآنية خصائص السور (ج9/ 193)

[4]ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج28/ 63)، جعفر شرف الدين، الموسوعة القرآنية خصائص السور (ج9/ 185)

[5]جعفر شرف الدين، الموسوعة القرآنية خصائص السور (ج9/ 197)

ثالثاً: أسباب نزول السورة، وجو نزولها:

▪ **أسبابُ النُّزول:**

قال المفسرون: " نزلت هذه السورة في بني النضير"[1].

روى كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ، عَنْ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ: (أَنَّ كُفَّارَ قُرَيْشٍ كَتَبُوا إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أُبَيٍّ ابْنِ السَّلُولِ، وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ الْأَوْثَانَ مِنَ الْأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمَئِذٍ بِالْمَدِينَةِ، قَبْلَ وَقْعَةِ بَدْرٍ يَقُولُونَ: إِنَّكُمْ آوَيْتُمْ صَاحِبَنَا، وَإِنَّكُمْ أَكْثَرُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ عَدَدًا، وَإِنَّا نُقْسِمُ بِاللَّهِ لَتَقْتُلُنَّهُ، أَوْ لَتُخْرِجُنَّهُ، أَوْ لَنَسْتَعِنْ عَلَيْكُمُ الْعَرَبَ، ثُمَّ لَنَسِيرَنَّ إِلَيْكُمْ بِأَجْمَعِنَا حَتَّى نَقْتُلَ مُقَاتِلَتَكُمْ، وَنَسْتَبِيحَ نِسَاءَكُمْ، فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ ابْنَ أُبَيٍّ وَمَنْ مَعَهُ مِنْ عَبَدَةِ الْأَوْثَانِ تَرَاسَلُوا فَاجْتَمَعُوا، وَأَرْسَلُوا، وَأَجْمَعُوا لِقِتَالِ النَّبِيِّ ﷺ وَأَصْحَابِهِ، فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَقِيَهُمْ فِي جَمَاعَةٍ فَقَالَ: «لَقَدْ بَلَغَ وَعِيدُ قُرَيْشٍ مِنْكُمُ الْمَبَالِغَ، مَا كَانَتْ لِتَكِيدَكُمْ بِأَكْثَرَ مِمَّا تُرِيدُونَ أَنْ تَكِيدُوا بِهِ أَنْفُسَكُمْ، فَأَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تُرِيدُونَ أَنْ تَقْتُلُوا أَبْنَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ» فَلَمَّا سَمِعُوا ذَلِكَ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَفَرَّقُوا، فَبَلَغَ ذَلِكَ كُفَّارَ قُرَيْشٍ، وَكَانَتْ وَقْعَةُ بَدْرٍ فَكَتَبَتْ كُفَّارُ قُرَيْشٍ بَعْدَ وَقْعَةِ بَدْرٍ إِلَى الْيَهُودِ: إِنَّكُمْ أَهْلُ الْحَلْقَةِ وَالْحُصُونِ، وَإِنَّكُمْ لَتُقَاتِلُنَّ صَاحِبَنَا، أَوْ لَنَفْعَلَنَّ كَذَا وَكَذَا، وَلَا يَحُولُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ خَدَمِ نِسَائِكُمْ شَيْءٌ، . وَهُوَ الْخَلَاخِلُ . فَلَمَّا بَلَغَ كِتَابُهُمُ الْيَهُودَ أَجْمَعَتْ بَنُو النَّضِيرِ عَلَى الْغَدْرِ، فَأَرْسَلَتْ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ اخْرُجْ إِلَيْنَا فِي ثَلَاثِينَ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِكَ، وَلْنَخْرُجْ فِي ثَلَاثِينَ حَبْرًا حَتَّى نَلْتَقِي فِي مَكَانٍ كَذَا نَصَفٌ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ، فَيَسْمَعُوا مِنْكَ، فَإِنْ صَدَّقُوكَ وَآمَنُو بِكَ، آمَنَّا كُلُّنَا، فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ فِي ثَلَاثِينَ مِنْ أَصْحَابِهِ، وَخَرَجَ إِلَيْهِ ثَلَاثُونَ حَبْرًا مِنَ الْيَهُودِ حَتَّى إِذَا بَرَزُوا فِي بِرَازٍ مِنَ الْأَرْضِ، قَالَ بَعْضُ الْيَهُودِ لِبَعْضٍ: كَيْفَ تَخْلُصُونَ إِلَيْهِ، وَمَعَهُ ثَلَاثُونَ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِهِ كُلُّهُمْ يُحِبُّ أَنْ يَمُوتَ قَبْلَهُ، فَأَرْسَلُوا إِلَيْهِ: كَيْفَ تَفْهَمُ وَنَفْهَمُ وَنَحْنُ سِتُّونَ رَجُلًا؟ اخْرُجْ فِي ثَلَاثَةٍ مِنْ أَصْحَابِكَ، وَيَخْرُجُ إِلَيْكَ ثَلَاثَةٌ مِنْ عُلَمَائِنَا، فَلْيَسْمَعُوا مِنْكَ، فَإِنْ آمَنُوا بِكَ آمَنَّا كُلُّنَا، وَصَدَّقْنَاكَ فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ فِي ثَلَاثَةِ نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، وَاشْتَمَلُوا عَلَى الْخَنَاجِرِ، وَأَرَادُوا الْفَتْكَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَأَرْسَلَتِ امْرَأَةٌ نَاصِحَةٌ مِنْ بَنِي النَّضِيرِ إِلَى بَنِي أَخِيهَا، وَهُوَ رَجُلٌ مُسْلِمٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فَأَخْبَرَتْهُ خَبَرَ مَا أَرَادَتْ بَنُو النَّضِيرِ مِنَ الْغَدْرِ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَأَقْبَلَ أَخُوهَا سَرِيعًا، حَتَّى أَدْرَكَ النَّبِيَّ ﷺفَسَارَّهُ بِخَبَرِهِمْ، قَبْلَ أَنْ يَصِلَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَيْهِمْ، فَرَجَعَ النَّبِيُّ ﷺ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ، غَدَا عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالْكَتَائِبِ فَحَاصَرَهُمْ، وَقَالَ لَهُمْ: «إِنَّكُمْ لَا تَأْمَنُونَ عِنْدِي إِلَّا بِعَهْدٍ تُعَاهِدُونِي عَلَيْهِ»، فَأَبَوْا أَنْ يُعْطُوهُ عَهْدًا، فَقَاتَلَهُمْ يَوْمَهُمْ ذَلِكَ هُوَ وَالْمُسْلِمُونَ، ثُمَّ غَدَا الْغَدُ عَلَى بَنِي قُرَيْظَةَ بِالْخَيْلِ وَالْكَتَائِبِ، وَتَرَكَ بَنِي النَّضِيرِ وَدَعَاهُمْ إِلَى أَنْ يُعَاهِدُوهُ، فَعَاهَدُوهُ، فَانْصَرَفَ عَنْهُمْ وَغَدَا إِلَى بَنِي النَّضِيرِ بِالْكَتَائِبِ، فَقَاتَلَهُمْ حَتَّى نَزَلُوا عَلَى الْجَلَاءِ، وَعَلَى أَنَّ لَهُمْ مَا أَقَلَّتِ الْإِبِلُ إِلَّا

---

[1] البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن(ج51/5)؛ ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (ج283/5).

الْحَلْقَةَ . وَالْحَلْقَةُ: السِّلَاحُ، فَجَاءَتْ بَنُو النَّضِيرِ وَاحْتَمَلُوا مَا أَقَلَّتْ إِبِلٌ مِنْ أَمْتِعَتِهِمْ وَأَبْوَابِ بُيُوتِهِمْ وَخَشَبِهَا، فَكَانُوا يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ، فَيَهْدِمُونَهَا فَيَحْمِلُونَ مَا وَافَقَهُمْ مِنْ خَشَبِهَا، وَكَانَ جَلَاؤُهُمْ ذَلِكَ أَوَّلَ حَشْرِ النَّاسِ إِلَى الشَّامِ وَكَانَ بَنُو النَّضِيرِ مِنْ سِبْطٍ مِنْ أَسْبَاطِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، لَمْ يُصِبْهُمْ جَلَاءٌ مُنْذُ كَتَبَ اللَّهُ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ الْجَلَاءَ، فَلِذَلِكَ أَجْلَاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَلَوْلَا مَا كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ الْجَلَاءِ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا كَمَا عُذِّبَتْ بَنُو قُرَيْظَةَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [الحشر: 1] (1).

قال ابن عطية في شأن نزول سورة الحشر –دون أن يذكر الحديث السابق–: "هي سورة بني النضير، وذلك أن رسول الله كان عاهد بني النضير على سلم، وهم يرون أنه لا ترد له راية، فلما جرت هزيمة أحد ارتابوا وداخلوا قريشا وغدروا، فلما رجع النبي صلى الله عليه وسلم من أحد تبين له معتقد بني النضير، وغدرهم بعهده، وموالاتهم للكفرة، فجمع إليهم وحاصرهم وعاهدهم على أن يجليهم عن أرضهم، فارتحلوا إلى بلاد مختلفة: خيبر والشام وغير ذلك من البلاد، ثم كان أمر بني قريظة مرجعه من الأحزاب"(2).

- **جو نزول السورة:**

نزلت هذه السورة في بني النضير، هي تحكي قصّة غزوة بني النضير، وما صاحب هذه الأحداث وتربّي النفوس وتؤكد على معالم الإيمان(3).

رابعاً: فضائل السورة:

ورد في فضل سورة الحشر أحاديث كثيرة منها الصحيح والضعيف والمنكر، وما ورد فيها من الصحيح ما أخرجه الدارمي عن الحسن قال : (من قرأَ ثَلاثَ آياتٍ من آخرِ سورةِ الحشرِ إذا أَصبحَ فماتَ من يومِهِ ذلكَ طبعَ بطابعِ الشُّهداءِ وإن قرأَ إذا أمسَى فماتَ في ليلتِهِ طبعَ بطابعِ الشُّهداءِ) (4).

خامساً: محور السورة، وخطوطها الرئيسة:

"الخبر عن جلاءِ بنى النَّضير، وقَسْم الغنائم، وتفصيل حال المهاجرين والأَنصار، والشكاية من المنافقين في واقعة قُرَيظة، وذكر بَرْصِيصاء العابد، والنّظر إلى العواقب، وتأْثير نزول القرآن،

(1) [عبد الرزّاق الصنعاني، مصنف عبد الرزاق، كتاب المغازي/ باب وقعة بني النضير،358/5:رقم الحديث 9733]

(2) ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز(ج283/5).

(3)انظر: جعفر شرف الدين، الموسوعة القرآنية خصائص السور (ج9/ 185).

(4)[الدارمي في سنن الدرامي، كتاب فضائل السور والآيات/ باب في فضل الحواميم والمسبحات، 550/2: رقم الحديث 3423]؛ قال المحقق الدراني: "إسناده صحيح إلى الحسن وهو موقوف عليه "

وذكر أَسماءِ الحقّ تعالى وصفاته، وبيان أَنَّ جملة الخلائق فى تسبيحه وتقديسه فى قوله: ﴿ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ إلى آخر السّورة"[1].

سادساً: أهداف السورة، ومقاصدها العامة:

إن المتأمل لهذه السورة الكريمة، وجو نزولها ليجدها تعتني بموضوعاتٍ وأهدافٍ، أهمها:

- كل ما في الكون يسبح لله ﷻ.
- إجلاء بني النضير وما كان فيه من دروس وعبر.
- أحكام الفيء.
- بيان طبقات المسلمين ومنازلهم.
- صفات المنافقين وأهل الكتاب، والتحذير من شرهم والتخلّق بأخلاقهم.
- وجوب تقوى الله ﷻ والعمل الصالح.
- إعظام شأن القرآن الكريم وإجلال قدره، وبيان عظيم عظاته وأثره.
- لله الأسماء الحسنى والصفات العلا، صفات الكمال التي لا يشوبها أي نقصٍ تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

المطلب الثالث: تعريفٌ عامٌ بسورة الممتحنة

أولاً: أسماء السورة، وسبب تسميتها، وعدد آياتها:

▪ **أسماؤها:**

- " عُرفت هذه السورة في كتب التفسير وكتب السنة وفي المصاحف ب «سورة الممتحنة»"[2]؛ بكسر الحاء أو فتحها؛ تكسر الحاء على أَنها صفة للسورة، كما قيل في سورة براءَة: الفاضحة؛ وعلى الفتح تكون بمعنى: سورة المرأة المهاجرة التي نزلت فيها آية الامتحان [3] ؛ وهذا هو المشهور[4].
- " وتسمى «سورة الامتحان»، «وسورة المودة»"[5].

---

[1] الفيروزآبادي: بصاشر ذوي التمييز في لطائق الكتاب العزيز (458/1)

[2] ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج28/ 129).

[3] انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن(ج49/18)؛ مجمع البحوث، التفسير الوسيط (ج1373/10)

[4] انظر: ابن حجر، فتح الباري (ج633/8).

[5] ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج28/ 129)؛ حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي (ح182/8)

- وجه التسمية «بسورة الممتحنة»: "أنها جاءت فيها آية امتحان إيمان النساء اللاتي يأتين من مكة مهاجرات إلى المدينة وهي آية: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٖ فَٱمۡتَحِنُوهُنَّۖ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّۖ ﴾[الممتحنة: 10]؛ فوصف الناس تلك الآية بالممتحنة؛ لأنها شرعت الامتحان، وأضيفت السورة إلى تلك الآية"[1].

- ووجه التسمية «بسورة المودّة»: " لقولهﷻ: ﴿ تُلۡقُونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ ﴾[الممتحنة: 1]، و﴿تُسِرُّونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ ﴾[الممتحنة: 1]، و﴿ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجۡعَلَ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَ ٱلَّذِينَ عَادَيۡتُم مِّنۡهُم مَّوَدَّةٗۚ ﴾ [الممتحنة: 7] "[2].

- **عدد آياتها:**

- اتفق أهل العدد على عد آيها ثلاث عشرة آية[3]، "وآياتها طوال"[4].

- "**عدد كلماتها:** ثلاثمائة وأربعون كلمة، **وعدد حروفها:** ألف وخمسمائة وعشرة "[5].

ثانياً: مكان نزول السورة وزمانها، وترتيبها في المصحف:

- **مكان نزولها:**

سورة الممتحنة سورة مدنية بالاتفاق[6].

- **زمان نزولها:**

اتفق المفسّرون على أن الآية الأولى نزلت في شأن كتاب حاطب بن أبي بلتعة إلى المشركين من أهل مكة[7]؛ "واختلفوا في آنِ كتابه إليهم؛ -إذ إن معظم الروايات ليس فيها تعيين ما قصده رسول الله ﷺ من تجهزه إلى مكة أهو لأجل العمرة أم لأجل الفتح-"[8]:

---

[1] ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج28/ 129)

[2] الفيروزآبادى، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز (ج1/ 460)

[3] انظر: الواحدي، التفسير الوسيط (ج281/4)؛ البغوي، معالم التنزيل (ج68/5)؛ الزمخشري، الكشاف (ج510/4)؛ الداني، البيان في عد آي القرآن (ص: 244).

[4] ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج28/ 129)

[5] عبد الكريم الخطيب، التفسير القرآني للقرآن (ج14/ 889).

[6] انظر: الواحدي، التفسير الوسيط (ج281/4)؛ البغوي، معالم التنزيل (ج68/5)؛ الزمخشري، الكشاف (ج510/4)؛ ابن عطية، المحرر الوجيز (ج293/5)؛ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم(ج111/8).

[7] انظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن(ج311/23)؛ ابن عطية، المحرر الوجيز (ج293/5)؛ القرطبي، الجامع لأحاكم القرآن (ج50/18)؛ ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج28/ 130).

[8] ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج28/ 130).

- "فمنهم من قال كان ذلك عند تجهز رسول الله ﷺ للحديبية؛ وهو قول قتادة"[1]، ودرج عليه ابن عطية[2]، وهو مقتضى رواية الحارث –عند الطبري–[3] (عن عليّ رضي الله عنه قال: لما أراد النبي ﷺ أن يأتي مكة، أسرّ إلى ناس من أصحابه أنه يريد مكة، فيهم حاطب بن أبي بلتعة، وأفشى في الناس أنه يريد خيبر، فكتب حاطب بن أبي بلتعة إلى أهل مكة أن النبيّ ﷺ يريدكم... إلى آخره) [4]، فإن قوله: "أفشى أنه يريد خيبر" يدل على: أن إرادته مكة إنما هي إرادة عمرة الحديبية لا غزو مكة؛ لأن خيبر فتحت قبل فتح مكة[5]
- وقال جماعة: كان كتاب حاطب إلى أهل مكة عند تجهز رسول الله ﷺ لفتح مكة، وهو ظاهر صنيع جمهور أهل السير، وصنيع البخاري في كتاب المغازي من «صحيحه» في ترتيبه للغزوات[6]، ودرج عليه معظم المفسرين[7].

وبناءً على الاختلاف السابق:

- على القول الأول: " تكون السورة جميعها نازلة في مدة متقاربة فإن امتحان أم كلثوم بنت عقبة كان عقب صلح الحديبية، ويكون نزول السورة مرتباً على ترتيب آياتها –وهو الأصل في السور–"[8].
- وعلى القول الثاني: " يكون صدور السورة نازلاً بعد آيات الامتحان وما بعدها حتى قال بعضهم: إن أول السورة نزل بمكة بعد الفتح، –وهذا قول غريب لا ينبغي التعويل عليه–"[9].

---

[1]ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج28/ 130)

[2] انظر: ابن عطية، المحرر الوجيز (ج5/293).

[3] انظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (ج23/321).

[4]المرجع السابق (ج23/321).

[5] انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج28/ 130)

[6] [البخاري، صحيح البخاري، كتاب المغازي/ باب غزوة الفتح ، 145/5: رقم الحديث 4274]

[7] انظر: الواحدي، التفسير الوسيط(ج4/282)؛ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم(ج8/111)؛ مجمع البحوث، التفسير الوسيط(ج10/1376)؛ ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج28/ 130)، دروزة عزت، التفسير الحديث (ج9/267).

[8]ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج28/ 131)

[9]المرجع السابق (ج28/ 131)

- "هذه السورة قد عدت الثانية والتسعين في تعداد نزول السور عند جابر بن زيد نزلت بعد سورة العقود وقبل سورة النساء"[1]؛ وقيل نزلت سورة الممتحنة بعد سورة الأحزاب[2].

▪ **مكانها وترتيبها في المصحف:**

هذه السورة باعتبار عدد السور في المصحف هي الستُّون، وقد سبقها في الترتيب سورة الحشر، والسورة التي تليها سورة الصف.

▪ **مناسبتها لما قبلها:**

- ذكرت سورة الحشر موالاة المنافقين لأهل الكتاب وبيّنت وعودهم وكشفت مؤامراتهم، وجاءت سورة الممتحنة من بدايتها تنهى المؤمنين عن اتخاذ الكفار أولياء[3].

ثالثاً: أسباب نزول السورة، وجو نزولها:

▪ **سببُ النُّزول:**

أخرج البخاري[4] ومسلم[5] وغيرهم (عن عَلِيّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَقُولُ: بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺأَنَا وَالزُّبَيْرَ، وَالمِقْدَادَ، فَقَالَ: «انْطَلِقُوا حَتَّى تَأْتُوا رَوْضَةَ خَاخٍ، فَإِنَّ بِهَا ظَعِينَةً مَعَهَا كِتَابٌ، فَخُذُوا مِنْهَا» قَالَ: فَانْطَلَقْنَا تَعَادَى بِنَا خَيْلُنَا حَتَّى أَتَيْنَا الرَّوْضَةَ، فَإِذَا نَحْنُ بِالظَّعِينَةِ، قُلْنَا لَهَا: أَخْرِجِي الكِتَابَ، قَالَتْ: مَا مَعِي كِتَابٌ، فَقُلْنَا: لَتُخْرِجِنَّ الكِتَابَ، أَوْ لَنُلْقِيَنَّ الثِّيَابَ، قَالَ: فَأَخْرَجَتْهُ مِنْ عِقَاصِهَا، فَأَتَيْنَا بِهِ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَإِذَا فِيهِ: مِنْ حَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ، إِلَى نَاسٍ بِمَكَّةَ مِنَ المُشْرِكِينَ، يُخْبِرُهُمْ بِبَعْضِ أَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺفَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا حَاطِبُ، مَا هَذَا؟» قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لاَ تَعْجَلْ عَلَيَّ، إِنِّي كُنْتُ امْرَأً مُلْصَقًا فِي قُرَيْشٍ، يَقُولُ: كُنْتُ حَلِيفًا، وَلَمْ أَكُنْ مِنْ أَنْفُسِهَا، وَكَانَ مَنْ مَعَكَ مِنَ المُهَاجِرِينَ مَنْ لَهُمْ قَرَابَاتٌ يَحْمُونَ أَهْلِيهِمْ وَأَمْوَالَهُمْ، فَأَحْبَبْتُ إِذْ فَاتَنِي ذَلِكَ مِنَ النَّسَبِ فِيهِمْ، أَنْ أَتَّخِذَ عِنْدَهُمْ يَدًا يَحْمُونَ قَرَابَتِي، وَلَمْ أَفْعَلْهُ ارْتِدَادًا عَنْ دِينِي، وَلاَ رِضًا بِالكُفْرِ بَعْدَ الإِسْلاَمِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَمَا إِنَّهُ قَدْ صَدَقَكُمْ»، فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، دَعْنِي أَضْرِبْ عُنُقَ هَذَا المُنَافِقِ، فَقَالَ: " إِنَّهُ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا، وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللَّهَ اطَّلَعَ عَلَى مَنْ شَهِدَ بَدْرًا فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ ". فَأَنْزَلَ اللَّهُ السُّورَةَ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ

---

[1] ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج28/ 131).

[2] انظر : الزمخشري، الكشاف (ج4/510).

[3] انظر: عبد الكريم الخطيب، التفسير القرآني للقرآن (ج14/ 889)؛ جعفر شرف الدين، الموسوعة القرآنية خصائص السور (ج9/ 221).

(4) [البخاري، صحيح البخاري ،كتاب المغازي/ باب غزوة الفتح، 145/5: رقم الحديث 4274]

(5) [مسلم، صحيح مسلم ، كتاب المغازي/ باب فضائل أهل بدر، 4/ 1941: رقم الحديث 2494]

ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمۡ أَوۡلِيَآءَ تُلۡقُونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ وَقَدۡ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلۡحَقِّ ﴾ [الممتحنة:1] إلى قوله: ﴿ فَقَدۡ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴾[الممتحنة:1].

هكذا جاء في سبب نزول هذه الآية؛ وقد ذكر جمهور المفسرين هذا الحديث وجعلوه سبب نزولها كالطبري والبغوي وابن عطية والقرطبي وابن كثير والسعدي وابن عاشور [1].

قال ابن عاشور: "واتفقوا على أن الآية الأولى نزلت في شأن كتاب حاطب بن أبي بلتعة إلى المشركين من أهل مكة" [2].

إلا أن الإمام ابن حجر مال إلى أن نزول الآية في هذا الحديث زيادة مدرجة فقال: "وقد بيّن سياق علي أن هذه الزيادة مدرجة"ثم استطرد في نقل أقوال المحدثين التي تثبت ذلك[3].

والحكم بالإدراج لا ينفي نزولها لهذا السبب، واشتهار هذا السبب على هذا النحو يدل حتماً على أن لذلك أصلاً؛ وعليه: فالحديث المذكور سبب نزول الآيات التي معنا لصحة سنده، وموافقته لسياق القرآن، وإجماع المفسرين عليه والله أعلم[4].

- **جو نزولها:**

"نزلت هذه السورة الكريمة وقد كان المسلمون قد عقدوا مع قريش هدنة في صلح الحديبية لمدة أربع سنين، فنزلت هذه السورة بعد هذا الصلح ليفهمه المسلمون على حقيقته، لأنّه لم يقض على ما بين الفريقين من عداء، وإنّما كان اتّفاقاً على وضع الحرب بينهم هذه المدّة، ولا شكّ في أنّ هذه السورة تشبه سورة الحشر في نهي المؤمنين عن موالاة غيرهم، وهذا هو وجه المناسبة بينهما" [5].

رابعاً: المحور العام للسورة، وخطوطها الرئيسة:

" النهي عن موالاة الخارجين عن ملّة الإسلام، والاقتداء بالسلف الصالح في طريق الطاعة والعبادة، وانتظار المودّة بعد العداوة، وامتحان المدّعين بمطالبة الحقيقة، وأمر الرسول بكيفية البيعة مع أهل الستر والعفّة، والتجنّب من أهل الزيغ والضلالة في قوله تعالى:

---

(1) انظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (ج559/22)؛ البغوي، معالم التنزيل (ج92/8)؛ ابن عطية، المحرر الوجيز(ج293/5)؛ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج52/18)؛ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج114/8)؛ السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان(854/1)؛ ابن عاشور، التحرير والتنوير (130/28)

(2)ابن عاشور، التحرير والتنوير (130/28).

(3) انظر: ابن حجر، فتح الباري (636/8).

(4) انظر: خالد المزيني، المحرر في أسباب نزول القرآن من خلال الكتب التسعة (ج2/ 988)

(5) جعفر شرف الدين، الموسوعة القرآنية خصائص السور (9ج/ 219).بتصرف

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَوَلَّوۡاْ قَوۡمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ قَدۡ يَئِسُواْ مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلۡكُفَّارُ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡقُبُورِ ﴾ [الممتحنة: 13] [1].

وقال البقاعي عن السورة :"**مقصودها:** براءة من أقر بالإيمان من الكفار، دلالة على صحة مدعاه؛ كما أن الكفار تبرأوا من المؤمنين وكذبوا بما جاءهم من الحق، لئلا يكونوا على باطلهم أحرص من المؤمنين على حقهم"[2].

خامساً: أهداف السورة، ومقاصدها العامة:

1- النهي عن موالاة أعداء الدين.

2- الاقتداء بإبراهيم -عليه السلام- في البراءة من المشركين.

3- تحديد علاقة المسلمين بالكفار والمشركين .

4- أحكام المهاجرات من الكفر إلى الإيمان.

5- أحكام مبايعة المؤمنات.

المطلب الرابع: تعريفٌ عامٌ بسورة الصّف

أولاً: أسماء السورة، وسبب تسميتها، وعدد آياتها:

- **أسماؤها:**

- "اشتهرت هذه السورة باسم «سورة الصف»، وكذلك سميت في عصر الصحابة"[3]، وبذلك عنونت في «صحيح البخاري»[4] وفي «جامع الترمذي»[5] ، وكذلك كُتب اسمها في المصاحف وفي كتب التفسير.
- "وتسمى: الحواريون" [6].
- وجه التسمية «سورة الصف»: "وقوع لفظ صف فيها؛ لقوله: ﴿ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا ﴾ [الصف: 4] وهو صف القتال، فالتعريف باللام تعريف العهد"[7].

---

(1)الفيروزآبادى، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز (460/1)

(2) البقاعي، مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور (ج3/ 75)

(3)ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج28/ 171)

(4)انظر: صحيح البخاري (ج151/6)

(5)انظر: سنن الترمذي(ج412/5)

(6)دروزة عزت، التفسير الحديث(ج556/8).

(7)الفيروزآبادي، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز (ج1/ 462)؛ ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج171/28).

– وجه التسمية ب«سورة الحَوَاريّين »:" لقوله: ﴿ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِۖ ﴾[الصف: 14]، ولعلها أول سورة نزلت ذكر فيها لفظ الحواريين"[1].

▪ **عدد آياتها:**

– "عدد آياتها: أربع عشرة آية ليس فيها اختلاف"[2].

– " **كلماتها:** مئتان وإِحدى وعِشرون كلمة، **وحروفها:** تسعمائة"[3].

ثانياً: مكان نزول السورة وزمانها، وترتيبها في المصحف:

▪ **مكان نزولها:**

اختلف في مكان نزولها، وكذلك اختلف في نقل وعزو أقوال العلماء بهذا الشأن، ومجمل الأقوال أن فيها قولين:

أحدهما: أنها مدنية، وهو قول ابن عباس والجمهور[4].

والثاني: " أنها مكية وهو قول عطاء"[5]، وقول عن ابن عباس[6].

قال ابن عطية: " هي مدنية في قول الجمهور، وقال مكي عن ابن عباس والمهدوي عن عطاء ومجاهد إنها مكية والأول أصح لأن معاني السورة تعضده ويشبه أن يكون فيها المكي والمدني"[7].

ويؤيد كونها مدنية ما أخرجه الإمام أحمد عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ سَلَامٍ قَالَ:" تَذَاكَرْنَا أَيُّكُمْ يَأْتِي رَسُولَ اللهِ ﷺ فَيَسْأَلَهُ: أَيُّ الْأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَى اللهِ؟ فَلَمْ يَقُمْ أَحَدٌ مِنَّا، (فَأَرْسَلَ إِلَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ رَجُلًا فَجَمَعَنَا، فَقَرَأَ عَلَيْنَا هَذِهِ السُّورَةَ، يَعْنِي سُورَةَ الصَّفِّ كُلَّهَا) [8].

---

(1)ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج28/171).

(2)الفيروزآبادي، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز (ج1/ 462)؛ الداني، البيان في عد آي القرآن (ص: 245)

(3)المرجعين السابقين.

(4) انظر: البغوي، معالم التنزيل(ج5/79)؛ الزمخشري، الكشاف(ج4/522)؛ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج18/77)؛ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم(ج8/131)؛ القنوجي، فتح البيان في مقاصد القرآن(ج14/5)؛ ابن عاشور، التحرير والتنوير(ج28/172)؛ الجزائري، أيسر التفاسير(5ج/334)؛.

(5) البغوي، معالم التنزيل(ج5/79)

(6) انظر: البغوي، معالم التنزيل(ج5/79)؛ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج18/77)؛ ابن عاشور: التحرير والتنوير (ج28/172).

(7) ابن عطية، المحرر الوجيز(ج5/301)

(8)[أحمد، مسند أحمد، كتاب أحاديث رجال من أصحاب النبي/ باب حديث عبد الله بن سلام ، 39/205: رقم الحديث: 23788]؛ قال شعيب الأرنؤوط: " إسناده صحيح على شرط الشيخين"

- **زمان نزولها:**

– "نزلت سورة الصفّ بعد سورة التّغابن"[1]،" ونزلت سورة التغابن بعد سورة التحريم"[2]، "ونزلت سورة التحريم بعد سورة الحجرات"[3]، "ونزلت سورة الحجرات فيما بين صلح الحديبية وغزوة تبوك، فيكون نزول سورة الصف في ذلك التاريخ أيضًا"[4].

– "اختلف في نزولها أنزلت متتابعة أو متفرقة متلاحقة"[5].

- **مكانها وترتيبها في المصحف:**

هذه السورة باعتبار عدد السور في المصحف هي الواحدة والستُّون، وقد سبقها في الترتيب سورة الممتحنة، والسورة التي تليها سورة الجمعة.

- **مناسبتها لما قبلها:**

–من وجوه المناسبة بين سورة الصف وسورة الممتحنة التي سبقتها: أن سورة الصف اشتملت على الحث على الجهاد والترغيب فيه، وفي ذلك تأكيد للنهي عن اتخاذ الكفار أَولياءَ الذي تضمنته سورة الممتحنة [6].

ثالثاً: أسباب نزول السورة، وجو نزولها:

- **سببُ النُّزول:**

ذكر المفسرون[7] في سبب نزول سورة الصف حديث: (عَبْدِ اللهِ بْنِ سَلَامٍ قَالَ: تَذَاكَرْنَا أَيُّكُمْ يَأْتِي رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَسْأَلَهُ: أَيُّ الْأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَى اللهِ؟ فَلَمْ يَقُمْ أَحَدٌ مِنَّا، فَأَرْسَلَ إِلَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ رَجُلًا فَجَمَعَنَا، فَقَرَأَ عَلَيْنَا هَذِهِ السُّورَةَ، يَعْنِي سُورَةَ الصَّفِّ كُلَّهَا)[8]؛ أو رواياتٍ قريبة من هذا الحديث –لفظاً ومعنىً–[9].

---

(1)الزمخشري، الكشاف(522/4)

(2)المرجع السابق(545/4)

(3)المرجع السابق نفسه (562/4)

(4)جعفر شرف الدين، الموسوعة القرآنية خصائص السور (ج9/ 239)

(5)ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج28/ 172)

(6) انظر: مجمع البحوث، التفسير الوسيط(ج1393/10)

(7) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم(ج131/8)؛القرطبي، الجامع لأحكام القرآن(ج77/18)؛ ابن عاشور: التحرير والتنوير(ج172/28).

(8) سبق تخريجه (ص:24).

(9) انظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن(ج350/23).

والمتأمل لكتب التفسير يرى اتفاق المفسرين على المعنى الذي دلَّ عليه حديث عبد الله بن سلام – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ – ؛ وإن كان الحديث قد خلا من تمني الجهاد –كما في رواياتٍ أخرى–، وإنما تمني أحب الأعمال إلى الله، فبين أنه الجهاد.

"وعليه فالحديث الذي سبق سبب نزول هذه الآيات الكريمة لصحة سنده، وتصريحه بالنزول، وموافقته لسياق القرآن، واتفاق المفسرين على معناه والله أعلم"[1].

- **جو نزولها:**

" نزلت سورة الصف فيما بين صلح الحديبية وغزوة تبوك، وقد كان غرضها الحثّ على الجهاد في سبيل الله، وتوبيخ المنافقين على تقاعسهم عنه، وقد كان هذا ناشئا من موالاتهم للمشركين، فكانوا يكرهون قتالهم لأنّهم يبطنون الشرك مثلهم"[2].

رابعاً: المحور العام للسورة، وخطوطها الرئيسة:

" عتاب الذين يقولون ولا يعملون بمقتضى ما يقولون، وتشريف صفوف الغزاة والمصلّين، والتنبيه إلى جفاء بني إسرائيل، وإظهار دين المصطفى على سائر الأديان، وبيان التجارة الرابحة مع الرحمن الرحيم، والبشارة بنصر أهل الإيمان على الكفر والخذلان"[3].

خامساً: أهداف السورة، ومقاصدها العامة:

1. وجوب مطابقة القول للعمل.
2. الدعوة إلى الجهاد والحث عليه والتحذير من كراهيته والفرار منه.
3. الدعوة للثبات في الجهاد وترابط الأمة حتى تصبح صفاً واحداً كالبنيان المرصوص.
4. الرسالات الإلهية كلها دعوة إلى التوحيد.
5. الدين الإسلامي يعلو ويظهر على كل الأديان.
6. التجارة الرابحة هي الإيمان بالله ﷻ والجهاد في سبيله ونصرة دينه.

(1)خالد المزيني، المحرر في أسباب نزول القرآن من خلال الكتب التسعة (ج2/ 1005)

(2)جعفر شرف الدين، الموسوعة القرآنية خصائص السور (ج239/9).

(3)الفيروزآبادي، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز (ج1/ 462)

الفصل الأول

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة المجادلة

المبحث الأول

المقاصد والأهداف لسورة المجادلة من الآية (1-6).

المطلب الأول: رعاية الإسـلام للأسـرة المُسلمة

قال تعالى:﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ ﴾ [المجادلة:1]

أولاً: المفردات:

- قوله تعالى:﴿ قَدْ سَمِعَ ﴾

قـد: "مـن حـروف التوكيـد"[1]، "ولا يـدخل إلا علـى الأفعـال، وإذا دخـل علـى الماضـي أفـاد التحقيق"[2].

هذا هو الأصل في استخدام "قد"، فمن العلماء من رأى أن الحرف في الآية استخدم بناءً على هذا الأصل[3].

وأكثر العلماء على أن "قد" هنا أفادت التوقع[4]، أي الإشعار بحصول ما يتوقعه السامع[5].

قال الزمخشري: "معناه التوقع، لأنه - ﷺ- والمجادلة كانا يتوقعان أن يسمع الله مجادلتهما وشكواها، وينزل في ذلك ما يفرج عنهما"[6].

سَمِعَ ٱللَّهُ: "عبارة عن إدراكه المسموعات على ما هي عليه بأكمل وجوه ذلك دون جارحة ولا محاداة ولا تكييف ولا تحديد -تعالى الله عن ذلك-"[7].

وسمع بمعنى: "أجاب وقَبِل، كما يقال سمع الله لمن حمده"[8].

أي إنّ: معنى سماعه ﷻ لا يقتصر على بيان علمه ﷻ بحالها؛ وإنما كذلك إجابة دعائها وتفريج ما أهمّها.

---

[1] ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج8/28).

[2] الصابوني، صفوة التفاسير (ج4/485).

[3] انظر: القنوجي، فتح البيان في مقاصد القرآن(ج14/9).

[4] انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج8/28)؛ أبو العباس الأنجري، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد(ج7/333).

[5] انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج8/28).

[6] الزمخشري، الكشاف (ج4/485).

[7] ابن عطية، المحرر الوجيز (ج5/272).

[8] المراغي، تفسـير المراغي(28/4).

- قوله تعالى:﴿ تُجَٰدِلُكَ ﴾

الفعل تجادلك من (جادَلَهُ)، أي خاصمه، مُجادَلةً وجِدالاً:" والاسم الجَدَلُ، وهو شدّة الخصومة"[1]؛ فالفعل يوحي بشدة الخصومة وامتدادها؛ ولذا قال ابن فارس في بيان معنى الجدل: "وهو من باب استحكام الشيء في استرسال يكون فيه، وامتداد الخصومة ومراجعة الكلام"[2].

وهو المعنى المراد في الآية الكريمة، قال البغوي*: "ومعنى قوله قول التي تجادلك وتخاصمك وتحاورك وتراجعك في زوجها"[3].

واختلف أهل العلم في اسم التي تجادل[4]؛ وأكثر العلماء على أنها هي خولة بنت ثعلبة المذكورة، وأن زوجها هو أوس بن الصامت أخو عبادة بن الصامت[5].

- قوله تعالى:﴿ وَتَشْتَكِيٓ ﴾

(شكا)" شَكَوْتُ فلاناً أَشْكوهُ شَكوى وشِكايَةً وشَكِيَّةً وشَكاةً، إذا أخبرتَ عنه بسوءٍ فَعَلَه بك"[6]؛ والمراد في الآية ما هو أعمق من هذا المعنى اللغوي؛ إذ ليس المراد مجرد الإخبار بالسوء وإنما التضرع إلى الله بكشف هذا السوء وتفريج الهم[7].

- قوله تعالى:﴿ تَحَاوُرَكُمَآۚ ﴾

المحاورة في اللغة: "المجاوبة"[8] "ومُراجَعة الكلام"[9] .

- قوله تعالى:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ﴾

"السمع والبصر صفتان كالعلم والقدرة والحياة والإرادة، فهما من صفات الذات لم يزل الخالق سبحانه وتعالى متصفا بهما"[10].

---

(1) الفارابي، الصحاح تاج اللغة(ج1653/4)

(2) ابن فارس، مقاييس اللغة(ج433/1).

* أبو محمد الحسن بن مسعود بن محمد البغوي الفقيه الشافعي، صاحب كتاب مصابيح السنة في الحديث، ومعالم التنزيل في التفسير، توفي سنة 410هـ. (انظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان(ج146/1))

(3)البغوي، معالم التنزيل(ج277/14).

(4) انظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (ج219/23؛ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج272/17)

(5) مجمع البحوث، التفسير الوسيط (ج1314/10)

(6) الفارابي، الصحاح تاج اللغة(ج2394/6)؛ الزبيدي، تاج العروس(ج388/38).

(7) انظر: المراغي؛ أبو العباس الأنجري: البحر المديد(ج332/7).

(8) الزبيدي، تاج العروس(ج108/11).

(9) الفراهيدي، العين(ج287/3).

(10) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج272/17).

ثانياً: اللطائف البيانيّة:

– قوله تعالى :﴿وَٱللَّهُ يَسۡمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ﴾

- قال ﷻ يسمع ولم يقل يعلم؛ لأن السماع يوحي بالقرب من المتكلم، أما العلم فلا يوحي بذاك، إذ قد يكون المرء بعيداً عن المتكلم ويعلم ما قال[1].
- صيغة المضارع "يسمع" تفيد التجدد وتدل على استمرار السمع حسب استمرار التحاور وتجدده[2].
- "ذكْرُهَا (أي :المجادِلة) مع الرسول ﷺ في سلك الخطاب (تحاوركما) تشريف لها بهذا الخطاب الكريم"[3].

ثالثاً: سبب النزول:

قد تقدم بيان سبب نزول الآية الكريمة عند الحديث عن سبب نزول السورة، وهو ما ورد في الحديثين الشريفين:

– (حديث عَائِشَةَ قَالَتْ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَسِعَ سَمْعُهُ الْأَصْوَاتَ، لَقَدْ جَاءَتِ الْمُجَادِلَةُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ تُكَلِّمُهُ وَأَنَا فِي نَاحِيَةِ الْبَيْتِ، مَا أَسْمَعُ مَا تَقُولُ: فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ قَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوۡجِهَا﴾ [المجادلة: 1])[4].

– ما أخرجه أحمد (عَنْ خَوْلَةَ بِنْتِ ثَعْلَبَةَ قَالَتْ: فِيَّ – وَاللهِ – وَفِي أَوْسِ بْنِ صَامِتٍ أَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ صَدْرَ سُورَةِ الْمُجَادَلَةِ ..) [5].

رابعاً: المعنى الإجمالي:

يبين الله ﷻ في هذه الآية الكريمة أنه قد سمع وقبل شكوى المرأة التي جاءت تجادل رسوله ﷺ في شأن زوجها، وتبث أمرها إلى ربها، وسمع ما سمع من تحاورها مع رسوله، والله سميع لما يقال، خبير بحال عباده، فأنزل سبحانه فيها ما أزال غصّتها، وفرج كربتها، وأقرّ به عينها، وبيّن حكم ما كان من حالها[6].

---

(1) انظر: فضل السامرائي، لمسات بيانية في نصوص من التنزيل (مجموعة محاضرات)

(2) انظر: أبو السعود العمادي، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم(8/272–273)؛ الصابوني، روائع البيان (ج522/2)

(3) الصابوني، روائع البيان (ج522/2).

(4) سبق تخريجه: (ص11).

(5) سبق تخريجه: (ص11).

(6) انظر: المراغي، تفسير المراغي (ج6/28).

خامساً: تحقيق المقاصد والأهداف:

1- استجابة الله ﷻ لدعوة المستغيث بتفريج الهم.

حيث استجاب الله للمرأة المجادِلة، التي شكت أمر زوجها لرسول الله ﷺ ، وتضرعت إلى الله ﷻ بكشف ما أمسّها من الضر والسوء من ظهار زوجها لها.

"فقد استمع إليها ﷻ من فوق سبع سماوات، وكان صوتها ضعيفاً، لا يكاد يسمعه من يجلس بجوارها.

ولهذا قالت عائشة -رضي الله عنها-: (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَسِعَ سَمْعُهُ الأَصْوَاتَ، لَقَدْ جَاءَتِ الْمُجَادِلَةُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ تُكَلِّمُهُ وَأَنَا فِي نَاحِيَةِ الْبَيْتِ، مَا أَسْمَعُ مَا تَقُولُ)"[(1)].

قال القشيري*: "لمّا صدقت في شكواها إلى الله، وأيِسَتْ مِن كشف ضُرِّها من غير الله، أنزل الله في شأنها: ﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ.. ﴾؛ ويقال: صارت قصتها فرجةً ورحمةً للمؤمنين إلى يوم القيامة، في قضية الظهار، ليعلم العالمون أنه لا يخسر على الله أحد"[(2)].

وقال الفخر: "هذه الواقعة تدل على أنّ مَن انقطع رجاؤه من الخلق، ولم يبقَ له في مُهمه أحدٌ إلاَّ الخالق، كفاه الله ذلك المُهم"[(3)].

وفي هذا سلوى لكل نفسٍ مؤمنةٍ لجأت إلى باريها، تطلب منه عوناً وغوثاً؛ إذ ليس هذا الأمر خاصاً بخولة -رضي الله عنها-، بل إنّه رحمةٌ عامة من الله القريب المجيب الذي يجيب دعوة المضطر.

يقول اللهﷻ :﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: 186].

ويقولﷻ : ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ ﴾ [النمل: 62].

ومن الحديث: مَا رَوَاهُ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رضِي الله عنْهُ أَنَّ رسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "مَا عَلى الأَرْضِ مُسْلِمٌ يَدْعُو اللَّه تَعالى بِدَعْوَةٍ إِلاَّ آتَاهُ اللَّه إِيَّاهَا، أَوْ صَرَفَ عنْهُ مِنَ السُّوءِ مِثْلَهَا مَا لَم يدْعُ بإِثْمٍ، أَوْ قَطِيعَةِ رحِمٍ" فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ القَوْمِ: إِذاً نُكْثِرُ. قَالَ: "اللَّه أَكْثَرُ"[(4)].

---

(1) سبق تخريجه (ص11).

* عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك ابن طلحة النيسابوريّ القشيري، من بني قشير ابن كعب، أبو القاسم، زين الإسلام: شيخ خراسان في عصره، زهداً وعلما بالدين. كانت إقامته بنيسابور وتوفي فيها. وكان السلطان ألب أرسلان يقدمه ويكرمه. من كتبه " التيسير في التفسير" و " لطائف الإشارات - ط " ثلاثة أجزاء منه، في التفسير أيضا، و " الرسالة القشيرية "؛ الزركلي، الأعلام (ج4/57)

(2) القشيري، لطائف الإشارات (ج3/548).

(3) الرازي، مفاتيح الغيب (ج29/478).

(4) [الترمذي، سنن الترمذي، كتاب الدعوات/ باب في انتظار الفرج 566/5: رقم الحديث 3573]، قال المحقق عطوة: "وَهَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الوَجْهِ"، وحكم الألباني على الحديث: حسن صحيح.

2- رحمة الله بعباده المؤمنين

"فالله الملك العظيم الرحيم الذي أحاط بكل شيء علماً، علم صدقها في شكواها وقطع رجائها في كشف ما بها من غيره ﷻ "[1]؛ فاستجاب لها ورحم ضعفها فهو الرحيم سبحانه.

وعلى هذا ينبغي أن يكون المؤمن موقناً برحمه الله التي وسعت كل شيء.

قال المولى ﷻ : ﴿ وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ ﴾[الأعراف: 156].

3- مكانة المرأة في الإسلام:

" في الآية إشادة بمنزلة المرأة في الإسلام، وكيف أنها كانت من عظيم المنزلة، وشرف القدر ما يجعلها تقف أمام رسول الله ﷺ تجادله وتحاوره وتبادله الحجة بالحجة، حتى إن القرآن يستدل في شأنها، ويستجيب الحق لندائها، وتكون قضيتها صدر سورة من كتاب الله خالدة ما بقيت السماوات والأرض"[2].

ولقد فقه الصحابة ﷺ هذا الأمر، فما كان لهم أن يتجاهلوا ما أوحت به هذه السورة الكريمة من عظيم المعاني التي تبّين مكانة المرأة في الإسلام.

رَوَى يَزِيدَ يَعْنِي الْمَدَنِيَّ، قَالَ: (لَقِيَتِ امْرَأَةٌ عُمَرَ، يُقَالُ لَهَا: خَوْلَةُ بِنْتُ ثَعْلَبَةَ – وَهُوَ يَسِيرُ مَعَ النَّاسِ – فَاسْتَوْقَفَتْهُ، فَوَقَفَ لَهَا وَدَنَا مِنْها وَأَصْغَى إِلَيْهَا رَأْسَهُ، حَتَّى قَضَتْ حَاجَتَهَا وَانْصَرَفَتْ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، حَبَسْتَ رِجَالَاتِ قُرَيْشٍ عَلَى هَذِهِ الْعَجُوزِ؟، فَقَالَ: وَيْلَكَ وَهَلْ تَدْرِي مَنْ هَذِهِ؟ قَالَ: لَا. قَالَ: «هَذِهِ امْرَأَةٌ سَمِعَ اللَّهُ شَكْوَاهَا مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَوَاتٍ، هَذِهِ خَوْلَةُ بِنْتُ ثَعْلَبَةَ، وَاللَّهِ لَوْ لَمْ تَنْصَرِفْ عَنِّي إِلَى اللَّيْلِ مَا انْصَرَفْتُ عَنْهَا حَتَّى تَقْضِيَ حَاجَتَهَا، إِلَّا أَنْ تَحْضُرَ صَلَاةٌ فَأُصَلِّيَهَا، ثُمَّ أَرْجِعَ إِلَيْهَا حَتَّى تَقْضِيَ حَاجَتَهَا)[3].

4- قوة الشخصية للمرأة العربية المسلمة في مدافعتها عن حقها:

"إن الآية الأولى بخاصة احتوت صورة قوية لشخصية المرأة العربية المسلمة في عهد النبي ﷺ في مجادلتها عن حقها ومحاولة دفع الضيم عنها، وفي ما انتهى الموقف إليه من سماع الله لقولها وإنزاله قرآناً بإنصافها وحمايتها"[4].

---

[1] البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (ج19/ 334).

[2] حسن البنّا، نظرات في كتاب الله (ص: 484).

[3] [الدارمي، الرد على الجهمية، باب استواء الرب تبارك وتعالى على العرش 53/5: رقم الحديث 79]، [الهندي، كنز العمال باب سورة المجادلة 520/2: رقم الحديث 4649].

[4] دروزة عزّت، التفسير الحديث (ج8/ 476).

5- أخلاق المرأة المسلمة ودورها تجاه أسرتها:

" في الآية بيان لما جبلت عليه المرأة المسلمة من شريف الخلال، ونبيل الخصال، وكريم الأخلاق، فأنت تراها في هذه القصة: مؤمنة تقية قوية الإيمان، عظيمة التقوى لله، تمنع نفسها زوجها حتى تعلم حكم الله ورسوله، وتلجأ إلى الله وحده في حرارة ورجاء أمل؛ تسأله أن ينزل تفريج كربها على لسان نبيه ﷺ.

وتراها فقيهة ذكية الفؤاد تقرع الحجة بالحجة والدليل بالدليل، وتراها وفيّة لزوجها، أمينة على صحبته، حفيظة على حقوق عشرته، وتراها مربية فاضلة تقدر حياة الأسرة قدرها وتحافظ على كيانها، وتعلم أن الأسرة المبتورة لا خير فيها، وأن أبناءها إن ضمتهم إلى أبيهم دونها ضاعوا؛ إذ فقدوا المربى الأول وهو الأم، وإن ضمتهم إليها دونه جاعوا؛ إذ فقدوا العائل القوى، فما أفضله إدراكاً لمهمة كل ركن من ركني الأسرة، وتحديد الحقوق وواجباته في إجمال وإيجاز "[1].

وما أحوج الأمة في هذا الزمن العصيب إلى نساءٍ كخولة، يصبرن على المُصاب، ويلجأن بصدقٍ إلى رب العالمين، يتمسّكن بحقوقهنّ غير متناسياتٍ عِظم الواجبات من أداء مسؤوليات الزوج والأولاد، والحرص على البيوت المسلمة قويةً متماسكةً.

6- سبق الإسلام لرعاية حقوق المرأة، وإعطائها الحق في الدفاع عن نفسها وحقوقها:

لا ريب في أنّ الإسلام جاء راعياً لحقوق المرأة، إذ أخرجها من ظلم الجاهلية وظلماتها وعاداتها المقيتة، وزاد في رعايتها بأن أعطاها الحق في المطالبة بحقها.

وفي هذا النموذج الوارد في سورة المجادلة أسوة حسنة دائمة للمرأة المسلمة تتأسى به في كل ظرف ومكان في الجرأة والدفاع عن حقها أمام أولياء الأمر والأفراد والأزواج[2].

سادساً: العبر والعظات المستفادة:

1- " إحاطة السميع البصير بكل صغيرة وكبيرة، واطّلاعه على جميع الأعمال"[3].

2- "إجابة الله لأوليائه بتفريج كروبهم وقضاء حوائجهم"[4].

3- رعاية الحق تبارك وتعالى للجماعة المؤمنة، ومصالحها[5].

4- " دعوة الإسلام إلى ألفة الأزواج في المنازل"[6].

---

[1] حسن البنّا، نظرات في كتاب الله (ص: 485).

[2] انظر: دروزة عزت، التفسير الحديث (ج8/ 476).

[3] جعفر شرف الدين، الموسوعة القرآنية خصائص السور (ج9/ 163)

[4] الجزائري، أيسر التفاسير (ج5/ 285)

[5] انظر: جعفر شرف الدين، الموسوعة القرآنية خصائص السور (ج9/ 163)

[6] المراغي، تفسير المراغي (ج28/ 29).

5- للمرأة دورٌ عظيم في بناء البيت المسلم على أساسٍ متين.

6- المؤمن الصادق يلجأ إلى ربه ويبث إليه شكواه، محسناً الظن به ﷻ.

المطلب الثاني: حُكم الظِّهــار وكفَّارته

قال تعالى:﴿ ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمۡۖ إِنۡ أُمَّهَٰتُهُمۡ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔي وَلَدۡنَهُمۡۚ وَإِنَّهُمۡ لَيَقُولُونَ مُنكَرٗا مِّنَ ٱلۡقَوۡلِ وَزُورٗاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٞ ٢ وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمۡ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُواْ فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مِّن قَبۡلِ أَن يَتَمَآسَّاۚ ذَٰلِكُمۡ تُوعَظُونَ بِهِۦۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ٣ فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ شَهۡرَيۡنِ مُتَتَابِعَيۡنِ مِن قَبۡلِ أَن يَتَمَآسَّاۖ فَمَن لَّمۡ يَسۡتَطِعۡ فَإِطۡعَامُ سِتِّينَ مِسۡكِينٗاۚ ذَٰلِكَ لِتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۚ وَتِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِۗ وَلِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [المجادلة:2-4]

أولاً: المفردات:

- قوله تعالى:**﴿ يُظَٰهِرُونَ﴾**

"الظهار لغةً مصدر ظاهر، وهو (مفاعلة) من الظهر، ويراد به معانٍ مختلفة، راجعة إلى الظهر معنىً ولفظاً باختلاف الأغراض"(1).

والمعنى الذي نزلت فيه الآية الكريمة من بين تلك المعاني المختلفة، هو:

"ظاهر الرجل امرأته، ومنها مظاهرة: وظهاراً: إذا قال: هي علي كظهر ذات رحم محرم "(2)؛

وفي معجم لغة الفقهاء: " الظِّهار: بكسر الظاء من الظهر، تحريم الرجل امرأته عليه بقوله: أنت علي كظهر أمي"(3).

وفي اشتقاق كلمة الظّهار من الظهر، واختصاص تقدير المعنى فيه بالظهر كلامٌ كثيرٌ لأهل اللغة والعلم، يغني عن سرده ما آل إليه مفهوم الكلمة شرعاً وعرفاً.

- قوله تعالى:﴿ مُنكَرٗا مِّنَ ٱلۡقَوۡلِ ﴾

"المنكَر: اسم مفعول من أنكر؛ وهو كل فعل أو قول تحكم العقول الصحيحة بقبحه، أو يقبحه الشرع ويكرهه"(4)؛أو هو: "ما ينكره الشرع والعقل والطبع"(5).

---

(1) الألوسي، روح المعاني (ج14/199)

(2) أبو الحسن المرسي، المحكم والمحيط الأعظم(ج4/290).

(3)قلعجي، معجم لغة الفقهاء (ج1/297).

(4) أحمد عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة(ج3/2281).

(5) المراغي، تفسير المراغي (ج28/ 4)

- قوله تعالى:﴿ وَزُورًاۚ ﴾

الزور: " قول الكذب، وشهادة الباطل"[1].

- قوله تعالى:﴿ يَتَمَآسَّا﴾

المِساس: " كناية عن الجماع"[2].

- قوله تعالى:﴿ حُدُودُ ٱللَّهِۗ ﴾

"هي محارم الله وعقوباته التي قرنها بالذنوب. وأصل الحد المنع والفصل بين الشيئين، فكأن حدود الشرع فصلت بين الحلال والحرام.

فمنها ما لا يقرب كالفواحش المحرمة، ومنه قوله تعالى:﴿ تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقۡرَبُوهَاۗ ﴾ [البقرة: 187]؛ ومنها ما لا يتعدى كالمواريث المعينة، وتزويج الأربع. ومنه قوله تعالى: ﴿ تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعۡتَدُوهَاۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾[البقرة: 229]"[3].

ثانياً: اللطائف البيانيّة:

- قوله تعالى:﴿ ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمۡۖ إِنۡ أُمَّهَٰتُهُمۡ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔي وَلَدۡنَهُمۡۚ﴾:

في آية الظهار فن عجيب من فنون البلاغة، وهو السلب والإيجاب وهو: بناء الكلام على نفي الشيء من جهته وإيجابه من جهة أخرى، أو أمر بشيء من جهة ونهي عنه من جهة ثانية وفي قوله :﴿ الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ ﴾: " نفي لصيرورة المرأة أماً بالظهار وإثبات الأمومة للتي ولدت الولد"[4].

- قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم ﴾

- قال ابن منظور: "كانت العرب تطلّق النساء في الجاهلية بهذه الكلمة (أنت عليّ كظهر أمي) وإنما خصّوا (الظَّهر) دون البطن، والفخذ، والفرج – وهذه أولى بالتحريم – ؛ لأنّ الظهر موضع الركوب، والمرأة مركوبة إذا غشيت، فكأنه أراد أنْ يقول: ركوُبك للنكاح عليّ حرام كركوب أمّي للنكاح، فأقام الظهر مقام الركوب، وهذا من لطيف الاستعارات للكناية"[5].

---

(1) الفراهيدي، العين(ج380/7).

(2) أبو حيان الأندلسي، تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب(ج288/1).

(3) ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر(ج352/1).

(4) محيي الدين درويش، إعراب القرآن وبيانه (ج8/10)

(5) ابن منظور، لسـان العرب (ج528/4).

وقال آخرون: "ليس الظهار مأخوذاً من الظهر الذي هو عضو من الجسد، لأنه ليس الظهر أولى بالذكر في هذا الموضع من سائر الأعضاء، التي هي مواضع المباضعة والتلذذ، بل الظهر هاهنا مأخوذ من العلو ومنه قوله تعالى: ﴿ فَمَا ٱسْطَٰعُوٓاْ أَن يَظْهَرُوهُ ﴾[الكهف: 97] أي يعلوه، وكلّ من علا شيئاً فقد ظهره، ومنه سُمّي المركوب ظهراً لأنَّ راكبَه يعلوه، وكذا امرأة الرجل ظهره؛ لأنه يعلوها بملك البضع، فكأن امرأة الرجل مركوب للرجل وظهر له"[1].

- الخطاب بلفظ (منكم) فيه مزيد توبيخ للعرب، وتهجين لعادتهم في الظهار؛ لأنه كان من أيمان الجاهلية خاصة دون سائر الأمم[2].

ثالثاً: سبب النزول:

إن سبب نزول هذه الآيات الكريمة هو ذاته سبب نزول الآية الأولى من سورة المجادلة؛ إذ لا زالت الآيات تعايش ذات الحدث [ما حدث مع خولة رضي الله عنها]، وتبين أحكامه.

رابعاً: المعنى الإجمالي:

" استجاب الله دعاء هذه المرأة الضعيفة الوحيدة، ونزل الوحي ليقول للزوج: زوجُكَ التي ظاهرت منها ليست بأمك، فأمك هي التي ولدتك حقيقة، وحرّمت عليك بذلك، فكيف تصف ما أباحه الله لك بما حرَّمه عليك؟ إنك تقول قولاً يمقته الشرع فضلاً عن كونه كذباً وزوراً، ومع ذلك فإن الله عفوّ عمن أخطأ ثمّ تاب، غفور لمن وقف عند حدود الشرع، واتَّبع أمر الله الذي أنزله على نبيّه.

فمن ظاهر من زوجه وقال لها: أنتِ عليّ كظهر أمي، ثمّ أراد أن ينقض قوله، ويعود إلى ما أحلّه الله له من زوجه، فالواجب عليه أن يحرّر عبداً مملوكاً قبل أن يمسّ زوجه، هذا حكمُ مَنْ ظاهر ليتعظ به المؤمنون،ويعلموا أن الله جلّ وعلا خبير بكل ما يعملونه، فعليهم أن ينتهوا عما نهاهم عنه.

فمن لم يجد الرقبة بأن كان لا يملك ثمنها، أو لا يجد عبداً يشتريه ويعتقه فليصم شهرين متتابعين من قبل أن يقرب زوجه، فإذا كان ضعيفاً لا يقوى على الصوم، أو مريضاً يُضعفه الصوم، فعليه أن يطعم ستين مسكيناً ما يشبعهم، ذلك هو حكم الله في الظهار، لتؤمنوا بأن هذا منزّل من عند الله تعالى وتتبعوه، وتقفوا عند حدود ما شرع لكم فلا تتعدوها"[3].

---

(1) الرازي، مفاتيح الغيب (ج28/478).

(2) انظر: الزمخشري، الكشاف (ج4/485)؛ الصابوني، البيان تفسير آيات الأحكام (ج2/ 524).

(3)الصآبوني، روائع البيان تفسير آيات الأحكام (ج2/ 516 –517).

خامساً: تحقيق المقاصد والأهداف:

1- إبطال ما كان في الجاهلية من تحريم المرأة إذا ظاهر منها زوجها:

لقد جاء الإسلام بأحكامه العادلة الصالحة، التي تحقق مصالح العباد في الدنيا والآخرة، والتي تحمي حقوق العباد ويصونها، ويبطل كل عادةٍ سيئة ظالمةٍ ورثوها من الجاهلية، ومن بين هذه العادات التي أبطلها الإسلام وحرّمها :الظهار.

"حيث كان الظهار في الجاهلية طلاقاً، بل هو أشد أنواع الطلاق عندهم؛ لما فيه من تشبيه الزوجة بالأم التيّ تحرم حرمة على التأبيد، بل لا تجوز بحالٍ من الأحوال، وجاء الإسلام فأبطل هذا الحكم، وجعل الظهّار محرّماً قربان المرأة حتى يكفّر زوجها، ولم يجعله طلاقاً كما كانوا يعتبرونه في الجاهلية"[1].

2- بيان حكم الظهار وكفارته:

- **حكم الظهار:**

اتفق العلماء على حرمة الظهار، فلا يجوز الإقدام عليه؛ بل إن بعضهم قد عدّه من الكبائر؛ لأنه كذب وزور وبهتان[2]، والفعل الذي يوصف بهذا الوصف، يجب على المؤمن أن يتنزه ويترفع عنه ويجتنبه[3].

- **إذا ظاهر الرجل من امرأته ترتّب عليه أمران:**

الأول: حرمة إتيان الزوجة حتى يكفّر كفارة الظهار لقوله ﷻ: ﴿ فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مِّن قَبۡلِ أَن يَتَمَآسَّاۚ ﴾؛ وهذه الحرمة تشمل حرمة الوطء ودواعيه من تقبيل أو لمس أو مباشرة فيما دون الفرج، أما حرمة الوطء قبل التكفير فلا خلاف فيها بين الفقهاء، وأما حرمة دواعي الوطء فهو مذهب الحنفية وأكثر المالكية وإحدى الروايتين عن الإمام أحمد[4].

والثاني: وجوب الكفارة بالعود لقوله تعالى:﴿ وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمۡ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُواْ ﴾[5].

---

[1] الصابّوني، روائع البيان تفسير آيات الأحكام (ج2/ 526)

[2] انظر: وزارة الأوقاف والشؤؤن الدينية-الكويت، الموسوعة الفقهية الكويتية (ج191/29)

[3] انظر: طنطاوي، التفسير الوسيط (ج14/ 250)

[4] انظر: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية – الكويت، الموسوعة الفقهية الكويتية (ج29/204-205)

[5] انظر: المرجع السابق(ج206/29)

وقد كثر اختلاف المفسرين والفقهاء في المقصود من العود ههنا –على أقوال كثيرة–؛ مجملها:

الأوّل: الأخذ بظاهر القول، فيكون معنى العود هو تكرير الظهار بلفظه[1].

الثاني: الأخذ بظاهر القول من وجه آخر، فقالوا: العود إلى ما كانوا عليه في الجاهلية من نفس الظهار [2].

الثالث: وحمله الجمهور على معنى القول قالوا: وتقديره يعودون لنقض القول؛ وقيل: يرجعون عما قالوا[3].

واختلف الجمهور فيمَ يكون نقض القول، والرجوع عنه؟

معناه عند الحنفية[4] والمالكية[5]: العزم على الوطء أو إرادة الوطء، والوطء في الفرج عند الحنابلة[6]،وأما في مذهب الشافعية فيكون بإمساك الزوجة بعد الظهار مع القدرة على الطلاق [7].

وبناءً على الاختلاف السّابق اختلف الفقهاء في مسألة : متى تجب كفارة الظهار؟

" فعلى القول الأول تجب بمجرد التكرار؛ وعلى القول الثاني بنفس الظهار؛ وعلى القول الثالث عند بعضهم بالعزم على الوطء، وعند بعضهم بالإمساك، وعند بعضهم بالوطء"[8].

وقد ساق كلُّ صاحب رأيٍ أدلة على قوله وردودٍ ومناقشاتٍ على رأي غيره، تُنظر في مواطنها في كتب الفقه.

ويرى الباحث أن الراجح منها ما بينه الزحيلي في قوله: "الأظهر أنه لا ينبغي للمرأة أن تدعه يقربها حتى يكفّر، فإن تهاون بالتكفير حال الإمام بينه وبينها، ويجبره على التكفير"[9].

- **كفارة الظهار:**

بينت الآية الكريمة كفارة الظهار وهي على النحو الآتي:

1- الإعتاق: أي تحرير رقبة.

---

[1]انظر: الواحدي، التفسير الوسيط (ج4/ 260)؛ الزمخشري، الكشاف (ج4/ 486) ؛ ابن عطية، المحرر الوجيز (5ج/ 274) ؛ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج17/ 280).

[2]انظر: المراجع السابقة.

[3]انظر: المراجع السابقة نفسها.

[4] انظر: الكاساني، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع (ج234/3).

[5] انظر: ابن جزيء، القوانين الفقهية (ج161/1)

[6] انظر: ابن قدامة، المغني (ج15/8)

[7] انظر: النووي، روضة الطالبين وعمدة المفتين (ج270/8).

[8]أبو القاسم الكرماني، الغرائب التفسير وعجائب التأويل (ج2/ 1192)

[9]الزحيلي، التفسير المنير (ج28/ 23)

2- صيام شهرين متتابعين: من عجز عن المرتبة الأولى وهي إعتاق الرقبة فعليه صوم شهرين متتابعين[1].

3- إطعام ستين مسكيناً: من لم يستطع صيام شهرين متتابعين بأن لم يستطع أصل الصيام، أو بأن لم يستطع تتابعه لسبب من كبر أو مرض لا يرجى زواله عادة أو بقول طبيب انتقل إلى المرتبة الثالثة من الكفارة وكان عليه إطعام ستين مسكيناً [2].

و الكفارة هنا مرتبة، فلا يُنتقل إلى الصيام مع القدرة على الإعتاق، فلا سبيل إلى الصيام إلا عند العجز عن تحرير الرقبة، وكذلك لا سبيل إلى الإطعام إلا عند عدم الاستطاعة على الصيام [3].

- **حكم من عجز عن الكفارة:**

"يرى جمهور العلماء أنها لا تسقط عنه، بل تستقر في ذمته حتى يتمكن من أدائها، كسائر الديون والحقوق"[4].

- **حكم من أتى زوجته قبل الكفارة:**

لو وطئ المظاهر المرأة التي ظاهر منها قبل التكفير أو استمتع بها بغير الوطء عصى ربه، ولا يلزمه إلا كفارة واحدة، وتبقى زوجته حراماً عليه كما كانت حتى يكفر، وهذا قول جمهور الفقهاء [5].

3- في مشروعية الكفارات: رحمة بالأمة ومراعاةٌ لمصالحها:

إن الإسلام لم يشرع الكفارات عبثاً، أو تشفياً من المسلم المذنب، بل إن في مشروعيتها رحمة وتخفيفاً على الأمة؛ فهي لا تخلو من تحقيق مصالح لها أو درء المفاسد عنها سواءٌ أكان ذلك على صعيد الأفراد أو الجماعة.

يقول ابن عاشور: " وقد أومأ قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴾ إلى أن مراد الله من هذا الحكم التوسعة على الناس، فعلمنا أن مقصد الشريعة الإسلامية أن تدور أحكام الظهار على محور التخفيف والتوسعة"[6].

---

[1] انظر: الصابوني، روائع البيان تفسير آيات الأحكام (ج2/ 529)

[2] انظر: المرجع السابق (ج2/ 529)

[3] انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج285/17).

[4] طنطاوي، التفسير الوسيط (ج251/14).

[5] انظر: وزارة الأوقاف –الكويت، الموسوعة الفقهية الكويتية (ج205/29).

[6] ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج28/ 14).

ومن المصالح المتحققة في مشروعية الكفّارات على مستوى الفرد المسلم:

- أنها باب توبة للعاصي ليكفر عن خطئه، ويطهر قلبه من الذنب، وفي هذا رحمة وإشفاق، إذ لم يسد الإسلام الباب أمام من أخطأ وأذنب مهما عظُم ذنبه إذا ما أراد أن يتوب ويؤوب إلى ربه، بل حثه على التوبة مع حسن الظن بالله العفو الغفور.

وهذا مما يزرع الأمل والرجاء واستدراك الأخطاء في نفس المسلم، ويبعده عن اليأس والاستسلام للمعاصي.

- الكفارات تهذّب نفس المسلم وتربيه على الخير، وتردعه عن مواصلة السير في درب الخطأ والمعاصي.

يقول سيد قطب: "فالكفارة مذكر وواعظ بعدم العودة إلى الظهار الذي لا يقوم على حق ولا معروف"[1].

ومن عظيم حكمة الإسلام في ذلك أن جعل الكفارة متناسبة مع المكفَّر عنه، ليستشعر المسلم عظيم فعله وضرورة التكفير عن خطئه.

ففي كفارة الظهار هنا: يأتي إعتاق الرقبة في المرتبة الأولى ليعتاض بفكها عن فك عصمة الزوجية؛ فإن لم يستطع كان الصيام لما فيه من مشقة بالصبر على لذة الطعام والشراب ليدفع ما التزمه بالظهار من مشقة الصبر على ابتعاده عن زوجته التي أحلها الله له، ثم إن لم يستطع وجب إطعام ستين مسكيناً يدفع به عنهم ألم الجوع عوضاً عما كان التزمه على نفسه من مشقة الابتعاد عن لذّاته[2].

ومن المصالح العامّة المتحققة للمجتمع في مشروعية الكفّارات :

إن مقاصد الشريعة المتمثلة في حفظ الكليات الخمس لَتهدف إلى بناء المسلم الصالح، وليس هذا فحسب! بل يسعى من خلال ذلك إلى بناء المجتمع المسلم الصالح، فلا يكون بناء الفرد بمعزلٍ عن مجتمعه.

ومن ذلك أن الإسلام يقدم في أحكامه وتشريعاته حلولاً للمشكلات الأخلاقية والاقتصادية، ويعالج أخطاء الفرد وفق منهجٍ دقيق، يخدم الفرد والمجتمع من حوله.

فالإسلام يسعى لِيزرع مكان الشر والخطأ خيراً وفلاحاً، ويتضح ذلك جلياً في مشروعية الكفّارات، إذ تقدم ما فيه فائدة للمجتمع.

---

(1) سيد قطب، في ظلال القرآن (ج6/ 3506).

(2) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج28/20).

فأول مراتب هذه الكفارة: تحرير رقاب العبيد، وهذه إحدى سبل تحرير العبيد، إذ جعل الله ﷻ العتق في كفاراتٍ متنوعة ليكون ذلك سبباً في تحريرهم وإنهاء ظاهرة الرق[1].

وثانيها: صيام شهرين متتابعين -إذا لم يستطع شراء العبد وعتقه-، والصوم مدرسة تهذب خلقه، وتربيَّ نفسه، وتقوّم ما اعوج من تربيته[2].

وثالثها: إذا لم يستطيع الصوم، ينتقل الواجب في حقه إلى المجتمع أيضاً فيطعم ستين مسكيناً[3]؛ مما يسهم في التكافل الاجتماعي والاقتصادي في المجتمع المسلم

وعليه تكون خصال الكفارة متنقلة ما بين فائدة المجتمع، وفائدة الرجل نفسه.

4- اتباع أسلوب الترغيب والتّرهيب مع المسلم العاصي:

إن المتأمل في الآية الكريمة التي بيّنت كفارة الظهار لَيجد فناً رائعاً من فنون التربية السليمة، وأسلوباً راقياً في التعامل مع المذنب، فهي تارة تهذب وتربي وترغب وتفتح باب التوبة، وتارةً أخرى ترهّب وتغلّظ الزجر ليكف العاصي عن عصيانه.

قال ابن عطية: " وقوله: ذلِكَ لِتُؤْمِنُوا إشارة إلى الرخصة والتسهيل في النقل من التحرير إلى الصوم، والإطعام ثم شدد تعالى بقوله: تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ أي فالتزموها وقفوا عندها، ثم توعد الكافرين بهذا الحديث والحكم الشرعي"[4].

- من دلائل أسلوب الترغيب في الآيات:

- قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴾

قال تعالى : ﴿ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴾ أي: " وإن الله- تعالى- لكثير العفو والمغفرة، لمن تاب إليه- سبحانه- وأناب وأقلع عن تلك الأقوال والأفعال التي يبغضها- سبحانه-"[5].

وفي هذا ترغيب بالتوبة والإنابة إلى الله، حتى لا تيأس النفوس من رحمة الله.

- من دلائل أسلوب الترهيب في الآيات :

- قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكُمۡ تُوعَظُونَ بِهِۦ ﴾ قال الزجاج: "ذلكم التغليظ توعظون به"[6]. أي إن ما كان من تغليظ الكفارة هو على سبيل الوَعْظ للمؤمنين لينزجروا ويتركوا الظّهار [7].

---

(1) انظر: سيد قطب، في ظلال القرآن (ج6/ 3506).

(2) انظر: الصابوني، روائع البيان تفسير آيات الأحكام (ج2/ 535)

(3) انظر: المرجع السابق (ج2/ 535)

(4) ابن عطية، المحرر الوجيز (ج5/ 275).

(5) طنطاوي، التفسير الوسيط (ج14/ 247).

(6) درويش، معاني القرآن وإعرابه (5ج/135)

(7) انظر: الشوكاني، فتح القدير (ج5/219).

- قوله تعالى: ﴿ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾

إطلاق اسم (الكافر) على متعدّى هذه الحدود تغليظ في الزجر، كما قال في المتهاون في أداء فريضة الحج ﴿ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران:97] [1].

5- حرص الإسلام على البيوت المسلمة وديمومة عقد الزواج:

لقد شرع الإسلام الزواج عقداً دائماً غير مؤقت، لا يقطعه إلا هادم اللذات، أو أبغض الحلال إلى الله؛ فلم يطلق الإسلام العنان للرجل لينهي هذا الرباط وهذا العقد المتين كيفما شاء دون رادعٍ أو زاجرٍ؛ فإذا جاء الإنسان يريد أن يغيَّر ما أباحه الله له فيجعل الحلال حراماً، فقد تجاوز بذلك الحدود التي شرعها الله له، فلهذا كان عقابه كبيراً[2].

6- إعانة المرأة المسلمة لزوجها على التوبة والصلاح:

إن قصة خولة – رضي الله عنها- التي نزلت بشأنها هذه الآيات الكريمة تبين الكثير من مناقبها، فبالإضافة لصدق لجوئها لمولاها وشدة حرصها على بيتها، نراها رغم إيذاء زوجها في مظاهرته لها تصبر بل وتعينه على تصحيح المسار بالتوبة وأداء الكفّارة.

جاء في حديث خولة: (قَالَتْ: فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " فَإِنَّا سَنُعِينُهُ بِعَرَقٍ مِنْ تَمْرٍ "، قَالَتْ: فَقُلْتُ: وَأَنَا يَا رَسُولَ اللهِ سَأُعِينُهُ بِعَرَقٍ آخَرَ، قَالَ: " قَدْ أَصَبْتِ وَأَحْسَنْتِ، فَاذْهَبِي فَتَصَدَّقِي عَنْهُ، ثُمَّ اسْتَوْصِي بِابْنِ عَمِّكِ خَيْرًا "، قَالَتْ: فَفَعَلْتُ)[3]؛ [4].

---

[1] انظر: المراغي، تفسير المراغي(ج28/8)؛ أبو العباس الأنجري: البحر المديد في تفسير القرآن المجيد (ج7/ 336).

[2] انظر: الصابوني، روائع البيان تفسير آيات الأحكام (ج2/ 535)

[3] سبق تخرجه (ص36).

[4] وما جاء في حديث خولة السابق: فيه جواز أن يعين القاضي على خلاص المتهم مما وقع فيه بمثل هذا الإحسان الكريم.

ومما يؤكد هذا المعنى: ما رواه سَلَمَةَ بْنِ صَخْرٍ الْأَنْصَارِيِّ قَالَ: كُنْتُ امْرَأً قَدْ أُوتِيتُ مِنْ جِمَاعِ النِّسَاءِ مَا لَمْ يُؤْتَ غَيْرِي، فَلَمَّا دَخَلَ رَمَضَانُ تَظَاهَرْتُ مِنْ امْرَأَتِي حَتَّى يَنْسَلِخَ رَمَضَانُ، فَرَقًا مِنْ أَنْ أُصِيبَ فِي لَيْلَتِي شَيْئًا، فَأَتَتَابَعُ (3) فِي ذَلِكَ إِلَى أَنْ يُدْرِكَنِي النَّهَارُ وَأَنَا لَا أَقْدِرُ عَلَى أَنْ أَنْزِعَ، فَبَيْنَا هِيَ تَخْدُمُنِي إِذْ تَكَشَّفَ لِي مِنْهَا شَيْءٌ فَوَثَبْتُ عَلَيْهَا، فَلَمَّا أَصْبَحْتُ غَدَوْتُ عَلَى قَوْمِي فَأَخْبَرْتُهُمْ خَبَرِي وَقُلْتُ لَهُمْ: انْطَلِقُوا مَعِي إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأُخْبِرُهُ بِأَمْرِي فَقَالُوا: لَا وَاللهِ لَا نَفْعَلُ، نَتَخَوَّفُ أَنْ يُنْزِلَ فِينَا قُرْآنًا ، أَوْ يَقُولَ فِينَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَقَالَةً يَبْقَى عَلَيْنَا عَارُهَا، وَلَكِنْ اذْهَبْ أَنْتَ فَاصْنَعْ مَا بَدَا لَكَ، قَالَ: فَخَرَجْتُ حَتَّى أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرْتُهُ خَبَرِي فَقَالَ لِي: " أَنْتَ بِذَاكَ "، فَقُلْتُ: أَنَا بِذَاكَ، فَقَالَ: " أَنْتَ بِذَاكَ "، فَقُلْتُ: أَنَا بِذَاكَ، قَالَ: " أَنْتَ بِذَاكَ "، قُلْتُ: نَعَمْ، هَا أَنَا ذَا، فَأَمْضِ فِيَّ حُكْمَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ فَإِنِّي صَابِرٌ لَهُ، قَالَ: " أَعْتِقْ رَقَبَةً "، قَالَ: فَضَرَبْتُ صَفْحَةَ رَقَبَتِي بِيَدِي وَقُلْتُ: لَا وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، مَا أَصْبَحْتُ أَمْلِكُ غَيْرَهَا، قَالَ: " فَصُمْ شَهْرَيْنِ "، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَهَلْ أَصَابَنِي مَا أَصَابَنِي إِلَّا فِي الصِّيَامِ، قَالَ: " فَتَصَدَّقْ "، قَالَ: فَقُلْتُ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، لَقَدْ بِتْنَا لَيْلَتَنَا هَذِهِ وَحْشَا مَا لَنَا عَشَاءٌ، قَالَ: " اذْهَبْ إِلَى صَاحِبِ صَدَقَةِ بَنِي زُرَيْقٍ فَقُلْ لَهُ فَلْيَدْفَعْهَا إِلَيْكَ، فَأَطْعِمْ عَنْكَ مِنْهَا وَسْقًا

سادساً: العبر والعظات المستفادة:

1- حدود الله يجب التزامها، ولا يجوز تعديها.

2- "حرمة الظهار باعتباره منكراً وكذباً وزوراً فيجب التوبة منه"[1].

3- على الأزواج مراعاة مسؤوليات الأسرة، والتحلي بالحكمة والتصبر والابتعاد عن أي شيء يؤثر على حياة الأسرة المسلمة.

4- على المرأة المسلمة أن تعين زوجها على التقوى والتوبة.

5- ينبغي على الدعاة التنويع ما بين الترغيب والترهيب عند الدعوة إلى الله ﷻ.

6- في أداء الكفارات رحمة وباب خير للفرد والمجتمع.

المطلب الثالث: الوعيد للذين يحادّون الله ورسوله.

قال تعالى:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ كُبِتُواْ كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ وَقَدۡ أَنزَلۡنَآ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖۚ وَلِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٞ مُّهِينٞ ۝ يَوۡمَ يَبۡعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْۚ أَحۡصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ﴾ [المجادلة: 5-6]

أولاً: المفردات:

- قوله تعالى:﴿ يُحَآدُّونَ﴾

"الفعل يحادّون من (المحادّة) وهي المعاداة والمخالفة والمنازعة، وهو مفاعلة من الحد كأن كل واحد منهما يجاوز حده إلى الآخر"[2]؛ "ولذلك أوثر هذا الفعل هنا لوقوع الكلام عقب ذكر حدود الله"[3].

- قوله تعالى: ﴿كُبِتُواْ﴾

الكبت – في اللغة– من الإذلال والصرف عن الشيء. يقال:" كبت الله العدو يكبته، إذا صرفه وأذله"[4].

مِنْ تَمْرٍ سِتِّينَ مِسْكِينًا، ثُمَّ اسْتَعِنْ بِسَائِرِهِ عَلَيْكَ وَعَلَى عِيَالِكَ "، قَالَ: فَرَجَعْتُ إِلَى قَوْمِي فَقُلْتُ: وَجَدْتُ عِنْدَكُمُ الضِّيقَ وَسُوءَ الرَّأْيِ، وَوَجَدْتُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ السَّعَةَ وَالْبَرَكَةَ، قَدْ أَمَرَ لِي بِصَدَقَتِكُمْ فَادْفَعُوهَا لِي، قَالَ: فَدَفَعُوهَا إِلَيَّ) [أحمد، مسند أحمد، مسند المدنيين/حديث سلمة بن صخر الزرقي 349/26: رقم الحديث 16421] قال المحقق: " حديث صحيح بطرقه وشاهده"

[1] الجزائري، أيسر التفاسير (ج5/ 285)

[2] ابن منظور، لسان العرب (ج140/3).

[3] ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج23/28).

[4] ابن فارس، معجم مقاييس اللغة (ج125/5).

وجمهور المفسرين على أن الفعل (كبتوا) جاء على معناه اللغوي في الآية[1].

وقال أبو عبيدة والأخفش: كبتوا بمعنى أهلكوا، وقال ابن زيد: عذّبوا، وقال السدي*: لعنوا[2]، وقال الفراء*: "غيظوا وأحزنوا يوم الخندق"[3]

وقال قوم:" أصله كبدوا، أي أصابهم داء في أكبادهم، فأبدلت الدال تاء"[4].

ويرى الباحث أن مدار المعاني السابقة جميعها على الخزي والإذلال والعذاب.

- قوله تعالى:﴿ ءَايَٰتٍ بَيِّنَٰتٍۚ ﴾

للمفسرين في تفسير المراد من الآيات البينات أقوال، هي:

- الآيات البينات هي الفرائض التي بينها الله ﷻ.

قال ابن عباس: "فرائض قيمة معروفة، وللكافرين لمن لم يعمل، ولم يصدق بها، عذاب مهين"[5]

- "الآيات البينات ما تدل على صدق الرسول ﷺ، وصحة ما جاء به"[6].

- آيات بينات: أي دلالات مفصلات، وعلامات محكمة وبراهين مبينة لحدود الله[7].

- "آيات واضحات فيمن حاد الله ورسله من الأمم المتقدمة"[8].

- قوله تعالى:﴿ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾

أي: يلحق بهم الهوان والذل، ويذهب بعزّهم وكبرهم[9].

---

[1] انظر: الواحدي، التفسير الوسيط (ج4/489)؛ الزمخشري، الكشاف (ج4/489)؛ المراغي، تفسير المراغي (ج28/8)؛ ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج28/23)؛ طنطاوي، التفسير الوسيط (ج14/253)؛ الخطيب، التفسير القرآني للقرآن (ج14/820).

* إسماعيل بن عبد الرحمن السدي، تابعي حجازي الأصل، سكن الكوفة، وكان إماماً عارفاً بالوقائع وأيام الناس؛ الزركلي، الأعلام (ج1/317).

[2] انظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (ج23/ 235)؛ القنوجي، فتح البيان في مقاصد القرآن (ج14/ 17) ؛ أبو حفص سراج الدين: اللباب في علوم الكتاب (ج18/ 531).

* يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلميّ، مولى بني أسد (أو بني منقر) أبوزكرياء، المعروف بالفراء: إمام الكوفيين، وأعلمهم بالنحو واللغة وفنون الأدب. كان يقال: الفراء أمير المؤمنين في النحو؛ ومن كلام ثعلب: لولا الفراء ما كانت اللغة. ولد بالكوفة، له كتب كثيرة منها: معاني القرآن؛ انظر: الزركلي، الأعلام (ج8/146).

[3] الفراء، معاني القرآن (ج3/139).

[4] ابن عطية، المحرر الوجيز (ج5/ 276).

[5] الواحدي، التفسير الوسيط(ج4/ 263).

[6] الزمخشري، الكشاف (ج4/ 489).

[7] انظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (ج23/ 235)؛ المراغي، تفسير المراغي (ج28/ 8).

[8] القنوجي، فتح البيان في مقاصد القرآن (ج14/ 17).

[9] انظر: المراغي، تفسير المراغي (ج28/ 8)؛ أبو حفص سراج الدين، اللباب في علوم الكتاب (ج18/ 531)

- قوله تعالى:﴿ جَمِيعًا ﴾

أي: الرجال والنساء، أي: " كلهم لا يترك منهم واحداً؛ وقيل: مجتمعين في حال واحدة"[1].

- قوله تعالى:﴿ فَيُنَبِّئُهُم ﴾

فينبئهم بما عملوا: " أي يخبرهم بأعمالهم توبيخاً وتقريعاً لهم"[2].

ومن العلماء من لم يقصر الإنباء على الإخبار بأعمالهم، وإنما أضاف إلى الإخبار المجازاة والمحاسبة وإنزال حكمه ﷻ بهم[3].

- قوله تعالى:﴿ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ ﴾

أحصاه الله: أي أحاط به عدًا لم يغب عنه شيء منه، بل أثبته وحفظه[4].

- قوله تعالى:﴿ شَهِيدٌ ﴾

" شاهد يعلمه ويحيط به، فلا يعزب عنه شيء منه"[5].

ثانياً: اللطائف البيانيّة:

- قوله تعالى:﴿ كُبِتُوا۟ كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾

- " كُبِتُوا بمعنى سيكبتون، وعبر عن ذلك بالماضي، للإشعار بتحقق الذل والخسران، لأولئك المتحزبين الذين جمعوا جموعهم لمحاربة الله ورسوله"[6].

- قوله تعالى:﴿ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾

ختمت الآية الكريمة بوعيد الله للكافرين بأن لهم عذاب مهين، وقد سبق ذلك في ختام الآية السابقة بوعيد الله للكافرين بأنّ لهم عذاب أليماً، فما سر اختصاص كل موضع بالوارد فيه؟ فيه وجوه، أهمها:

- " أن الأوّل متَّصل بضدّه، وهو الإيمان فتوعّدهم على الكفر بالعذاب الأَليم الَّذى هو جزاء الكافرين، والثَّاني متَّصل بقوله: ﴿كُبِتُواْ﴾ وهو الإِذْلال والإِهانة، فوصف العذاب بمثل ذلك فقال: ﴿مُهِينٌ﴾"[7].

---

[1] اللباب في علوم الكتاب (ج18/ 531)

[2] الزمخشري، الكشاف (ج4/489)؛ المراغي، تفسير المراغي (ج28/ 8).

[3] انظر: طنطاوي، التفسير الوسيط (ج14/ 253).

[4] انظر: الطبري، جامع البيان (ج23/ 236).

[5] المرجع السابق (ج23/ 236).

[6] طنطاوي، التفسير الوسيط (ج14/ 253)

[7] الفيروزآبادي، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز (ج1/ 457)

- أن الآية الأولى لما تقدمها ذكر الظهار، وقد سماه ﷻ منكراً من القول وزوراً، وشرع الكفارة فيه رحمة وتداركاً للواقع فيه، وبيّن الحدود، فمن التزمها ولم يتعداها فذلك المؤمن، ومن تنكب عنها وحاد عن التزامها فتلك صفة الكافرين: ﴿ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾، ووصف العذاب بالإيلام ليكون أوقع؛ أما الآية الثانية فتحدثت عن الذين يحادون الله ورسوله، وكان جزاؤهم إكباتهم وإذلالهم وإهانتهم في مقابلة تعززهم كفراً وعناداً، فقال تعالى في جزاء هؤلاء: ﴿وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ أي مذل لهم قامع لعنادهم[1].
- وصف الله العذاب في الموطن الأول بالأليم لأن الغرض منه زجر المؤمنين وتأديبهم، وإصلاح اعوجاجهم؛ أما ما جاء في الآية التالية من وصف العذاب بأنه عذاب مهين، فهو في حق الكافرين الذين يحادون الله ورسوله، وهؤلاء إنما يعذبون عذابا لا يراد به إصلاحهم وتأديبهم، وإنما يراد به إذلالهم وإهانتهم وكبتهم[2].

– قوله تعالى:﴿ فَيُنَبِّئُهُم ﴾

" فيه كناية عن الجزاء على أعمالهم"[3].

ثالثاً: المعنى الإجمالي:

بعد بيان أحكام الظهار، وذكر حدود الله ﷻ، ذكر الله سبحانه جزاء المخالفين لشرعه وحدوده؛ فالذين يخالفون شرع الله ويعاندون رسوله لن تكون عاقبتهم إلا الذل والخزي والهوان في الدنيا والآخرة؛ شأنهم شأن الخارجين على حدود الله في كل زمانٍ ومكانٍ.

فلقد أوضح الله ﷻ الطريق المستقيم وأنزل آياتٍ واضحات لا يخالفها إلا كل كافر مكابر معاندٍ، والجاحدون بتلك الآيات لا عذر لهم بعد هذا البيان؛ ولذلك توعدهم الله بأن لهم العذاب والخزي والهوان في الدنيا، وكذلك عذابٌ مذل يوم القيامة، يوم يبعثهم الله جميعاً الأولين والآخرين فيخبرهم بأعمالهم على رؤوس الأشهاد، توبيخاً لهم وتكميلاً للحجة عليهم وتشديداً لعذابهم؛ تلك الأعمال التي نسوها، ولكن الله أحصاها جميعها، ولم تغب عنه ﷻ وعن حفظه، فالله مطلع محيطٌ علمه بكل شيء، ولا يخفى عليه شيء[4].

---

[1] انظر: أبو جعفر الغرناطي، ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل (ج2/ 470)

[2] انظر: عبد الكريم الخطيب، التفسير القرآني للقرآن (ج14/ 820)

[3] ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج28/ 24).

[4] انظر: الزمخشري، الكشاف(ج4/489)؛ ابن كصير، تفسير القرآن العظيم(ج8/72)؛ القنوجي، فتح البيان في مقاصد القرآن(ج14/18)؛ ابن مختار القيسي، الهداية إلى بلوغ النهاية (ج11/7359)؛ الزحيلي، التفسير المنير (ج28/26)؛ عبد الكريم الخطيب، التفسير القرآني للقرآن(ج14/820).

رابعاً: تحقيق المقاصد والأهداف:

1- الوعيد للذين يحـادّون الله ورسوله:

" في الآيتين تقرير إنذاري وتنديدي بالذين يشاقون الله ورسوله، فهؤلاء مصيرهم إلى الذل والخزي والهلاك كما كان مصير أمثالهم من قبلهم"[1].

ونظير هذه الآية: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴾[النساء : 115]، وقوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ شَآقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴾[الأنفال: 13] .

"وهذه سنة الله تبارك وتعالى في الانتقام في الدنيا من الأمم التي تخرج على حدوده وتخالف عن أمره"[2].

"وقد أوضح الحق تبارك وتعالى هذه السنة جملة وتفصيلاً، وضرب لنا الأمثال بالأمم السابقة بعد أن بيّن أن سرّ ذلك الانتقام هو الانحراف عن دين الله، وإهمال شريعته، والمخالفة عن أمره، مما يؤدى إلى غضب الله تبارك وتعالى وحلول اللعنة على هذه الأمة، كما قال تعالى: ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ۞ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴾ [المائدة: 78، 79].

وكما قال تعالى: ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا قَرۡيَةٗ كَانَتۡ ءَامِنَةٗ مُّطۡمَئِنَّةٗ يَأۡتِيهَا رِزۡقُهَا رَغَدٗا مِّن كُلِّ مَكَانٖ فَكَفَرَتۡ بِأَنۡعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلۡجُوعِ وَٱلۡخَوۡفِ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ ﴾ [النحل: 112].

وليس انتقام الحق تبارك وتعالى ممن يعصونه ويحادُّونه قاصراً على الدنيا، ولكن الحق تبارك وتعالى يحصيه عليهم، ويبعثهم يوم القيامة فيخبرهم بأعمالهم ويحاسبهم عليها، ويعذبهم بها عذاباً شديداً مهيناً" [3].

وهذا العذاب يوم القيامة إنما يكون على رؤوس الأشهاد تشهيراً لهم وخزياً، وفى هذا شديد الوعيد والتقريع العظيم والتنديم؛ ليعرفوا أن ما حاق بهم من العذاب، إنما كان من جراء أعمالهم وقبيح أفعالهم[4].

---

[1]مجمع البحوث، التفسير الحديث (ج8/ 477)

[2]حسن البنا، نظرات في كتاب الله (ص: 489)

[3]المرجع السابق (ص: 489-490)

[4]انظر: المراغي، تفسير المراغي (ج28/ 10).

2-وعيد للملوك وأمراء السوء الذين وضعوا شرائع تخالف شرع الله ﷻ :

إن ظاهر الوعيد الوارد في الآية الكريمة وعيد للكافرين الذين يخالفون شرع الله وحدوده، ولكن المتأمل لمعني الآية وروحها ومقاصدها ليرى أن هذا الوعيد يلحق بكل الحكام المسلمين الذين يهجرون شريعتهم الإلهية، ويعملون بالقوانين الوضعية، وألزموا رعاياهم العمل بها، والجري على نهجها، وعينوا لذلك قضاة يحكمون بها، ونبذوا ما جاء في شرعهم[1].

جاء في تفسير الألوسي: "وعلى هذا ففيه وعيدٌ عظيمٌ للملوك وأمراء السوء الذين وضعوا أمورا خلاف ما حده الشرع وسموها..القانون"[2].

ثم قال: "إنه لا شبهة في أنه لا بأس بالقوانين السياسية إذا وقعت باتفاق ذوي الآراء من أهل الحل والعقد على وجه يحسن به الانتظام ويصلح أمر الخاص والعام، ومنها تعيين مراتب التأديب والزجر على معاص وجنايات لم ينص الشارع فيها على حد معين بل فوض الأمر في ذلك لرأي الإمام فليس ذلك في المحادّة الله تعالى ورسوله ﷺ في شيء بل فيه استيفاء حقه تعالى على أتم وجه؛ لما فيه من الزجر عن المعاصي وهو أمر مهم للشارع"[3].

3- **بشارة للنبي ﷺوالمؤمنين بنصر الله ﷻ:**

ولقد ذكرت الآيات حدود الله ﷻ، وصرحت بتهديد متجاوزيها وبيّنت عذابهم، ووعدت المؤمنين بالنصر عليهم في قوله تعالى:﴿ كُبِتُوا۟ كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾

وفي هذا البشرى للنبي ﷺ وللمؤمنين بظهورهم على أعدائهم ونصر الله لهم.

بل إن الآية الكريمة أكدت هذه البشرى بأن عبرت عن كبت الكفار بالماضي؛ للإشعار بتحقق الذل والخسران، لأولئك المتحزبين الذين جمعوا جموعهم لمحاربة الله ورسوله؛ وقد حقق الله- تعالى- وعده، إذ ردهم بغيظهم دون أن ينالوا خيرا، فصرعوا وكبوا لوجوههم وكسروا وأذلوا وأخزوا فلم يظفروا، وردوا بغيظهم في كل أمر يرومونه [4].

قال القرطبي في بيان معنى الآية: "أي سيكبتون، وهو بشارة من الله تعالى للمؤمنين بالنصر، وأخرج الكلام بلفظ الماضي تقريبا للمخبر عنه"[5].

ولا يخلو القرآن الكريم من زف هذه البشارة للنبي ﷺ على الدوام، ومواساته وطمأنة فؤاده بأن نصر الله له ﷺ ولكل رسله والمؤمنين.

---

[1]انظر: المراغي، تفسير المراغي (ج28/ 10)؛ الزحيلي، التفسير المنير (ج28/ 27).

[2] الألوسي، روح المعاني (214/14).

[3]المرجع السابق (ص214-216).

[4]انظر: القنوجي، فتح البيان في مقاصد القرآن (ج14/ 17)؛المراغي، تفسير المراغي (ج28/ 9)؛ البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (ج19/ 355-356)؛ طنطاوي، التفسير الوسيط (ج14/ 253).

[5]القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج17/ 289)

بل إن سورة المجادلة أكّدت هذا المعنى وهذه البشارة في آية أخرى، إذ قال الله ﷻ: ﴿ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغۡلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ ﴾ [المجادلة: 21].

4- بيان عظيم مراقبة الله ﷻ لخلقه وإحاطته بكل أعمالهم:

إن الآيات الكريمة التي افتتحت بها سورة المجادلة من قصة خولة -رضي الله عنها- كانت صورة من صور الرعاية والعناية بالجماعة المسلمة، وهذه الآيات التي تلتها صورة من صور الحرب والنكاية للفريق الآخر[1].

وتلتقي صورة الرعاية والعناية بصورة الحرب والنكاية: في علم الله واطلاعه، وشهوده وحضوره. فهو شاهد حاضر للعون والرعاية وهو شاهد حاضر للحرب والنكاية، فليطمئن بحضوره وشهوده المؤمنون، وليحذر من حضوره وشهوده الكافرون[2]!

وفي هذا بيان عظيم مراقبة الله تبارك وتعالى لخلقه وإحاطته بكل ما يعملون من صغير وكبير، وذلك من عدة أوجه، كما قال تعالى: ﴿ يَعۡلَمُ خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ وَمَا تُخۡفِي ٱلصُّدُورُ ﴾ [غافر: 19]، وقال تعالى حكاية عن لقمان: ﴿ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٖ فَتَكُن فِي صَخۡرَةٍ أَوۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَأۡتِ بِهَا ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٞ ﴾ [لقمان: 16].

خامساً: العبر والعظات المستفادة:

1- " وعيد الله الشديد بالإكبات والذل والهوان لكل من يحاد الله ورسوله"[3].
2- "إحاطة علم الله بكل شيء، وشهوده لكل شيء، وإحصاؤه لكل أعمال العباد حال توجب مراقبة الله تعالى والخشية منه والحياء منه أشد الحياء"[4].
3- "أن سعادة الدارين موقوفة مع الأدب مع الله تبارك وتعالى، والتزام حدوده، وإنفاذ أمره، واجتناب ما نهى عنه"[5].
4- يجب على المؤمن أن تطمئن نفسه وتثق بنصر الله مهما اشتدت الأحداث والكروب، فإن نصر الله لعباده المؤمنين.

---

[1] سيد قطب، في ظلال القرآن (ج6/ 3508) -بتصرفٍ يسير-
[2] المرجع السابق (ج6/ 3508) -بتصرفٍ يسير-.
[3] الجزائري، أيسر التفاسير (ج5/ 287).
[4] المرجع السابق (ج5/ 287).
[5] حسن البنّا، نظرات في كتاب الله (ص: 491).

المبحث الثاني

المقاصد والأهداف لسورة المجادلة من الآية (7-13).

المطلب الأول: إحاطة علم الله ﷻ بكل شيء

قال تعالى:﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُواْۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [المجادلة: 7]

أولاً: المفردات:

- قوله تعالى:﴿ أَلَمْ تَرَ ﴾

قال ابن عباس: "ألم تر أي: ألم تعلم"، قال الرازي: " وإنما أطلق لفظ الرؤية على هذا العلم؛ لأن الدليل على كونه عالماً، هو أن أفعاله محكمة متقنة متسقة منتظمة، وكل من كانت أفعاله كذلك فهو عالم"[(1)].

- قوله تعالى:﴿ مَا يَكُونُ ﴾

"ما يكون من كان التامة"[(2)]، "أي ما يوجد ولا يحصل من نجوى"[(3)].

- قوله تعالى:﴿ مِن نَّجْوَىٰ ﴾

"**من**" " زائدة في النفي لقصد العموم"[(4)].

"**نجوى:** من نجاه نجواً ونجوى: أي: ساره، والنجوى والنجي: السر، والنجو: السر بين اثنين" [(5)].

هذا معنى النجوى في اللغة وفي التفسير قال الماوردي*:" فيها وجهان:

---

(1) الرازي، مفاتيح الغيب (29/ 489).

(2)الزمخشري، الكشاف (ج4/ 489)؛ الرازي، مفاتيح الغيب (ج29/ 489)؛ الألوسي، روح المعاني (ج14/ 217).

(3) الرازي، مفاتيح الغيب (ج29/ 489).

(4)ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج28/ 26).

(5)ابن منظور، لسان العرب (ج15/ 308)؛ وانظر: الرازي، مختار الصحاح (ص: 306)؛ الفراهيدي، العين (ج6/ 187).

* علي بن محمد حبيب، أبو الحسن الماوردي، (364 - 450 هـ = 974 - 1058 م): أقضى قضاة عصره. من العلماء الباحثين، أصحاب التصانيف الكثيرة النافعة. ولد في البصرة، وانتقل إلى بغداد. وولي القضاء في بلدان كثيرة، ثم جُعل " أقضى القضاة " في أيام القائم بأمر الله العباسي. وكان يميل إلى مذهب الاعتزال، وله المكانة

أحدهما: أن كل سرار نجوى ، قاله ابن عيسى.

الثاني: أن السرار ما كان بين اثنين ، والنجوى ما كان بين ثلاثة، حكاه سراقة"[1].

وقد أوجز ما سبق وجمع الآراء فيه ما جاء في لسان العرب من قول أبي إسحاق: " معنى النجوى في الكلام ما ينفرد به الجماعة والاثنان، سراً كان أو ظاهراً"[2].

ولعل هذا القول هو الأقرب للصواب والأقرب لروح النص، إذ أفادت الآية الكريمة أن الله يعلم ما يكون من نجوى ثلاثة أو أقل منهم، ولا يتصور الأقل في النجوى إلا في الاثنين، فتكون النجوى ما كان من سر بين اثنين أو أكثر، والله أعلم.

- قوله تعالى:﴿ أَدْنَىٰ﴾

أدنى: " أقل"[3].

ثانياً: اللطائف البيانيّة:

- قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ.. ﴾

▪ الآية فيها فن الانفصال، وهو فنّ فحواه أن يقول المتكلم كلاماً يتوجه عليه فيه دخل فلا يقتصر عليه حتى يأتي بما ينفصل به عن ذلك إما ظاهرا أو باطناً يظهره التأويل. فإن هذه الآية الكريمة يتوجه على ظاهرها عدد من الأسئلة تتعلق بسر اختصاص الآية بذكر الثلاثة والخمسة، وإلغاء رتبة الاثنين، والعدول عن الأربعة؟[4].

وقد ذكر المفسرون في الإجابة عن هذه الأسئلة وجوهاً عديدة، أهمها:

–أن قوماً من المنافقين تحلقوا للتناجي مغايظة للمؤمنين على هذين العددين: ثلاثة وخمسة.

–أن الآية قصدت أن يذكر ما جرت عليه العادة من أعداد أهل النجوى والمتخالين للشورى[5].

–" أن العدد الفرد أشرف من الزوج؛ لأن الله – تبارك وتعالى – وتر يحب الوتر، فخص أعداد الفرد بالذكر تنبيهاً على أنه لا بد من رعاية الأمور الإلهية في جميع الأمور"[1].

الرفيعة عند الخلفاء، وربما توسط بينهم وبين الملوك وكبار الأمراء في ما يصلح به خللا أو يزيل خلافا. نسبته إلى بيع ماء الورد، ووفاته ببغداد، له كتب كثيرة منها: النكت والعيون؛ انظر: الزركلي، الأعلام (327/4).

[1]تفسير الماوردي (ج5/ 490).

[2]ابن منظور، لسان العرب (ج309/15).

[3] الطبري، جامع البيان (ج23/ 237)

[4]انظر: محيي الدين درويش، إعراب القرآن (ج12/10)

[5]انظر: الزمخشري. الكشاف (ج490/4)؛ الرازي، مفاتيح الغيب(ج29/ 490)؛ الألوسي، روح المعاني(ج14/ 218)؛ درويش: إعراب القرآن (ج12/10)

والمتأمل في معنى الآية الكريمة وروحها يميل إلى أن العدد إنما ذكر على سبيل المثال.

ويجاب عن كل ما سبق من تعليلات المفسرين بما قاله الفراء: بأن "العدد غير مقصود؛ لأنه تعالى إنما قصد وهو أعلم أنه مع كل عدد قل أو كثر، يعلم ما يقولون سراً وجهراً ولا تخفي عليه خافية، فمن أجل ذلك اكتفى بذكر بعض العدد دون بعض"[2].

"وبذلك يتحقق أن مجيء نظم الآية على ما جاء عليه أبلغ مما توهمه مورد السؤال ومفرد الإشكال"[3].

ثالثاً: سبب النزول:

جاء في "الكشّاف" في سبب نزول الآية الكريمة: "عن ابن عباس رضى الله عنه: أنها نزلت في ربيعة وحبيب ابني عمرو وصفوان بن أمية: كانوا يوما يتحدثون، فقال أحدهم: أترى أن الله يعلم ما نقول؟ فقال الآخر: يعلم بعضاً ولا يعلم بعضاً، وقال الثالث: إن كان يعلم بعضا فهو يعلم كله" [4].

ولكن ابن عاشور قال معلقاً على إيراد هذا السبب: "ولم أر هذا في غير الكشاف، ولا مناسبة لهذا بالوعيد في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ ﴾ فإن أولئك الثلاثة كانوا مسلمين وعدوا في الصحابة، وكأن هذا تخليط من الراوي بين سبب نزول آية: ﴿ وَمَا كُنتُمۡ تَسۡتَتِرُونَ أَن يَشۡهَدَ عَلَيۡكُمۡ سَمۡعُكُمۡ وَلَآ أَبۡصَٰرُكُمۡ وَلَا جُلُودُكُمۡ وَلَٰكِن ظَنَنتُمۡ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعۡلَمُ كَثِيرٗا مِّمَّا تَعۡمَلُونَ﴾ [فصلت: 22] كما في صحيح البخاري[5] وبين هذه الآية؛ وركبت أسماء ثلاثة آخرين كانوا بالمدينة لأن الآية مدنية فآية النجوى إنما هي في تناجي المنافقين أو فيهم وفي اليهود عن ابن عباس"[6].

---

(1) أبو حفص سراج الدين، اللباب في علوم الكتاب (ج18/ 535)

(2) الطبري، جامع البيان(ج29/17).

(3) محيي الدين درويش، إعراب القرآن (ج12/10)

(4) الزمخشري، الكشاف (ج4/ 490).

(5) جاء في صحيح البخاري عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ، {وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ، عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلاَ أَبْصَارُكُمْ} [فصلت: 22] الآيَةَ، قَالَ: " كَانَ رَجُلاَنِ مِنْ قُرَيْشٍ وَخَتَنٌ لَهُمَا مِن ثَقِيفَ – أَوْ رَجُلاَنِ مِنْ ثَقِيفَ وَخَتَنٌ لَهُمَا مِنْ قُرَيْشٍ – فِي بَيْتٍ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: أَتُرَوْنَ أَنَّ اللَّهَ يَسْمَعُ حَدِيثَنَا؟ قَالَ: بَعْضُهُمْ يَسْمَعُ بَعْضَهُ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَئِنْ كَانَ يَسْمَعُ بَعْضَهُ لَقَدْ يَسْمَعُ كُلَّهُ، فَأُنْزِلَتْ: {وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلاَ أَبْصَارُكُمْ} [فصلت: 22] الآيَةَ؛ [(6/128–129)رقم الحديث(4816)]

وفيه أيضاً عَنْ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: " اجْتَمَعَ عِنْدَ البَيْتِ قُرَشِيَّانِ وَثَقَفِيٌّ – أَوْ ثَقَفِيَّانِ وَقُرَشِيٌّ – كَثِيرَةٌ شَحْمُ بُطُونِهِمْ، قَلِيلَةٌ فِقْهُ قُلُوبِهِمْ، فَقَالَ أَحَدُهُمْ: أَتُرَوْنَ أَنَّ اللَّهَ يَسْمَعُ مَا نَقُولُ؟ قَالَ الآخَرُ: يَسْمَعُ إِنْ جَهَرْنَا وَلاَ يَسْمَعُ إِنْ أَخْفَيْنَا، وَقَالَ الآخَرُ: إِنْ كَانَ يَسْمَعُ إِذَا جَهَرْنَا فَإِنَّهُ يَسْمَعُ إِذَا أَخْفَيْنَا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: {وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلاَ أَبْصَارُكُمْ وَلاَ جُلُودُكُمْ} [فصلت: 22] الآيَةَ؛ [(6/129)رقم الحديث(4817)].

(6) ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج28/ 26).

رابعاً: المعنى الإجمالي:

تفتتح هذه الآية الكريمة بتقرير ما بيّنته الآية السابقة من إحاطة علم الله بكل شيء، وأن أعمال المحادين المخالفين محصية معلومة، وسيجزيهم الله بها.

فالله يخاطب نبيه الكريمﷺ ألم تعلم بأن الله يعلم كل شيء، دقيق الأشياء وجليلها، سرها وعلانيتها، فأيما نجوى كانت بين اثنين أو أكثر إلا كان الله معهم بعلمه، يعلمها فلا يخفى عليه ﷻ من نجواهم شيء، ثم يخبر ﷻ هؤلاء المتناجين وغيرهم بما عملوا من عمل، مما يحبه ويسخطه يوم القيامة، فإن الله بنجواهم وأسرارهم، وسرائر أعمالهم، وغير ذلك من أمورهم وأمور عباده عليم[1].

خامساً: تحقيق المقاصد والأهداف:

1- إحاطة علم الله بكل شيء:

لقد جاءت الآية الكريمة لتقرر وتؤكد ما جاء في الآية السابقة من بيان شمول علم الله ﷻ وإحاطته بكل شيء[2]؛ " وأنه- سبحانه- يحصى على الناس أعمالهم إحصاء الحاضر معهم، المشاهد لهم، الذي لا يعزب عنه شيء من حركاتهم أو سكناتهم"[3].

ولأن هذا المقصد الأساس من الآية الكريمة فقد جاءت ألفاظ الآية دقيقة محكمة تعزز هذا المقصد وتوثقه.

- فابتدأت بخطاب النبي ﷺ وفي هذا إشارة للسامعين إلى وُعورة هذا المقام وأنه بحيث لا يكاد يتصوره ولا يفهمه حق فهمه إلا هو ﷺ، ومن ألحق به ممن صفا فهمه وسوى ذهنه وانخلع من الهوى والعوائق[4].
- بينت الآيات أن الله تعالى عليم محيط لكل ما يعمله الناس بالسرّ والعلن مهما بالغوا بالتخفي والمساررة ، وأنه معهم ﴿ أَيۡنَ مَا كَانُواْۖ ﴾ أي في أيّ مكان، فعلمه بالأشياء ليس لقرب مكان

---

[1]انظر: الطبري، جامع البيان (ج237/23)؛ الواحدي، التفسير الوسيط(ج263/4)؛ المراغي، تفسير المراغي (ج28/ 11)؛ الجزائري، أيسر التفاسير (ج287/5)؛ محمد الخطيب، أوضح التفاسير(ج672/1)؛ مجمع البحوث، التفسير الوسيط(ج1326/10).

[2]انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج8/ 73)؛ المراغي، تفسير المراغي (ج28/ 11)؛ دروزة عزت، التفسير الحديث (ج8/ 478).

[3]طنطاوي، التفسير الوسيط (ج14/ 255).

[4]انظر: البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (ج19/ 361)؛ عبد الكريم الخطيب، التفسير القرآني للقرآن (ج14/ 823).

حتى يتفاوت باختلاف الأمكنة ولا بسبب من الأسباب غير وجوده على ما هو عليه من صفات الكمال[1].

- واختتمت الآية بالعلم كما افتتحت به، وهذا تذييل محكم[2].

وهذا المقصد لم يغب عن آيات سورة المجادلة من بدايتها، إذ جاءت الآية الأولى تبث شكوى خولة -رضي الله عنها-، وأن الله سمع وعلم وأجاب تضرعها.

كما ورد في آيات كثيرة من القرآن الكريم، ومنها قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴾ [التوبة 78]، وقوله تعالى: ﴿ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴾[الزخرف: 80]

2- إحاطة قدرة الله بكل شيء :

"ويلزم من إحاطة علمه ﷻ إحاطة قدرته"[3]، "فالله مع عباده أينما كانوا بعلمه وإحاطته وقدرته"[4].

3- معية الله ﷻ لخلقه :

روى البيهقي عَنْ مُقَاتِلِ بْنِ حَيَّانَ، عَنِ الضَّحَّاكِ، قَالَ: ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ.. ﴾ [المجادلة: 7] قَالَ: "هُوَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى الْعَرْشِ وَعِلْمُهُ مَعَهُمْ"[5].

قال ابن عبد البر: " أجمع علماء الصحابة والتابعين الذين حمل عنهم التأويل، قالوا في تأويل قوله: ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ ﴾ هو على العرش، وعلمه في كل مكان، وما خالفهم في ذلك أحد يُحتجُ بقوله"[6].

وكذا قال ابن كثير: " حكى غير واحد الإجماع على أن المراد بهذه الآية معية علمه تعالى ولا شك في إرادة ذلك"[7].

---

[1] انظر: البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (ج19/ 364)

[2] انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج8/ 73)؛ طنطاوي، التفسير الوسيط(ج14/ 255)؛ محمد حجازي، التفسير الواضح (ج3/ 631).

[3] البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (ج19/ 364)

[4] ابن عطية، المحرر الوجيز (ج5/ 276)؛ الجزائري، أيسر التفاسير(ج5/ 287).

[5] البيهقي، الأسماء والصفات (ج2/ 341-342).

[6] الألباني، موسوعة الألباني في العقيدة (ج6/ 500)

[7] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج8/ 73)

قال القشيري: "معيّة الحقّ- سبحانه- وإن كانت على العموم بالعلم والرواية، وعلى الخصوص بالفضل والنصرة.."[1].

ومن أمثلة المعية العامة لجميع الخلق بالعلم والإحاطة:

قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴾ [الحديد: 4].

فهو ﷻ مستو على عرشه كما قال، على الكيفية اللائقة بكماله وجلاله، وهو محيط بخلقه، كلهم في قبضة يده، لا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء، ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين[2].

ومن الآيات الدالة على المعية الخاصة بعباده المؤمنين، وهي بالإعانة والنصر والتوفيق[3]:

قوله تعالى: ﴿ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ ﴾ [التوبة: 40].

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ﴾ [النحل: 128].

4- التحذير من المعاصي والترغيب في الطاعات:

إن كل ما جاء في الآية الكريمة من بيان إحاطة قدرة الله ﷻ وعلمه بكل أعمال العباد وأقوالهم دقيقها ودليلها، فيه تحذير من المعاصي وترغيب في الطاعات، واستشعار مراقبة الله ﷻ في كل لحظة[4].

سادساً: العبر والعظات المستفادة:

1- "إحاطة علم الله بكل شيء وشهوده لكل شيء وإحصاؤه لكل أعمال العباد حال توجب مراقبة الله تعالى والخشية منه والحياء منه أشد الحياء"[5].

2- معية الله تعالى لعباده المؤمنين،ومن كان الله معه فلا غالب له.

3- نصر الله تعالى لعباده المؤمنين متحقق لا محالة، قَالَ تَعَالَى:﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيۡنَا نَصۡرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [الروم: 47]

---

[1] القشيري، لطائف الإشارات (ج3/ 551)

[2]انظر: الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (ج2/ 468-469)

[3]انظر: المرجع السابق (ج2/ 468-469)

[4]انظر: الرازي، مفاتيح الغيب (ج29/ 491)؛ أبو حفص سراج الدين، اللباب في علوم الكتاب (ج18/ 535).

[5]الجزائري، أيسر التفاسير (ج5/ 287)

المطلب الثّاني: أحكام المناجاة وآدابها

قال تعالى:﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُواْ عَنِ ٱلنَّجۡوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُواْ عَنۡهُ وَيَتَنَٰجَوۡنَ بِٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ وَمَعۡصِيَتِ ٱلرَّسُولِۖ وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوۡكَ بِمَا لَمۡ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ وَيَقُولُونَ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ لَوۡلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُۚ حَسۡبُهُمۡ جَهَنَّمُ يَصۡلَوۡنَهَاۖ فَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ٨ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَنَٰجَيۡتُمۡ فَلَا تَتَنَٰجَوۡاْ بِٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ وَمَعۡصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَتَنَٰجَوۡاْ بِٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ٩ إِنَّمَا ٱلنَّجۡوَىٰ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ لِيَحۡزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيۡسَ بِضَآرِّهِمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴾ [المجادلة: 8-10]

أولاً: المفردات:

- قوله تعالى:﴿ بِٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ ﴾

"ويتناجون بالإثم والعدوان يحتمل وجهين أحدهما: أن الإثم والعدوان هو مخالفتهم للرسل في النهي عن النجوى؛ لأن الإقدام على المنهي يوجب الإثم والعدوان، سيما إذا كان ذلك الإقدام لأجل المناصبة وإظهار التمرد.

والثاني: أن الإثم والعدوان هو ذلك السر الذي كان يجري بينهم، لأنه إما مكر وكيد بالمسلمين أو شيء يسوءهم"[1].

- قوله تعالى:﴿ بِٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ ﴾

بالبر أي: "الخير والتقوى وهي طاعة الله والرسول"[2].

ثانياً: اللطائف البيانيّة:

- قوله تعالى:﴿ وَيَتَنَٰجَوۡنَ ﴾

"فعل مضارع معطوف على يعودون، وفي صيغة المضارع تجسيد واستحضار وتجدد"[3].

ثالثاً: سبب النزول:

سبَبُ نُزولِ الآية الكريمة (8):

فيها قولان[4]:

---

[1] الرازي، مفاتيح الغيب (ج29/ 491)

[2] الجزائري، أيسر التفاسير (ج5/ 289)

[3] درويش، إعراب القرآن وبيانه (ج10/ 18)

[4] انظر: أبو الفرج الجوزي، زاد المسير في علم التفسير (ج4/ 246)؛ تفسير السعدي (ج845/1)؛ ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج28/ 31)؛ خالد المزيني: المحرر في أسباب نزول القرآن من خلال الكتب التسعة (ج2/ 966).

الأول: نزلت في اليهود، وهو قول جمهور المفسرين الطبري والبغوي والزمخشري وابن عطية والقرطبي وابن كثير[1]؛ لما أخرجه مسلم[2] وأحمد[3]عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ نَاسٌ مِنَ الْيَهُودِ فَقَالُوا: السَّامُ عَلَيْكَ يَا أَبَا الْقَاسِمِ، فَقَالَ: " وَعَلَيْكُمْ " قَالَتْ عَائِشَةُ فَقُلْتُ: عَلَيْكُمُ السَّامُ وَالذَّامُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (يَا عَائِشَةُ لَا تَكُونِي فَحَّاشَةً)، قَالَتْ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَمَا سَمِعْتَ مَا قَالُوا؟ السَّامُ عَلَيْكَ قَالَ: (أَلَيْسَ قَدْ رَدَدْتُ عَلَيْهِمُ الَّذِي قَالُوا؟)قُلْتُ: " وَعَلَيْكُمْ ")

وفي رواية أخرى للإمام مسلم[4]: " فَفَطِنَتْ بِهِمْ عَائِشَةُ فَسَبَّتْهُمْ، فَقَالَ ﷺ: مَهْ يَا عَائِشَةُ، فَإِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْفُحْشَ وَالتَّفَحُّشَ"، وَزَادَ فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿ وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوۡكَ بِمَا لَمۡ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ ﴾ إِلَى آخِرِ الْآيَةِ).

وفي رواية أخرى للإمام أحمد عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو، أَنَّ الْيَهُودَ: " كَانُوا يَقُولُونَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ: سَامٌ عَلَيْكَ ثُمَّ يَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ: ﴿ لَوۡلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُۚ ﴾[المجادلة:8] فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةَ ﴿وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوۡكَ بِمَا لَمۡ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ ﴾ [المجادلة:8] إِلَى آخِرِ الْآيَةِ)[5].

والثاني: أنها نزلت في المنافقين، وهذا ما ذهب بعض المفسرين لما رواه ابن عطية عن ابن عباس: وقال ابن عبَّاسٍ: "هذه الآية كلها في منافقين، ويشبه أن من المنافقين من تخلق في هذا كله بصفة اليهود"[6].

ويرجح ابن عاشور القول الثاني؛ إذ هو الموافق لسياق الآية الكريمة، حيث إنّ النبي ﷺ ما كان ينهى اليهود عن أحوالهم[7]، إذ إنهم لا يخاطَبون بفروع الشريعة الإسلامية[8].

---

[1] انظر: الطبري، جامع البيان (ج23/ 238)؛ البغوي، معالم التنزيل (ج5/ 43)؛ الزمخشري، الكشاف (ج4/ 491)؛ ابن عطية، المحرر الوجيز (ج5/ 277)، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج17/ 292) ؛ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج8/ 74).

[2] [مسلم ، صحيح مسلم ، كتاب السلام/ باب النهي عن ابتداء أهل الكتاب، 1706/4: رقم الحديث 2165].

[3] أخرجه الإمام أحمد في مسنده [مسند عبد الله بن عمرو بن العاص، (160/11)؛ح:(6590)]؛ قال الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

[4] [مسلم، صحيح مسلم، كتاب السلام/ باب النهي عن ابتداء أهل الكتاب، 1707/4: رقم الحديث 2165].

[5][أحمد، مسند أحمد، مسند عبد الله بن عمرو بن العاص، 160/11:رقم الحديث 6590]؛ قال الأرنؤوط: حديث صحيح.

[6] ابن عطية، المحرر الوجيز (ج277/5).

[7] انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج28/ 30–31).

[8] انظر: خالد المزيني، المحرر في أسباب نزول القرآن من خلال الكتب التسعة (ج2/ 966).

ويضيف المزيني تعليلاتٍ أخرى لصحة هذا القول، مجمل أهمها:

- أن سورة المجادلة من أواخر سور القرآن الكريم نزولاً، فإذا كان اليهود جميعاً قد خلت المدينة منهم سنة خمس إما بالقتل أو الإجلاء، وكانت سورة المجادلة قد تأخر نزولها إلى هذا الحد (أي بعد سنة خمس)، فكيف يكون الخطاب فيها موجهاً لليهود؟!
- أن وصف المنافقين بذلك أقرب من وصف اليهود؛ لأنهم يعرفون من أحوال المؤمنين ما لا يعرفه اليهود، ويشاهدون ما لا يشاهدون وذلك بسبب القربى وإظهار الإيمان، وإذا كانوا كذلك فهم أقدر على المناجاة بالإثم والعدوان ومعصية الرسول.

وقد حكى الله عنهم في سورة عُنيت بفضحهم بأنهم يتناجون بالإثم والعدوان فقال سبحانه: ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿٧٨﴾ ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[التوبة : 78-79]، ومعلوم أن اللمز والسخرية بالمؤمنين من الإثم والعدوان ومعصية الرسول[1].

والقول الثاني هو ما يرى الباحث وجاهته؛ لصحة تعليلات اختياره، والله أعلم.

رابعاً: المعنى الإجمالي:

بعد أن بين الله ﷻ سعة علمه وإحاطته بكل ما في هذا الكون، فهو ﷻ يعلم السر والنجوى، ويحاسب على ما كان فيهما من خير أو شر، يخاطب ﷻ رسوله ﷺ معجّبا له من اليهود والمنافقين الذين نهوا عن التناجي، فعادوا لما نهوا عنه وتناجوا بالإثم والعدوان على المؤمنين، ثم ذكر سبحانه أنهم كانوا إذا جاءوا الرسول حيّوه بغير تحية الله ﷻ له ثم يقولون فى أنفسهم: لو كان رسولاً لعذبنا الله للاستخفاف به، فهؤلاء أصحاب هذه الأفعال السيئة مصيرهم جهنم وبئس المصير؛ والآيات الكريمة إذ تبين حال اليهود والمنافقين مع النجوى تنهى المؤمنين أن يفعلوا مثل فعلهم، وتأمرهم إذا ما تناجوا أن يتناجوا بالبر والتقوى، وذلك أن التناجي بالإثم والعدوان من الشيطان وهو لن يضيرهم شيء منه إلا بإذن الله، فعلى المؤمنين أن يتوكلوا على الله ويلجأوا إليه سبحانه [2].

---

(1) انظر: خالد المزيني، المحرر في أسباب نزول القرآن من خلال الكتب التسعة (ج2/ 966).

(2) انظر: المراغي، تفسير المراغي (ج28/12).

خامساً: تحقيق المقاصد والأهداف:

1- أحكام المناجاة وآدابها

أ- حرمة التناجي بالإثم والعدوان:

بعد أن أوضح القرآن الكريم فساد عمل هؤلاء المنافقين، الذين يتناجون بالسوء والشر والمعصية؛ تستطرد الآيات الى تربية المسلمين، وتهذيب نفوسهم بهذا الخصوص، فتنهاهم عن الحديث الخافت المحتوي على الإثم والعدوان، وترشدهم إلى ما يجب أن تكون عليه النجوى فيما بينهم، وأن ذلك لا يكون إلا البرّ والتقوى، وليس بالإثم والعدوان ومعصية الرسول، فإن المؤمن طاهر القلب، كريم النفس، لا يصدر عنه إلا الخير، ولا يدور بخلده إلا الخير(1).

ومتى ما تناجى المؤمنون بالصفة التي أرادها الإسلام من التناجي بالبر والتقوى قلّت مناجاتهم؛ لأن هذا الكلام حينئذٍ أدعى لإظهاره(2).

والحكمة في كون النجوى مظنة الشر في الأكثر: هي أن العادة الغالبة وسنة الفطرة المتبعة هي استحباب إظهار الخير والتحدث به في الملأ، وأن الشر والإثم هو الذي يخفى، ويذكر في السر والنجوى، وفي الحديث الشريف:(وَالْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي صَدْرِكَ، وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيْهِ النَّاسُ)(3) (4).

وذلك يقرب من قوله:﴿ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: 114].

فالنجوى المنفي الخير عنها النجوى بالإثم والعدوان وفي شئون الناس؛ ولذلك استثنت الآية الأمور الثلاثة التي هي مجامع الخير للناس؛ ولم يأت هذا الاستثناء إلا لحكمةٍ بالغة، إذ إن الخير في هذه الأمور الثلاثة إخفاؤها وكتمانها(5).

أما الصدقة: فهي من الخيرات التي لا مرية فيها، وإن إظهارها قد يؤذي المتصدق عليه ويضع من كرامته، ولهذا قال ﷻ: ﴿ إِن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا

---

(1) انظر: حسن البنا، نظرات في كتاب الله (ص: 494)؛ جعفر شرف الدين، الموسوعة القرآنية خصائص السور (ج9/ 164).

(2)انظر: تفسير الرازي (ج29/ 492).

(3) [مسلم، صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب/ باب تفسير البر والإثم، 1980/4: رقم الحديث 2553].

(4)انظر: محمد رشيد رضا، تفسير المنار (ج5/ 331)

(5)انظر: المرجع السابق (ج5/ 331- 332)

﴿ٱلۡفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۚ ﴾[البقرة: 271]، فقد مدحها الله ﷻ مطلقا، وجعل إخفاء ما يؤتاه الفقير منها خيراً من إظهاره[1].

وأما المعروف: فالذي يؤمر بالمعروف على مسمع من الناس يستاء في الغالب من الآمر؛ لأنه يرى في أمره إياه استعلاءً عليه بالعلم والفضل واتهاماً له بالتقصير أو الجهل، وإشرافا عليه بالتعليم والتهذيب، من أجل هذا كانت النجوى به أبعد عن الإيذاء، وأقرب إلى القبول والإمضاء.

وأما الإصلاح بين الناس فهو أيضاً من الخير الذي قد يترتب على إظهاره والتحدث به في الملأ شر كبير، وضرر مستطير، فينقلب الإصلاح المطلوب إفساداً[2].

قال ابن العربي في أحكام القرآن عند قوله تعالى: ﴿ لَّا خَيۡرَ فِي كَثِيرٖ مِّن نَّجۡوَىٰهُمۡ إِلَّا..﴾ [النساء: 114]: "إن الله تعالى أمر عباده بأمرين عظيمين: أحدهما: الإخلاص وهو أن يستوي ظاهر المرء وباطنه، والثاني: النصيحة لكتاب الله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم، فالنجوى خلاف هذين الأصلين، وبعد هذا فلم يكن بد للخلق من أمر يختصون به في أنفسهم ويخص به بعضهم بعضا فرخص في ذلك بصفة الأمر بالمعروف والصدقة وإصلاح ذات البين"[3].

ب-لا يتناجى اثنان دون الآخر

لم يقتصر الإسلام على منع المناجاة بالإثم والشر، بل إنه تجاوز هذا الأمر ليراعي الناس ومشاعرهم والخير لهم، وإبعاد كل أذىً أو ألم قد تتسبب فيه المناجاة، حيث منع الإسلام أن يتناجى اثنان دون الآخر، ففي صحيح البخاري: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (إِذَا كَانُوا ثَلاَثَةٌ، فَلاَ يَتَنَاجَى اثْنَانِ دُونَ الثَّالِثِ)[4] ؛ وفيه أيضاً: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : (إِذَا كُنْتُمْ ثَلاَثَةً، فَلاَ يَتَنَاجَى رَجُلاَنِ دُونَ الآخَرِ حَتَّى تَخْتَلِطُوا بِالنَّاسِ، أَجْلَ أَنْ يُحْزِنَهُ)[5] .

وقد قيد العلماء النهي السابق عن نجوى الاثنين دون صاحبهما إن كان هذا بغير رضاه؛ إذ هذا حقٌ له فإن شاء أسقطه سقط[6].

---

[1]انظر: محمد رشيد رضا، تفسير المنار (ج5/ 331– 332)

[2]انظر: المرجع السابق(ج5/ 331– 332)

[3]ابن العربي، أحكام القرآن (ج627/1).

[4] [البخاري، صحيح البخاري، كتاب الاستئذان/ باب لا يتناجى اثنان دون الثالث، 64/8: رقم الحديث 6288].

[5] [البخاري، صحيح البخاري، كتاب الاستئذان/ باب إذا كانوا أكثر من ثلاثة فلا بأس ، 65/8: رقم الحديث 6290].

[6]انظر:أبو الحسن العدوي، حاشية العدوي على كفاية الطالب الرباني (ج2/ 478)؛ القيرواني، الرسالة(ص: 161)؛ النفراوي، الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني (ج2/ 328)

وقد اختلف العلماء في موطن النهي أهو السفر أم الحضر، وإذا ما كان ذلك في صدر الإسلام؛ ولكن القرطبي يقول: "وظاهر الحديث يعم جميع الأزمان والأحوال"[1].

واختلفوا كذلك في محمل النهي الوارد في الحديث أهو التحريم أم الكراهة، وللعدوي في هذا تفصيلٌ جميل حيث قال: "والنهي نهي حرمة إن خشي المتناجيان أن صاحبهما يظن أنهما يتحدثان في غدره كان في حضر أو سفر، ونهي كراهة إن أمنا من ظنه ذلك كان في حضر أو سفر"[2].

ومما قاله العلماء في بيان الحكمة من تحريم تناجي الاثنين دون الآخر: ما قاله ابن دينار: "لا يتسارى ويتركا صاحبهما وحده قرين الشيطان يظن بهما أنهما يغتابانه"[3].

ويقول القرطبي: "وقد بيّن الحديث غاية المنع: "مِنْ أَجْلِ أن يُحْزِنَـهُ" أي يقع في نفسه ما يحزن لأجله، وذلك بأن يقدر في نفسه أن الحديث عنه بما يكره، أو أنه لم يروه أهلاً ليشركوه في حديثهم، إلى غير ذلك من ألقيات الشيطان وأحاديث النفس، وحصل ذلك كله من بقائه وحده، فإذا كان معه غيره أمن ذلك"[4].

بل إن العلماء لأجل مراعاة هذه الحكمة تجاوزوا حدود العدد الوارد في الحديث، فليس المقصود العدد ذاته، وإنما يستوي في ذلك كل الأعداد، حتى لو كانوا جماعةً يتناجون دون الواحد، ولو بلغوا ألفاً؛ لوجود ذلك المعنى في حقه، بل وجوده في العدد الكثير أمكن وأوقع، فيكون بالمنع أولى؛ وإنما خص الثلاثة بالذكر، لأنه أول عدد يتأتى ذلك المعنى فيه[5].

قال ابن رشد: "إنما نهي الثلاثة أن يتناجى اثنان منهم دون الواحد من أجل أن ذلك يحزنه على ما جاء في حديث ابن مسعود، ويحزنه ويسوؤه على ما جاء في حديث ابن عمر، فإذا تناجى الجماعة دون الواحد كان ذلك على الواحد أشد في الإساءة والحزن وأبين في سوء الأدب معه وقلة المراعاة له"[6].

أما في حال تناجي جماعة دون جماعة فقد حكى النووي الإجماع على جواز ذلك[7]؛ إذ معنى الحزن والأذى لا يتحقق حينئذٍ؛ ومما يدل على ذلك:

– ما روي(ابْنِ عُمَرَ عَنِ ابْنِ عُمَرَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ مِثْلَهُ، قُلْنَا: فَإِنْ كَانُوا أَرْبَعَةً؟ قَالَ: "لَا يَضُرُّهُ")[8].

---

(1) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج17/296)

(2) أبو الحسن العدوي، حاشية العدوي على كفاية الطالب الرباني (ج2/ 478)

(3) ابن رشد، البيان والتحصيل (ج18/ 226).

(4) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج17/296)

(5) انظر: المرجع السابق (ج17/296)

(6) القرافي، الذخيرة (ج13/ 314).

(7) انظر: النووي، شرح صحيح مسلم (ج14/168).

(8) [البخاري، الأدب المفرد، باب إذا كانوا أربعة(400/1: رقم الحديث1169]، قال الألباني عنه: حديث صحيح.

قال الطحاوي معلقاً على هذا الحديث: " فكان في ذلك ما قد دل أن الأربعة في ذلك بخلاف الثلاثة؛ لأن الاثنين إذا تناجيا دون الواحد نقصاه من حظه منهما ، وإذا كانوا أربعة فتناجى اثنان منهم كان الاثنان الباقيان قادرين على أن يتناجيا ، فيكونان في ذلك كصاحبيهما في تناجيهما"[(1)].

- ما جاء في صحيح البخاري من حديث عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ:(قَسَمَ النَّبِيُّ ﷺيَوْمًا قِسْمَةً، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ: إِنَّ هَذِهِ لَقِسْمَةٌ مَا أُرِيدَ بِهَا وَجْهُ اللَّهِ، قُلْتُ: أَمَا وَاللَّهِ لَآتِيَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، فَأَتَيْتُهُ وَهُوَ فِي مَلَإٍ فَسَارَرْتُهُ، فَغَضِبَ حَتَّى احْمَرَّ وَجْهُهُ ثُمَّ قَالَ: "رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَى مُوسَى، أُوذِيَ بِأَكْثَرَ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ")[(2)].

- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دِينَارٍ، قَالَ: كُنْتُ أَنَا وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ عِنْدَ دَارِ خَالِدِ بْنِ عُقْبَةَ الَّتِي بِالسُّوقِ، فَجَاءَ رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يُنَاجِيَهُ، وَلَيْسَ مَعَ عَبْد اللَّهِ بن عمر أَحَدٌ غَيْرِي وَغَيْرُ الرَّجُلِ الَّذِي يُرِيدُ أَنْ يُنَاجِيَهُ، فَدَعَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ رَجُلًا حَتَّى كُنَّا أَرْبَعَةً، فَقَالَ لِي وَلِلرَّجُلِ الَّذِي دَعَا: اسْتَأْخِرَا، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺيَقُولُ: "لا يَتَنَاجَى اثْنَانِ دُونَ وَاحِدٍ"[(3)].

ومن مراعاة العلماء لهذه الحكمة العظيمة أن ألحقوا بالتناجي أن يتكلم رجلان بلغةٍ لا يعرفها ثالث[(4)].

2- فضح كيد المنافقين وبيان فساد أعمالهم:

في الآيات الكريمة يشهّر القرآن بموقف المنافقين، الذين يبيّتون الكيد والدّس للمؤمنين، ويريدون إيذاء قلوب المسلمين بما كانوا يتناجون به فيما بينهم، ولم تكن في تناجيهم فائدة إلا قصدهم بذلك شغل قلوب المؤمنين، ولم ينتهوا عنه لمّا نهوا عنه، وأصرّوا على ذلك ولم ينزجروا، فجاءت الآيات الكريمة تفضحهم وتهدّدهم بأنّ أمرهم مكشوف، وأن عين الله مطّلعة عليهم ونجواهم بالإثم والعدوان، ومعصية الرسول مسجّلة، وسيحاسبون عليها، ويلقون جزاءهم، في جهنم وبئس المصير[(5)].

---

(1) الطحاوي، شرح مشكل الآثار (ج5/38).

(2) [البخاري، صحيح البخاري، كتاب الاستئذان/ باب إذا كانوا أكثر من ثلاثة فلا بأس، 65/8 : رقم الحديث6291]

(3) [مالك، الموطأ، كتاب الجامع/ باب ما يكره من تناجي اثنين دون الثالث 65/8: رقم الحديث6291]

(4) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج28/ 30).

(5) انظر: القشيري، لطائف الإشارات (ج3/ 552)؛ جعفر شرف الدين، الموسوعة القرآنية خصائص السور (ج9/ 164).

وقد وردت آيات كثيرة تفضح المنافقين، وما يدبّرون من كيد للنبي والمؤمنين[1]، ومن ذلك قوله تعالى:﴿ يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا﴾ [النساء: 108].

3- تسلية للمؤمنين وتأنيس نفوسهم وتصبيرهم على كيد المنافقين:

جاء في التحرير والتنوير في تفسير قول الله ﷻ ﴿ إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ : " قصر النجوى على الكون من الشيطان- أي جائية منه-؛ لأن الأغراض التي يتناجون فيها من أكبر ما يوسوس الشيطان لأهل الضلالة بأن يفعلوه ليحزن الذين آمنوا بما يتطرقهم من خواطر الشر بالنجوى، وهذه العلة ليست قيدا في الحصر فإن للشيطان عللاً أخرى مثل إلقاء المتناجين في الضلالة، والاستعانة بهم على إلقاء الفتنة، وغير ذلك من الأغراض الشيطانية.

وقد خصت هذه العلة بالذكر لأن المقصود تسلية المؤمنين وتصبرهم على أذى المنافقين ولذلك عقب بقوله: ﴿ وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ﴾ ليطمئن المؤمنون بحفظ الله إياهم من ضر الشيطان، وهذا نحو قوله تعالى:﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾ [الحجر: 42]" [2].

4- آداب وسلوكيات اجتماعية ينبغي التحلي بها:

أ- مراعاة مشاعر الناس وعواطفهم

إن المتأمّل للحكمة من النهي عن تناجي الاثنين أو الأكثر دون الواحد لما في ذلك من انكسار قلبه؛ لأنه يعتقد أنهما يكرهان اطلاعه على ما هما فيه وستره عنه وارتيابه بهما، وظنه أنهما في شيء من أمره: ليراها تجسد أدباً عالياً من آداب الإسلام التي يرشد إليها أبناءه، ذلك هو: مراعاة شعور غيرك، والمحافظة على إحساسه، بحيث لا تأتي بعمل يتألم منه غيرك، أو يحزن منه؛ فانظر إلى أي حدّ راعى الإسلام الرّقة في المجاملة، وفى المحافظة على حقوق الآخرين![3]

---

[1] انظر: عبد الكريم الخطيب، التفسير القرآني للقرآن (ج14/ 828).

[2] ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج28/34).

[3] انظر: أبو محمد البغدادي، المعونة على مذهب عالم المدينة (ص: 1709)؛ حسن البنا، نظرات في كتاب الله (ص: 494).

ب-تجنب الألفاظ المريبة في التحية والمعاشرة والتعامل مع الناس[1]:

لقد بيّن قول الله ﷻ: ﴿ وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوۡكَ بِمَا لَمۡ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ ﴾أسلوباً من أساليب المنافقين الخبيثة التي دبروها فيما بينهم، وهو أنهم إذا جاءوا إلى الرسول حيّوه بتحية منافقة، يبدو ظاهرها سليماً مقبولاً، ولكنها تلف في باطنها إثماً غليظاً، ومنكراً شنيعاً، فكانوا يخفتون لفظ: "السلام عليكم"، أو يحيوه بتحية الجاهلية "أنعم صباحاً"؛ لأنهم لا يحبون أن يتركوا عوائد الجاهلية[2].

وهذا غير ما حياه الله ﷻ به- في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ ﴾ [الأحزاب: 56]؛ وهى غير ما أمر الله المؤمنين أن يحيّوا النبي به في قوله سبحانه﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾ [الأحزاب: 56] [3].

ففي هذه الآية الكريمة إنكارٌ لهذا الأسلوب وهذه التحية المريبة؛ وعليه فينغي على المسلم أن يتجنب مثل هذه الألفاظ في تعامله مع الناس، فالمسلم ينبغي عليه أن يكون صادقاً واضحاً الخير في باطنه وظاهره.

5- التوكل على الله فيه أنس وطمأنينة للنفس:

إن هذه الآيات الكريمة الواردة في النجوى، والتي بينت أن نجوى المنافقين كانت تحزن المؤمنين: أرشدت المؤمنين إلى ألا يحزنوا، وليعلموا أن كيد الشيطان لن يضرهم؛ بل عليهم أن يتوكلوا على الله ويفوضوا أمورهم إليه؛ لأن الأمور تجري على ما قدره الله، والله تعالى كافٍ من يتوكل عليه كافيه كل ما يهمه، ومن يتوكل على الله لا يضل سعيه ولا يخيب أمله[4].

قال القشيري: "النجوى من تزيين الشيطان ليحزن الذين آمنوا. وإذا كانت المشاهدة غالبة، والقلوب حاضرة، والتوكل صحيحاً والنظر من موضعه صائباً، فلا تأثير لمثل هذه الحالات، وإنما هذا للضعفاء"[5].

6- حرص الإسلام على استقرار النفس والمجتمع.

من خلال ما سبق من معانٍ ومقاصد وردت في الآيات يتبّن أن الإسلام حريصٌ كل الحرص على نفس المسلم، ألا تحزن ولا تهن، ولا تضطرب فتذهب بها الظنون والوساوس كل مذهب، بل يريدها نفساً قويةً عزيزةً مطمئنة، متوكلة على باريها.

---

[1] دروزة عزت، التفسير الحديث (ج8/ 481)

[2] انظر: عبد الكريم الخطيب، التفسير القرآني للقرآن (ج14/ 826).

[3] انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج28/ 31).

[4] انظر: الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل (ج4/ 261)؛ ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج28/ 31)؛ طنطاوي، التفسير الوسيط (ج14/ 260)؛ الجزائري، أيسر التفاسير (ج5/ 290).

[5] القشيري، لطائف الإشارات (ج553/3).

ومن هذا قول الله ﷻ: ﴿ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران: 139].
وهو كذلك يريد أن يحمي المجتمع المسلم من أي بلبلة أو قلاقل أو اضطراباتٍ أو شائعاتٍ تعصف باستقراره، إذ يريده مجتمعاً متماسكاً مستقراً.

7- الحث على تقوى الله:

"ولما كانت التقوى أم المحاسن، أكدها ونبه عليها بقوله: ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ ﴾ أي اقصدوا قصداً يتبعه العمل أن تجعلوا بينكم وبين سخط الملك الأعظم وقاية. ولما كانت ذكرى الآخرة هي مجمع المخاوف ولا سيما فضائح الأسرار على رؤوس الأشهاد قال: ﴿ الَّذِي إِلَيْهِ ﴾ أي خاصة ﴿تُحْشَرُونَ﴾ أي تجمعون بأيسر أمر وأسهله بقهر وكره، وهو يوم القيامة، فيتجلى فيه سبحانه للحكم بين الخلق والإنصاف بينهم بالعدل ومحاسبتهم على النقير والقطمير لا يخفى عليه خافية ولا تقي منه واقية"[1].

سادساً: العبر والعظات المستفادة:

1-وجوب مراقبة الله والإيقان بأنه شاهد على كل شيء.
2-" وجوب اجتناب ما من شأنه إثارة القلق في المجتمع بالاجتماعات والمجالس السرية المريبة"[2].
3-"وجوب مراعاة عواطف الناس وشعورهم وبخاصة في أوقات أزماتهم"[3].
4- "وجوب تجنب الألفاظ المريبة في التحية والمعاشرة والآداب السلوكية مع الناس"[4].
5-بيان مكر اليهود والمنافقين وكيدهم للمؤمنين في كل زمان ومكان.
6-"حرمة التناجي بغير البر والتقوى وقوله تعالى إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس"[5]..
7-لا يجوز أن يتناجى اثنان دون الثالث لما يوقع ذلك في نفس الثالث من حزن لا سيما إن كان ذلك في سفر أو في حرب وما إلى ذلك.
8-وجوب التوكل على الله وترك الأوهام والوساوس فإنها من الشيطان.

---

[1] البقاعي، نظم الدرر (ج19/ 372)
[2] دروزة عزت، التفسير الحديث (ج8/ 481)
[3] المرجع السابق (ج8/ 481)
[4] المرجع السابق نفسه (ج8/ 481)
[5] الجزائري، أيسر التفاسير (ج5/ 291)

المطلب الثّالث:آداب المجالس

قال تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ فَٱفۡسَحُواْ يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ﴾ [المجادلة: 11]

أولاً: المفردات:

- قوله تعالى:﴿ تَفَسَّحُواْ﴾

من (فسح)، والفسحة والفساحة بمعنى السعة، ومنها بيت فسيح: أي واسع، وفسح له في المجلس: وسع له[1]؛ فتفسّحوا: أي" توسعوا في المجالس"[2].

- قوله تعالى:﴿ ٱلۡمَجَٰلِسِ ﴾

اختلف المفسرون في المراد من المجالس في الآية الكريمة على أربعة أوجه:

أحدها: أن المراد به مجلس الرسول ﷺ خاصة، وهو قول مجاهد، والثاني: أنّ المراد به مجلس الحرب، ومقاعد القتال، وهو قول ابن عباس، والحسن، والثالث: أنه في مجالس صلاة الجمعة ، قاله مقاتل، والرابع: أن المراد به مجالس الذكر كلّها، وهو قول قتادة[3].

والصواب من هذه الأقوال أن الآية عامة، فالله تعالى ذكره أمر المؤمنين أن يتفسحوا في المجلس، ولم يخصص بذلك مجلسٍ دون مجلس اجتمع فيه المسلمون، فالحكم مطرد فيها جميعاً [4].

- قوله تعالى:﴿ ٱنشُزُواْ ﴾

من (نَشَزَ)، والنشز: "المكان المرتفع"[5]، ونشز ينشز، "إذا زحف عن مجلسه فارتفع فويق ذلك"[6].

واختلف في المراد بهذا القيام في الآية الكريمة على خمسة أقوال:

" أحدها: أنه القيام إلى الصلاة، وكان رجال يتثاقلون عنها، فقيل لهم: إذا نودي للصلاة فانهضوا، هذا قول عكرمة، والضحاك.

والثاني: أنه القيام إلى قتال العدو، قاله الحسن.

---

[1]انظر: ابن منظور، لسان العرب (ج543/2)؛ مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط (ج687/2).

[2] المراغي، تفسير المراغي (ج15/28)؛ الجزائري، أيسر التفاسير (ج292/5).

[3]انظر: الماوردي، النكت والعيون(5ج/492)؛ الرازي، مفاتيح الغيب (ج493/29)؛ أبو الفرج الجوزي، زاد المسير (ج247/4)؛ الصابوني، روائع البيان (ج543/2).

[4] انظر: الطبري، جامع البيان (ج254/23)؛ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج297/17)؛ الألوسي، روح المعاني (ج221/14).

[5]الرازي، مختار الصحاح (ج310/1).

[6]الفراهيدي، العين (ج232/6).

والثالث: أنه القيام إلى كل خير، من قتال، أو أمر بمعروف، ونحو ذلك، قاله مجاهد.

والرابع: أنه الخروج من بيت رسول الله ﷺ، وذلك أنهم كانوا إذا جلسوا في بيت رسول الله ﷺ أطالوا ليكون كل واحد منهم آخرهم عهداً به، فأُمروا أن ينشُزوا إذا قيل لهم: انشزوا، قاله ابن زيد؛ والخامس: أن المعنى: قوموا وتحرَّكوا وتوسَّعوا لإخوانكم، قاله الثعلبي*" [1].

ورجح القرطبي أن المراد القيام إلى كل خير؛ لأنه يعم[2].

- قوله تعالى:﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ﴾

"يحتمل هذا وجهين: أحدهما: أن يكون إخباراً عن حالهم عند الله في الآخرة. الثاني: أن يكون أمراً يرفعهم في المجالس التي تقدم ذكرها لترتيب الناس فيها بحسب فضائلهم في الدين والعلم"[3].

ثانياً: اللطائف البيانيّة:

- في قوله تعالى ﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ﴾ "ذكر تعالى في أول الآية مكانة المؤمنين، ثمّ عطف عليها بذكر مكانة العلماء، والعطفُ في مثل هذا الموطن هو من باب (عطف الخاص على العام) تعظيماً لشأن العلماء كأنهم جنس آخر، ولذا أعيد اسم الموصول في النظم الكريم في قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ﴾"[4].
- "وتنكير ﴿ دَرَجَٰتٍ ﴾ يؤذن بتعظيمها"[5].

ثالثاً: سبب النزول:

ذكر المفسرون في سبب نزول الآية الكريمة وجوهاً.

" قال مقاتل بن حيان: كان النبي ﷺ يكرم أهل بدر من المهاجرين والأنصار فجاء ناس منهم يوماً وقد سبقوا إلى المجلس فقاموا حيال النبي ﷺ وسلموا عليه فرد عليهم ثم سلموا على القوم فردوا عليهم فقاموا على أرجلهم ينتظرون أن يوسع لهم، فلم يفسحوا لهم فشق ذلك على النبي ﷺ، فقال لمن حوله: (قم يا فلان وأنت يا فلان فأقام من المجلس بقدر النفر الذين قاموا بين يديه من أهل

---

* أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق: مفسر، من أهل نيسابور له اشتغال بالتأريخ، من كتبه (عرائس المجالس) في قصص الأنبياء، و (الكشف والبيان في تفسير القرآن) يعرف بتفسير الثعلبي؛ الزركلي، الأعلام (212/1)

[1] أبو الفرج الجوزي، زاد المسير (ج4/ 248).

[2] انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج299/17).

[3] الماوردي، النكت والعيون (ج5/ 493).

[4] الصابوني، روائع البيان (ج2/ 542).

[5] مجمع البحوث، التفسير الوسيط (ج10/ 1333).

بدر، فشق ذلك على من أقيم من مجلسه وعرف النبي ﷺ الكراهية في وجوههم فأنزل الله هذه الآية).

وقال الكلبي: نزلت في ثابت بن قيس بن شماس.

وقال قتادة: كانوا يتنافسون في مجلس النبي ﷺوكانوا إذا رأوا من جاءهم مقبلا ضنوا بمجلسهم فأمرهم الله أن يفسح بعضهم لبعض.

وقيل: كان ذلك يوم الجمعة فأنزل الله الآية" [1].

رابعاً: المعنى الإجمالي:

ما زال السياق القرآني الكريم في تربية المؤمنين وتهذيبهم، فبعد أن نهى الله ﷻ عباده المؤمنين عما يكون سبباً للتباغض من التناجي بالإثم والعدوان أمرهم بما يكون سبب التواد والتوافق بينهم، فأمرهم بالتوسع في المجالس حين إقبال الوافد والانصراف والنهوض دون تثاقل إن طلب منهم ذلك، ومن امتثل لهذا الأمر فإنّ الله ﷻ يكافئه بالسعة في الدنيا والآخرة، سعة في الرزق والقبر وفي غرفات الجنّات[2].

ثم تؤكد الآية الكريمة أن الرفعة ليست بالسبق إلى صدور المجالس وإنّما بالإيمان والعلم، فالله ﷻ يرفع المؤمنين الذين أوتوا العلم درجاتٍ عالية؛ لجمعهم بين الإيمان والعلم والعمل؛ والله ﷻ عالمٌ بأعمال الجميع لا يخفى عليه شيء[3].

خامساً: تحقيق المقاصد والأهداف:

1- آداب المجالس:

أ- التفسح في المجالس:

دلّت الآية الكريمة على وجوب التوسع في المجلس للقادم، وهذا من مكارم الأخلاق التي أرشد إليها الإسلام، ولكن لا يباح للإنسان أن يأمر غيره بالقيام ليجلس مجلسه؛ لما رواه ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (لاَ يُقِيمُ الرَّجُلُ الرَّجُلَ مِنْ مَجْلِسِهِ ثُمَّ يَجْلِسُ فِيهِ) [4]؛ وفي رواية مسلم: (وَلَكِنْ تَفَسَّحُوا وَتَوَسَّعُوا) [5].

---

[1] البغوي، معالم التنزيل (ج44/5)، وانظر: الطبري، جامع البيان (ج244/23)؛ الرازي، مفاتيح الغيب (ج493/29).

[2]انظر: الطبري، جامع البيان (ج 46/23)؛ المراغي، تفسير المراغي (ج15/28)؛ الصابوني، روائع البيان (ج539/2)؛ الجزائري، أيسر التفاسير (ج293/5)؛ محمد الحجازي، التفسير الواضح (ج635/3).

[3]انظر: المراجع السابقة.

[4][البخاري، صحيح البخاري، كتاب الاستئذان/ باب لا يقيم الرجل الرجل من مجلسه ،61/8 رقم الحديث: 6269]

[5][مسلم، صحيح مسلم، باب لا يقيم الرجل الرجل من مجلسه، 9/7: رقم الحديث 5735]

جاء في شرح النووي لهذا الحديث: " هذا النهي للتحريم، فمن سبق إلى موضع مباح في المسجد وغيره يوم الجمعة أو غيره لصلاة أو غيرها فهو أحق به، ويحرم على غيره إقامته لهذا الحديث إلا أن أصحابنا استثنوا منه ما إذا ألف من المسجد موضعا يفتي فيه أو يقرأ قرآنا أو غيره من العلوم الشرعية فهو أحق به وإذا حضر لم يكن لغيره أن يقعد فيه وفي معناه من سبق إلى موضع من الشوارع ومقاعد الأسواق لمعاملة؛ وأما قوله: وكان ابن عمر إذا قام له رجل عن مجلسه لم يجلس فيه فهذا ورع منه وليس قعوده فيه حراماً إذا قام برضاه، لكنه تورع عنه لوجهين أحدهما: أنه ربما استحى منه إنسان فقام له من مجلسه من غير طيب قلبه فسد بن عمر الباب ليسلم من هذا، والثاني: أن الإيثار بالقرب مكروه أو خلاف الأولى، فكان ابن عمر يمتنع من ذلك لئلا يرتكب أحد بسببه مكروهاً أو خلاف الأولى بأن يتأخر عن موضعه من الصف الأول ويؤثره به وشبه ذلك؛ قال أصحابنا وإنما يحمد الإيثار بحظوظ النفوس وأمور الدنيا دون القرب"[1].

" وقد جرى الحكم أنّ من سبق إلى مباح فهو أولى به، والمجلسُ من هذا المباح، وعلى القادم أن يجلس حيث انتهى به المجلس، إلاّ أن الآداب الاجتماعية تقضي على الناس بتقديم أولي (الفضل والعلم) وبذلك جرى عرف الناس وعوائدهم في القديم والحديث.

ولقد كان هذا الأدب السامي شأن الصحابة في مجلس الرسولﷺ يُقدّمون بالهجرة، وبالعلم، وبالسنِ، وما فعله النبي عليه السلام في جماعة (ثابت بن قيس) من أهل بدر، فإنما كان لتعليم الناس مكارم الأخلاق، وخاصة من أهل الفضل والعلم، من المهاجرين والأنصار"[2].

ب-حكم القيام للقادم:

أجمع المسلمون على جواز التفسح من جلوس، فما حكم أن يقوم الجالسون للوارد؟

قال العلامة ابن كثير: "وقد اختلف الفقهاء في جواز القيام للوارد إذا جاء على أقوال: - - فمنهم من رخص في ذلك محتجاً بحديث : (قُومُوا إِلَى سَيِّدِكُمْ) [3].

- ومنهم من منع من ذلك محتجاً بحديث: (مَنْ أحَب أن يَمْثُلَ له الرِّجَالُ قِياماً، فَلْيَتَبوَّأ مقعدَه مِن النَّارِ)[4]

---

[1] النووي، شرح النووي على صحيح مسلم (ج161/14).

[2]الصابوني، روائع البيان (ج544/2).

[3] [البخاري، صحيح الأدب المفرد ، باب تقبيل اليد ،373/1: رقم الحديث 937]

[4] [أبو داوود، سنن أبي داوود، كتاب الآداب/ باب الرجل يقوم للرجل يعظمه بذاك ، 516/7: رقم الحديث 5230]؛ قال المحقق الأرنؤوط: "إسناده صحيح".

- ومنهم من فصل فقال يجوز عند القدوم من سفر وللحاكم في محل ولايته، كما دل عليه قصة سعد ابن معاذ، فإنه لما استقدمه النبي حاكماً في بني قريظة فرآه مقبلاً قال للمسلمين (قُومُوا إِلَى سَيِّدِكُمْ) وما ذاك إلا ليكون أنفذ لحكمه والله أعلم"[1].

والمتأمل في الأحاديث السابقة يرى أن مورد النهي عن القيام للقادم إذا كان بقصد المباهاة والسمعة والكبرياء؛ لقول النبي ﷺ: (مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَمْثُلَ لَهُ عِبَادُ اللَّهِ قِيَامًا، فَلْيَتَبَوَّأْ بَيْتًا مِنَ النَّارِ)[2]؛ ويثبت جواز القيام للقادم إذا كان بقصد إكرام أهل الفضل؛ لحديث: (قُومُوا إِلَى سَيِّدِكُمْ)[3].

قال النووي معلقاً على هذا الحديث: " فيه إكرام أهل الفضل، وتلقيهم بالقيام لهم، إذا أقبلوا، واحتج به جماهير العلماء لاستحباب القيام، قال القاضي عياض: وليس هذا من القيام المنهي عنه، وإنما ذلك فيمن يقومون عليه، وهو جالس، ويمثلون قياما طوال جلوسه، وأضاف النووي: قلت: القيام للقادم من أهل الفضل مستحب، وقد جاء فيه أحاديث، ولم يصح في النهي عنه شيء صريح"[4].

"ويستحب القيام لأهل الفضل كالوالد والحاكم؛ لأن احترام هؤلاء مطلوب شرعا وأدباً"[5].

2- التنافس على مجالس العلم والخير دون إيذاء الغير:

إن المتأمل لأقوال العلماء في سبب نزول الآية الكريمة ليلمح من خلالها جميعها تنافس الصحابة الكرام على مجالس الخير والعلم، فينبغي على المسلم أن يتنافس في كل خير متجنباً إيذاء الغير، ومراعياً الآداب المطلوبة شرعاً، والمنازل المقدرة عرفاً.

3- مراعاة المنازل والأقدار عند التعامل مع النّاس:

يقول الإمام حسن البنّا في بيان معنى الآية الكريمة: "يا أيها الذين آمنوا إذا طلب إليكم إخوانكم أن تتفسحوا في المجالس وتوسّعوا لهم فيها، فاسمعوا لهم ومكّنوهم من ذلك، وراعوا المنازل والأقدار، فقدّموا أهل الإيمان والعلم أولاً، ثم من يليهم، وأنزلوا الناس- في ذلك- منازلهم.

وخلاصة هذا الأدب الكريم البادي في هذه الآية المطهرة: المستحبّ في المجالس أن تنظّم على حسب أقدار من سيجلسون، ويوضع كل منهم في المرتبة اللائقة به، فإذا خولف هذا النظام: فلا بأس بأن يطلب الإنسان الفسحة من إخوانه ليصل إلى مرتبته، وعليهم أن يفسحوا له، فإذا جلس حيث انتهى به المجلس كان ذلك أجدر بالنسبة له"[6].

---

[1] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم(ج77/8).

[2] [البخاري، صحيح البخاري، كتاب الاستئذان/ باب قول النبي قوموا إلى سيدكم، 59/8: رقم الحديث 6262]

[3] انظر: وزارة الأوقاف الكويتية، الموسوعة الفقهية الكويتية (ج114/24).

[4] النووي، شرح النووي على صحيح مسلم (ج93/12)

[5] وزارة الأوقاف الكويتية، الموسوعة الفقهية الكويتية (ج115/24).

[6] حسن البنا، نظرات في كتاب الله (ص: 496- 498).

وهذا الأدب من جملة الآداب ومكارم الأخلاق التي حثت الشريعة الإسلامية على التحلي بها، ومن ذلك ما روته أم المؤمنين عائشة –رضي الله عنها– قالت: قال رسولُ الله ﷺ: (أنزِلُوا النَّاسَ منازِلَهُم)[1].

وكذلك حديث أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: (إن من إجلالِ الله إكرامَ ذي الشيبَةِ المسلمِ، وحاملِ القُرآنِ غيرِ الغالي فيه والجافي عنه، وإكرَامَ ذي السُّلطَانِ المُقْسِطِ) [2].

4-كمال رحمة الله ورأفته بعباده بمراعاة حسن الأدب بينهم:

إن في هذه الآية الكريمة : تربية المسلمين، وتعليمهم أدب السماحة والطاعة، في مجلس الرسول ﷺ ومجالس العلم والذكر، وهو أدب رفيع قدّمه القرآن الكريم من عشرات القرون، ليحثّ الناس على التعاون، والتكافل؛ وهذا من كمال رحمته ﷻ وتمام رأفته: مراعاة حسن الأدب بين المسلمين، وإن كان من أمور العادة دون أحكام العبادة في التفسح في المجالس والنظام في حال الزحمة والكثرة، فهذا أدعى للمحبة والتوافق، وأبعد عن التشاحن والبغضاء[3].

قال القشيري بعد حديثه عما سبق: "وأعزز بأقوام أمرهم بدقائق الأشياء بعد قيامهم بأصول الدين وتحقّقهم بأركانه"[4].

5- التوسعة بين المسلمين في إيصال جميع أنواع الخير أمرٌ محمود:

يقول الله ﷻ :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ فَٱفۡسَحُواْ يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ ﴾.

قال الرازي: " قوله تعالى: يفسح الله لكم فهو مطلق في كل ما يطلب الناس الفسحة فيه من المكان والرزق والصدر والقبر والجنة.

واعلم أن هذه الآية دلت على أن كل من وسع على عباد الله أبواب الخير والراحة، وسع الله عليه خيرات الدنيا والآخرة، ولا ينبغي للعاقل أن يقيد الآية بالتفسح في المجلس، بل المراد منه إيصال الخير إلى المسلم، وإدخال السرور في قلبه"[5].

---

[1] [أبو داوود، سنن أبي داوود ،كتاب الآداب/ باب في تنزيل الناس منازلهم،210/7 : رقم الحديث4842]، قال المحقق الأرنؤوط: "حديث حسن إن شاء الله، وهذا إسناد رجاله ثقات إلا أن ميمون بن أبي شبيب لم يدرك عائشة عند الأكثر. وابن أبي خلف: هو محمَّد، وسفيان: هو الثوري.

وعلقه مسلم في "مقدمة صحيحه" ص 6 فقال: وقد ذكر عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: أمرنا رسول الله –صلى الله عليه وسلم– وأن ننزل الناس منازلهم..."

[2] [أبو داوود، سنن أبي داوود ، كتاب الآداب، باب في تنزيل الناس منازلهم ، 210/7: رقم الحديث 4843]، قال المحقق الأرنؤوط: "إسناده حسن"

[3]انظر: القشيري، لطائف الإشارات (ج553/3)؛ جعفر شرف الدين، الموسوعة القرآنية خصائص السور (ج9/ 165)؛ البقاعي، نظم الدرر (ج374/19).

[4] القشيري، لطائف الإشارات (ج553/3).

[5] الرازي، مفاتيح الغيب (29/ 494).

" ولا ينبغي للعاقل أن يقيد الآية بالتفسُّح في المجلس بل المراد منه إيصال الخير إلى المسلم وإدخال السرور في قلبه"[1].

فإذا سعى المسلم إلى إيصال الخير لأخيه المسلم والتوسعة عليه، وسّع الله عليه، وذلك أن الجزاء من جنس العمل؛ كما جاء في الحديث الصحيح: (وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً، فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرُبَاتِ يَوْمِ القِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ القِيَامَةِ) [2]، ولهذا أشباه كثيرة[3].

6- **الرفعة عند الله ﷻ والعزة والكرامة بالإيمان والعلم:**

في قوله تعالى : ﴿ يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖ ﴾ إشادة بمنزلة العلماء الرفيعة، ومكانتهم السامية عند الله ﷻ.

أخرج سعيد بن منصور وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن مسعود في تفسير هذه الآية قال: يرفع الله الذين آمنوا وأوتوا العلم على الذين آمنوا ولم يؤتوا العلم درجات. وأخرج ابن المنذر عنه قال: "ما خص الله العلماء في شيء من القرآن ما خصهم في هذه الآية، فضل الله الذين آمنوا وأوتوا العلم على الذين آمنوا ولم يؤتوا العلم"[4].

ولقد وردت الكثير من الأحاديث في بيان فضل العلم ومكانة العلماء، منها حديث أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : (مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ) [5].

سادساً: العبر والعظات المستفادة:

1- "الأمر بالتفسح في المجالس وعدم التضامّ فيها متى وجد إلى ذلك سبيل، لأن ذلك يدخل المحبة في القلوب، والاشتراك في سماع أحكام الدين"[6].

2- "إن كل من وسع على عباد الله أبواب الخير والراحة، وسع الله عليه خيرات الدنيا والآخرة"[7].

3- "الرفعة عند الله والعزة والكرامة إنما تكون بالعلم والإيمان"[8].

---

[1] أبو حفص سراج الدين، اللباب في علوم الكتاب (18/ 544).

[2] [البخاري، صحيح البخاري ، كتاب الآداب/ باب في تنزيل الناس منازلهم ،128/3: رقم الحديث 2442].

[3] انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج76/8).

[4] الشوكاني، فتح القدير (ج5/ 228).

[5] [أحمد، مسند أحمد ، مسند أبي هريرة ،66/14: رقم الحديث 8316]؛ قال المحقق الأرنؤوط: "إسناده صحيح على شرط البخاري".

[6] المراغي، تفسير المراغي (ج16/28)

[7] المرجع السابق (ج16/28)

[8] الصابوني، روائع البيان (ج548/2).

المطلب الرّابع:أحكام مناجاة النبي ﷺ وآدابها

قال تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَةٗۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ وَأَطۡهَرُۚ فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ١٢ ءَأَشۡفَقۡتُمۡ أَن تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَٰتٖۚ فَإِذۡ لَمۡ تَفۡعَلُواْ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴾ [المجادلة: 12-13]

أولاً: المفردات:

- قوله تعالى:**﴿ وَأَطۡهَرُۚ ﴾**

"أزكى لأنفسكم وأطيب عند الله"[1].

- قوله تعالى:**﴿ ءَأَشۡفَقۡتُمۡ ﴾**

من شفق: الشفق والشفقة: الاسم من الإشفاق،" والشفق: الخيفة" [2]؛ "والمعنى: أخفتم، أو شقّ ذلك عليكم؟"[3].

ثانياً: اللطائف البيانيّة:

قوله تعالى: ﴿ فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَةٗۚ ﴾ :" في هذا اللفظ استعارة يسميها علماء البلاغة (استعارة تمثيلية) وأصل التركيب يستعمل فيمن له يدان كالإنسان فقد استعار اليدين للنجوى، وقيل إنها (استعارة مكنية) حيث شبّه النجوى بإنسان، وحذف المشبّه به وهو الإنسان، ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو اليدان على سبيل الاستعارة المكنية ومثله قوله تعالى: ﴿بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ [سبأ: 46] وذكر اليدين تخييل"[4].

ثالثاً: سبب النزول:

- **سبب نزول الآية (12)**

اختلف في سببها على ثلاثة أقوال:

" أحدها: أن المنافقين كانوا يناجون النبي ﷺ بما لا حاجة لهم به ، فأمرهم الله بالصدقة عند النجوى ليقطعهم عن النجوى، قاله ابن زيد.

الثاني: أنه كان قوم من المسلمين يستخلون النبي ﷺ ويناجونه فظن بهم قوم من المسلمين أنهم ينتقصونهم في النجوى، فشق عليهم ذلك، فأمرهم الله تعالى بالصدقة عند النجوى ليقطعهم عن استخلائه، قاله الحسن.

---

[1] الصابوني، روائع البيان (ج538/2).

[2] ابن منظور، لسان العرب (ج179/10).

[3] مجمع البحوث، التفسير الوسيط (ج1334/10).

[4] الصابوني، روائع البيان (ج542/2).

الثالث: قاله ابن عباس وذلك أن المسلمين أكثروا المسائل على رسول الله ﷺ حتى شقوا عليه ، فأراد الله أن يخفف عن نبيه، فلما قال ذلك كف كثير من الناس عن المسألة"[1].

ويعقب ابن عاشور على الأقوال السابقة بقوله: " وقد اختلف المتقدمون في سبب نزول هذه الآية، وحكمة مشروعية صدقة المناجاة. فنقلت عن ابن عباس وقتادة وجابر بن زياد وزيد بن أسلم ومقاتل أقوال في سبب نزولها متخالفة، ولا أحسبهم يريدون منها إلا حكاية أحوال للنجوى كانت شائعة، فلما نزل حكم صدقة النجوى أقل الناس من النجوى. وكانت عبارات الأقدمين تجري على التسامح فيطلقون على أمثلة الأحكام وجزئيات الكليات اسم أسباب النزول"[2].

ولذلك ردّ ابن عاشور هذه الروايات لضعفها سنداً ومتناً، ومنافاتها مقصد الشريعة[3]، وكذلك صاحب التفسير الحديث رد هذه الروايات؛ لكونها غير معقولة ولا تصح نسبتها إلى النبي ﷺ ولا تتسق مع مضمون الآية، ولم ترد في كتب الحديث[4].

- سبب نزول الآية الكريمة (13)

أخرج الترمذي عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً ﴾ [المجادلة: 12] قَالَ لِي النَّبِيُّ ﷺ: (مَا تَرَى؟ دِينَارٌ؟) قُلْتُ: لَا يُطِيقُونَهُ، قَالَ: (فَنِصْفُ دِينَارٍ؟)، قُلْتُ: لَا يُطِيقُونَهُ. قَالَ: (فَكَمْ؟) قُلْتُ: شَعِيرَةٌ. قَالَ: «إِنَّكَ لَزَهِيدٌ». قَالَ: فَنَزَلَتْ ﴿ ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَٰتٍۚ ﴾ [المجادلة: 13] الآيَةَ. قَالَ: (فَبِي خَفَّفَ اللَّهُ عَنْ هَذِهِ الأُمَّةِ)[5].

هكذا جاء في سبب نزول هذه الآية؛ وقد ذكر جمع من المفسرين هذا الحديث منهم الطبري والبغوي وابن العربي وابن عطية وابن كثير [6].

ولكن المزيني في دراسته لهذا السبب قال: "والظاهر – والله أعلم – أن هذا الحديث لا يصح أن يكون سبباً لنزول الآية لما يلي:

1 – أن إسناد الحديث ضعيف.

---

[1] الماوردي، النكت والعيون (ج493/5)

[2]ابن عاشور، لتحرير والتنوير (ج42/28).

[3]انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج43/28).

[4]انظر: دروزة عزت، التفسير الحديث (ج486/8).

[5][الترمذي، سنن الترمذي ،كتاب تفسير القرآن/ باب من سورة المجادلة ،406/5: رقم الحديث 3300]؛ حكم الألباني: ضعيف الإسناد.

[6]انظر: الطبري، جامع البيان (ج249/23)؛ البغوي، معالم التنزيل (ج48/5)؛ ابن العربي، أحكام القرآن (ج201/4)؛ ابن عطية، المحرر الوجيز (ج280/5)؛ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج80/8).

2 – أن سياق الحديث يقتضي أن الذي أشفق من ذلك هو علي – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ – والناظر في سياق الآية من أولها إلى آخرها يجد أن حديثها بصيغة الجمع مما يدل على أن الإشفاق منهم وليس من علي وحده.

3 – أن النبي ﷺ قال لعلي: إنك لزهيد لما اقترح شعيرة، وهذا يعني ويقتضي أن علياً أرحم بالناس من رسول الله ﷺ، وليس الأمر كذلك فليس أرحمَ بالناس من الناس أحدٌ من رسول الله ﷺ، يقول الله تعالى عنه: ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة: 128].

4 – أن النبي ﷺ استشار علياً في مقدار الصدقة وهذا يخالف المعهود عنه ﷺ استشارة صاحبيه الكبيرين أبي بكر وعمر – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا – جميعاً.

وبناءً على ما تقدم فليس الحديث المذكور سبب نزولها بل ربما نزل التخفيف لمجرد علم الله بمشقة ذلك عليهم من غير طلب منهم أو من أحدهم والله أعلم"[1].

رابعاً: المعنى الإجمالي:

يخاطب الله ﷻ في الآيات الكريمة عباده المؤمنين مبيناً لهم آداب مناجاتهم لرسول الله ﷺ: يا أيها الذين آمنوا بالله ورسوله إذا ساررتم الرسول فقدموا قبل هذه المسارة والمناجاة صدقة، تتصدقون بها على أهل الفقر والحاجة، فذلك خير لكم وأطهر لقلوبكم من المآثم.

فإن لم تجدوا ما تتصدقون به، فإنه غفور رحيم لمن ناجاه ﷺ ولم يتصدق قبل المناجاة لفقره.

أيها المؤمنون: أشقّ عليكم، وخشيتم وخفتم الفقر والعيلة من هذه الصدقة؛ فإذا لم تفعلوا ما أمرتم به، وتاب الله عليكم وعذركم ورخص لكم في الترك، فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ولا تفرطوا فيهما وفي سائر الطاعات؛ لأن الله خبير بما تعملون، عالم بأعمالكم سرها وجهرها[2].

خامساً: تحقيق المقاصد والأهداف:

1– إعظام الرسول ﷺ، وإكبار شأن مناجاته[3].

إن الآية الكريمة ترسم أدب السؤال والحديث مع رسول الله ﷺ ، وتحثّ على الجد والتوقير في هذا الأمر؛ وإشعارهم أن خطاب رسول الله ﷺ ليس كخطاب غيره من الناس، ومنزلته ليست

---

[1] خالد المزيني، المحرر في أسباب النزول من خلال الكتب التسعة (ج2/971).

[2] انظر: الطبري، جامع البيان (ج23/247)؛ الزمخشري، الكشاف (ج4/494)؛ الصابوني، روائع البيان تفسير آيات الأحكام (ج2/539)؛ مجمع البحوث، التفسير الوسيط (ج10/1335–1336).

[3] انظر: القنوجي، فتح البيان (ج14/27)؛ المراغي، تفسير المراغي (ج28/19)؛ البقاعي، نظم الدرر (ج19/379)؛الصابوني، روائع البيان تفسير آيات الأحكام (ج2/542)؛ مجمع البحوث، التفسير الوسيط (ج10/1334).

كمنزلتهم حتى عند المحادثة؛ ولذلك أمروا بتقديم الصدقة قبل المناجاة؛ لأن الإنسان إذا وجد الشيء بمشقة استعظمه، وإن وجده بسهولة استحقره[1].

كما أن الآية الكريمة احتوت بمعناها على الزجر عن الإفراط في الأسئلة لرسول، وعدم الإثقال عليه في المناجاة؛ للتخفيف عن النبي ﷺ حتى يتفرغ للمهام العظمى التي كلفهﷻ بها[2]. ولا شك أن إعظام قدر النبي ﷺ واجب يطالب به كل مسلم في كل زمانٍ ومكانٍ، فلا يقتصر هذا الأمر على حياة النبي ﷺ وأثناء مناجاته، بل إن إكبار قدره ﷺ في كل شأن، ويتجلى بتقدير أقواله وأفعاله وكامل سنته، بل ويزداد الأمر في وقتنا المعاصر في الدفاع عنه وعن سيرته العطرة من شرذمة الكفر التي تحاول الإساءة لشخصه الكريمﷺ وتشويه حقائق سنته.

2- تمييز محب الدنيا من محب الآخرة[3].

"إن المتأمل في هذه الحادثة ليراها من باب الابتلاء والامتحان؛ ليظهر للناس محب الدنيا من محب الآخرة، فإن المال محك الدواعي"[4]، "ولما كان الإذن في النجوى مقروناً ببذل المال امتنعوا وتركوا، وبذلك ظهرت الأخلاق ونقاوة الرجال"[5]؛ ولقد قال تعالى: ﴿ إِن يَسْـَٔلۡكُمُوهَا فَيُحۡفِكُمۡ تَبۡخَلُواْ وَيُخۡرِجۡ أَضۡغَٰنَكُمۡ ﴾ [محمد: 37].

3- الله رحيم بعباده لا يكلفهم إلا ما يطيقون:

قال زيد بن أسلم: "أنزل الله هذه الآية، فانتهى أهل الباطل عن النجوى، لأنهم لم يقدموا بين يدي نجواهم صدقة، وشق ذلك على أهل الإيمان وامتنعوا من النجوى، لضعف مقدرة كثير منهم عن الصدقة فخفف الله عنهم بما بعد الآية"[6].

لما شقّ أمرُ الصدقة على أهل الفقر والحاجة، أقام الله العذر للفقراء فقال ﷻ: ﴿ فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴾، أي فإن لم تجدوا الصدقة أيها الفقراء وعجزتم عن ذلك فالله قد رخص لكم

---

[1]انظر: الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل (ج4/ 263)؛ حسن البنا، نظرات في كتاب الله (ص: 502)؛جعفر شرف الدين، الموسوعة القرآنية خصائص السور (ج9/ 165).

[2]انظر: الصابوني، روائع البيان (ج2/ 542)؛الجزائري، أيسر التفاسير (ج5/ 293)؛ طنطاوي، التفسير الوسيط (ج14/ 264).

[3]انظر: القشيري، لطائف الإشارات (ج553/3)؛ الصابوني، روائع البيان (ج542/2)؛ البقاعي، نظم الدرر (ج379/19).

[4]طنطاوي، التفسير الوسيط (ج14/255-256)

[5] القشيري، لطائف الإشارات (ج3/553-554)

[6] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج301/17).

في المناجاة بلا تقديم لها؛ لأنه ما أمر بها إلا من قدر عليها؛ وهذا من لطف الله ﷻ ورحمته بألا يكلف نفساً إلا وسعها[1].

وهذا مصداقه قول الله ﷻ: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ ﴾ [البقرة:286] .

4- الصدقات كلُّها خير.

إن الصدقة التي شرعت بين يدي نجوى رسول الله ﷺ تحمل في طياتها حكماً جليلة وفوائد ومصالح كثيرة، من التخفيف على رسول الله ﷺ، ومنع تكاثر الناس عليه دون حاجة؛ ليتفرغ لمهامه العظمى في أداء الرسالة[2].

وهذه الصدقة التي يقدمها المؤمن الذي يغشى مجلس الرسول، هي مطهرة لهذا المؤمن، وإعداد له كي يلتقى بالنبي الكريم، وينتفع بهديه، حيث يكون فى تلك الحال على قرب نفسي وروحي منه؛ فتكون أشبه بالاستئذان قبل الدخول[3].

كما أنها جعلت مراجعات الناس للنبي ﷺ في قضاياهم ومشاكلهم الخاصة وسيلة من وسائل أخذ بعض المال من ميسوريهم؛ وذلك لإنفاقه على المحتاجين والمصالح العامة[4].

فهذه المزايا وإن كانت تخص الصدقة بين يدي نجوى رسول الله ﷺ؛ فإن الصدقات في كل حالٍ وآنٍ لا تخلو من فوائد جمة؛ فالصدقة طهارة وتزكية لنفس المؤمن؛ ولذا قال الله ﷻ: ﴿ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ وَأَطۡهَرُۚ ﴾.

قال المراغي في تفسير هذه الآية: "أي إن في هذا التقديم خيراً لكم لما فيه من الثواب العظيم عند ربكم، ومن تزكية النفوس وتطهيرها من الجشع في جمع المال وحب ادخاره، وتعويدها بذله في المصالح العامة كإغاثة ملهوف، ودفع خصاصة فقير، وإعانة ذي حاجة، والنفقة في كل ما يرقّى شأن الأمة ويرفع من قدرها، ويعلى كلمتها، ويؤيد الدين وينشر دعوته"[5].

ويقول الله ﷻ في شأن الصدقة: ﴿ خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴾ [التوبة: 103]

---

[1]انظر: المراغي، تفسير المراغي (ج28/ 19)؛ ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج28/ 46)؛ البقاعي، نظم الدرر (ج379/19)؛ عبد الكريم الخطيب، التفسير القرآني للقرآن (ج14/ 835)؛.

[2]انظر: محمد الحجازي، التفسير الواضح (ج636/3).

[3]انظر عبد الكريم الخطيب، التفسير القرآني للقرآن (ج14/ 835).

[4]انظر: دروزة عزت، التفسير الحديث (ج8/ 487).

[5] المراغي، تفسير المراغي (ج28/ 19).

5- مرونة الشريعة الإسلامية ومسايرتها لمصالح العباد:

إنّ من رحمة الله وكمال لطفه -سبحانه- أن راعى مصالح العباد العاجلة والآجلة، وخفف عنهم فيما يشق عليهم، وجعل في أحكام الإسلام وتعاليمه مرونةً -فيما هو ليس من أصول هذا الدين- تراعي ظروف النّاس وأحوالهم.

فالمتأمل في هاتين الآيتين الكريمتين يرى في الأولى: أمراً بتقديم صدقة بين يدى نجوى رسول الله، وفي الثانية: عفواً ورخصةً.

وقد اختلف أهل العلم في الأمر الوارد في الأولى أهو الندب أم الوجوب؛ واختلفوا في الآية الثانية: أنسخت الأولى، أم نُسخت بالزكاة المفروضة؟ أم لم يرد عليها نسخ أصلاً، وذلك أن التكليف بالصدقة كان مقدراً بغاية مخصوصة، فوجب انتهاؤه عند تحققها[1].

والجمهور على أنّ الأمر بالصدقة نسخ بالآية الثانية[2]؛ ثم اختلفوا في مقدار تأخر الناسخ عن المنسوخ، فقال مقاتل بن حيان: كان ذلك عشر ليال ثم نسخ، وقال الكلبي: ما كانت إلا ساعة من نهار[3].

ولذا يروى عن علي رضي الله عنه قوله :" إِنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ بِهَا أَحَدٌ قَبْلِي ، وَلا يَعْمَلُ بِهَا أَحَدٌ بَعْدِي ، كَانَ لِي دِينَارٌ فَبِعْته بِعَشْرَةِ دَرَاهِمَ ، فَكُنْت إِذَا نَاجَيْت رَسُولَ اللهِ ﷺ تَصَدَّقْت بِدِرْهَمٍ حَتَّى نَفِدَتْ ، ثُمَّ تَلا هَذِهِ الآيَةَ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَةٗۚ ﴾"[4].

وأيما كان هذا الخلاف حول هذه الآية الكريمة، فإن النسخ واقعٌ في بعض أحكام الشريعة الإسلامية، وهذا لا يقدح فيها أبداً؛ بل إنه يرفع قدرها ويثبت مرونتها وعدم جمودها، وحرصها على مصالح العباد.

وإن كان ابن العربي يعقب على قول زيد بن الأسلم -الذي سبق ذكره-[5] بقوله :": وفي هذا الخبر عن زيد ما يدل على أن الأحكام لا تترتب بحسب المصالح، فإن الله تعالى قال: (ذلك خير

---

[1]انظر: الزمخشري، الكشاف (ج494/4)؛ الرازي، مفاتيح الغيب (ج495/29)؛ ابن عاشور، الحرير والتنوير (ج44/28)؛ الصابوني، روائع البيان (ج547/2)؛ محمد الحجازي، التفسير الواضح(ج636/3).

[2]انظر: الرازي، مفاتيح الغيب (ج496/29)؛ الصابوني: روائع البيان (ج547/2).

[3]انظر: الزمخشري، الكشاف (ج494/4)؛ الرازي، مفاتيح الغيب (ج495/29)؛ الصابوني، روائع البيان (ج547/2)؛ "درجته: ضعيف لأمرين : ضعف ليث والخلاف في سماع مجاهد من علي"؛ المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية -محققاً- (ج322/15).

[4] [ابن أبي شيبة، مصنف ابن أبي شيبة، كتاب الفضائل/ باب فضائل علي رضي الله عنه، 81/12: رقم الحديث32788]

[5]انظر: ص 76 من هذا البحث.

لكم وأطهر) ثم نسخه مع كونه خيراً وأطهر"[1]، فإن الباحث يرى أنّ في نسخ الحكم كان خيراً – كذلك– وفيه مصلحة وجيهة وهي: تلمس ظروف الناس ومراعاتها ومراعاة نفسياتهم بحيث تؤلف قلوبهم حول هذا الدين وتشريعاته دون تلكؤ.

ومن ذلك قول الإمام الرازي بشأن تقديم الصدقة ثم نسخ حكمها: "وذلك الإقدام على هذا العمل مما يضيق قلب الفقير، فإنه لا يقدر على مثله فيضيق قلبه، ويوحش قلب الغني فإنه لما لم يفعل الغني ذلك وفعله غيره صار ذلك الفعل سبباً للطعن فيمن لم يفعل، فهذا الفعل لما كان سبباً لحزن الفقراء ووحشة الأغنياء، لم يكن في تركه كبير مضرة؛ لأن الذي يكون سبباً للألفة أولى مما يكون سببا للوحشة"[2].

"وفي المبادرة القرآنية في العدول عن التكليف: أسوة حسنة لأولياء أمور المسلمين وحكامهم وزعمائهم فيما ليس فيه قرآن صريح أو معصية ومفسدة، حيث ينبغي عليهم مسايرة ظروف ورغبات أكثرية المسلمين في العدول عما يكونون طلبوه أو أوجبوه من تكاليف وأعمال"[3].

سادساً: العبر والعظات المستفادة:

1– إعظام الرسول ﷺ، وإعظام قدره وسنته.

2– في نسخ الأحكام الشرعية لطف من الله ﷻ، وتخفيف على العباد ومراعاة لمصالحهم.

3– الصدقة طهارة وتزكية للنفس، فعلى المسلم ألا يبخل على نفسه بأجر الصدقة وفوائدها، وألا يبخل على إخوانه المسلمين بنفعها.

المبحث الثالث

المقاصد والأهداف لسورة المجادلة من الآية (14–22).

المطلب الأول: بيان أوصاف المنافقين .

قال تعالى:﴿ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى ٱلْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ ٱتَّخَذُوٓاْ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٦﴾ لَّن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١٧﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ ۖ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٨﴾ ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ [المجادلة: 14-19]

---

[1] ابن العربي، أحكام القرآن (ج203/4)

[2] الرازي، مفاتيح الغيب (ج496/29).

[3]دروزة عزت ، التفسير الحديث (ج491/8).

أولاً: المفردات:

- قوله تعالى:﴿ تَوَلَّوْاْ ﴾

التولي: من الموالاة "وهى المودة والمحبة"[1]، (تَوَلَّوْا): "والوا وودّوا وأحبوا"[2]، "وصادقوهم، واتخذوهم أولياء"[3].

- قوله تعالى:﴿ قَوۡمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم ﴾

"هم اليهود[4]؛ "وقد عرفوا بما يرادف هذا الوصف في القرآن في قوله تعالى: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة: 7] "[5].

- قوله تعالى:﴿ مَّا هُم مِّنكُمۡ وَلَا مِنۡهُمۡ ﴾

"أي ليسوا من المؤمنين، ولا من اليهود"[6]؛ لأنهم مذبذبون، وهذا يتناسب مع قول الله ﷻ: ﴿مُّذَبۡذَبِينَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِۚ ﴾ [النساء: 143]، ومع حديث ابن عمر –رضي الله عنه– عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ، قَالَ: (مَثَلُ الْمُنَافِقِ، كَمَثَلِ الشَّاةِ الْعَائِرَةِ[7] بَيْنَ الْغَنَمَيْنِ تَعِيرُ إِلَى هَذِهِ مَرَّةً وَإِلَى هَذِهِ مَرَّةً) [8].

وجوز ابن عطية أن يكون المعنى: ليسوا من اليهود ولا من المنافقين؛ فيجيء فعل المنافقين على هذا التأويل أخس؛ لأنهم تولوا قوماً مغضوباً عليهم ليسوا من أنفسهم فيلزمهم ذمامهم ولا من القوم المحقين[9].

- قوله تعالى:﴿ جُنَّةً ﴾

" ستراً"[10] "ووقاية دون دمائهم وأموالهم"[11].

- قوله تعالى:﴿ فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾

---

[1] المراغي، تفسير المراغي (ج28/ 21).

[2] الزحيلي، التفسير المنير (ج28/ 50)

[3] محمد الخطيب، أوضح التفاسير (ج1/ 673).

[4] ابن عطية، المحرر الوجيز (ج5/ 280) ؛ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج17/ 304)؛ ابن كثير،تفسير القرآن العظيم (ج8/ 81)؛ الزحيلي، التفسير المنير (ج28/ 50)؛ محمد الخطيب، أوضح التفاسير (ج1/ 673).

[5] ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج28/48).

[6] محمد الخطيب، أوضح التفاسير (ج1/ 673).

[7] العائرة: المترددة الحائرة لا تدري لأيهما تتبع؛ النووي، شرح النووي على صحيح مسلم (ج128/17)

[8] [مسلم، صحيح مسلم، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، 2146/4: رقم الحديث 2784]

[9] انظر: ابن عطية، المحرر الوجيز (ج5/ 281).

[10] الجزائري، أيسر التفاسير (ج5/ 295)

[11] البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل (ج5/ 196)

الصد: المنع (عن سبيل الله) أي عن الإسلام [1].

- قوله تعالى:﴿ ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ ﴾

قوله تعالى: "استحوذ عليهم الشيطان أي غلب واستعلى، أي بوسوسته في الدنيا؛ وقيل: قوي عليهم، وقيل: أحاط بهم؛ ويحتمل رابعاً: أي جمعهم وضمهم"[2].

قال الشوكاني تعليقاً على المعاني السابقة : " المعاني متقاربة لأنه إذا جمعهم فقد قوي عليهم وغلبهم، واستعلى عليهم واستولى وأحاط بهم"[3].

- قوله تعالى:﴿ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ﴾

"النسيان قد يكون بمعنى الغفلة، ويكون بمعنى الترك، والوجهان محتملان هنا"[4].

ثانياً: اللطائف البيانيّة:

- قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم ﴾

أسلوب استفهام غرضه التعجب وإظهار الغرابة من حال هؤلاء المنافقين[5].

- قوله تعالى: ﴿ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ١٤ ﴾ ، وقوله تعالى: ﴿ يَعْمَلُونَ ١٥ ﴾ بينهما جناس ناقص –المقلوب قلب بعض – لتغير الرسم[6].

ثالثاً: القراءات المتواترة:

قرأ الجمهور ﴿ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ ﴾ بفتح الهمزة ، جمع يمين؛ وقرأ الحسن: بكسر الهمزة[7].

التوجيه: قال أبو الفتح في توجيه قراءة الحسن: "هذا على حذف المضاف، أي: اتخذوا إظهار إيمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله فلهم عذاب مهين، وهذا حديث المنافقين المعروف"[8].

---

[1]القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج304/17) بتصرف يسير.

[2]المرجع السابق (ج305/17).

[3] الشوكاني، فتح القدير (230/5).

[4]تفسير القرطبي (17/ 306).

[5]انظر: الألوسي، روح المعاني (ج14/ 226)؛ المراغي، تفسير المراغي (ج28/ 21)؛ ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج28/ 48)؛ طنطاوي، التفسير الوسيط (ج14/ 267)؛ الزحيلي، التفسير المنير (ج28/ 50)

[6]انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج28/ 50)؛ الزحيلي، التفسير المنير (ج28/ 50)

[7]انظر: أبو الفتح الموصلي، المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها (ج315/2).

[8]المرجع السابق(ج315/2).

رابعاً: سبب النزول:

أخرج أحمد[(1)] عن ابن عبَّاسٍ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا – قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (يَدْخُلُ عَلَيْكُمْ رَجُلٌ يَنْظُرُ بِعَيْنِ شَيْطَانٍ، أَوْ بِعَيْنَيْ شَيْطَانٍ) قَالَ: "فَدَخَلَ رَجُلٌ أَزْرَقُ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، عَلامَ سَبَبْتَنِي – أَوْ شَتَمْتَنِي أَوْ نَحْوَ هَذَا –؟ قَالَ: وَجَعَلَ يَحْلِفُ، قَالَ: فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي الْمُجَادَلَةِ: ﴿ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [المجادلة: 14]"

خامساً: المعنى الإجمالي:

" بعد أن ذكر أن أصحاب رسول الله ﷺ كانوا يتنافسون في القرب من مجلس رسول الله ﷺ لتلقى الدين عنه والاهتداء بهديه حتى كان يضيق بهم المجلس، فأمروا أن يتوسعوا ولا يتضاموا– ذكر هنا حال قوم من المنافقين يوادّون اليهود ويطلعونهم على أسرار المؤمنين، فهم عيون لهم عليهم، وإذا لاقوا المؤمنين قالوا لهم: إنا معكم نؤيدكم على أعدائكم بكل ما أوتينا من قوة وهم كاذبون في كل ما يقولون وقد جعلوا الإيمان وقاية لستر ما يبطنون، فأمنوا من المؤاخذة وجاسوا خلال ضعفاء المؤمنين يصدونهم عن الدين ويذكرون لهم ما يبغضهم فيه ثم أبان أن الله قد أعد لمثل هؤلاء عذاباً شديداً يوم القيامة، وما هم فيه من مال وولد في الدنيا لن يغنى عنهم شيئا حينئذ ثم ذكر أن الذي جرأهم على ما فعلوا هو الشيطان، فقد استولى على عقولهم، وزين لهم قبيح أعمالهم، فأنساهم عذاب اليوم الآخر ثم ذكر أن أولئك هم جند الشيطان، وجنود الشيطان لن تفلح في شيء، وسيرد الله عليهم كيدهم في نحورهم، ويحبط سعيهم، ويظهر نور دينه ولو كره الكافرون"[(2)].

خامساً: تحقيق المقاصد والأهداف:

1– بيان أوصاف المنافقين:

أ– التردد والتذبذب بين الأقوام:

في هذه الآيات: ذكر الله ﷻ حال جماعة من المنافقين كانوا يتولون اليهود ويودونهم، ويطلعونهم على أسرار المؤمنين، وهم في الواقع لا مع الكفار ولا مع المؤمنين، بل يقابلون كل قوم بوجه، فهم مع اليهود نصحاء أمناء يبلغونهم ما يعرفونه من دخائل المؤمنين اكتساباً لصداقتهم وودهم، ومع المؤمنين يظهرون أنهم مؤمنون مخلصون؛ والحقيقة أنهم يخدعون الفئتين كما أشار إلى ذلك سبحانه بقوله: ﴿ مَّا هُم مِّنكُمۡ وَلَا مِنۡهُمۡ ﴾ أي فلا هم بالمؤمنين حقاً بل

---

(1) [أحمد، مسند أحمد، مسند عبد الله بن عباس ، 48/4: رقم الحديث 2147]؛ قال المحقق: " إسناده حسن، رجاله ثقات رجال الشيخين غير سماك –وهو ابن حرب– فمن رجال مسلم، وهو صدوق".

(2) المراغي، تفسير المراغي (ج28/21–22).

هم مؤمنون من طرف اللسان مداراة للمؤمنين وخوفاً من بطشهم، ولا هم مع اليهود، لأنهم لا يعتقدون أنهم على الدين الحق، ولكنهم يريدون أن ينتفعوا بما عندهم من عرض الدنيا، وأن يحتفظوا بمودتهم إذا احتاجوا إليها؛ فهم إذ نقلوا أسرار المؤمنين ما نقلوا بإخلاص، وإنما كانوا يبتغون منفعة لهم ومصلحة، وهذا داء وبيل، وخلق ضعيف، فهم يجرون على غرار طبيعتهم، ويسيرون وفق غريزتهم، جبلوا على الشر، وطبعوا على الأذى[1].

"وما تضمنته هذه الآية الكريمة من كون المنافقين ليسوا من المؤمنين، ولا من القوم الذين تولوهم، جاء موضحاً في غير هذا الموضع"[2]، كقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴿١٤٣﴾ ﴾ [النساء: 142 - 143]؛ وكذلك حديث ابن عمر –رضي الله عنه– عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ، قَالَ: (مَثَلُ الْمُنَافِقِ، كَمَثَلِ الشَّاةِ الْعَائِرَةِ بَيْنَ الْغَنَمَيْنِ تَعِيرُ إِلَى هَذِهِ مَرَّةً وَإِلَى هَذِهِ مَرَّةً)[3].

ففي هذه النصوص بيانٌ على حيرة المنافقين وتذبذبهم بين الأقوام، تارة مع هؤلاء وتارة مع هؤلاء، لا مبدأ لهم ولا عقيدة، ظاهرهم مع أهل الإسلام وباطنهم مع أعداء الإسلام، وإن أخبارهم في كل عصر لتشهد عليهم بتلبسهم بهذه الصفة الدنيئة!!!.

ب–موالاة أعداء الدين:

"إن أوّل أوصاف المنافقين التي ذكرت في هذه الآيات الكريمة وصفهم بأنهم تولوا قوماً غضب الله عليهم، فهم لم يصاحبوا أطهاراً، ولكنهم صاحبوا من على شاكلتهم ممن حلّت بهم اللعنة ونزل عليهم السخط"[4].

"ولقد جاء وصف الذين تولوهم بقوم غضب الله عليهم لبيان أن المنافقين قد بلغوا النهاية في القبح والسوء، حيث والوا وناصروا من غضب الله عليهم، لا من رضى الله عنهم"[5]؛

"وتضمنت الآيات الكريمة تنديداً واستنكاراً وحملة شديدة وإنذاراً لهؤلاء المنافقين"[6]؛

---

(1) انظر: تفسير المراغي (ج22/28)؛ الزحيلي، التفسير المنير (ج28/ 51–52)؛ حسن البنا، نظرات في كتاب الله (ص: 505–506).

(2) محمد الأمين الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (ج7/ 553)

(3) سبق تخريجه (ص 80) .

(4) حسن البنا، نظرات في كتاب الله (ص: 505).

(5) طنطاوي، التفسير الوسيط (ج14/ 267)

(6) دروزة عزت، التفسير الحديث (ج491/8).

"وهذا الإنكار يدل على شدة منع ذلك التولي، وقد صرح الله بالنهي عن ذلك"[1] في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَوَلَّوْاْ قَوۡمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ ﴾ [الممتحنة: 13] .

ولكن هذه الصفة متجذرة في نفوس المنافقين؛ يوالون أعداء الدين، فشبه الشيء منجذب إليه، ولن تروج الفتنة ولن يجد الدّسّاس مجالاً إلا عند مرضى القلوب، ضعاف العقائد، صغار النفوس[2]؛ وقد بيّن الله ذلك في مواطن أخرى في القرآن الكريم مثل قوله تعالى: ﴿ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمۡ يَقُولُونَ نَخۡشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٞ ﴾ [المائدة: 52].

قال القشيري: " من وافق مغضوباً عليه أشرك نفسه في استحقاق غضب من هو الغضبان فمن تولّ مغضوبا عليه من قبل الله استوجب غضب الله وكفى بذلك هواناً وخسراناً"[3].

ت-الأيمان الكاذبة:

"ثم دمغهم- سبحانه- برذيلة ثالثة أشد نكراً من سابقتيها فقالﷻ: ﴿ وَيَحۡلِفُونَ عَلَى ٱلۡكَذِبِ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴾؛ أي: أنهم ينقلون إلى اليهود أسرار المؤمنين، مع أنهم لا تربطهم باليهود أية رابطة، لا من دين ولا من نسب ... وفضلا عن كل ذلك، فإن هؤلاء المنافقين يواظبون ويستمرون على الحلف الكاذب المخالف للواقع، والحال أنهم يعلمون أنهم كاذبون علماً لا يخالطه شك أو ريب"[4].

قال صاحب الكشاف: " قوله: ﴿ وَيَحۡلِفُونَ عَلَى ٱلۡكَذِبِ ﴾ أى: يقولون: والله إنا لمسلمون، فيحلفون على الكذب الذي هو ادعاء الإسلام، وَهُمْ يَعْلَمُونَ أن المحلوف عليه كذب بحت؛ فإن قلت: فما فائدة قوله: ﴿ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴾؟ قلت: الكذب أن يكون لا على وفاق المخبر عنه، سواء علم المخبر أم لم يعلم، فالمعنى أنهم الذين يخبرون وخبرهم خلاف ما يخبرون عنه، وهم عالمون بذلك متعمدون له، كمن يحلف بالغموس"[5].

"ووصفهم بأنهم يحلفون على الكذب، مع علمهم بأنهم كاذبون عن غير خطأ أو نسيان؛ إنما هو جبن وخور يحملهم على التنصّل من تبعة ما ارتكبوا وعدم الثبات على ما قالوا، فهم قد جمعوا إلى خيانة النقل وتحريف القول كذب اليمين، وفقدان الشجاعة الأدبية، والهروب من التبعة، ووصفهم بأنهم يتخذون هذه الأيمان الكاذبة وقاية من الجزاء العاجل، وحاضراً دون احتمال

---

[1] محمد الأمين الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (ج7/ 553)

[2] انظر: حسن البنا، نظرات في كتاب الله (ص: 505).

[3] القشيري، لطائف الإشارات (ج3/ 554)

[4] طنطاوي، التفسير الوسيط (ج14/ 268)

[5] الزمخشــري، الكشاف (ج4/495).

العقوبة الحاضرة، وهم بذلك يصدون عن سبيل الله، ويحاربون الله ورسوله، إذ حسبوا أن هذه الأيمان تنجيهم من عذاب الله؛ كأنهم لما وجدوا سبيل الهرب وستر أعمالهم وفهموا أن هذه الأيمان تصلح لذلك، اندفعوا في طريق الصدّ عن سبيل الله، والعدوان على نبيه الكريم ﷺ" [1].

إن هذه الصفة التي تضمنتها الآية الكريمة من كون المنافقين يصرون على الكذب ويتعمدون حلف الأيمان الكاذبة جاء موضحاً في آيات كثيرة من القرآن الكريم، كقوله ﷻ: ﴿ يَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمۡ لِيُرۡضُوكُمۡ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرۡضُوهُ إِن كَانُواْ مُؤۡمِنِينَ ﴾ [التوبة: 62]؛ وقوله ﷻ :﴿يَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُواْ وَلَقَدۡ قَالُواْ كَلِمَةَ ٱلۡكُفۡرِ وَكَفَرُواْ بَعۡدَ إِسۡلَٰمِهِمۡ ﴾ [التوبة: 74] ؛ وقوله ﷻ : ﴿سَيَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمۡ إِذَا ٱنقَلَبۡتُمۡ إِلَيۡهِمۡ لِتُعۡرِضُواْ عَنۡهُمۡۖ فَأَعۡرِضُواْ عَنۡهُمۡۖ إِنَّهُمۡ رِجۡسٞۖ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ۝٩٥ يَحۡلِفُونَ لَكُمۡ لِتَرۡضَوۡاْ عَنۡهُمۡۖ فَإِن تَرۡضَوۡاْ عَنۡهُمۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرۡضَىٰ عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾ [التوبة: 95-96]؛ والآيات في هذا كثيرة بل إن الله ﷻ قد شهد بأن الكذب هو ديدن المنافقين، حيث قال الله ﷻ : ﴿ إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشۡهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴾ [المنافقون: 1]

ث- الكيد والخبث والصد عن سبيل الله:

احتوت الآيات الكريمة صورة من المواقف الخبيثة التي كان يقفها المنافقون في الكيد والأذى والتضامن والتآمر مع اليهود؛ وإذكاء الفتنة والصد عن سبيل الله ﷻ بما يصدر عنهم من التثبيط، وتهوين أمر المسلمين، وتضعيف شوكتهم[2].

ج- التوغل في النفاق ومرونتهم عليه:

"قد بينت الآية الكريمة أن هؤلاء المنافقين في الدنيا، وسيُبعثون يوم القيامة والنفاق ما زال في قلوبهم، وسلوكهم القبيح لا يزال متلبسا بهم. فهم لم يكتفوا بكذبهم على المؤمنين في الدنيا، بل وفي الآخرة- أيضاً- يحلفون لله- تعالى- بأنهم كانوا مسلمين"[3].

وإنما يدل هذا على شدة توغلهم في النفاق، ومرونتهم عليه وأنه باقٍ في أرواحهم بعد بعثهم، بحيث ظنوا يوم القيامة أنه يمكنهم ترويج كذبهم بالأيمان الكاذبة على علام الغيوب، فكان هذا الحلف الذميم يبقى معهم أبداً؛ وهذا من شدة شقاوتهم ومزيد الطبع على قلوبهم، فإن يوم القيامة

[1] حسن البنا، نظرات في كتاب الله (ص: 506)

[2] انظر: القنوجي، فتح البيان في مقاصد القرآن (14/ 30)؛ دروزة عزت، التفسير الحديث (492/8)؛ حسن البنا، نظرات في كتاب الله (ص:504)؛

[3] طنطاوي، التفسير الوسيط (14/ 270)

قد انكشفت فيه الحقائق، وصارت الأمور معلومة بضرورة المشاهدة فكيف يجترئون، على أن يكذبوا في ذلك الموقف، ويحلفون على الكذب(1).

ورحم الله صاحب الكشاف فقد قال عند تفسيره لهذه الآية: "ليس العجب من حلفهم لكم، فإنكم بشر تخفى عليكم السرائر، وأن لهم نفعا في ذلك دفعا عن أرواحهم واستجرار فوائد دنيوية، وأنهم يفعلونه في دار لا يضطرون فيها إلى علم ما يوعدون، ولكن العجب من حلفهم لله عالم الغيب والشهادة مع عدم النفع والاضطرار إلى علم ما أنذرتهم الرسل، والمراد: وصفهم بالتوغل في نفاقهم ومرونهم عليه، وأن ذلك بعد موتهم وبعثهم باق فيهم لا يضمحل"(2).

وإن كان بعض العلماء يرى أن أهل الآخرة لا يكذبون، وإنما يحلفون على ما يرونه صدقاً عند أنفسهم؛ إلا أن القرآن ناطق بثبات هذا نطقاً مكشوفاً(3)، كما قال ﷻ:﴿ بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُواْ يُخْفُونَ مِن قَبْلُۖ وَلَوْ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴾ [الأنعام: 28]، وفي قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ كَذَبُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْۚ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴾ [الأنعام: 23-24].

2- يبعث المرء على ما مات عليه:

إن حال المنافقين يوم القيامة وهم يحلفون كما كانوا في هذه الدنيا وما يعنيه هذا من تلبس النفاق في نفوسهم وتلبسه بها: ليوحي بأنّ حال المرء في الآخرة على ما كان عليه في الدنيا، وهو أمر علم من هذا الدين بنصوص كثيرة، ففي الحديث الصحيح عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَوْمًا يُحَدِّثُ وَعِنْدَهُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ البَادِيَةِ: (أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ اسْتَأْذَنَ رَبَّهُ فِي الزَّرْعِ، فَقَالَ لَهُ: أَوَلَسْتَ فِيمَا شِئْتَ؟ قَالَ: بَلَى، وَلَكِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَزْرَعَ، فَأَسْرَعَ وَبَذَرَ، فَتَبَادَرَ الطَّرْفَ نَبَاتُهُ وَاسْتِوَاؤُهُ وَاسْتِحْصَادُهُ وَتَكْوِيرُهُ أَمْثَالَ الجِبَالِ، فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: دُونَكَ يَا ابْنَ آدَمَ، فَإِنَّهُ لاَ يُشْبِعُكَ شَيْءٌ)، فَقَالَ الأَعْرَابِيُّ:" يَا رَسُولَ اللَّهِ، لاَ تَجِدُ هَذَا إِلَّا قُرَشِيًّا أَوْ أَنْصَارِيًّا، فَإِنَّهُمْ أَصْحَابُ زَرْعٍ، فَأَمَّا نَحْنُ فَلَسْنَا بِأَصْحَابِ زَرْعٍ" ، فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ (4) .

وفي حديث جَابِرٍ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: (يُبْعَثُ كُلُّ عَبْدٍ عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ) (5).

(1)انظر: الرازي، مفاتيح الغيب (ج29/ 498)البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل (ج5/ 196)؛ القنوجي، فتح البيان في مقاصد القرآن (ج14/ 31).؛ ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج28/ 52).

(2) الزمخشري، الكشاف (ج4/ 496).

(3)انظر: الرازي، مفاتيح الغيب (ج29/ 498)؛ الزمخشري، الكشاف (خ4/ 496).

(4) [البخاري، صحيح البخاري، كتاب التوحيد/ باب كلام الرب مع أهل الجنة ، 151/9: رقم الحديث7519]

(5)[مسلم، صحيح مسلم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار/ باب الأمر بحسن الظن بالله تعالى، 2206/4رقم الحديث (2878)].

ففي هذا الحديث بيان أن العبد يبعث على الحالة التي مات عليها [1].

3- التحذير من الاندماج مع المنافقين أو التخلق بأخلاقهم:

لقد بينت الآيات الكريمة أوصاف المنافقين لتحذر المؤمنين منهم، ثم جاءت لتؤكد أنهم وكل حزب الشيطان هم الخاسرون، فقال تعالى : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ " ففي الآية زيد هذا التحذير اهتماماً بتأكيد الخبر بحرف إن وبصيغة القصر، إذ لا يتردد أحد في أن حزب الشيطان خاسرون فإن ذلك من القضايا المسلمة بين البشر، فلذلك لم تكن هذه المؤكدات لرد الإنكار ،وإنما لتحذير المسلمين أن تغرهم حبائل الشيطان وتروق في أنظارهم بزة المنافقين وتخدعهم أيمانهم الكاذبة"[2].

4- الأموال والأولاد لا يغنون من الله شيئاً:

قال الله ﷻ: ﴿ لَّن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔاۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١٧﴾ ﴾

إن الأموال والأولاد لن يغنوا من الله شيئاً، فلن تنفع هؤلاء المنافقين يوم القيامة أموالهم، فيفتدوا بها من عذاب الله المهين له، فلن تدفع عنهم عذاب الله مهما بلغت، ولا أولادهم مهما كانت معونتهم ، فينصرونهم ويستنقذونهم من الله إذا عاقبهم؛ لن يغني من دواعي القوة والمنعة. أي شيءٍ عنهم غناء قليلًا كان أو كثيرًا [3].

وإنما جاء في الآية ذكر الأَموال والأَولاد فحسب؛ لأَن الإِنسان في الغالب تارة ما يدفع عن نفسه بالفداء، وأُخرى بالأَولاد [4].

5- من يستحوذ عليه الشيطان ينسِه ذكر الله وطاعته:

بعد أن بيّن الحق تبارك وتعالى أحوال المنافقين وسوء فعالهم وقبح أخلاقهم، بيّن ﷻ السبب الذي أوصلهم إلى هذا الحال من الضلال والردى، وهو أنهم أسلموا للشيطان قلوبهم، ومكنوه من نفوسهم فاستولى عليهم استيلاءً تاماً، وتخلل مسالك أرواحهم، وتمكن من أفئدتهم فكانوا حزبه وشيعته، وباتوا طوع أمره، فترتب على طاعتهم له أن أنساهم طاعة الله- تعالى-، فعاشوا حياتهم يتركون ما هو خير، ويسرعون نحو ما هو شر [5].

---

[1] انظر: عياض بن عياض، إكمال المعلم بفوائد مسلم (ج8/409).

[2] ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج28/55).

[3] انظر: الطبري، جامع البيان (ج23/ 254)؛ مجمع البحوث، التفسير الوسيط (ج10/ 1340).

[4] انظر: مجمع البحوث، التفسير الوسيط (ج10/ 1340).

[5] انظر: المراغي، تفسير المراغي (ج28/ 24)؛ الزحيلي، التفسير المنير (ج28/ 54)؛ طنطاوي، التفسير الوسيط (ج14/ 272)؛ حسن البنا، نظرات في كتاب الله (ص: 504).

" وعلامة استحواذ الشيطان على العبد أَن يشغله بعمارة ظاهره من المآكل والمشارب والملابس، ويشغل قلبه عن التفكر في آلاء الله ونعمائه والقيام بشكرها، ويشغل لسانه عن ذكر ربه، بالكذب والغيبة والبهتان، ويشغل قلبه عن التفكُّر والمراقبة بتدبير الدنيا وجمعها "[1]؛ "فإذا استحوذ الشيطان على عبد أنساه ذكر الله، والنّفس إذا استولت على إنسان أنسته الله"[2]..

"وذلك أن القلب ليس له إلا وجهة واحدة فإذا مكنت فيه للشيطان هجره ذكر الرحمن، وإذا ملأته بمعرفة الرحمن فارقته لمّة الشيطان، فالأولون ينطبق عليهم قول الحق ﷻ: ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴾ [الزخرف: 36]، والآخرون ينطبق عليهم قوله تعالى:﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴾[الإسراء: 65]" [3]..

6- حزب الشيطان لا يفلح أبـداً:

وهذا مما علم من هذا الدين بالضرورة، وهذه سنة الحق تبارك وتعالى وعدله بأن لا يفلح من حاد عن طريق الحق، بل له الخسران والعذاب في الدنيا والآخرة.

سابعاً: العبر والعظات المستفادة:

1- "تحرم موادّة الكافرين أعداء المؤمنين، واطلاعهم على أسرار المسلمين، ومؤازرتهم ونصحهم"[4].

2- "حرمة الحلف على الكذب وهي اليمين الغموس"[5].

3- "من علامات استحواذ الشيطان على الإنسان تركه لذكر الله بقلبه ولسانه ولوعده ووعيده بأعماله وأقواله"[6].

المطلب الثاني: العزة والغلبة لله ﷻ ولرسوله وللمؤمنين

قال تعالى:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْأَذَلِّينَ ﴿٢٠﴾ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾ [المجادلة: 20-21]

أولاً: المفردات:

- قوله تعالى:﴿ ٱلْأَذَلِّينَ ﴾

---

(1) أبو العباس الأنجري، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد (ج7/ 349).

(2) القشيري، لطائف الإشارات (ج3/ 555).

(3) حسن البنا، نظرات في كتاب الله (ص: 506).

(4) الزحيلي، التفسير المنير (ج28/ 54)

(5) الجزائري، أيسر التفاسير (ج5/ 298).

(6) المرجع السابق (ج5/ 298).

أي: المغلوبين الذين لهم في الدنيا الذل، وفي الآخرة الخزي والهوان [1].

قوله تعالى:﴿ كَتَبَ ٱللَّهُ ﴾

"قضى وحكم"[2]، "وخط في أم الكتاب"[3].

- قوله تعالى:﴿ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ﴾

لأغلبنّ: "أي بالحجة والسيف"[4].

قال الزجاج: " معنى غلبة الرسل على نوعين: من بعث منهم بالحرب، فهو غالب في الحرب، ومن بعث منهم بغير حرب، فهو غالب الحجة"[5].

ثانياً: المعنى الإجمالي:

بعد بيان سوء حال المنافقين في الآخرة وخسارتهم الكبرى، أبان الله تعالى سبب خسارتهم وهو مشاقّة الله تعالى ورسوله ﷺ ومخالفة أوامرهما، فقال تعالى عنهم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللهَ وَرَسُولَهُ﴾ أي يخالفونهما في أمرهما ونهيهما وما يدعوان إليه من الدين الحق، أولئك في زمرة الأذلين في الدنيا والآخرة؛ ثم أخبر عن قضائه المبرم في نصر الرسل وهزيمة أعدائهم؛ فإنّ الله ﷻ قد كتب في اللوح المحفوظ وقضى بأن يغلب رسوله أعداءه بالحجة والسيف، والله ذو قوة لا تقهر وعزة لا ترام فلذا قضى بنصرة رسوله على أعدائه مهما كانت قوتهم[6].

ثالثاً: تحقيق المقاصد والأهداف:

1- العزة لله ولرسوله وللمؤمنين؛ والذلة والخزي لأعدائهم.

"لقد بينت الآية الكريمة أنّ الذين يخالفون أوامر الله ونواهيه، ويعادون رسوله الكريم، هم في جملة أهل الذلة، إذ لهم الذل في الدنيا والخزي في الآخرة؛ لأن الغلبة لله ولرسوله"[7]، وإنما يكون ذل أحد الخصمين على حسب عز الخصم الثاني، فلما كانت عزة الله غير متناهية، كانت ذلة من ينازعه غير متناهية أيضاً[8]، يقول الله ﷻ: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [المنافقون:8].

---

(1)انظر: الواحدي، التفسير الوسيط (ج4/ 268)؛ البغوي، معالم التنزيل (ج5/ 50)؛ أبو الفرج الجوزي، زاد المسير في علم التفسير (ج4/ 251).

(2) المراغي،تفسير المراغي (ج28/ 25).

(3) الطبري، جامع البيان (ج257/23)؛ محمد الخطيب، أوضح التفاسير (ج674/1).

(4) المراغي، تفسير المراغي (ج28/ 25).

(5)الزجاج، معاني القرآن وإعرابه (ج141/5).

(6)انظر: المراغي، تفسير المراغي (ج28/ 26).

(7) الرازي، مفاتيح الغيب (ج29/ 498)

(8)انظر: الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (ج7/ 555).

وما تضمنته هذه الآية الكريمة من كون الذين يحادون الله ورسوله هم أذل خلق الله، بينه ﷻ في غير هذا الموضع، وذلك بذكره أنواع عقوبتهم المفضية إلى الذل والخزي والهوان، كقوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدًا فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْخِزْىُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [التوبة: 63] ، وقوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الأنفال: 13] إلى غير ذلك من الآيات الكريمة.

بل إن هذا المعنى سبق وروده في هذه السورة الكريمة في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ كُبِتُواْ كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ ﴾[المجادلة: 5].

وهذه سنة من سنن الله في هذه الدنيا أن يعز من استمسك بدينه، وأن يذل من عادى دينه ورسله.

2- العاقبة والنصرة للمؤمنين بشارة قرآنية وقدر محكم:

﴿ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾ ﴾ قضى الله قضاءً نافذاً وحكماً قاطعاً وكتب في اللوح المحفوظ الغلبة له سبحانه، ولرسله على أهل الباطل والضلال، وأن الخزي والهوان على الذين يحادّون الله ورسوله، وهذه بشارة قرآنية بوعد من الله سبحانه بنصرة الحق، والانتصار لأهله الذين يدافعون عنه.. فإن العاقبة دائما للحق، والمدافعين عن الحق، وإن ضاقت بالحق وأهله المسالك، وتراكمت الغيوم، فذلك الضيق إلى سعة، وهذه الغيوم إلى صحو وإشراق[1].

قال ابن كثير في تفسير الآية الكريمة: "قد حكم وكتب في كتابه الأول وقدره الذي لا يخالف ولا يمانع ولا يبدل، بأن النصرة له ولكتابه ورسله وعباده المؤمنين في الدنيا والآخرة وإن العاقبة للمتقين كما قال تعالى: ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴾ [غافر: 51]؛ وقال هاهنا: ﴿ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾ أي كتب القوي العزيز أنه الغالب لأعدائه، وهذا قدر محكم وأمر مبرم أن العاقبة والنصرة للمؤمنين في الدنيا والآخرة"[2]؛

وشبيه هذه الآية الكريمة -كذلك قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾ ﴾ [الصافات: 171-173].

وعلى المؤمن أن يطمئن إلى هذا الوعد الصادق من الله ﷻ، على الرغم مما قد يبدو أحياناً من الظاهر الذي يخالف هذا الوعد الصادق، من الحرب الهائلة التي يشنها أعداء الإيمان على أهل الإيمان في صورها المتنوعة، من بطش ومن ضغط ومن كيد بكل صنوف الكيد في عهود

---

[1] انظر: عبد الكريم الخطيب، التفسير القرآني للقرآن (ج14/ 843-844)

[2] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج8/ 83).

متطاولة، فلا ينبغي على أية حال أن يخالج المؤمن شك في أن وعد الله هو الحقيقة الكائنة التي لا بد أن تظهر في الوجود، وأن الذين يحادون الله ورسوله هم الأذلون، وأن الله ورسله هم الغالبون[1].

رابعاً: العبر والعظات المستفادة:

1- "كتب الله الذل والصغار على من حاده وحاد رسوله بمخالفتهما فيما يحبان ويكرهان، قضى الله تعالى بنصرة رسله والمؤمنين فنصره إنه قوي عزيز"[2].

2- المؤمن مطمئن لوعد الله الصادق بالنصر مهما اشتدت الابتلاءات واضطربت الأحداث.

المطلب الثالث: الـــولاء والبـــــراء في الإسلام

قال تعالى:﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَـٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [المجادلة:22]

أولاً: المفردات:

- قوله تعالى:﴿ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَـٰنَ ﴾

ورد في معنى (كتب) خمسة أقوال:" أحدها: أثبت في قلوبهم الإيمان، قاله الربيع بن أنس؛ والثاني: جعل، قاله مقاتل؛ والثالث: كتب في اللوح المحفوظ أن في قلوبهم الإيمان، حكاه الماوردي؛ والرابع: حكم لهم بالإيمان. وإنما ذكر القلوب، لأنها موضع الإيمان، ذكره الثعلبي؛ والخامس: جمع في قلوبهم الإيمان حتى استكملوه، قاله الواحدي" [3].

وعقب الشوكاني على المعاني الواردة في تفسير كلمة (كتب) بأنها كلها متقاربة[4].

- قوله تعالى:﴿ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ ﴾

في المراد (بالروح) هاهنا خمسة أقوال:" أحدها: أنه النصر، قاله ابن عباس والحسن، فعلى هذا سمي النصر روحاً لأن أمرهم يحيا به؛ والثاني: الإيمان، قاله السدي.

---

[1] انظر: سيد قطب، في ظلال القرآن (ج6/ 3514).

[2] الجزائري، أيسر التفاسير (ج5/ 300).

[3] أبو الفرج الجوزي، زاد المسير في علم التفسير (ج4/ 252)

[4] انظر: الشوكاني، فتح القديـر (ج5/230).

والثالث: القرآن، قاله الربيع؛ والرابع: الرحمة، قاله مقاتل؛ والخامس: جبريل عليه السلام أيَّدهم به يوم بدر، ذكره الماوردي"[1].

- قوله تعالى:﴿ وَرَضُواْ عَنْهُۚ ﴾

ذكر الماوردي أنّ في معناها وجهين: "أحدهما: رضوا عنه في الآخرة بالثواب؛ والثاني: رضوا عنه في الدنيا بما قضاه عليهم فلم يكرهوه"[2].

ثانياً: اللطائف البيانيّة:

- قوله تعالى:﴿ لَّا تَجِدُ قَوۡمٗا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ يُوَآدُّونَ مَنۡ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوۡ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ أَوۡ أَبۡنَآءَهُمۡ أَوۡ إِخۡوَٰنَهُمۡ أَوۡ عَشِيرَتَهُمۡۚ ﴾ " روعي فيها ترتيب عجيب فقد بدأ أولاً بالآباء لأنهم أدعى إلى الاهتمام بهم لوجوب إخلاص الطاعة لهم"[3]، "وثنى بالأَبناء لقوة الارتباط في الدنيا بهم لكونهم أَكبادهم، وثلث بالإِخوان؛ لأَنهم المناصرون لهم، وختم بالعشيرة للاعتماد على أَفراد القبيلة والتناصر بهم بعد الإِخوان غالبًا"[4].

ثالثاً: سبب النزول:

رويت في سبب نزول الآية الكريمة أقوال متفاوتة في قوة أسانيدها ذكرها القرطبي في تفسيره؛ ومجمل هذه الأقوال: أنها نزلت في أبي بكرٍ حين ضرب أباه أبا قحافة لما سب النبي ﷺ؛ وقيل أنها نزلت في أبي عبيدة بن الجراح لما قتل أباه الجراح يوم بدر؛ وقيل نزلت في مصعب بن عمير قتل أخاه عبيد بن عمير يوم بدر؛ وقيل نزلت في عمر بن الخطاب قتل خاله العاص ابن هشام بن المغيرة يوم بدر، وعليا وحمزة قتلا عتبة وشيبة والوليد يوم بدر؛ وقيل: إن الآية نزلت في حاطب بن أبي بلتعة، لما كتب إلى أهل مكة بمسير النبي ﷺعام الفتح[5].

وقد علق صاحب التفسير الحديث على أسباب النزول السابقة بقوله: "ولقد ذكر المفسرون أنها نزلت بسبيل التنويه بأبي بكر أو أبي عبيدة أو بمصعب بن عمير أو بعلي وحمزة رضي الله عنهم جميعا على اختلاف الروايات بسبب ما بدا منهم من موقف قوي شديد ضد آبائهم وذوي أرحامهم الكفار.

---

[1]أبو الفرج الجوزي، زاد المسير في علم التفسير (ج4/ 252)

[2] الماوردي، النكت والعيون (ج5/ 496)

[3]محيي الدين درويش، إعراب القرآن وبيانه (ج10/ 31)

[4]مجمع البحوث، التفسير الوسيط (ج10/ 1344)

[5]انظر: القرطبي،الجامع لأحكام القرآن (ج17/308).

ونحن نتوقف في هذه الرواية التي لم ترد في كتب الحديث المعتبرة ونلحظ أن للآية اتصالاً قوياً بالآيات السابقة وأنها جاءت معقبة عليها بسبيل توكيد كون المخلصين في إيمانهم منزهين عن فعل ما يفعله المنافقون الذين حكت الآيات السابقة صورة من مواقفهم"[1].

وهذا ما ذهب إليه ابن عطية في تفسيره: "وظاهر هذه الآيات، أنها متصلة المعنى، وأن هذا في معنى الذم للمنافقين الموالين لليهود، وإذا قلنا إنها في أمر حاطب جاء ذلك أجنبياً في أمر المنافقين، وإن كان شبيهاً به"[2].

رابعاً: المعنى الإجمالي:

يخاطب الله ﷻ نبيه الكريم ويبن له صفة من صفات المؤمن بحق، بأنه ﷺ لا يجد أناساً يؤمنون بالله إيماناً صادقاً بالله رباً وإلهاً وباليوم الآخر يوادون بالمحبة والنصرة من حاد الله ورسوله بمخالفتهما في أمرهما ونهيهما حتى ولو كانوا أقرب قريب إليهم من أب أو ابن أو أخ أو عشيرة؛ فهؤلاء الذين لا يوالون أعداء الله هم الذبن كتب في قلوبهم الإيمان أي أثبته وقرره فيها فهو ينير دربهم وبصائرهم ربهم ؛ وقد أيدهم الله ببرهان ونور منه سبحانه وتعالى هذا في الدنيا وأما في الآخرة فيدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار أي بساتين غناء تجري الأنهار المختلفة من خلال الأشجار والقصور خالدين فيها لا يخرجون منها أبدا، وفوق ذلك رضي الله عنهم بطاعتهم إياه ورضوا عنه في الآخرة بإدخاله إياهم الجنة دار المتقين؛ ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱللَّهِۚ ﴾ أي أولئك جنده وأولياؤه، وأولئك ﴿ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾أي الفائزون يوم القيامة بالنجاة من النار ودخول الجنة [3].

خامساً: تحقيق المقاصد والأهداف:

1- الــولاء والبــراء من لوازم الإيمــان:

"إن أصل الدين وكماله، أن تكون العبادة لله والاستعانة بالله، والخوف من الله، والرجاء لله، والإعطاء لله، والمنع لله والحب في الله، والبغض في الله، والموالاة في الله، والمعاداة في الله" [4].

وقد جاءت الآيات الكريمة تقرر شيئاً من هذا، فبّينت أنّ المسلم لا يحب إلا من يحب الله ورسوله، ولا يكون له أن يوالى أعداء الله ورسوله، ولو كانوا أقرب الناس إليه؛ فالرابطة التي يستمسك بها المسلم هي رابطة الإسلام لا النسب.

---

[1] دروزة عزت، التفسير الحديث (ج8/493).

[2] ابن عطية، المحرر الوجيز (ج5/ 282)

[3] انظر: الجزائري، أيسر التفاسير (ج5/299-300)

[4] أبو فيصل البدراني، الولاء والبراء والعداء في الإسلام (ج1/8) بتصرف..

وهذا مما حرص عليه الإسلام منذ بدايته: "أن يكون انتماء المسلم لدينه فقط منذ أول لحظة يعلن فيها (لا إله إلا الله محمد رسول الله)؛ والبراءة من كل معبود أو متبوع أو مطاع سوى الله تعالى"[(1)]؛ ولما كان هذا فالولاء والبراء من لوازم التوحيد.

والولاء شرعًا: حُب الله تعالى ورسوله ودين الإسلام وأتباعِه المسلمين، ونصْرة الله تعالى ورسولِه ودينِ الإسلام وأتباعِه المسلمين.

والبراء شرعًا: "بغض الطواغيت التي تُعبَدُ من دون الله تعالى (من الأصنام الماديّة والمعنويّة: كالأهواء والآراء)، وبغض الكفر (بجميع ملله) وأتباعِه الكافرين، ومعاداة ذلك كُلِّه"[(2)].

"وإن هذين المعنيين العظيمين (الولاء والبراء) ليتمثلان في هذه الآية الكريمة التي احتوت على النهي والزجر العظيم عن موالاة أعداء الله جميعاً بغض النظر عن صلة قرابتهم بالمسلم؛ وأنه لا مجال للترخص في هذا النهي لعلة القرابة، فإنه لا يمكن أن يقف قوم مؤمنون بالله واليوم الآخر إيمانا صادقا موقف الموالاة والموادة لمن يشاقّ الله ورسوله ويحاددهم ويناصبهم العداء. ولو جمعت بينهم أشد روابط القربى كالأبوة أو النبوة أو الأخوة أو العصبية الرحمية"[(3)].

يقول سيد قطب في هذه الآية الكريمة: " ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ فما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه، وما يجمع إنسان في قلب واحد ودّين: ودّا لله ورسوله وودا لأعداء الله ورسوله! فإما إيمان أو لا إيمان؛ أما هما معاً فلا يجتمعان. ﴿ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ﴾ فروابط الدم والقرابة هذه تتقطع عند حد الإيمان؛ إنها يمكن أن ترعى إذا لم تكن هناك محادة وخصومة بين اللوائين: لواء الله ولواء الشيطان. والصحبة بالمعروف للوالدين المشركين مأمور بها حين لا تكون هناك حرب بين حزب الله وحزب الشيطان. فأما إذا كانت المحادة والمشاقة والحرب والخصومة فقد تقطعت تلك الأواصر التي لا ترتبط بالعروة الواحدة وبالحبل الواحد"[(4)].

"وقد أخذ العلماء من معنى هذه الآية الكريمة، وجوب عدم موالاة الفساق والمنافقين والمجاهرين بارتكاب المعاصي كذلك"[(5)]؛إذ ليس بعد مخالفة الله تعالى ورسوله، والمجاهرة بالعصيان من محادة؟[(6)].

[(1)] محمد القحطاني، الولاء والبراء في الإسلام (ص: 104).

[(2)] أبو عاصم البركاتي، الولاء والبراء في الإسلام (ج4/1).

[(3)] دروزة عزت، التفسير الحديث (ج8/ 493).

[(4)] سيد قطب، في ظلال القرآن (ج3514/6– 3515)

[(5)] طنطاوي، التفسير الوسيط (ج14/ 275).

[(6)] انظر: محمد الخطيب، أوضح التفاسير (ج1/ 674).

2- نعم الله عظيمة على عباده المؤمنين:

"ذكر الله ﷻ أربع نعم على من ترك موادّة الأعداء وهي:

أولاً: إثبات الإيمان في قلوبهم.

ثانياً: تأييدهم بروح من عند الله، أي بنصرهم على عدوهم، وبروح من الإيمان.

ثالثاً: إدخالهم جنات تجري من تحتها الأنهار، خالدين فيها.

رابعاً: ينعمون بنعمة الرضوان، ويفرحون بما أعطاهم الله تعالى"[1]، "وهي أعظم النعم وأجل المراتب"[2].

3- الرضا عن الله :

﴿ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ﴾

" وهذه صورة وضيئة راضية مطمئنة، ترسم حالة المؤمنين هؤلاء، في مقام عال رفيع، وفي جو راض وديع..

ربهم راض عنهم وهم راضون عن ربهم، انقطعوا عن كل شيء ووصلوا أنفسهم به فتقبلهم في كنفه، وأفسح لهم في جنابه، وأشعرهم برضاه فرضوا، رضيت نفوسهم هذا القرب وأنست به واطمأنت إليه"[3].

" فقد أغدق الرحمن عليهم من رحمته العاجلة والآجلة،فأدخلهم جنات تجرى من تحتها الأنهار، ورضوا عنه لابتهاجهم بما أوتوه عاجلاً وآجلاً، فإنهم لما سخطوا على الأقارب والعشائر في الله تعالى- عوضهم الله بالرضا عنه، وأرضاهم عنه بما أعطاهم من النعيم المقيم، والفوز العظيم، والفضل العميم" [4].

"وفى قوله تعالى: ﴿ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ﴾ ما يكشف عن بعض لطف الله بعباده وإكرامه لأهل ودّه، وإغداق الإحسان عليهم، حتى تطيب نفوسهم وتمتلىء غبطة ورضى؛ وهذا ما يشير إليه سبحانه وتعالى في خطابه لنبيه الكريم: ﴿ وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ ﴾ [الضحى: 5] وماذا يملك العبد حتى يكون لرضاه عن ربه أو سخطه، وزن أو قدر؟ ..

إنه لا شيء.. ولكن هكذا فضل الله على عباده، وإحسانه على أوليائه؛ إنهم أرضوا الله بإيمانهم، وإحسانهم، فكان جزاؤهم عند الله أن يعطيهم حتى يرضوا عنه..

---

[1] الزحيلي، التفسير المنير (ج60/28-61)

[2] الرازي، مفاتيح الغيب (ج29/ 500)

[3] سيد قطب، في ظلال القرآن(ج3515/6).

[4] المراغي، تفسير المراغي (ج28/ 29)

إنه رضى متبادل بين الله وأوليائه. حيث يطلب العبد رضى سيده ومولاه، فإن رضى عنه سيده، فعل به ما يرضيه عنه؛ وكما يكون الرضا المتبادل بين الله وأوليائه، يكون الحب المتبادل بين الله وأحبابه.. ﴿ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: 54] "[1]..

4- تشريف الله ﷻ لعباده المؤمنين:

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ فالمؤمنون جند الله ﷻ الذين يمتثلون أوامره، ويقاتلون أعداءه، وينصرون أولياءه، وهم حزبه المختصون به تعالى؛ وفي إضافتهم إليه سبحانه تشريف لا يعدله تشريفٌ لهم وتعظيم، وتكريم فخيم؛ حتى جعل فلاحهم هو الفلاح الكامل إذ هم الفائزون في الدنيا والآخرة[2].

5- الثبات من الله ﷻ:

"يثبت الله الإيمان في قلوب المؤمنين ويمكنه، فلا تعصف به عواصف الفتن، ولا تغلبهم عليه الأهواء"[3]؛ فلا يمكن أن تشرق قلوب المؤمنين بهذا النور إلا بتثبيت الله، وما يمكن لهم أن يعزموا هذه العزمات إلا بروح من الله[4].

وفي هذا يقول الله ﷻ: ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَۚ ﴾[الحجرات: 7].

وإن هذا الثبات لهو فضل من الله وحده، ونعمة منه سبحانه، ولذلك يعلمنا النبي ﷺ في الدعاء:(يَا مُقَلِّبَ القُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ)[5]؛ بل إن النبي الكريم وهو النبي المعصوم وصاحب المقام العظيم كان يكثر من هذا الدعاء.

فقد روى مُعَاذُ بْنُ مُعَاذٍ، عَنْ أَبِي كَعْبٍ صَاحِبِ الحَرِيرِ قَالَ: حَدَّثَنِي شَهْرُ بْنُ حَوْشَبٍ، قَالَ: قُلْتُ لِأُمِّ سَلَمَةَ: يَا أُمَّ المُؤْمِنِينَ مَا كَانَ أَكْثَرُ دُعَاءِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذَا كَانَ عِنْدَكِ؟ قَالَتْ: كَانَ أَكْثَرُ دُعَائِهِ: يَا مُقَلِّبَ القُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ " قَالَتْ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا لِأَكْثَرِ دُعَائِكَ يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ

---

[1]عبد الكريم الخطيب، التفسير القرآني للقرآن(ج14/ 845)

[2]انظر: القنوجي، فتح البيان في مقاصد القرآن (ج14/ 34)؛ مجمع البحوث، التفسير الوسيط (ج10/ 1345)

[3] عبد الكريم الخطيب، التفسير القرآني للقرآن (14/ 845).

[4]انظر: سيد قطب، في ظلال القرآن (6/ 3515).

[5][الترمذي، سنن الترمذي، أبواب القدر/باب ما جاء أن القلوب بين إصبعي الرحمن، 448/4: رقم الحديث2140]؛ قال الترمذي: " وفي الباب عن النواس بن سمعان، وأم سلمة، وعبد الله بن عمرو، وعائشة، وأبي ذر وهذا حديث حسن وهكذا روى غير واحد، عن الأعمش، عن أبي سفيان، عن أنس، وروى بعضهم عن الأعمش، عن أبي سفيان، عن جابر، عن النبي ﷺ وحديث أبي سفيان عن أنس أصح"؛ حكم الألباني: صحيح.

قَلْبِي عَلَى دِينِكَ؟ قَالَ: (يَا أُمَّ سَلَمَةَ إِنَّهُ لَيْسَ آدَمِيٌّ إِلَّا وَقَلْبُهُ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللَّهِ، فَمَنْ شَاءَ أَقَامَ، وَمَنْ شَاءَ أَزَاغَ). فَتَلَا مُعَاذٌ ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا ﴾ [آل عمران: 8] [1].

6- في الأرض رايتـــان:

يقول صاحب الظلال: "وهكذا تنقسم البشرية إلى حزبين اثنين: حزب الله وحزب الشيطان؛ وإلى رايتين اثنتين: راية الحق وراية الباطل؛ فإما أن يكون الفرد من حزب الله فهو واقف تحت راية الحق، وإما أن يكون من حزب الشيطان فهو واقف تحت راية الباطل.. وهما صفان متميزان لا يختلطان ولا يتميعان!! لا نسب ولا صهر، ولا أهل ولا قرابة، ولا وطن ولا جنس، ولا عصبية ولا قومية.. إنما هي العقيدة، والعقيدة وحدها. فمن انحاز إلى حزب الله ووقف تحت راية الحق فهو وجميع الواقفين تحت هذه الراية إخوة في الله. تختلف ألوانهم وتختلف أوطانهم، وتختلف عشائرهم وتختلف أسرهم، ولكنهم يلتقون في الرابطة التي تؤلف حزب الله، فتذوب الفوارق كلها تحت الراية الواحدة. ومن استحوذ عليه الشيطان فوقف تحت راية الباطل، فلن تربطه بأحد من حزب الله رابطة"[2].

سادساً: العبر والعظات المستفادة:

1- "حرمة موالاة الكافر بالنصرة والمحبة ولو كان أقرب قريب"[3]؛ "فعلى كل مسلم مجانبة خيانة الأمة بموالاة أعدائها، وبالنفاق والشقاق، فإن ذلك يضعفها ويفرق جمعها ويذلها"[4].

2- "لا يجتمع الإيمان الحق مع وداد أعداء الله، لأن من أحب أحداً، امتنع أن يحب مع ذلك عدوه، حتى ولو كان الأعداء من الأقربين، ومن أنعم الله عليه بنعمة الإيمان العظمى، كيف يمكن أن يحصل في قلبه مودة أعداء الله؟!"[5].

3- من سعى لرضا الله ﷻ أرضاه الله في الدنيا والآخرة.

4- العاقل من يستمسك بدينه، ويقف مع راية الحق؛ حتى يفلح في الدنيا والآخرة.

---

[1] [الترمذي، سنن الترمذي، أبواب الدعوات، 538/5: رقم الحديث 3522]، قال الترمذي: "حديث حسن"

[2] سيد قطب، في ظلال القرآن (ج6/ 3515-3516).

[3] الجزائري، أيسر التفاسير (ج5/ 300)

[4] الزحيلي، التفسير المنير (ج28/ 60)

[5] المراغي، تفسير المراغي (ج28/ 29)

الفصل الثاني

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة الحشر.

المبحث الأول

المقاصد والأهداف لسورة الحشر من الآية (1-4).

المطلب الأول: تنزيه الله ﷻ عن كل نقص

قال تعالى:﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝١ ﴾ [الحشر: 1]

أولاً: المفردات:

- قوله تعالى:﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۖ ﴾

"سبح لله ما في السموات وما في الأرض: أي نزه الله تعالى وقدسه بلسان الحال والمقال ما في السموات وما في الأرض من سائر الكائنات"[1].

- قوله تعالى:﴿ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾

أي: "العزيز في انتقامه من أعدائه، الحكيم في تدبيره لأوليائه"[2].

ثانياً: اللطائف البيانيّة:

- قوله تعالى: ﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝١ ﴾ "تكرار الموصول هنا لزيادة التقرير والتنبيه على استقلال كل من الفريقين بالتسبيح"[3].

ثالثاً: المعنى الإجمالي:

"يخبر الحق- تبارك وتعالى- بأن جميع ما في السموات وما في الأرض يسبحه ويقدسه ويصلى له ويوحده، وينقاد له ويسجد؛ ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْۚ ﴾[الإسراء: 44] ؛ وكيف لا يكون ذلك كذلك! وهو العزيز الجناب الحكيم الفعال"[4].

---

(1) الجزائري، أيسر التفاسير (ج5/ 301).

(2) المرجع السابق(ج5/ 301).

(3) الألوسي، روح المعاني (ج14/ 233).

(4) الحجازي، التفسير الواضح (ج3/ 643).

رابعاً: تحقيق المقاصد والأهداف:

1- تنزيه الله ﷻ عن كل نقص:

" افتتحت السورة الكريمة بالإخبار عن تسبيح ما في السماوات وما في الأرض لله ﷻ، " فجميع ما في السماوات وما في الأرض يقدسه سبحانه ويمجده، إما باللسان أو بالقلب أو بدلالة الحال؛ لانقياده لتصريفه له كيف شاء لا معقّب لحكمه"(1).

وفي هذا تنزيه لله ﷻ، عن كل ما لا يليق به من نقصٍ وعيب؛ تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

قال الإمام ابن حجر في بيان معنى "سبحان الله": " قول سبحان الله ومعناه تنزيه الله عما لا يليق به من كل نقص فيلزم نفي الشريك والصاحبة والولد وجميع الرذائل"(2).

"فالله ﷻ موصوف بصفات الكمال التي لا يلحقه فيها نقص بوجه من الوجوه؛ لأنه سبحانه الكامل من كل وجه، وقد دلت الآيات الكثيرة على ذلك فمن ذلك قوله عز وجل: ﴿ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ [الصافات: 159]" (3)، وقوله عز وجل: ﴿ سُبۡحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلۡعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ١٨٠ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلۡمُرۡسَلِينَ ١٨١ وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٨٢ ﴾ [الصافات:180-182]؛ فالله ﷻ سبح نفسه عما وصفه به المخالفون للرسل، وسلم على المرسلين؛ لسلامة ما قالوه من النقص والعيب"(4).

2- كل ما في الكون يسبح لله ﷻ:

"إن الآية الكريمة تنزه الله عما لا يليق به ما في السموات وما في الأَرض، وذلك يعم جميع ما كان مستقرًّا فيهما، وما كان من أَجزائهما حيث أُريد به معنى عام شامل لكل ما نطق بلسان المقال كالملائكة والمؤمنين من الثقلين، وما نطق بلسان الحال كغيرهم، وهو المراد من قوله – تعالى –: ﴿ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ ﴾[الإسراء: 44] "(5).

هذا، "وقد ورد التسبيح لله في القرآن الكريم بالصيغ الثلاث، الدالة على أزمنة الحدث، ماضياً، وحاضراً، ومستقبلاً"(6)..

" فجاء بصيغة الماضي في قوله تعالى: ﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ١ ﴾ [الحشر: 1]؛ وجاء بصيغة المضارع في قوله تعالى: ﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي

---

(1) المراغي، تفسير المراغي (ج28/ 32).

(2) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري (ج206/11).

(3) سعود الخلف، أصول مسائل العقيدة عند السلف وعند المبتدعة (ج2/ 6)

(4) الهراس، شرح العقيدة الواسطية (ص: 76)

(5) مجمع البحوث، التفسير الوسيط (ج10/ 1348).

(6) عبد الكريم الخطيب، التفسير القرآني للقرآن (ج14/ 848)

ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴾ [الجمعة: 1]؛ وجاء بصيغة الأمر في قوله تعالى: ﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴾ [الأعلى: 1] "[1].

"وفى هذا ما يشير إلى أن جميع آنات الزمن ولحظاته مملوءة بذكر الله، والتسبيح بحمده من عوالم الوجود في السموات والأرض جميعاً، فمن لم يسبح اختيارا، سبّح اضطراراً.. ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ ﴾ "[2].

"والذي يتدبر القرآن الكريم، يجد أمثلة من ذكر تسبيح بعض ما في هذا الكون، فالملائكة تسبح له، كما في قوله ﷻ: ﴿ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾[البقرة: 30]؛ وكذلك الرعد، كما في قوله: ﴿وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ ﴾[الرعد: 13] ؛ وكذلك الجبال والطير قال– تعالى–: ﴿ إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴾ [ص: 18]"[3].

واختلف المفسرون في حقيقة تسبيح ما في السماوات والأرض لله عز وجل، أهو تسبيح الدلالة بأن يشهد كل محدث على نفسه بأن الله عز وجل خالق قادر، أم هو التسبيح حقيقة، وأن كل شيء –على العموم– يسبح تسبيحاً لا يفقهه البشر ! [4]

قال القرطبي: " الصحيح أن الكل يسبح للأخبار الدالة على ذلك لو كان ذلك التسبيح تسبيح دلالة فأي تخصيص لداود، وإنما ذلك تسبيح المقال بخلق الحياة والإنطاق بالتسبيح كما ذكرنا. وقد نصت السنة على ما دل عليه ظاهر القرآن من تسبيح كل شيء؛ فالقول به أولى"[5].

3- الله عزيز حكيم:

"فالله ﷻ الذي لا يُغالب ولا يُمانع ولا يعجزهُ شيءٌ كائناً ما كان، ولا يفعل إلاَّ ما تقتضيه الحكمة"[6].

خامساً: العبر والعظات المستفادة:

1- تنزيه الله ﷻ لنفسه عن كل نقص ، فهو سبحانه يتصف بصفات الكمال.

2- ما من شيء في هذا الكون إلا ويسبح لله ﷻ الخالق العظيم.

3- بيان جلال الله وعظمته مع عزه وحكمته.

---

[1]عبد الكريم الخطيب، التفسير القرآني للقرآن (ج14/ 848)

[2]المرجع السابق نفسه (ج14/ 848)

[3]طنطاوي، التفسير الوسيط (ج14/ 282)

[4]انظر: تفسير القرطبي (ج266/10)

[5]القرطبي، الجامع لأحكام القرآن(ج268/10).

[6]مجمع البحوث، التفسير الوسيط (ج10/ 1348).

المطلب الثاني: إجــلاء بني النضير

قال تعالى:﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَخۡرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمۡ لِأَوَّلِ ٱلۡحَشۡرِۚ مَا ظَنَنتُمۡ أَن يَخۡرُجُواْۖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمۡ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنۡ حَيۡثُ لَمۡ يَحۡتَسِبُواْۖ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعۡبَۚ يُخۡرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيۡدِيهِمۡ وَأَيۡدِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ٢ وَلَوۡلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ ٣ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ شَآقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۖ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٤ ﴾ [الحشر: 2-4]

أولاً: المفردات:

- قوله تعالى:﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾

يراد بالَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ هنا: " بنو النضير، وكانت قبيلة عظيمة من بني إسرائيل موازية في القدر والمنزلة لبني قريظة، وكان يقال للقبيلتين الكاهنان، لأنهما من ولد الكاهن بن هارون، وكانت أرضهم وحصونهم قريبة من المدينة، ولهم نخل وأموال عظيمة" (1).

- قوله تعالى:﴿ لِأَوَّلِ ٱلۡحَشۡرِۚ﴾

"وهو السوق والبعث والانبعاث؛ وأهل اللغة يقولون: الحشر الجمع مع سوق" (2).

فالكلمة توحي بالقوة الضاغطة الحاشرة، التي تسوق المحشورين سوقاً عنيفاً، وتجمع أشتاتهم في دائرة واحدة، وتقيمهم على وجه واحد(3).

واختلف المفسرون –بعد اتفاقهم على معنى الحشر– في المراد بأول الحشر على وجوه:

أحدها: أن هذا أول حشرٍ لأهل الكتاب، إذ لم يحشروا قبله، وهذا قول ابن عباس –رضي الله عنهما– والأكثرين(4).

ثانيها: أن المراد لأول موضع الحشر، وهو الشام، وهذا قول عكرمة والزهري(5).

---

(1) ابن عطية، المحرر الوجيز (ج5/ 283).

(2) ابن فارس، مقاييس اللغة (ج66/2).

(3)عبد الكريم الخطيب، التفسير القرآني للقرآن (ج14/ 850) –بتصرف يسير–

(4)انظر: الواحدي، التفسير البسيط (ج363/21)؛ ابن عطية، المحرر الوجيز (ج284/5)؛ الرازي، مفاتيح الغيب (ج205/29)؛ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج2/18).

(5)انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج2/18).

ثالثها: أن هذا أول حشر ثم يحشر الناس جميعاً للساعة؛ قال قتادة: "والثاني نار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب"[1].

وقد ضعف الألوسي ما روي عن عكرمة، وضعف ما روي عن قتادة أيضًا، واختار أن يكون المراد بأول الحشر أن أول حشرهم إلى الشام، أو على أنهم أول محشورين من أهل الكتاب من جزية العرب إلى الشام[2].

ورجح صاحب التفسير الحديث أن يكون معناها أنهم لم يلبثوا أن استسلموا وقبلوا الخروج لأول ما حشر النبي عليهم واستعدّ لقتالهم؛ لأنه لم يقع قتال بينهم وبين المسلمين، وهو المتّسق مع روحه الآية الثانية التي هي بسبيل تقرير ما كان من تيسير الله بخروجهم بسهولة وسرعة لم تكونا متوقعتين لأحد؛ وردّ ترجيح المعنى بأنه أول حشر لأهل الكتاب لتناقضه مع ما هو متفق عليه من أن بني قينقاع كانوا أول من أجلي من اليهود[3].

- قوله تعالى:﴿ حُصُونُهُم﴾

الحصون: "واحدها حصن وهو القصر الشاهق والقلعة المشيدة"[4].

"وكانت حصونهم على ما قيل أربعة: الكتيبة والوطيح والسلالم والنطاة، وزاد بعضهم الوخدة وبعضهم شقا"[5].

- قوله تعالى:﴿ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنۡ حَيۡثُ لَمۡ يَحۡتَسِبُواْۖ﴾

في بيان المراد بهذه الآية وجهان: "الأول: أن يكون الضمير في قوله: فأتاهم عائد إلى اليهود، أي فأتاهم عذاب الله وأخذهم من حيث لم يحتسبوا؛ والثاني: أن يكون عائداً إلى المؤمنين أي فأتاهم نصر الله وتقويته من حيث لم يحتسبوا؛ ومعنى: لم يحتسبوا، أي لم يظنوا ولم يخطر ببالهم، وذلك بسبب أمرين أحدهما: قتل رئيسهم كعب بن الأشرف على يد أخيه غيلة، وذلك مما أضعف قوتهم، وفتت عضدهم، وقل من شوكتهم والثاني: بما قذف في قلوبهم من الرعب"[6].

- قوله تعالى:﴿ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعۡبَۚ ﴾

---

[1]انظر: الواحدي، التفسير البسيط (ج363/21)؛ ابن عطية، المحرر الوجيز (ج284/5)؛ الرازي، مفاتيح الغيب (ج205/29)؛ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج2/18).

[2]انظر: الألوسي، روح المعاني (ج234/14).

[3]انظر: دروزة عزت، التفسير الحديث (ج7/ 307)

[4] المراغي، تفسير المراغي (ج28/ 32)

[5]الألوسي، روح المعاني (ج14/ 235)

[6] الرازي، مفاتيح الغيب (ج29/ 502)

وَ﴿قَذَفَ﴾ أي: "ألقى فيها الخوف إلقاء كإلقاء الحجارة في البئر"[1]؛ "والرعب: الخوف" [2].
والمراد هنا: "أثبت فيها الخوف الذي يرعبها، أي يملؤها رعباً بقتل سيدهم كعب بن الأشرف"[3].
- قوله تعالى:﴿ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ ﴾

وقد ذكر المفسرون في بيان أنهم كيف كانوا يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين وجوهاً:
" أحدها: بأيديهم بنقض الموادعة، وأيدي المؤمنين بالمقاتلة، قاله الزهري.
الثاني: بأيديهم في تركها، وأيدي المؤمنين في إجلائهم عنها، قاله أبو عمرو ابن العلاء.
الثالث: بأيديهم في إخراب دواخلها وما فيها لئلا يأخذها المسلمون ، وبأيدي المؤمنين في إخراب ظواهرها ليصلوا بذلك إليهم؛ قال عكرمة: كانت منازلهم مزخرفة فحسدوا المسلمين أن يسكنوها فخربوها من داخل ، وخربها المسلمون من خارج.
الرابع: معناه: أنهم كانوا كلما هدم المسلمون عليهم من حصونهم شيئاً نقضوا من بيوتهم ما يبنون به من حصونهم ، قاله الضحاك.
الخامس: أن تخريبهم بيوتهم أنهم لما صولحوا على حمل ما أقلته إبلهم جعلوا ينقضون ما أعجبهم من بيوتهم حتى الأوتار ليحملوها على إبلهم ، قاله عروة بن الزبير ، وابن زيد"[4].

- قوله تعالى:﴿ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ ﴾
فاعتبروا يا أولي الأبصار: "أي فاتعظوا بحالهم يا أصحاب العقول ولا تغتروا ولا تعتمدوا إلا على الله سبحانه وتعالى"[5].

- قوله تعالى:﴿ الْجَلَاءَ ﴾
الجلاء من قولهم:" جلا القوم عن منازلهم جلاء، إذا خرجوا عنها، وأجليتهم إجلاء، إذا نحيتهم عن الموضع"[6].

---

(1) محمد حجازي، التفسير الواضح (ج3/ 642)
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة (ج410/2)
(3) الزحيلي، التفسير المنير (ج28/ 67)
(4) الماوردي، النكت والعيون (ج5/ 500)
(5) الجزائري، أيسر التفاسير (ج5/ 302)
(6) الأزدي، جمهرة اللغة (ج1044/2).

"والفرق بين الجلاء والإخراج – وإن كان معناهما في الإبعاد واحد – من وجهين: أحدهما: أن الجلاء ما كان مع الأهل والولد ، والإخراج قد يكون مع بقاء الأهل والولد. الثاني: أن الجلاء لا يكون إلا لجماعة ، والإخراج يكون لجماعة ولواحد"[1].

- قوله تعالى:﴿ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا ﴾

والمراد بالتعذيب: "الألم المحسوس بالأبدان بالقتل والجرح والأسر والإهانة وإلا فإن الإخراج من الديار نكبة ومصيبة لكنها لا تدرك بالحس وإنما تدرك بالوجدان"[2].

- قوله تعالى:﴿ شَاقُّوا﴾

"خالفوا وعادوا، حتى كأنهم في شق، ومن عادوه في شق آخر"[3].

ثانياً: اللطائف البيانيّة:

- قوله تعالى: ﴿ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ ﴾

- كان مقتضى الظاهر لمقابلة ﴿ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا ﴾، أن يقال: ﴿وظنوا ألاَّ يخرجوا﴾ ولكن عدل إلي ما في النظم الجليل للإشعار بتفاوت الظنين، وأَن ظنهم قارب اليقين فناسب أن يؤتْي بما يدل على فرط وثوقهم بما هم فيه بتقديم الخبر وهو ﴿ مَّانِعَتُهُمْ ﴾ على المبتدأ وهو ﴿حُصُونُهُم﴾؛ ومدار الدلالة التقديم؛ لما فيه من الاختصاص فكأنه لا حصن أمنع من حصونهم، وهذا يدل على اعتقاد في أنفسهم أنهم في عزة وقوة ومنعة لا تمكن أحد من الغلبة عليهم [4]!!
- ﴿ مَا ظَنَنتُمْ ﴾ ﴿ وَظَنُّوا ﴾ بينهما: طباق السلب.

- قوله تعالى:﴿ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ ﴾

" القذف: الرمي باليد بقوة؛ واستعير –هنا– للحصول العاجل، أي حصل الرعب في قلوبهم دفعة دون سابق تأمل ولا حصول سبب للرعب" [5].

---

(1) الماوردي، النكت والعيون (ج5/ 500–501)

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج28/ 73)

(3) الزحيلي، التفسير المنير (ج28/ 76)

(4) انظر: الألوسي ، روح المعاني (ج14/ 234)

(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج28/ 71)

ثالثاً: القراءات المتواترة:

- قَوْله :﴿ يُخۡرِبُونَ بُيُوتَهُم ﴾

قرأ أبو عَمْرو وَحده بفتح الخاء وتشديد الراء :﴿ **يُخَرِّبُونَ بُيُوتَهُمْ** ﴾

وقرأ الباقون بإسكان الخاء وتخفيف الراء:﴿ **يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ** ﴾[1].

التوجيه: "يخَرِّبون ويخْرِبون بمعنى واحد، وحكي عن أبي عمرو أنه قال: إن خرب بالتشديد: هدم وأفسد، وأخرب: ترك الموضع خراباً وذهب عنه"[2].

في قوله: ﴿يخربون﴾ قراءتان: بالتخفيف ، وبالتشديد ، وفيهما وجهان:

" أحدهما: أن معناهما واحد وليس بينهما فرق؛ الثاني: أن معناهما مختلف.

وفي الفرق بينهما وجهان: أحدهما: أن من قرأ بالتشديد أراد إخرابها بأفعالهم ، ومن قرأ بالتخفيف أراد إخرابها بفعل غيرهم قاله أبو عمرو.

الثاني: أن من قرأ بالتشديد أراد إخرابها بهدمهم لها؛ وبالتخفيف أراد فراغها بخروجهم عنها ، قاله الفراء" [3].

رابعاً: سبب النزول:

- **قال تعالى:**﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَخۡرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمۡ لِأَوَّلِ ٱلۡحَشۡرِۚ ﴾

اتفق المفسرون على أن هذه الآيات الكريمة نزلت في بني النضير[4].

عنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، قَالَ: قُلْتُ لِابْنِ عَبَّاسٍ: ... قُلْتُ: سُورَةُ الحَشْرِ، قَالَ: " نَزَلَتْ فِي بَنِي النَّضِيرِ " [5].

- أخرج الحاكم في مستدركه عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: "كَانَتْ غَزْوَةُ بَنِي النَّضِيرِ وَهُمْ طَائِفَةٌ مِنَ الْيَهُودِ عَلَى رَأْسِ سِتَّةِ أَشْهُرٍ مِنْ وَقْعَةِ بَدْرٍ وَكَانَ مَنْزِلُهُمْ وَنَخْلُهُمْ بِنَاحِيَةِ الْمَدِينَةِ، فَحَاصَرَهُمْ

---

[1]انظر: ابن الجزري، النشر في القراءات العشر (ج386/2)؛ ابن الجزري، تحبير التيسير في القراءات العشر (ص:579)؛ أحمد التميمي وأبو بكر البغدادي، السبعة في القراءات (ص:632)؛ عبد الفتاح القاضي، البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة (ص:317).

[2] ابن خالويه، الحجة للقراءات السبعة (ج283/6).

[3] الماوردي، النكت والعيون (ج5/ 500)

[4]انظر: الطبري، جامع البيان (ج262/23)؛ البغوي، معالم التنزيل (ج51/5)؛ الزمخشري، الكشاف (ج498/4)؛ ابن عطية، المحرر الوجيز (ج283/5)؛ الرازي، مفاتيح الغيب (ج501/29)؛ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج86/8)؛ ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج63/28).

[5][البخاري، صحيح البخاري ، كتاب تفسير القرآن (147/6)رقم الحديث(4882)]

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى نَزَلُوا عَلَى الْجَلَاءِ، وَعَلَى أَنَّ لَهُمْ مَا أَقَلَّتِ الْإِبِلُ مِنَ الْأَمْتِعَةِ وَالْأَمْوَالِ إِلَّا الْحَلْقَةَ، يَعْنِي السِّلَاحَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِمْ ﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ١ ﴾ إِلَى قَوْلِهِ ﴿ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُواْۖ ﴾ [الحشر: 2] فَقَاتَلَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى صَالَحَهُمْ عَلَى الْجَلَاءِ، فَأَجْلَاهُمْ إِلَى الشَّامِ وَكَانُوا مِنْ سِبْطٍ لَمْ يُصِبْهُمْ جَلَاءٌ فِيمَا خَلَا وَكَانَ اللَّهُ قَدْ كَتَبَ عَلَيْهِمْ ذَلِكَ وَلَوْلَا ذَلِكَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا بِالْقَتْلِ وَالسَّبْيِ"[1].

- وأخرج أبو داوود عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ، عَنْ رَجُلٍ، مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ: أَنَّ كُفَّارَ قُرَيْشٍ كَتَبُوا إِلَى ابْنِ أُبَيٍّ، وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ مَعَهُ الْأَوْثَانَ مِنَ الْأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺيَوْمَئِذٍ بِالْمَدِينَةِ قَبْلَ وَقْعَةِ بَدْرٍ: إِنَّكُمْ آوَيْتُمْ صَاحِبَنَا، وَإِنَّا نُقْسِمُ بِاللَّهِ لَتُقَاتِلُنَّهُ، أَوْ لَتُخْرِجُنَّهُ أَوْ لَنَسِيرَنَّ إِلَيْكُمْ بِأَجْمَعِنَا حَتَّى نَقْتُلَ مُقَاتِلَتَكُمْ، وَنَسْتَبِيحَ نِسَاءَكُمْ، فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أُبَيٍّ وَمَنْ كَانَ مَعَهُ مِنْ عَبَدَةِ الْأَوْثَانِ، اجْتَمَعُوا لِقِتَالِ النَّبِيِّ ﷺ، فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَقِيَهُمْ، فَقَالَ: (لَقَدْ بَلَغَ وَعِيدُ قُرَيْشٍ مِنْكُمُ الْمَبَالِغَ، مَا كَانَتْ تَكِيدُكُمْ بِأَكْثَرَ مِمَّا تُرِيدُونَ أَنْ تَكِيدُوا بِهِ أَنْفُسَكُمْ، تُرِيدُونَ أَنْ تُقَاتِلُوا أَبْنَاءَكُمْ، وَإِخْوَانَكُمْ) فَلَمَّا سَمِعُوا ذَلِكَ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ تَفَرَّقُوا، فَبَلَغَ ذَلِكَ كُفَّارَ قُرَيْشٍ، فَكَتَبَتْ كُفَّارُ قُرَيْشٍ بَعْدَ وَقْعَةِ بَدْرٍ إِلَى الْيَهُودِ: إِنَّكُمْ أَهْلُ الْحَلْقَةِ وَالْحُصُونِ، وَإِنَّكُمْ لَتُقَاتِلُنَّ صَاحِبَنَا، أَوْ لَنَفْعَلَنَّ كَذَا وَكَذَا، وَلَا يَحُولُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ خَدَمِ نِسَائِكُمْ شَيْءٌ، وَهِيَ الْخَلَاخِيلُ، فَلَمَّا بَلَغَ كِتَابُهُمُ النَّبِيَّ ﷺ، أَجْمَعَتْ بَنُو النَّضِيرِ بِالْغَدْرِ، فَأَرْسَلُوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: اخْرُجْ إِلَيْنَا فِي ثَلَاثِينَ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِكَ، وَلْيَخْرُجْ مِنَّا ثَلَاثُونَ حَبْرًا، حَتَّى نَلْتَقِيَ بِمَكَانِ الْمَنْصَفِ فَيَسْمَعُوا مِنْكَ، فَإِنْ صَدَّقُوكَ وَآمَنُوا بِكَ آمَنَّا بِكَ، فَقَصَّ خَبَرَهُمْ، فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ، غَدَا عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺبِالْكَتَائِبِ فَحَصَرَهُمْ، فَقَالَ لَهُمْ: (إِنَّكُمْ وَاللَّهِ لَا تَأْمَنُونَ عِنْدِي إِلَّا بِعَهْدٍ تُعَاهِدُونِي عَلَيْهِ) ، فَأَبَوْا أَنْ يُعْطُوهُ عَهْدًا، فَقَاتَلَهُمْ يَوْمَهُمْ ذَلِكَ، ثُمَّ غَدَا الْغَدُ عَلَى بَنِي قُرَيْظَةَ بِالْكَتَائِبِ، وَتَرَكَ بَنِي النَّضِيرِ وَدَعَاهُمْ إِلَى أَنْ يُعَاهِدُوهُ، فَعَاهَدُوهُ، فَانْصَرَفَ عَنْهُمْ، وَغَدَا عَلَى بَنِي النَّضِيرِ بِالْكَتَائِبِ، فَقَاتَلَهُمْ حَتَّى نَزَلُوا عَلَى الْجَلَاءِ، فَجَلَتْ بَنُو النَّضِيرِ، وَاحْتَمَلُوا مَا أَقَلَّتِ الْإِبِلُ مِنْ أَمْتِعَتِهِمْ، وَأَبْوَابِ بُيُوتِهِمْ[2]..

---

[1] [الحاكم، المستدرك على الصحيحين، كتاب التفسير، باب تفسير سورة الحشر (525/2) رقم الحديث (3797)]. قال عنه الحاكم: "هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه"، وقال عنه الذهبي في التلخيص: "على شرط البخاري ومسلم".

[2] [أبو داوود، سنن أبي داوود ، كتاب الخراج والإمارة والفيء/ باب في خبر بني النضير (156/3) رقم الحديث (3004)]، صحيح الإسناد.

خامساً: المعنى الإجمالي:

" بعد أن نقض اليهود عهد رسول الله ﷺ وظاهروا المشركين اتكالاً على مساعدة المنافقين لهم ومناعة حصونهم، تهيأ رسول الله ﷺ وسار لقتالهم، فلما علموا بقدومه حصنوا الأزقة فحاصرهم ﷺ عدة أيام وألقى الله الرعب في قلوبهم، فطلبوا الصلح فأبى إلا الجلاء وأخرجهم من حصونهم بعد تخريبها بأيديهم وأيدي المؤمنين، ولولا جلاؤهم لعذبهم في الدنيا بالقتل والأسر، ولهم في الآخرة عذاب شديد، وما كان ذلك إلا بإذن الله وتقديره للأمور وفق الحكمة والمصلحة"[1].

سادساً: تحقيق المقاصد والأهداف:

1- وقفات مع إجلاء بني النضير:

أ- السبب في إجلاء بني النضير، وفيه العموم أن مخالفة الله ومعاداة رسوله سبب للعذاب والهلاك.

لقد بيّن الله ﷻ أن السبب الذي أنزل العقاب ببني النضير وسينزل بهم عذاب الآخرة أنهم شاقوا الله تعالى ورسوله ﷺ وخالفوهما وعادوهما، وكل من يشاق الله تعالى كائناً من كان فله بسبب ذلك عقاب شديد[2]؛ يقول الله ﷻ :﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۖ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤﴾ ﴾.

"وجملة ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۖ ﴾ واسعة المدى والشمول وتدل على أنه كان من يهود بني النضير مواقف عديدة مؤذية ومزعجة تجاوزت مواقف الجدل والمناظرة في شؤون الدعوة بل وتجاوزت مواقف التشكيك والاستهتار والاستخفاف والطعن وأن محاولتهم اغتيال النبي ﷺ كانت السبب المباشر "[3].

وهذا المعنى هو ما سبق بيانه في سورة المجادلة من قول الله ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ كُبِتُوا۟ كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ وَقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ [المجادلة: 5] ؛ وقوله ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْأَذَلِّينَ ﴿٢٠﴾ ﴾ .

فكل من يشاق ويحاد الله ﷻ، ويخالف شرعه ويعصي رسوله ويعادي أولياءه له العذاب المهين في الدنيا والآخرة.

---

[1] المراغي، تفسير المراغي (ج 28/ 32).

[2] انظر: الألوسي، روح المعاني (ج14/ 237)؛ مجمع البحوث، التفسير الوسيط (ج10/ 1351).

[3] دروزة عزت، التفسير الحديث (ج7/ 307)

" وهكذا تستقر في القلوب حقيقة مصائر المشاقين لله في كل أرض وفي كل وقت. من خلال مصير الذين كفروا من أهل الكتاب، وما استحقوا به هذا"[1] .

ب-الحكمة من إجلاء بني النضير:

بعد أن غدر بنو النضير بالعهد، كان جزاؤهم في هذه الدنيا الإجلاء والخروج عن أوطانهم، وليس القتل والسبي كما كان الحال مع بني قريظة وغيرهم.

وإنما قدر الله لهم الجلاء دون التعذيب والقتل والإهلاك في الدنيا لمصلحة اقتضتها حكمته، ولعل من مظاهرها هي أن يأخذ المسلمون أرضهم وديارهم وأموالهم وحوائطهم دون أن تراق الدماء أو أن يعرض المسلمون أنفسهم للخطر، فتبقى قوة المسلمين لما يستقبل من الفتوح، فليس تقدير الجلاء لهم لقصد اللطف بهم وكرامتهم وإن كانوا قد آثروه على الحرب [2].

ت-التذكير بعظيم نعمة الله على المؤمنين أن يسر لهم إجلاء أعدائهم:

" قال ابن عباس في بيان قول الله ﷻ ﴿ مَا ظَنَنتُمۡ أَن يَخۡرُجُواْۖ ﴾: إن المسلمين ظنوا أنهم –أي بني النضير– لعزتهم وقوتهم لا يحتاجون إلى أن يخرجوا من ديارهم، وإنما ذكر الله تعالى ذلك تعظيما لهذه النعمة، فإن النعمة إذا وردت على المرء والظن بخلافه تكون أعظم، فالمسلمون ما ظنوا أنهم يصلون إلى مرادهم في خروج هؤلاء اليهود، فيتخلصون من ضرر مكايدهم، فلما تيسر لهم ذلك كان توقع هذه النعمة أعظم"[3].

وفى ذكر هذا تعظيم للنعمة، فإن النعمة إذا جاءت من حيث لا ترتقب كانت مكانتها في النفوس أعظم، وكانت بها أشد سروراً وابتهاجاً.

ث-عبرٌ وعظات من إجلاء بني النضير:

بعد أن بيّن الله ﷻ ما حدث لبني النضير من عذاب ونكالٍ، أمرنا أن نعتبر بما حدث، فقال سبحانه: ﴿ فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴾.

وفي هذا الأمر: "إلفات إلى هذا الحدث، وما فيه من دلالات على قدرة الله سبحانه، وعلى تدبيره المحكم الذي لا يغالب، وهذا ما لا يراه إلا أصحاب الأبصار النافذة إلى حقائق الأمور، وإلى مواقع العبرة والعظة منها"[4].

---

[1]سيد قطب، في ظلال القرآن (ج6/ 3522)

[2]انظر: الواحدي، التفسير الوسيط (ج14/ 286)؛ ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج28/ 73).

[3]الرازي، مفاتيح الغيب (ج29/ 502).

[4]عبد الكريم الخطيب، التفسير القرآني للقرآن (ج14/ 851).

"فيا ذوى البصائر السليمة، والعقول الراجحة، اتعظوا بما جرى لهؤلاء من أمور عظام، وبلاء ما كان يخطر لهم ببال، - بأسباب تحار في فهمها العقول-"[1]، واتقوا مباشرة ما أداهم إليه وابتعدوا عن الكفر والمعاصي التي أوقعتهم في هذه المهالك، فالسعيد من وعظ بغيره، ومن لم يعتبر بغيره اعتبر في نفسه[2].

ومن مواطن الاعتبار فيما حدث لبني النضير: كيف أن الله نصر المسلمين- مع قلّتهم- على الكافرين رغم كثرتهم[3]، "وأنهم اعتمدوا على حصونهم، وعلى قوتهم وشوكتهم، فأباد الله شوكتهم وأزال قوتهم"[4].

فليس لإنسان أن يعتمد على قوته أو سلطانه أو ماله أو علمه، فمن اعتمد على غير الله ذل وضل..

2- الأمور كلها بيد الله، وما النصر إلا من عند الله، والأرض لله يورثها لعباده الصالحين:

إن الآيات الكريمة وما ورد فيها من الأفعال تدل على أن الأمور كلها لله سبحانه وتعالى، فقد قصر- سبحانه- إخراجهم عليه فقال: ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَخۡرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمۡ ﴾ ، مع أن المسلمين قد اشتركوا في إخراجهم عن طريق محاصرتهم؛ للإشعار بأن السبب الحقيقي في إخراجهم من ديارهم، كان بأمر الله ﷻ بما قذفه في قلوبهم من الرعب، وما كان وقوع ذلك الرعب في قلوبهم إلا من الله[5]، حيث كان هذا الرعب إتياناً لهم من حيث لم يحتسبوا، فقد أتاهم الله من قلوبهم، من داخل أنفسهم، وهكذا حين يشاء الله أمراً؛ يأتي له من حيث يعلم ومن حيث يقدر، وهو يعلم كل شيء، وهو على كل شيء قدير[6].

فليست العبرة بالقوة والعتاد والحصون المنيعة! أو غيرها من أسباب القوة !

فها هم بنو النضير بحصونهم المنيعة وقوتهم العتيدة بحيث لم يخطر ببالهم أو يتوقعوا هزيمةً أو خيبة، ونسوا قوة الله التي لا تردها حصون !

فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا، أتاهم بجندٍ من جنده، ﴿ وَمَا يَعۡلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَۚ ﴾ [المدثر:31]؛ فقذف في قلوبهم الرعب.

---

(1) المراغي، تفسير المراغي (ج28/ 35).

(2)انظر: الألوسي، روح المعاني (ج14/ 235)؛ المراغي، تفسير المراغي (ج28/ 35).

(3) انظر: القشيري، لطائف الإشارات (ج3/ 557).

(4)الرازي، مفاتيح الغيب (ج29/ 503)

(5)انظر: الرازي، مفاتيح الغيب (ج29/ 503)؛ الطنطاوي، التفسير الوسيط (14ج/ 283)

(6)انظر: سيد قطب، ظلال القرآن (ج6/ 3521)

وفي الصحيح أن النبي ﷺ قال: "نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ "[1].

يقول القرطبي بعد سوقه هذا الحديث :" فكيف لا ينصر به مسيرة ميل من المدينة إلى محلة بني النضير "[2].

إن كل ما سبق من أحداث غزوة بني النضير ليقودنا إلى الحقيقة المتمثلة في قوله تعالى : ﴿وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ﴾ [آل عمران: 126].

فلا نصر إلا نصر الله ﷻ، ينصر من يشاء بقدرته وقوته سبحانه.

ولا يعني هذا الأمر أن يترك المؤمن الأخذ بالأسباب، وينتظر قدر رب الأرض والسماوات، بل إن المسلم مطالبٌ بالتقوى وحسن العمل والإعداد مع التوكل وحسن الظن بالله ﷻ.

" إن الأخذ بالأسباب التي تؤدي إلى التمكين أمر أرشدنا إليه القرآن الكريم، وحثنا على الأخذ بها سيد المرسلين – ﷺ–، وقد أمر الله تعالى بالإعداد الشامل فقالﷻ:

﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمۡ لَا تَعۡلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعۡلَمُهُمۡۚ﴾ [الأنفال: 60]"[3].

وإذا قام المسلمون بما أرشدهم إليه الإسلام من الأخذ بأسباب النصر على الوجه المبتغى شرعاً، فلينتظروا نصر الله وتحقيق الوعد بالتمكين لهم وغلبتهم على أعدائهم.

إنّ ما سبق يدعو المسلمين الموحدين إلى الاطمئنان إلى وعد اللهﷻ بنصره للمؤمنين، فالأرض لله يورثها لعباده الصالحين؛ ولا ينبغي أن يتسلل شك أو يأس أو وهن في نفس المسلم تجاه هذا مهما بدت الأحداث حالكة صعبة عصيبة!

حتى لو رأى المسلمون أنهم قلة مستضعفةٌ فلا يهنوا، ولو رأوا أن أعداءهم كثرة متمتعة بالقوة والتحصن والعدة والعتاد، فلا ينبغي أن يظنوا أن هذه القوة وهذا العتاد وهذه الحصون مانعةٌ لهم من عذاب الله العزيز الجبار.

حالنا اليوم –خاصة في فلسطين– مع شراذم اليهود أشبه بحال المسلمين مع بني النضير؛ فليس لنا أن ننسى الدرس والعبر التي كانت في جلاء بني النضير والتي أمرنا الله أن ننظر إليها ونعتبر بها!

---

[1][البخاري، صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير/ باب قول النبي نصرت بالرعب (54/4)]

[2] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج18/ 3)

[3]علي الصّلاّبي، تبصير المؤمنين بفقه النصر والتمكين في القرآن الكريم (ج248/1).

3- جواز القياس في الشريعة الإسلامية:

قال تعالى: ﴿ فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴾

"هذه الآية الكريمة تدل على الأمر بالاعتبار، وهو اعتبار النظير بنظيره، وقياس الشيء على مثله، والتفكر فيما تضمنته الأحكام من المعاني والحكم التي هي محل العقل والفكرة، وبذلك يزداد العقل، وتتنور البصيرة ويزداد الإيمان، ويحصل الفهم الحقيقي"[1].

"ولذلك اشتهر الاستدلال بها على مشروعية العمل بالقياس الشرعي، قالوا: إنه تعالى أمر فيها بالاعتبار وهو العبور والانتقال من الشيء إلى غيره، وذلك متحقق في القياس إذا فيه نقل الحكم من الأصل إلى الفرع" [2].

سابعاً: العبر والعظات المستفادة:

- لا قوة تنفع أمام قوة الله عز وجل.
- الاعتماد على الله وحسن التوكل عليه.

المبحث الثاني

المقاصد والأهداف لسورة الحشر من الآية (5-10)

المطلب الأول: أحكـــــام الفيء

قال تعالى:﴿ مَا قَطَعۡتُم مِّن لِّينَةٍ أَوۡ تَرَكۡتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذۡنِ ٱللَّهِ وَلِيُخۡزِيَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ۝٥ وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنۡهُمۡ فَمَآ أَوۡجَفۡتُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ خَيۡلٖ وَلَا رِكَابٖ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ۝٦ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ كَيۡ لَا يَكُونَ دُولَةَۢ بَيۡنَ ٱلۡأَغۡنِيَآءِ مِنكُمۡۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ۝٧ ﴾ [الحشر: 5-7]

أولاً: المفردات:

- قوله تعالى:﴿ لِّينَةٍ ﴾

ذكر الماوردي أن في معناها خمسة أقوال: "أحدها: النخلة من أي الأصناف كانت، قاله ابن حبان؛ الثاني: أنها كرام النخل، قاله سفيان؛ الثالث: أنها العجوة خاصة، قاله جعفر بن محمد

[1] السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص: 848).

[2] الألوسي، روح المعاني (ج14/235-236)

وذكر أن العتيق والعجوة كانا مع نوح في السفينة، والعتيق الفحل، وكانت العجوة أصل الإناث كلها ولذلك شق على اليهود قطعها؛ الرابع: أن اللينة الفسيلة لأنها ألين من النخلة؛ الخامس: أن اللينة جميع الأشجار للينها بالحياة"[1].

ويرجح الباحث أن يكون معنى اللينة الفسيلة؛ لأنها ألين من النخلة، ويرى أن معنى الآية ككل وحكمها ينطبق على جميع الأشجار.

- قوله تعالى:﴿ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ ﴾

"الفيء في اللغة له عدة معانٍ؛ فالفيء: الظلال، والرجوع، والغنيمة"[2].

وفي الشرع الفيء معناه: "اسم لما لم يوجف عليه المسلمون بخيل ولا ركاب، نحو الأموال المبعوثة بالرسالة إلى إمام المسلمين، والأموال المأخوذة على موادعة أهل الحرب"[3]، وفي تعريف آخر :" هو الراجع إلى المسلمين من مال الكفار بغير قتال"[4].

وعند ذكر الفيء يتبادر سريعاً إلى الأذهان ذكر الغنيمة، -وهي في الشرع:" ما أخذ بالقهر والقتال من الكفار-؛ لما بينهما من الصلة، والصلة بينهما: "أن اسم كل واحد منهما يقع على الآخر إذا أفرد بالذكر، فإذا جمع بينهما افترقا"[5].

- قوله تعالى:﴿ فَمَآ أَوۡجَفۡتُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ خَيۡلٖ وَلَا رِكَابٖ ﴾

الوجيف: "سرعة السير"[6]، " والخيل معروفة، والركاب: هي الإبل خاصة" [7].

والمراد من الآية الكريمة: " أنكم لم تبذلوا في تحصيله مشقة، ولم تقاسوا فيه شدة" [8].

قوله تعالى:﴿ دُولَةَۢ﴾

"دولة بالضم وبالفتح وقرئ بهما، وفيهما قولان: أحدهما: أنهما واحد ، قاله يونس، والأصمعي؛ الثاني: أن بينهما فرقاً، وفيه أربعة أوجه: أحدها: أنه بالفتح الظفر في الحرب، وبالضم الغنى عن فقر، قاله أبو عمرو ابن العلاء؛ الثاني: أنه بالفتح في الأيام، وبالضم في الأموال، قاله عبيدة.

---

(1) الماوردي، النكت والعيون (ج502/5).

(2) الرازي، مختار الصحاح (ج245/1)

(3) الكاساني، بدائع الصنائع(ج116/7).

(4) ابن قدامة، المغني (ج453/6).

(5) وزارة الأوقاف الكويتية، الموسوعة الفقهية الكويتية (ج453/6).

(6) الزحيلي، التفسير المنير (ج77/28).

(7) محمد الخطيب، التفسير الواضح (ج642/3).

(8) الزحيلي، التفسير المنير (ج77/28).

الثالث: أن بالفتح ما كان كالمستقر، وبالضم ما كان كالمستعار، حكاه ابن كامل؛ الرابع: أنه بالفتح الطعن في الحرب ، وبالضم أيام الملك وأيام السنين التي تتغير، قاله الفراء"[1].

ثانياً: اللطائف البيانيّة:

- قوله تعالى:﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ ﴾ "بينهما ما يسمى بالمقابلة"[2].

- " في استعمال كلمةالفيء إشارة إلى أن ما في أيدى الكافرين من أموال، هي في حقيقتها أموال المؤمنين، إذ كانوا هم أولى بها، وأعرف بحق الله والعباد فيها، فلما أخذها المؤمنون من أيدى الكافرين، أصبحت وكأنها فاءت، أي عادت إلى أهلها الذين هم أحق بها"[3]..

ثالثاً: سبب النزول:

- سبب نزول الآية (5)

- أخرج البخاري[4] ومسلم[5] عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: (حَرَّقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ نَخْلَ بَنِي النَّضِيرِ وَقَطَعَ، وَهِيَ البُوَيْرَةُ) فَنَزَلَتْ: ﴿ مَا قَطَعۡتُم مِّن لِّينَةٍ أَوۡ تَرَكۡتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذۡنِ ٱللَّهِ وَلِيُخۡزِيَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴾ [الحشر: 5]

- أخرج الترمذي[6]والنَّسَائِي[7] عن ابن عبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قال: "اسْتَنْزَلُوهُمْ مِنْ حُصُونِهِمْ، وَأُمِرُوا بِقِطْعِ النَّخْلِ فَحَكَّ فِي صُدُورِهِمْ» فَقَالَ الْمُسْلِمُونَ: «وَقَدْ قَطَعْنَا بَعْضًا، وَتَرَكْنَا بَعْضًا فَلَنَسْأَلَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، هَلْ لَنَا فِيمَا قَطَعْنَا مِنْ أَجْرٍ وَمَا عَلَيْنَا فِيمَا تَرَكْنَا مِنْ وِزْرٍ؟ فأنزل الله تعـــــالى: ﴿ مَا قَطَعۡتُم مِّن لِّينَةٍ أَوۡ تَرَكۡتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذۡنِ ٱللَّهِ وَلِيُخۡزِيَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴾.

---

[1] الماوردي، النكت والعيون (ج5/ 503-504).

[2]الزحيلي، التفسير المنير (ج28/ 76).

[3]عبد الكريم الخطيب، التفسير القرآني للقرآن (ج14/ 856)

[4] [البخاري، صحيح البخاري، كتاب المغازي/ باب حديث بني النضير (88/5)رقم الحديث(4031)]

[5] [مسلم، صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير/ باب جواز قطع أشجار الكفار وتحريقها (1365/3)رقم الحديث(1746)]

[6][الترمذي، سنن الترمذي، أبواب تفسير القرآن/ باب من سورة الحشر (262/5)رقم الحديث(3303)]

[7] [النسائي، السنن الكبرى ،كتاب السير/ باب تأويل قول الله "ما قطعتم من لينة" (21/8)رقم الحديث(8556)]

هكذا جاء في سبب نزول هذه الآية الكريمة عند المفسرين، فبعضهم ذكر الحديثين[1] أو أحدهما[2] أو ما كان في معناهما[3]؛ وكلاهما واضح الدلالة على سبب نزول الآية الكريمة بيد أن حديث ابن عباس –رضي الله عنهما– أصرح وأكثر تفصيلاً، وحديث ابن عمر مجمل ليس فيه تفصيل ولا يتضمن حدثاً أو إشكالاً لتجيب عليه الآية، بخلاف حديث ابن عبَّاسٍ لأن فيه أن القطع قد حكَّ في صدورهم ثم سألوا النبي – ﷺ– ثم أنزل الله تعالى الآية[4]؛ ويزيد البغوي في بيان وتفصيل هذه الحادثة فيقول: "وذلك أن رسول الله – ﷺ– لما نزل ببني النضير وتحصنوا بحصونهم أمر بقطع نخيلهم وإحراقها فجزع أعداء الله عند ذلك وقالوا: يا محمد زعمت أنك تريد الصلاح أفمن الصلاح عقر الشجرة وقطع النخيل؟ فهل وجدت فيما زعمت أنه أنزل عليك الفساد في الأرض، فوجد المسلمون في أنفسهم من قولهم وخشوا أن يكون ذلك فساداً، واختلفوا في ذلك فقال بعضهم: لا تقطعوا فإنه مما أفاء الله علينا، وقال بعضهم: بل نغيظهم بقطعها فأنزل الله هذه الآية بتصديق من نهى عن قطعه، وتحليل من قطعه من الإثم"[5].

رابعاً: المعنى الإجمالي:

لا زالت الآيات الكريمة في سياق غزوة بني النضير وما حدث فيها، وهنا تأتي الآية بشأن ما حدث من قبل المؤمنين من قطع وحرق لأشجار بني النضير وما أوقع في نفوسهم من ضيقٍ، فيخاطب الله المؤمنين لتطمئن نفوسهم وتهدأ بألاّ إثم عليهم في القطع أو الترك، وأن ما حدث كان بأمر الله ﷻ، ليكون ذلك خزياً وحسرة للكافرين.

ثم يبين الله حكم أموال بني النضير بأن جعلها لنبيه الكريم ﷺ خاصة، يضعها كيف يشاء، إذ إن هذه الأموال لم يصل لها المؤمنون بقتال ولم يقاسوا فيها شدة، فليس لهم فيها حق، ولا ينبغي أن يسألوا رسول الله ﷺ عن قسمتها، بل عليهم أن يرضوا ويقبلوا بما آتاهم رسول الله، بل على المؤمنين جميعاً أن يأخذوا بما يأمر به الرسول في كل شأن، وأن يجتنبوا ما ينهاهم عنه.

ثم بين الله سبحانه حكم الفيء بشكل عام وأصنافه المستحقة كرسول الله ﷺ وأقاربه، واليتامى والمساكين وابن السبيل، حتى لا يكون المال متداولاً ما بين الأغنياء فحسب، وفي هذا رحمة من الله وفضل..

---

(1) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج8/ 91)

(2) انظر: الطبري، جامع البيان (ج23/ 272)؛ البغوي، معالم التنزيل (ج5/ 54)؛ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج18/ 6).

(3) انظر: ابن عطية، المحرر الوجيز (ج5/ 285)؛ ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج28/ 75).

(4) انظر: خالد المزيني، المحرر في أسباب النزول من خلال الكتب التسعة(ج979/2).

(5) البغوي، معالم التنزيل (ج5/ 54).

خامساً: تحقيق المقاصد والأهداف:

1- أحكام الفيء :

أ- تقسيم الفيء :

مسألة الفيء من المسائل التي اختلف فيها العلماء بناءً على اختلافهم في تفسير الآيات التي وردت في تصنيف وتقسيم الأموال التي ينالها المسلمون من الكفار..

وفي السورة التي بين أيدينا "سورة الحشر" قد تكلم العلماء في الآيتين الواردتين في الفيء والصلة بينهما: هل معناهما واحد أو مختلف، والصلة بينهما وبين آية [الأنفال: 41] ﴿ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ﴾.

قال ابن العربي عن هذا الاختلاف: "فيها مسألتان: المسألة الأولى لا خلاف أن الآية الأولى لرسول الله - ﷺ- خاصة، وهذه الآية اختلف الناس فيها على أربعة أقوال: الأول أنها هذه القرى التي قوتلت، فأفاء الله بمالها؛ فهي لله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل؛ قاله عكرمة وغيره، ثم نسخ ذلك في سورة الأنفال.

الثاني هو ما غنمتم بصلح من غير إيجاف خيل ولا ركاب، فيكون لمن سمى الله فيه، والأولى للنبي - ﷺ- خاصة، إذا أخذ منه حاجته كان الباقي في مصالح المسلمين.

الثالث: ..الأولى للنبي - ﷺ- والثانية في الجزية والخراج للأصناف المذكورة فيه، والثالثة الغنيمة في سورة الأنفال للغانمين.

الرابع: روى ابن القاسم وابن وهب في قوله تعالى: ﴿ فَمَآ أَوۡجَفۡتُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ خَيۡلٖ وَلَا رِكَابٖ ﴾ [الحشر: 6] هي النضير، لم يكن فيها خمس، ولم يوجف عليها بخيل ولا ركاب، كانت صافية لرسول الله - ﷺ- فقسمها بين المهاجرين وثلاثة من الأنصار: أبي دجانة سماك بن خرشة، وسهل بن حنيف، والحارث بن الصمة. وقوله تعالى: ﴿ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰ ﴾ [الحشر: 7] هي قريظة وكانت قريظة والخندق في يوم واحد"[1].

وبناءً على الأقوال السابقة اختلف العلماء في كيفية تقسيم أموال الفيء، والذي يراه الباحث أنه أيما كانت نظرة العلماء إلى هذا التقسيم واختلافهم فيه، فإنّ ثمة نقطة تلاقٍ وقدر مشترك من الاتفاق من حيث كون هذه الأموال إنما تقسم وفق نظامٍ عادلٍ يراعي أصناف المجتمع الإسلامي كافة، ولا مجال وفق هذا النظام لأن تهمش فئة فتبقى رهينة العوز والحاجة دون أن

---

(1) ابن العربي، أحكام القرآن (ج4/213).

ينظر إليها من الدولة بعين الرحمة والعون، كما أنه لا ينسى لصاحب الجهد جهده وجهاده فيثنى عليه بما يليق به مما تحصل عليه من أموال الغنائم..

بل وإن النظرة أعم من ذلك فلا تقف عند حدود الأشخاص، بل تراعى مصالح الدولة العامة!

ب- حكم قطع أشجار العدو وتحريقها:

"واستدل بالآية على جواز هدم ديار الكفرة وقطع أشجارهم وإحراق زروعهم زيادة لغيظهم، وحاصل ما ذكره الفقهاء في المسألة أنه إن علم بقاء ذلك في أيدي الكفرة فالتخريب والتحريق أولى، وإلا فالإبقاء أولى ما لم يتضمن ذلك مصلحة" [1].

كل شيء بأمر الله:

في قوله تعالى: ﴿ مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ إشارة إلى أن كل شيء بقضاء الله وقدره، فأيما شيء قطعه المسلمون من النخل أو أبقوه كان بأمر الله ﷻ؛ لحكمة بالغة ومصلحة عظيمة للمسلمين[2].

2- الدعوة إلى الصبر على الفقر والعوز وتجنب عن مسألة الناس:

إن المتأمّل في القرآن الكريم عند الحديث عن الصدقات والكفارات والأموال، والأصناف المستحقة لها ليرى أن بعضاً من الآيات الكريمة خصّت المسكين دون الفقير بنصيبٍ من هذه الأموال.

فلقد خصت حكمة التنزيل المسكين دون الفقير بنصيب من خمس غنائم الحرب ومن الفيء وهما موردان جعل للدولة حق استيفائهما وتوزيعهما على ما جاء في آية سورة الأنفال هذه: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ ﴾ [الأنفال: 41] ، وآية سورة الحشر هذه: ﴿ مَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ ﴾[الحشر: 7] ، وخصت المسكين بخاصة بطعام الكفارات كما جاء في آية سورة المائدة هذه:

﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الْأَيْمَانَ ۖ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ ...﴾ [المائدة: 89].

---

[1] الألوسي، روح المعاني (ج14/ 238)

[2]انظر: المراغي، تفسير المراغي (ج28/ 36)

وآيات سورة المجادلة: ﴿وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمۡ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُواْ فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مِّن قَبۡلِ أَن يَتَمَآسَّاۚ ذَٰلِكُمۡ تُوعَظُونَ بِهِۦۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ٣ فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ شَهۡرَيۡنِ مُتَتَابِعَيۡنِ مِن قَبۡلِ أَن يَتَمَآسَّاۖ فَمَن لَّمۡ يَسۡتَطِعۡ فَإِطۡعَامُ سِتِّينَ مِسۡكِينٗاۚ ذَٰلِكَ لِتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۚ وَتِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِۗ وَلِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [المجادلة: 3- 4].

ولقد روى الشيخان عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: (السَّاعِي عَلَى الأَرْمَلَةِ وَالمِسْكِينِ، كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ – وَأَحْسِبُهُ قَالَ – وَكَالْقَائِمِ لَا يَفْتُرُ، وَكَالصَّائِمِ لَا يُفْطِرُ)[1].

وبعد هذا التأمل: يتبادر إلى الأذهان تساءلٌ مُلحّ: ما الحكمة في اختصاص المسكين دون الفقير بما سبق؟ ويجاب عن هذا التساؤل بالرجوع إلى معنى المسكين ووصفه، والذي ورد في الحديث النبوي الشريف: (لَيْسَ المِسْكِينُ الَّذِي يَطُوفُ عَلَى النَّاسِ تَرُدُّهُ اللُّقْمَةُ وَاللُّقْمَتَانِ، وَالتَّمْرَةُ وَالتَّمْرَتَانِ، وَلَكِنِ المِسْكِينُ الَّذِي لاَ يَجِدُ غِنًى يُغْنِيهِ، وَلاَ يُفْطَنُ بِهِ، فَيُتَصَدَّقُ عَلَيْهِ وَلاَ يَقُومُ فَيَسْأَلُ النَّاسَ)[2]؛ وفي حديث آخر: (إِنَّمَا المِسْكِينُ الَّذِي يَتَعَفَّفُ) [3].

حيث يظهر في هذا الوصف جانب من حكمة الله تعالى في ما ورد في القرآن من حضّ على البرّ بالمسكين وإطعامه والتنديد بمن لا يفعلون ذلك؛ لأنه يصبر على العوز والحرمان ولا يسأل الناس[4]؛ وفي هذا ما فيه من مغزى جليل من الدعوة إلى الصبر على الحرمان وتجنب مسألة الناس وذلها.

ففي صحيح مسلم عَنْ حَمْزَةَ بْنِ عَبْدِ اللهِ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ: (لَا تَزَالُ الْمَسْأَلَةُ بِأَحَدِكُمْ حَتَّى يَلْقَى اللهَ، وَلَيْسَ فِي وَجْهِهِ مُزْعَةُ لَحْمٍ) [5].

---

[1][البخاري، صحيح البخاري، كتاب الأدب/ باب الساعي على المسكين(9/8)رقم الحديث(6007)]؛ [مسلم ، صحيح مسلم ، كتاب الرقاق/ باب فضل الساعي على الأرملة والمسكين (221/8)رقم الحديث(7577)].

[2][البخاري، صحيح البخاري ، كتاب الزكاة/ باب قول الله" لا يسألون الناس إلحافا" (125/2)رقم الحديث(1479)]؛ [مسلم، صحيح مسلم، كتاب الزكاة/ باب المسكين الذي لا يجد غنى (719/2)رقم الحديث(1039)].

[3][البخاري، صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن/ باب قول الله" لا يسألون الناس إلحافا" (23/6)رقم الحديث (4539)].

[4]انظر: دروزة عزت، التفسير الحديث (ج1/ 479)

[5] [مسلم، صحيح مسلم، كتاب الزكاة/ باب كراهة المسألة للناس (720/2)رقم الحديث(1040)].

3- تسلية للمؤمنين، وإغاظة وخزي للكافرين:

قوله تعالى: ﴿ **مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِىَ ٱلْفَٰسِقِينَ ۝٥** ﴾

جاءت هذه الآية الكريمة لتسلي نفوس المؤمنين، وتذهب عنهم ما أحزنهم وما حاك في صدورهم من ندمٍ وألمٍ وحيرة!

إذ إن الأمر كله لله سبحانه، فما كان قطع النخل والأشجار أو تركها قائمة إلا بأمره سبحانه؛ وقد أقرّت الآية كلا الفعلين، وبهذا تستقر قلوب المؤمنين المتحرجة، وتشفى مما حاك فيها وتطمئن إلى أن الله هو الذي أراد وفعل سبحانه.

ثم لترضى نفوسهم رضاءً تاماً بهذا القضاء: بيّن الله ﷻ لهم وجه الحكمة والمصلحة في قوله تعالى : ﴿ **وَلِيُخْزِىَ ٱلْفَٰسِقِينَ** ﴾؛ ليعلم المؤمنون أن فعلهم في كل حالاته جاء خزياً ونكالاً وإذلالاً وحسرة وإغاظة للفاسقين الكافرين حين يرون مالهم يؤول لغيرهم، ويتحكم به المسلمون ويتصرفون كيفما شاؤوا[1].

حيث إن من قطع يكون قد فعل ما يغيظ العدو ويذله، ويحمله على الاستسلام والخضوع للمسلمين؛ ومن ترك يكون قد فعل ما يعود بالخير عليهم، لأن تلك النخيل الباقية، منفعتها ستئول إليهم –أي للمسلمين–[2]

"وهاتان الحسرتان تتحققان كيفما كانت المقطوعة والمتروكة، خاصة وأن النخل مطلقاً مما يعز على أصحابه فلا تكاد تسمح أنفسهم بتصرف أعدائهم فيه حسبما شاؤوا؛ وعزته على صاحبه الغارس له أعظم من عزته على صاحبه غير الغارس له، وكذا نُقل عن بعض الغارسين قولهم: "السعفة عندي كأصبع من أصابع يدي"[3].

4- سنة الله أن يسلط رسله على من يشاء :

قوله تعالى: ﴿ **وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ** ﴾ "أي أن هذا النصر الذي وضعه الله بين أيديكم، هو من عند الله، لم تعملوا له بخيل ولا إبل، ولم تنالوه بقوة السلاح، ولكنه أتاكم بتأييد من الله سبحانه لرسوله، وتمكين لكم من السلطان والغلب على من يشاء من عباده.. فهكذا يؤيد الله سبحانه وتعالى رسله، وينصرهم، ويجعل لهم سلطاناً على الناس بما يضع فى

---

(1)انظر: طنطاوي، التفسير الوسيط (ج14/ 288).

(2)انظر: المرجع السابق (ج14/ 288).

(3)عبد الكريم الخطيب، التفسير القرآني للقرآن (ج14/ 857).

أيديهم من معجزات، وبما يمدهم به من جنود لا يعلمها إلا هو، تحارب معهم، وتلقى الرعب فى قلوب أعدائهم"[1]..

"وهذه سنة الله الجارية منذ الأَزل على أَن يسلط رسله على من يشاءُ من أَعدائهم يقذف الرعب في قلوبهم"[2].

5- النظام الاقتصادي الإسلامي فيه العدل والرحمة:

بيّنت الآيات الكريمة الأحكام المتعلقة بالفيء وبيّنت الحكمة من تشريعها، ثم عللت هذه القسمة فوضعت قاعدة كبرى من قواعد التنظيم الاقتصادي والاجتماعي في المجتمع الإسلامي في قوله ﷻ: ﴿ كَيۡ لَا يَكُونَ دُولَةَۢ بَيۡنَ ٱلۡأَغۡنِيَآءِ مِنكُمۡۚ ﴾ أي كي لا يكون هذا المال متداولاً بين الأغنياء دون الفقراء، ينتقل من يد من يملكون إلى يد من يملكون، دون أن يكون لأصحاب الحاجة والفاقة منه نصيب؛ فلا ينبغي للمال أن يكون دولة بين الأغنياء، ولا أن يكون كدولة الجاهلية إذ كان الرؤساء فيها وقواد الجيش يستأثرون بجل الغنائم وبكل غال ونفيس منها[3]؛ كما قال أحد الشعراء لأحد الرؤساء أو القادة:

لك المرباع منها والصفايا ... وحكمك والنّشيطة والفضول[4]..

فقد أبطل الإسلام كل ذلك، حيث جعل مصارف الفيء، تعود إلى المسلمين جميعاً، بطريقة عادلة، بينها- سبحانه- في هذه الآية وفي غيرها؛ فإن العدل والرحمة يقتضيان أن يُنظر في الدولة لأصحاب الحاجة، وأن تمد لهم يد العون [5]..

"وهذا يقودنا إلى أن الآية تنطوي فيما يتبادر لنا -والله أعلم- على معنى جليل بعيد المدى، وهو أنه لا ينبغي أن تكون الثروة محصورة التداول في أيدي فئة قليلة من الناس، وإن من حقّ

---

[1] عبد الكريم الخطيب، التفسير القرآني للقرآن (ج14/ 857).

[2] مجمع البحوث، التفسير الوسيط (ج10/ 1354)

[3] انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج28/ 84)؛ الجزائري: أيسر التفاسير (ج5/ 306)؛ طنطاوي، التفسير الوسيط (ج14/ 294)؛ مجمع البحوث، التفسير الوسيط (ج10/ 1356)؛ عبد الكريم الخطيب، التفسير القرآني للقرآن (ج14/ 858) .

[4] ***أي**: لك- أيها القائد وحدك- من الغنيمة ربعها، والصفايا أى: والنفيس منها، ولك- أيضا ما تحكم به على العدو، ولك النشيطة، وهي ما يصيبه الجيش من العدو قبل الحرب، ولك- كذلك- الفضول، أى: ما يبقى بعد قسمة الغنائم.

[5] انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج28/ 84)؛ الجزائري، أيسر التفاسير (ج5/ 306)؛ طنطاوي، التفسير الوسيط (ج14/ 294)؛ مجمع البحوث، التفسير الوسيط (ج10/ 1356)؛ عبد الكريم الخطيب، التفسير القرآني للقرآن (ج14/ 858) .

السلطان الإسلامي أن يتخذ من التدابير ما يكفل توزيعها بين أكبر فئة منهم ولو بطريق تخصيص الفقراء ببعض موارد الثروة دون الأغنياء استئناساً بالآية التي فيها هذه الجملة حيث شاءت حكمة الله أن تخصص مورد الفيء جميعه لمصالح المسلمين العامة وفئاتهم المحتاجة دون الأغنياء"[1].

ولقد أثر عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: "لو استقبلت من أمري ما استدبرت لأخذت فضول أموال الأغنياء فقسمتها على فقراء المهاجرين"[2]..

ولا يعني ذلك أن الآية توافق دعاة المذاهب الاقتصادية الفاسدة، الذين يجوزون للدولة أن تستولي على مصادر الإنتاج ورؤوس الأموال، لتعطيها أو تشرك فيها الفقراء، وما يسمونهم طبقة العمال[3]؛ فالملكية الفردية معترف بها في الإسلام ولكنها محددة بقاعدة ألا يكون المال دولة بين الأغنياء، ممنوعاً من التداول بين الفقراء. فكل وضع ينتهي إلى أن يكون المال دولة بين الأغنياء وحدهم هو وضع يخالف النظرية الاقتصادية الإسلامية كما يخالف هدفاً من أهداف التنظيم الاجتماعي كله[4].

ثم إنه شتان بين هذا الأصل في التشريع، وهذا الفرع في التضليل؛ إذ إن مال الغنيمة ليس ملكاً لشخص، وإنما هو مال عام في مصدره لم يأتِ نتيجة كدح الفرد أو كسب شخص معين، وعام في مصرفه حيث يصرف في عموم مصالح الأمة، لمرافق المسلمين العامة، والإنفاق على المجاهدين، وتأمين الغزاة في الحدود والثغور، وغيرها[5].

6- وجوب طاعة النبي ﷺ:

قوله تعالى: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ ﴾هو إلفات للمؤمنين إلى ما ينبغي لهم من ولاء وطاعة للرسول، وتقبّل ورضى، بكل ما يقضي به النبي في المؤمنين، خاصة وهم في مواجهة هذه الفتنة المطلة عليهم من المال الذي وضعه الله في يد الرسول.. فهناك كثير من الأعين ترنو إلى هذا المال، وكثير من القلوب تتلفت إليه، وإنه لن يعصم المسلم- من هذه الفتنة، إلا الإيمان الوثيق، والرضا المطلق، بكل ما يقضى به الرسول: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ ﴾

---

[1]دروزة عزت، التفسير الحديث (ج7/ 313)

[2] [ابن زنجويه، الأموال، كتاب الصدقة وأحكامها وسننها/ باب ما يجب على صدقة المال من الحقوق (789/2) رقم الحديث (1364)].

[3]انظر: الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن(ج32/8) .

[4]انظر: سيد قطب، في ظلال القرآن (ج6/ 3524).

[5] انظر: الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (ج32/8) .

فهذا هو حقّ الرسول على المؤمنين: الامتثال والطاعة من غير مراجعة، ولا توقف، أو ريبة..

وقوله تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴾ .. "وعيد لمن تحدثه نفسه من المؤمنين بالخروج عن أمر الرسول، أو الضّيق به، فإن ذلك معناه الكفر، والانسلاخ من الإيمان.. وليس للكافرين إلا النار، هي حسبهم، وبئس المصير"[1]**..**

فالآيات الكريمة كما وضعت قاعدة كبرى من قواعد التنظيم الاقتصادي والاجتماعي في المجتمع الإسلامي فإنها تضع قاعدة كبرى في التشريع الدستوري للمجتمع الإسلامي: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ ﴾ ..

"ولو أن هاتين القاعدتين جاءتا بمناسبة هذا الفيء وتوزيعه، إلا أنهما تتجاوزان هذا الحادث الواقع إلى آماد كثيرة في أسس النظام الاجتماعي الإسلامي"[2].

قال المهدوي: "قوله تعالى: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ ﴾هذا يوجب أن كل ما أمر به النبي ﷺ أمر من الله تعالى، والآية وإن كانت في الغنائم فجميع أوامره ﷺ ونواهيه دخل فيها"[3].

وقد أكد هذا المعنى في آياتٍ كثيرة في القرآن الكريم منها قول الله ﷻ : ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا ﴾ [النساء: 80] [4].

وهذه الآيات تتضمن إيذانا من الله عزّ وجلّ بعصمة النبي ﷺ فيما يأمر به وينهى عنه ، ولذا كانت طاعته طاعة لله، فوجب الأخذ بما أمر به النبي ﷺ، والبعد عما نهى عنه.

وهناك أحاديث نبوية رواها أصحاب الصحاح في دعم ذلك وتوضيحه؛ من ذلك حديث رواه الشيخان عن أبي هريرة عن النبي ﷺ : (مَا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ، فَاجْتَنِبُوهُ وَمَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ فَافْعَلُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ، فَإِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَثْرَةُ مَسَائِلِهِمْ، وَاخْتِلَافُهُمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ)[5] .

---

[1]عبد الكريم الخطيب، التفسير القرآني للقرآن (ج14/ 858– 859).

[2]سيد قطب، في ظلال القرآن (ج6/ 3524)

[3] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج18/ 17)

[4]انظر: دروزة عزت، التفسير الحديث (ج7/ 311)

[5][البخاري، صحيح البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة/ باب الاقتداء بسنن النبي (49/9)رقم الحديث (7288)]، [مسلم، صحيح مسلم، كتاب الفضائل/ باب توقير النبي (1830/4)رقم الحديث(1337)] واللفظ لمسلم.

سادساً: العبر والعظات المستفادة:

1- " عفو الله تعالى على المجتهد إذا أخطأ وعدم مؤاخذته، فقد اجتهد المؤمنون في قطع نخل بني النضير من أجل إغاظتهم حتى ينزلوا من حصونهم. وأخطأوا في ذلك إذ قطع النخل المثمر فساد، ولكن الله تعالى لم يؤاخذهم لأنهم مجتهدون"[1].

2- " وجوب طاعة رسول الله ﷺ وتطبيق أحكامه والاستنان بسنته المؤكدة وحرمة مخالفته فيما نهى عنه أمته"[2] .

المطلب الثاني: بيان فضل المهاجرين والأنصار ومن تبعهم بإحسان.

قال تعالى:﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾ [الحشر: 8-10]

أولاً: المفردات:

- قوله تعالى:﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾

"وبوأتهُ منزلاً، إذا أسكنتهُ إياه"[3]؛ والدار يعني:" دار الهجرة، وهي المدينة ﴿وَالْإِيمانَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ فيها تقديم وتأخير، تقديره: والذين تبوءوا الدار من قبلهم، أي: من قبل المهاجرين، والإيمان عطف على «الدار» في الظاهر، لا في المعنى، لأن «الإيمان» ليس بمكان يُتَبَوَّأ، وإنما تقديره: وآثروا الإيمان، وإسلام المهاجرين قبل الأنصار، وسكنى الأنصار المدينة قبل المهاجرين. وقيل: الكلام على ظاهره، والمعنى: تبوّءوا الدار والإيمان قبل الهجرة "[4].

- قوله تعالى:﴿ حَاجَةً ﴾

---

[1] الجزائري، أيسر التفاسير (ج5/ 303)

[2] المرجع السابق (ج5/ 307)

[3] ابن فارس، مجمل اللغة (ص: 138).

[4] أبو الفرج الجوزي، زاد المسير في علم التفسير (ج4/ 258).

أي "حسداً ولا غيظاً"[1].

- قوله تعالى:﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ﴾

الإيثار:" هو تقديم الغير على النفس وحظوظها الدنيوية، ورغبة في الحظوظ الدينية. وذلك ينشأ عن قوة اليقين، وتوكيد المحبة، والصبر على المشقة. يقال: آثرته بكذا، أي خصصته به وفضلته" [2].

- قوله تعالى:﴿ خَصَاصَةٌ﴾

أي: "فاقة وحاجة "[3].

- قوله تعالى:﴿ شُحَّ ﴾

قال الماوردي في معنى الشح: " فيه ثمانية أقاويل: أحدها: أن هذا الشح هو أن يشح بما في أيدي الناس يحب أن يكون له ولا يقنع ، قاله ابن جريج وطاووس؛ الثاني: أنه منع الزكاة، قاله ابن جبير؛ الثالث: يعني هوى نفسه، قاله ابن عباس؛ الرابع: أنه اكتساب الحرام، روى الأسود عن ابن مسعود أن رجلاً أتاه فقال: إني أخاف أن أكون قد هلكت ، قال وما ذاك؟ قال سمعت الله عز وجل يقول: ﴿ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ وأنا رجل شحيح لا أكاد أخرج من يدي شيئاً فقال ابن مسعود: ليس ذلك بالشح الذي ذكره الله تعالى في القرآن، إنما الشح الذي ذكره الله في القرآن أن تأكل مال أخيك ظلماً ولكن ذلك البخل ، وبئس الشيء البخل. الخامس: أنه الإمساك عن النفقة، قاله عطاء؛ السادس: أنه الظلم، قاله ابن عيينة؛ السابع: أنه أراد العمل بمعاصي الله ، قاله الحسن. الثامن: أنه أراد ترك الفرائض وانتهاك المحارم ، قاله الليث.

وفي الشح والبخل قولان: أحدهما: أن معناهما واحد. الثاني: أنهما يفترقان وفي الفرق بينهما وجهان: أحدهما: أن الشح أخذ المال بغير حق ، والبخل أن يمنع من المال المستحق ، قاله ابن مسعود. الثاني: أن الشح بما في يدي غيره ، والبخل بما في يديه[4].

- قوله تعالى:﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ ﴾

---

[1] الجزائري، أيسر التفاسير (ج5/308).

[2] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج18/26)

[3] البغوي، معالم التنزيل (ج5/58)

[4] الماوردي، النكت والعيون (ج5/ 507)

"عند الأكثرين المراد بهؤلاء: الذين هاجروا حين قوي الإسلام، فالمجيء حسي وهو مجيئهم إلى المدينة، وضمير ﴿ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ ﴾ للمهاجرين الأولين.

وقيل: هم المؤمنون بعد الفريقين إلى يوم القيامة، فالمجيء إما إلى الوجود أو إلى الإيمان، وضمير ﴿ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ ﴾ للفريقين المهاجرين والأنصار، وهذا هو الذي يدل عليه كلام كثير من السلف، فالآية قد استوعبت جميع المؤمنين"[1].

– قوله تعالى:﴿ غِلّٗا ﴾

"أي حقداً أي انطواء على العداوة والبغضاء"[2].

ثانياً: اللطائف البيانيّة:

– قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ ﴾ "استعارة، حيث: شبّه الإيمان المستقر في نفوسهم بمنزل للإنسان نزل فيه وتمكن منه"[3].

ثالثاً: سبب النزول:

أخرج البخاري ومسلم[4] عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ، فَبَعَثَ إِلَى نِسَائِهِ فَقُلْنَ: مَا مَعَنَا إِلَّا المَاءُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (مَنْ يَضُمُّ أَوْ يُضِيفُ هَذَا)، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ: أَنَا، فَانْطَلَقَ بِهِ إِلَى امْرَأَتِهِ، فَقَالَ: " أَكْرِمِي ضَيْفَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَتْ: مَا عِنْدَنَا إِلَّا قُوتُ صِبْيَانِي، فَقَالَ: هَيِّئِي طَعَامَكِ، وَأَصْبِحِي سِرَاجَكِ، وَنَوِّمِي صِبْيَانَكِ إِذَا أَرَادُوا عَشَاءً، فَهَيَّأَتْ طَعَامَهَا، وَأَصْبَحَتْ سِرَاجَهَا، وَنَوَّمَتْ صِبْيَانَهَا، ثُمَّ قَامَتْ كَأَنَّهَا تُصْلِحُ سِرَاجَهَا فَأَطْفَأَتْهُ، فَجَعَلاَ يُرِيَانِهِ أَنَّهُمَا يَأْكُلاَنِ، فَبَاتَا طَاوِيَيْنِ"، فَلَمَّا أَصْبَحَ غَدَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: (ضَحِكَ اللَّهُ اللَّيْلَةَ، أَوْ عَجِبَ، مِنْ فَعَالِكُمَا) فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ: ﴿ وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾ [الحشر: 9].

---

[1] الألوسي، روح المعاني (ج14/ 248)

[2] الجزائري، أيسر التفاسير (ج5/ 308)

[3] الزحيلي، التفسير المنير (ج28/ 76)

[4] [البخاري، صحيح البخاري، كتاب مناقب الأنصار/ باب قول الله "ويؤثرون على أنفسهم" (ج5/34)رقم الحديث(3798)]، [مسلم، صحيح مسلم، كتاب الأشربة/ باب إكرام الضيف وفضل إيثاره (ج3/1624)رقم الحديث(2054)] واللفظ للبخاري.

"هذا ما ذكره المفسرون في سبب نزول الآية الكريمة، ومع هذا يقال: إن قصة الأنصاري وإن كانت سبب النزول، إلا أن الآية بعمومها تتناول الأنصار كيف لا والآية تتحدث عنهم – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ –"[1].

رابعاً: المعنى الإجمالي:

يثني الله ﷻ في هذه الآيات الكريمة على المؤمنين، حيث يثني على المهاجرين الذين فارقوا أموالهم وعشيرتهم من أجل إعلاء كلمة الله وابتغاء مرضاته؛ ثم مدح الله ﷻ الأنصار الذين سكنوا المدينة وأخلصوا إيمانهم وأحبوا المهاجرين وآثروهم على أنفسهم حتى ولو كانوا في حاجة ماسة فكان ذلك سبب فلاحهم، فإن من يوق –بتوفيق الله وفضله– شح نفسه فيترك الشح والبخل والحرص على الإمساك يفلح ويفز برضا الله[2].

ثم يثني الله ﷻ على الذين جاؤوا من بعد المهاجرين والأنصار، واتبعوهم بإحسان إلى يوم القيامة، يقولون على سبيل الدعاء لأنفسهم ولإخوانهم في العقيدة: ربنا اغفر لنا ولإخواننا ولا تجعل في قلوبنا أي حقد أو حسد، ربنا إنك شديد الرأفة بعبادك واسع الرحمة بهم[3]..

خامساً: تحقيق المقاصد والأهداف:

1– بيان منازل المسلمين ومراتبهم:

روي عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: "الناس على ثلاث منازل فمضت منهم اثنتان وبقيت واحدة، فأحسن ما أنتم كائنون عليه أن تكونوا بهذه المنزلة التي بقيت، ثم قرأ ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ ﴾ [الحشر: 8] الآية، ثم قال: هؤلاء المهاجرون وهذه منزلة وقد مضت، ثم قرأ ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾الآية، ثم قال: هؤلاء الأنصار وهذه منزلة وقد مضت، ثم قرأ ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ﴾ الْآيَةَ؛ قال: فقد مضت هاتان المنزلتان وبقيت هذه المنزلة فأحسن ما أنتم كائنون عليه أن تكونوا بهذه المنزلة التي بقيت [4].

---

[1]خالد المزيني، المحرر في أسباب النزول من خلال الكتب التسعة (ج984/2).

[2]انظر: الطنطاوي، التفسير الوسيط (ج296/14–300).

[3]انظر: المرجع السابق (ج296/14–300).

[4] [الحاكم، المستدرك على الصحيحين، كتاب التفسير/ باب تفسير سورة الحشر (526/2) رقم الحديث (3800)]، وقال عنه: "هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه" ، وقال عنه الذهبي في التلخيص: "صحيح".

ومثله قال ابن أبي ليلى: "الناس ثلاثة منازل: المهاجرون، والذين تبوءوا الدار والإيمان، والذين جاءوا من بعدهم، فاجهد ألا تخرج من هذه المنازل"[1].

"وعلى ذلك تكون الآيات الكريمة قد استوعبت جميع المؤمنين؛ لأنهم إما المهاجرون أو الأنصار أو الذين جاءوا من بعدهم"[2].

2- بيان فضل المسلمين بكافة منازلهم.

إن الكثير من الآيات الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة بينت فضل الصحابة الكرام، وشهدت بأفضليتهم؛ وكذلك فضل من سار على نهجهم واتبعهم بإحسانٍ إلى يوم القيامة؛ كما في هذه الآيات الكريمة، وَكذلك قول الله تَعَالَى: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴾[التوبة: 100].

"ووصف الفئات الثلاث المخلصة في حدّ ذاته وصف قوي محبب وجدير بالتأمل والإجلال، ويدل على ما كان من قوة إخلاص السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان لدين الله ورسوله وتحمّلهم معظم التضحيات في سبيلهما، فاستحقوا ثناء الله العظيم في هذه الآيات وفي آية التوبة هذه"[3].

كما استحقوا ثناء رسوله ﷺ في أحاديث عديدة وردت في الكتب الخمسة منها حديث رواه مسلم[4] عن أبي موسى جاء فيه: (وَأَصْحَابِي أَمَنَةٌ لِأُمَّتِي؛ فَإِذَا ذَهَبَ أَصْحَابِي أَتَى أُمَّتِي مَا يُوعَدُونَ)؛ وما أخرجه البخاري عن عِمْرَانَ بْنَ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " خَيْرُ أُمَّتِي قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ"[5].

فالخيرية ثابتة لهذ الأمة كافة، فلها وسام الشرف والخير على كل الأمم، بنص الآية الكريمة: ﴿ كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۗ ﴾ [آل عمران: 110]؛ وإن كان لأصحاب رسول الله من المهاجرين والأنصار فضل خاص أبين طرفاً منه فيما يلي.

---

[1]القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج18/ 31).

[2] الرازي، مفاتيح الغيب (ج29/ 509)

[3]دروزة عزت، التفسير الحديث (ج317/7)

[4][مسلم صحيح مسلم، أول مسند الكوفيين/ حديث أبي موسى الأشعري (335/32)رقم الحديث(19566)]

[5][البخاري ، صحيح البخاري، كتاب أصحاب النبي/ باب فضائل أصحاب النبي (2/5)رقم الحديث(3650)]

أ- **فضل المهاجرين:**

أثني الله ﷻ في هذه الآيات الكريمة على المهاجرين وبيّن ﷻ الصفات العظيمة التي جعلتهم يستحقون هذا الثناء وهذه المكانة الرفيعة والمنزلة القيّمة.

وهذه الصفات: أولها: أنهم فقراء، وثانيها: أنهم مهاجرون، وثالثها: أنهم أخرجوا من ديارهم، أكرههم على الخروج الأذى والاضطهاد والتنكر من قرابتهم وعشيرتهم في مكة، لا لذنب إلا أن يقولوا ربنا الله، ورابعها: أنهم يبتغون فضلاً من الله ورضواناً، اعتمادهم على الله في فضله ورضوانه، لا ملجأ لهم سواه، ولا جناب لهم إلا حماه، وخامسها: قوله: ﴿ وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ﴾ فهم مع أنهم مطاردون قليلون ينصرون الله بقلوبهم وسيوفهم في أحرج الساعات وأضيق الأوقات بأنفسهم وأموالهم؛ وسادسها: قوله: أولئك هم الصادقون يعني أنهم لما هجروا لذات الدنيا وتحملوا شدائدها لأجل الدين ظهر صدقهم في دينهم[1].

روي عن قتادة بشأن قول الله ﷻ: ﴿لِلۡفُقَرَآءِ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأَمۡوَٰلِهِمۡ.. ﴾ إلى قوله: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴾ قوله: "هؤلاء المهاجرون تركوا الديار والأموال والأهلين والعشائر، خرجوا حبًا لله ولرسوله، واختاروا الإسلام على ما فيه من الشدّة، حتى لقد ذكر لنا أن الرجل كان يعصب الحجر على بطنه ليقيم به صلبه من الجوع، وكان الرجل يتخذ الحفيرة[2] في الشتاء ماله دثار غيرها"[3].

ب-**فضل الأنصار.**

رسمت الآيات الكريمة صورة وضيئة صادقة تبرز أهم الملامح المميزة للأنصار، هذه المجموعة التي تفردت بصفات، وبلغت إلى آفاق، لولا أنها وقعت بالفعل، لحسبها الناس أحلاماً طائرة ورؤى مجنحة ومثلاً عليا قد صاغها خيال محلق..

﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ .. ﴾ أي دار الهجرة. يثرب مدينة الرسول ﷺ كانت دارهم يثرب، وقد تبوأها الأنصار قبل المهاجرين كما تبوأوا فيها الإيمان، وكأنه منزل لهم ودار؛ وهو تعبير ذو ظلال: وهو أقرب ما يصور موقف الأنصار من الإيمان! [4]

---

[1] انظر: الرازي، مفاتيح الغيب (ج29/ 507)؛ سيد قطب، في ظلال القرآن (ج6/ 3526)

[2] المقصود: حفيرة يحفرها الرجل في الأرض ليستكن بها من البرد وتسمى القرموص؛ انظر: الأزدي، جمهرة اللغة (ج1/ 314)

[3] الطبري، جامع البيان (ج23/ 281)

[4]سيد قطب، في ظلال القرآن (ج6/3526- 3527) بتصرف..

لقد كان دارهم ونزلهم ووطنهم الذي تعيش فيه قلوبهم، وتسكن إليه أرواحهم، ويثوبون إليه ويطمئنون له، كما يثوب المرء ويطمئن إلى الدار؛ ﴿ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمۡ حَاجَةٗ مِّمَّآ أُوتُواْ .. ﴾ ولم يعرف تاريخ البشرية كله حادثاً جماعياً كحادث استقبال الأنصار للمهاجرين بهذا الحب الكريم وبهذا البذل السخي وبهذه المشاركة الرضية وبهذا التسابق إلى الإيواء واحتمال الأعباء! ثم إنهم ﴿ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمۡ حَاجَةٗ مِّمَّآ أُوتُواْ ﴾ مما يناله المهاجرون من مقام مفضل في بعض المواضع، ومن مال يختصون به كهذا الفيء، فلا يجدون في أنفسهم شيئاً من هذا، ولا يقول ﷻ: حسداً ولا ضيقاً. إنما يقول: ﴿ حَاجَةٗ ﴾ مما يلقي ظلال النظافة الكاملة لصدورهم والبراءة المطلقة لقلوبهم، فلا تجد شيئا أصلاً؛ ﴿ وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞ .. .. ﴾ والإيثار على النفس مع الحاجة قمة عليا؛ وقد بلغ إليها الأنصار بما لم تشهد البشرية له نظيراً! [1]

هذه الصورة العظيمة استحقت ثناءً عظيماً ، حيث روي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، أَوْ قَالَ أَبُو القَاسِمِ ﷺ: (لَوْ أَنَّ الأَنْصَارَ سَلَكُوا وَادِيًا، أَوْ شِعْبًا، لَسَلَكْتُ فِي وَادِي الأَنْصَارِ، وَلَوْلاَ الهِجْرَةُ لَكُنْتُ امْرَأً مِنَ الأَنْصَارِ)، فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: "مَا ظَلَمَ بِأَبِي وَأُمِّي، آوَوْهُ وَنَصَرُوهُ، أَوْ كَلِمَةً أُخْرَى"[2].

وفي حديث آخر أخرجه الشيخان عَنْ عَدِيِّ بْنِ ثَابِتٍ، قَالَ: سَمِعْتُ الْبَرَاءَ يُحَدِّثُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺأَنَّهُ قَالَ فِي الْأَنْصَارِ: (لَا يُحِبُّهُمْ إِلَّا مُؤْمِنٌ، وَلَا يُبْغِضُهُمْ إِلَّا مُنَافِقٌ، مَنْ أَحَبَّهُمْ أَحَبَّهُ اللهُ وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ أَبْغَضَهُ اللهُ) [3].

وهناك أحاديث كثيرة في فضل عدد كبير بأعيانهم من المهاجرين والأنصار.

ت-فضل من تبعهم بإحسان إلى يوم القيامة.

"﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ ﴾

[1]سيد قطب، في ظلال القرآن (ج3526/6– 3527) بتصرف..

[2][البخاري، صحيح البخاري، كتاب مناقب الأنصار/ باب قول النبي:" لولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار (31/5)رقم الحديث(3779)]

[3] [البخاري، صحيح البخاري، كتاب مناقب الأنصار/ باب حب الأنصار (32/5)رقم الحديث (3783)]، [مسلم، صحيح مسلم، كتاب الإيمان/ باب الدليل على أن حب الأنصار من الإيمان (85/1)رقم الحديث(75)]

الآية معطوفة على الآية السابقة: ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ ﴾ والتي هي معطوفة على قوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴾ أي كما أن المهاجرين الذين خرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً من الله ورضواناً وينصرون الله ورسوله- هم الصادقون في إيمانهم، فكذلك مثلهم في صدق الإيمان، الذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم، وهم الأنصار.. وكذلك مثل هؤلاء وأولئك: الذين جاءوا من بعدهم من المؤمنين، وسلكوا سبيلهم، وامتلأت قلوبهم بهذه العواطف والمشاعر من الحب والإخاء والمودة للمؤمنين جميعا"[1]...

وليس أدل على فضل من اتبع المؤمنين السابقين من الحديث الذي يبث فيه النبي ﷺ شوقه لهم!!

حيث روى عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (وَدِدْتُ أَنِّي لَقِيتُ إِخْوَانِي)، قَالَ: فَقَالَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ: " أَوَلَيْسَ نَحْنُ إِخْوَانَكَ؟" قَالَ: (أَنْتُمْ أَصْحَابِي، وَلَكِنْ إِخْوَانِي الَّذِينَ آمَنُوا بِي وَلَمْ يَرَوْنِي) [2]

3- الحث على الإخلاص:

في هذه الآيات التي احتوت ثناء الحق تبارك وتعالى على المهاجرين والأنصار ومن اتبعهم بإحسان وذكرت بما استحقوا هذا الثناء، وقد كان الشيء المشترك فيما بينهم جميعاً: الصدق والإخلاص وابتغاء مرضات الله ﷻ.

فالمهاجرون تركوا ديارهم وأموالهم حباً لله وسعياً إلى رضاه، فهم ابتلوا هذا الابتلاء الصعب ومع ذلك كانوا الصادقين المخلصين، صدقوا في الإيمان وفي الثبات وفي نصرة الله..

والأنصار أخلصوا إيمانهم ونصرتهم لله ورسوله، وتركوا ما كان من متاع الدنيا لأجل الله ورضاه..

والذين جاؤوا من بعدهم بلغ بهم الصدق أن قرنوا من سبقهم بدعائهم، حبا ورحمة منهم..

وفي كل ما سبق دعوة للتمسك بهذا الخلق العظيم إذ هو أصل الخير، وأصل قبول الأعمال..

4-الحث على الإيثار والنهي عن الشح:

في الآيات الكريم حث على الإيثار، هذا الخلق العظيم الذي تخلق به الأنصار، وضربوا بتطبيقه أروع النماذج والأمثلة التي بينت حرص المسلمين على بعضهم البعض وحبهم وتآلفهم

---

[1]عبد الكريم الخطيب، التفسير القرآني للقرآن (ج14/ 862-863)

[2][أحمد، مسند أحمد، مسند أنس بن مالك (38/20) رقم الحديث (12579)].

وتعاضدهم، فهم كالجسد الواحد، ولا يبخل عضو من الجسد على عضو آخر! ولذا جاء النهي عن الشح في الآية نفسها؛ إذ إن من يوقه يكن من المفلحين!

فالشح عدوٌ راصد يتربص بالنفس الإنسانية في أية لحظة يغفل فيها الإنسان عن حراسة نفسه منه، فإذا غفل الإنسان عن هذا العدو دخل على نفسه، واستولى عليها؛ ومنعها من كل خير؛ لأن الخير بذل في صورةٍ من الصور بذل في المال وبذل في العاطفة وبذل في الجهد وبذل في الحياة عند الاقتضاء! [1]

وهذا المعنى الجامع للشح ذكره الطبري عن ابن زيد، في قوله ﷻ: ﴿ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ﴾ قال: "من لم يأخذ شيئًا لشيء نهاه الله عزّ وجلّ عنه، ولم يدعه الشحّ على أن يمنع شيئًا من شيء أمره الله به، فقد وقاه الله شحّ نفسه، فهو من المفلحين" [2].

"ويفهم من الآية ذم الشح جداً، وقد وردت أخبار كثيرة بذمه"[3]، منها ما رواه جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (اتَّقُوا الظُّلْمَ، فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَاتَّقُوا الشُّحَّ، فَإِنَّ الشُّحَّ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، وَحَمَلَهُمْ عَلَى أَنْ سَفَكُوا دِمَاءَهُمْ، وَاسْتَحَلُّوا مَحَارِمَهُمْ)[4].

4- حق الصحابة على من جاء بعدهم:

قال المفسرون في قول الله ﷻ -: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا ﴾: " هذه الآية دليل على وجوب محبة الصحابة، لأنه جعل لمن بعدهم حظاً في الفيء ما أقاموا على محبتهم وموالاتهم والاستغفار لهم، وأن من سبهم أو واحداً منهم أو اعتقد فيه شراً أنه لا حق له في الفيء"[5]

"كما أنّ في الآية حث وتوجيه وترغيب في الدعاءِ للصحابة، وتصفية القلوب من بغض أَحد منهم مع الاعتراف بفضلهم، وحسن صنيعهم وسبقهم إلي البذل والتضحية"[6].

---

[1] انظر: سيد قطب، في ظلال القرآن (ج6/ 3527)؛ عبد الكريم الخطيب، التفسير القرآني للقرآن (ج14/ 862-863).

[2] الطبري، جامع البيان (ج23/ 287)

[3] الألوسي، روح المعاني (ج14/ 247).

[4] [البخاري، الأدب المفرد ،باب الظلم ظلمات (170/1)رقم الحديث(483)]، [مسلم، صحيح مسلم ، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم (1996/4)رقم الحديث(2578)].

[5] القرطبي، جامع البيان (ج18/ 32).

[6] مجمع البحوث، التفسير الوسيط (ج10/ 1361)

وفي الحديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا، مَا أَدْرَكَ مُدَّ أَحَدِهِمْ، وَلَا نَصِيفَهُ) (1).

5- الحرص على تماسك المجتمع المسلم وتآلفه:

يقول سيد قطب معلقاً على هذه الآيات الكريمة: "وتتجلى من وراء تلك النصوص طبيعة هذه الأمة المسلمة وصورتها الوضيئة في هذا الوجود. تتجلى الآصرة القوية الوثيقة التي تربط أول هذه الأمة بآخرها، وآخرها بأولها، في تضامن وتكافل وتواد وتعاطف. وشعور بوشيجة القربى العميقة التي تتخطى الزمان والمكان والجنس والنسب وتتفرد وحدها في القلوب، تحرك المشاعر خلال القرون الطويلة، فيذكر المؤمن أخاه المؤمن بعد القرون المتطاولة، كما يذكر أخاه الحي، أو أشد، في إعزاز وكرامة وحب. ويحسب السلف حساب الخلف. ويمضي الخلف على آثار السلف. صفاً واحداً وكتيبة واحدة على مدار الزمان واختلاف الأوطان، تحت راية الله تغذ السير صعداً إلى الأفق الكريم، متطلعة إلى ربها الواحد الرؤوف الرحيم"(2).

فالمؤمنون جميعاً كيان واحد، وأنه إذا كان للمهاجرين والأنصار وضع خاص في الإسلام، ومنزلة عالية في المسلمين- فليس ذلك بالذي يعزلهم عن المؤمنين في أي زمان ومكان، وليس ذلك بالذي يعزل أي مؤمن عنهم.. فالمؤمنون جميعا إخوة في الله، ومجتمع واحد في دين الله.. على امتداد الأزمان والأوطان"(3).

6- الصفاء والنقاء صفة المسلم:

فى قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا﴾ - "إشارة أخرى إلى أنه إذا لم يكن من المؤمن وصلة من مال أو دعاء بخير، يصل به إخوانه المؤمنين، فلا أقلّ من أن يخلى قلبه من الغلّ، والحسد، والحقد والبغضة، لإخوانه المؤمنين، فإذا لم يستطع أن يوصّل إليهم شيئا من الخير، فليمسك يده ولسانه، عن أي شر أو أذّى، يلحق بمسلم من جهته!" (4).

---

(1)[البخاري، الأدب المفرد ، كتاب المناقب/ باب قول النبي "لو كنت متخذا خليلا"(8/5)رقم الحديث(3673)]، [مسلم، صحيح مسلم، كتاب الفضائل/باب تحريم سب الصحابة (1967/4)رقم الحديث (2540)] واللفظ له.

(2) سيد قطب، في ظلال القرآن (ج6/ 3527).

(3)عبد الكريم الخطيب، التفسير القرآني للقرآن (ج14/ 862).

(4) المرجع السابق (ج14/ 864).

7- **الأحكام الشرعية مُعلّلة بحِكم جليلة :**

إن القرآن الكريم لا يذكر الأحكام جافة مجردة، إنما يوردها في جو حيّ يتجاوب فيه الأحياء، فبعد أن بيّن ﷻ توزيع فيء بني النضير على المهاجرين وحدهم عدا رجلين من الأنصار كإجراء خاص بهذا الفيء؛ تحقيقاً لقاعدة: ﴿ كَيۡ لَا يَكُونَ دُولَةَۢ بَيۡنَ ٱلۡأَغۡنِيَآءِ مِنكُمۡۚ ﴾ ، بيّن ﷻ صورة صادقة تبرز فيها أهم الملامح المميزة للمهاجرين، حيث إنهم أخرجوا إخراجاً من ديارهم وأموالهم، أكرههم على الخروج الأذى والاضطهاد والتنكر من قرابتهم وعشيرتهم في مكة[1] ..

وفي هذه الصورة ما ينبئ بالحال الصعب الشديد الذي كان فيه المهاجرون، والذي كان لا بدّ من وضع حد له؛ ليخف الألم وتهون الشدّة..

وهذه الصورة التي رسمتها الآيات لم تكن بعيدةً عن الأنصار، بل إنهم رأوها وعايشوها مع إخوتهم ورقت قلوبهم لهم، فكان لا بد من ذكر هذا الحال ليعلم الأنصار علة اختصاص المهاجرين بذاك المال دونهم، فتطيب أنفسهم بعطاء وترضى وتسلم لحكم الله[2] ..

بل إن المتأمل ليرى أن هذا الخير أصاب الأنصار ، وأن هذا العطاء كان رحمة لهم، إذ بهذا العطاء الذي ناله المهاجرون خفّ العبء عن الأنصار الذين كانوا يقاسمون إخوانهم المهاجرين ديارهم وأموالهم[3]..

سادساً: العبر والعظات المستفادة:

1- " بيان فضل المهاجرين والأنصار، وأن حبهم إيمان وبغضهم كفران"[4].

3- الحث على الإيثار والبذل والعطاء، والبعد عن الشح والبخل.

4- الإخلاص لله تعالى في كل الأقوال والأعمال، وابتغاء مرضاته سبحانه.

5- نصرة المسلمين المستضعفين، ومساندتهم بالمال والنفس ما أمكن.

6- قلب المؤمن صفي نقي على إخوانه المسلمين في كل زمان ومكان، ورابطته بهم أقوى رباط.

7- الدعاء للصحابة وللمسلمين جميعاً، وخاصة عند النوازل.

---

[1] سيد قطب، في ظلال القرآن(ج6/ 3526) بتصرف..

[2] انظر: عبد الكريم الخطيب، التفسير القرآني للقرآن (ج14/ 861).

[3] انظر:المرجع السابق(ج14/ 861).

[4] الجزائري، أيسر التفاسير (ج310/5).

المبحث الثالث

المقاصد والأهداف لسورة الحشر من الآية (11-17).

المطلب الأول: صفات المنافقين وموالاتهم لأهل الكتاب

قال تعالى:﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١١﴾ لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ [الحشر: 11-12]

أولاً: المفردات:

- قوله تعالى:﴿ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ ﴾

"ليفرن من الميدان"[1].

ثانياً: اللطائف البيانيّة:

- قوله تعالى:﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا ﴾ "استفهام يراد به الإنكار والتعجيب"[2].

ثالثاً: سبب النزول:

سبب نزول الآية:" كما رُوي عن ابن عباس في رهط من بني عوف منهم عبد الله بن أبيّ بن سلول ووديعة بن مالك وسويد وداعس بعثوا إلى بني النضير بما تضمنته الجمل المحكية بقوله تعالى: ﴿ يَقُولُونَ... ﴾ "[3].

وفي رواية أكثر تفصيلاً أوردها ابن عطية في تفسيره : " هذه الآية نزلت في عبد الله بن أبي ابن سلول ورفاعة بن التابوت، وقوم من منافقي الأنصار كانوا بعثوا إلى بني النضير وقالوا لهم، أثبتوا في معاقلكم فإنا معكم حيثما تقلبت حالكم، وإنما أرادوا بذلك أن تقوى نفوسهم عسى أن يثبتوا حتى لا يقدر محمد عليهم فيتم لهم مرادهم وكانوا كذبة فيما قالوا من ذلك، ولذلك لم يخرجوا حين أخرج بني النضير بل قعدوا في ديارهم"[4].

---

(1)محمد الحجازي، التفسير الواضح (ج3/ 649)

(2)الزحيلي، التفسير المنير (ج28/ 94)

(3)الألوسي، روح المعاني (ج14/ 250)

(4)ابن عطية، المحرر الوجيز (ج5/ 289)

رابعاً: المعنى الإجمالي:

"ما زال السياق في الحديث عن غزوة بني النضير فيقول تعالى لرسوله محمد ﷺ: ﴿ أَلَمْ تَرَ ﴾ أي تنظر يا رسولنا إلى الذين نافقوا وهم عبد الله بن أبي بن سلول ووديعة ومالك ابنا نوفل وسويد وداعس إذ بعثوا إلى بني النضير حين نزل بساحتهم رسول الله ﷺ لحربهم، بعثوا إليه أن اثبتوا وتمنعوا وإن قوتلتم قاتلنا معكم وإن أخرجتم خرجنا معكم؛ غير أنهم لم يفوا لهم ولم يأتهم منهم أحد، وقذف الله الرعب في قلوبهم؛ فسألوا رسول الله ﷺ أن يجليهم ويكف عن دمائهم على أن لهم ما حملت الإبل من أموالهم إلا الحلقة "السلاح" ؛ هذا معنى قوله تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ﴾ في الكفر من أهل الكتاب "يهود بني النضير" لئن أخرجتم من المدينة لنخرجن معكم، ولا نطيع فيكم أي في نصرتكم والوقوف إلى جنبكم أحداً كائناً من كان وأن قوتلتم أي قاتلكم محمد ﷺ ورجاله لننصرنكم؛ والله يشهد إنهم لكاذبون فيما قالوا لهم، وفعلاً لم يقاتلوا معهم ولم يخرجوا معهم كما خرجوا من ديارهم. وهو قوله تعالى ﴿ لَئِنْ أُخْرِجُواْ لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُواْ لَا يَنصُرُونَهُمْ ﴾ وعلى فرض أنهم نصروهم ليولن الأدبار هاربين من المعركة، ثم لا ينصرون"[1].

خامساً: تحقيق المقاصد والأهداف:

1- بيان صفات المنافقين:

لقد بيّنت الآيات الكريمة جملةً من أحوال المنافقين الفاسدة، وأقوالهم الكاذبة، وصفاتهم الخبيثة، وهي:

أ- الكذب والغدر بالعهد:

شهد الله ﷻ على كذب المنافقين في أقوالهم وأفعالهم ﴿وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴾ وشهدت على غدرهم وعدم وفائهم، وهل بعد هذه الشهادة ارتيابٌ في هذا الوصف الذي يتأصل في المنافقين ولا ينفك عنهم؛ بل هو دينهم وديدنهم إذ كذبوا في حقائق بواطنهم، فأظهروا الإيمان وأخفوا كفرهم وضلالهم؛ ولكن هيهات! فقد فضحت الآيات نفاقهم وشهدت على كذبهم، وبيّنت ضلالهم! وآيات كريمة أخرى جاءت فيهم تبيّن حقيقتهم، بل إن سورة كريمة سميت بـ"المنافقون" لتبقى شاهدة عليهم، وكاشفة لمؤامراتهم مدى الدهر..

---

[1] الجزائري، أيسر التفاسير (ج5/ 312)

يقول الله ﷻ في سورة المنافقون: ﴿ إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشۡهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ۝١ ٱتَّخَذُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ جُنَّةٗ فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّهُمۡ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ۝٢ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَهُمۡ لَا يَفۡقَهُونَ ۝٣﴾

ولأن الكذب والغدر خصال المنافقين، فقد حذر الإسلام منها أشد الحذر ونهى عنها وحرمها، ومن كانت فيه من المسلمين كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: (أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا: إِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ) [1].

قال ابن بطال في شرح الحديث السابق: "أن تمام الإيمان بالأعمال، وأنه يدخل على المؤمن النقص في إيمانه بالكذب، وخلف الوعد، وخيانة الأمانة، والفجور في الخصام، كما يزيد إيمانه بأفعال البر "[2].

وقال: "وإنما أطلق اسم النفاق على صاحب هذه الخلال؛ لأنها تغلب على أحوال المرء، وتستولى على أكثر الأفعال، فاستحق هذه التسمية بما غلب عليه من قبيح أفعاله، ومشابهته فيها المنافقين والكفار، فوصف بصفتهم تقبيحًا لحاله، ومجانبته أفعال المؤمنين"[3].

ب- الخوف والجبن:

من بين الصورة التي رسمتها الآيات الكريمة لموقف المنافقين: تتجلى الحالة النفسية لهم، التي يتملكهم فيها الضعف والخوف والجبن؛ إذ وعدوا بالقتال فلم يقاتلوا، وبالخروج فلم يخرجوا؛ فأي جبن هذا الذي يتملك الإنسان فيقصيه عن الوفاء بعهدٍ عاهده !

بل إننا لو تأملنا هذا العهد من قبلهم لإخوانهم اليهود لرأينا ابتداءه بالخروج قبل القتال، ليبدو جلياً أنهم لا يريدونه ولا يرغبونه؛ لأنه لا طاقة لهم به!

---

(1) [البخاري، صحيح البخاري، كتاب الإيمان/ باب علامة النفاق (16/1)رقم الحديث(34)]؛ [مسلم، صحيح مسلم، كتاب الإيمان/ باب بيان خصال المنافق (78/1)رقم الحديث(58)]؛ واللفظ للبخاري.

(2) ابن بطال، شرح صحيح البخاري (ج112/1).

(3) المرجع السابق (ج583/6).

2- تقرير الصلة بين المنافقين واليهود:

"لقد بينت الآيات الكريمة عمق الصلة ما بين المنافقين واليهود؛ فأهل الكتاب هؤلاء الذين كفروا والمنافقون إخوة ولو أنهم يلبسون رداء الإسلام"[1]؛ فهم إخوة في الكفر والضلال ومعاداة النبي ﷺ[2].

ومن تمام هذه الصلة وهذا الرابط أن كانت موالاة المنافقين لليهود صفة متجذرة في نفوسهم!

وقد سبق بيان هذه الصفة، التي وردت في سورة المجادلة في قوله ﷻ: ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوۡاْ قَوۡمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مَّا هُم مِّنكُمۡ وَلَا مِنۡهُمۡ وَيَحۡلِفُونَ عَلَى ٱلۡكَذِبِ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ١٤ ﴾

3- التأكيد على صدق النبوة وإعجاز القرآن الكريم:

قال تعالى: ﴿لَئِنۡ أُخۡرِجُواْ لَا يَخۡرُجُونَ مَعَهُمۡ وَلَئِن قُوتِلُواْ لَا يَنصُرُونَهُمۡ وَلَئِن نَّصَرُوهُمۡ لَيُوَلُّنَّ ٱلۡأَدۡبَٰرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ١٢ ﴾

"هذه الآيات الكريمة من أنباء الغيب، ودليل من دلائل النبوة، ووجه من وجوه الإعجاز، فإنه قد كان الأمر كما أخبر الله قبل وقوعه"[3]..

والخلاصة-" إن بنى النضير أخرجوا فلم يخرج معهم المنافقون، وقوتلوا فما نصروهم، ولو كانوا قد نصروهم لتركوا النصرة وانهزموا"[4] .

وقد جاء هذا الخبر مؤكدا بالقسم من الله سبحانه وتعالى، وما يخبر به الله سبحانه، لا يحتاج في الدلالة على صدقه، إلى توكيد، ولكن هذا الخبر يواجه المنافقين الذين لا يقدرون الله حق قدره، فكان توكيده إشارة إلى ما في قلوبهم من مرض، وأن أخبار الله سبحانه تقع من نفوسهم موقع الشك والارتياب.

4- تشنيع على من يتبع سبل المنافقين ويوالي أعداء الدين:

يقول صاحب التفسير الحديث: "الآيات وإن تكن في معرض مشهد من مشاهد السيرة فإن فيها تلقينات جليلة تظل مستمد إلهام وقوة للمخلصين من المسلمين تجاه أعدائهم وتجاه المخامرين منهم مع الأعداء إذا هم كانوا أشداء أقوياء القلوب والعزائم والإيمان؛ لأن الأعداء والمخامرين في هذه الحالة لن يلبثوا أن يخزوا ويخذلوا إزاء مثل هذا الموقف.

---

[1] سيد قطب، في ظلال القرآن (ج6/ 3528)

[2] انظر: الرازي، مفاتيح الغيب (ج29/ 509)

[3] عبد الكريم الخطيب، التفسير القرآني للقرآن (ج14/ 869).

[4] المراغي، تفسير المراغي (ج28/ 49)

وتظل كذلك مستمد إلهام في تقبيح مواقف المخامرين والمنافقين والمتضامنين بأي أسلوب مع الأعداء وفي عدم قبول أي عذر لهم قد يعتذرون به باسم الصداقة والواقع أو المصلحة أو المحالفة؛ لأن المصلحة العامة العليا هي التي يجب أن يكون لها الاعتبار الأول"[1].

سادساً: العبر والعظات المستفادة:

1- "تقرير حقيقة وهي أن الكفر ملة واحدة وأن الكافرين إخوان"[2].

2- الكذب وعدم الوفاء من أبرز سمات المنافقين؛ فعلى المسلم أن يحذر كل الحذر من الاتصاف بهذه الصفات.

3- المسلم الحق لا يوالي أعداء الدين ولا يوادّهم.

المطلب الثاني: صفات أهل الكتاب الضالين

قال تعالى:﴿ لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ١٣ لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍۭۚ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌۚ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ١٤ ﴾ [الحشر: 13-14]

أولاً: المفردات:

- قوله تعالى:﴿ رَهْبَةً ﴾

"رهبة: خوفاً"[3]، أي: "إنهم يخافونكم في صدورهم أشد من خوفهم لله"[4].

- قوله تعالى:﴿ قُرًى مُّحَصَّنَةٍ ﴾

"أي بالأسوار العالية"[5].

- قوله تعالى:﴿ مِن وَرَآءِ جُدُرٍۭۚ ﴾

"أي من رواء المباني والجدران أما المواجهة فلا يقدرون عليها"[6].

- قوله تعالى:﴿ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌۚ ﴾

---

[1] دروزة عزت، التفسير الحديث (ج7/ 323)

[2] الجزائري، أيسر التفاسير (ج5/ 313)

[3] محمد الحجازي، التفسير الواضح (ج3/ 649)

[4] المراغي، تفسير المراغي (ج28/ 47).

[5] الجزائري، أيسر التفاسير (ج5/ 312)

[6] المرجع السابق (ج5/ 312)

قال ابن عباس: "بعضهم فظٌّ على بعض"، والمعنى أن بعضهم عدو لبعض" [1].

وقال مجاهد : "بالوعيد، يقولون لنفعلن كذا وكذا"[2]، والمعنى على هذا أنهم يهددون المؤمنين ببأس شديد من وراء الحيطان والحصون، ثم يجبنون عن البروز للقتال، فبأسهم شديد فيما بينهم لا فيما بينهم وبين المؤمنين[3].

وقال السدي: "المراد اختلاف قلوبهم حتى لا يتفقوا على أمر واحد"؛ وقيل: بأسهم بينهم شديد أي إذا لم يلقوا عدواً نسبوا أنفسهم إلى الشدة والبأس، ولكن إذا لقوا العدو انهزموا"[4].

"والأظهر الأول أي إن بعضهم لبعضٍ عدو ، بدليل قوله ﷻ: ﴿ تَحۡسَبُهُمۡ جَمِيعٗا وَقُلُوبُهُمۡ شَتَّىٰۚ ﴾ يعني تحسبهم في صورتهم مجتمعين على الألفة والمحبة، أما قلوبهم فشتى لأن كل أحد منهم على مذهب آخر، وبينهم عداوة شديدة"[5].

وهذا معنى قول قتادة: " أهل الباطل مختلفة أهواؤهم مختلفة شهادتهم، مختلفة أعمالهم، وهم مجتمعون في عداوة أهل الحق"[6].

- قوله تعالى:﴿ تَحۡسَبُهُمۡ جَمِيعٗا وَقُلُوبُهُمۡ شَتَّىٰۚ ﴾

في المراد منها يقول قتادة:" تحسبهم جميعاً أي مجتمعين على أمر ورأي، وقلوبهم شتى: متفرقة"[7]؛ ويقول الزجاج: "أي أنهم مختلفون لا تستوي قلوبهم ولا يتعاونون بنيات مجتمعة؛ لأن ﷻ ناصر حزبه، خاذل أعدائه"[8].

وفي مَن المراد منها: اختلف المفسرون، فبعضهم قال: المقصود منها المنافقون واليهود، وقال بعضهم: المشركون وأهل الكتاب، وقال بعضهم: يقصد المنافقون، وقال بعضهم: هي في صدد اليهود فقط[9].

---

(1) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج18/ 36)؛ وانظر: الرازي، مفاتيح الغيب (ج29/ 510)

(2) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج18/ 36)

(3) الواحدي، التفسير البسيط (ج388/21).

(4) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج18/ 36)

(5) الرازي، مفاتيح الغيب (ج29/ 510)

(6) البغوي، معالم التنزيل (ج5/ 62)

(7) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج18/ 36)

(8) الزجاج، معاني القرآن (ج148/5).

(9) انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج18/ 36)؛ دروزة عزت، التفسير الحديث (ج7/ 323).

والأخير هو ما رجحه صاحب التفسير الحديث بدليل أنّ اليهود فقط هم الذين كانوا يقيمون في قرى محصنة في ضاحية منعزلة عن مساكن العرب[1].

والذي يراه الباحث أنّ الآية الكريمة وإن كان يقصد منها اليهود في هذه الآية بدليل ما جاء في الآية التي تليها؛ إلا أن المعنى يعمّ أهل الباطل، فلا ريب في أن دين أهل الكتاب يخالف المشركين ويخالف المنافقين، وأنّ كلاً من أولئك يختلفون فيما بينهم، وإن ظهروا في مظهر الاتفاق؛ فإنما هو الاتفاق على معادة أهل الحق، والاتفاق على المصالح المشتركة في وقتها فحسب، فكيف يجتمع من حاد عن الحق؟.

ثانياً: اللطائف البيانيّة:

- قوله تعالى:﴿ **تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ** ﴾

"بين جَمِيعاً وشَتَّى: طباق"[2].

- قوله تعالى:﴿ **قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ** ﴾

"أوثر هنا ﴿ **لَّا يَعْقِلُونَ** ﴾ وفي الآية التي قبلها ﴿ **لَّا يَفْقَهُونَ** ﴾ [الحشر: 13] لأن معرفة مآل التشتت في الرأي وصرف البأس إلى المشارك في المصلحة من الوهن والفت في ساعد الأمة معرفة «مشهورة» بين العقلاء؛ فإهمالهم سلوك ذلك جعلهم سواء مع من لا عقول لهم فكانت هذه الحالة شقوة لهم حصلت منها سعادة للمسلمين"[3].

ثالثاً: القراءات المتواترة:

- قوله تعالى:﴿ **أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍۭ** ﴾

" قرأ ابن كثير وأبو عمرو ﴿جُدُرٍ﴾ بالألف وكسر الجيم على واحدة؛ وقرأ الباقون ﴿جُدُرٍ﴾ بغير ألف، وضم الجيم والدال على الجمع"[4].

التوجيه: حجة من قرأ بالجمع: أنه أَتَى عقيب قَوْله ﴿ **إِلَّا فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ** ﴾ فأخرجوا الْقرى بِلَفْظ الْجمع ثمَّ عطفوا بقوله ﴿ **أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍۭ** ﴾ فَكَانَ الْجمع أشبه بِلَفْظ مَا تقدمه من التَّوْحِيد

---

[1]انظر: دروزة عزت، التفسير الحديث (ج7/ 323).

[2]الزحيلي، التفسير المنير (ج28/ 94)

[3]ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج28/ 107)

[4] أبو بكر النسابوري، المبسوط في القراءات العشر (ص: 433).

"ليأتلف الْكَلَام على نظم واحد وَمن قَرأ جِدَار فَهوَ واحِد يُؤَدِّي عن معنى الجمع"[1]؛ "فالمراد في الإفراد الجمع أيضاً؛ لأنه يعلم أنهم لا يقاتلونهم من وراء جدارٍ واحد"[2].

رابعاً: المعنى الإجمالي:

يقول الله ﷻ للمؤمنين به من أصحاب رسول الله ﷺ: لأنتم أيها المؤمنون أشدّ رهبة في صدور اليهود من بني النضير من الله، فهم يخشونكم أشد من خشيتهم لله؛ ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴾ قوم لا يفقهون قدر عظمة الله، فهم لذلك يستخفُّون بمعاصيه، ولا يرهبون عقابه قدر رهبته منكم[3].

ثم بيّن الله ﷻ دلائل على رهبتهم وجبنهم وضعفهم ومنها: أنهم لا يقاتلون مجتمعين إلا في قرى محصنة بالحصون أو من خلف حيطان ، لا يبرزون لكم بالقتال، وبيّن ﷻ حقيقة بأسهم إنما هو بينهم؛ حيث إن عداوة بعضهم لبعض شديدة؛ تظنهم مؤتلفين مجتمعة كلمتهم، وقلوبهم مختلفة لمعاداة بعضهم بعضًا[4].

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴾ هذه الأوصاف التي ذكرتها الآية من تشتيت أهوائهم، ومعاداة بعضهم بعضًا من أجل أنهم قوم لا يعقلون ما فيه الحظّ لهم مما فيه عليهم البخس والنقص[5].

خامساً: تحقيق المقاصد والأهداف:

1- بيان صفات اليهود:

أ- جبنهم الشديد وخشيتهم من الناس أكثر من الله ﷻ:

تقرر الآيات حقيقة قائمة في نفوس اليهود ، فهم يرهبون المؤمنين أشد مما يرهبون الله وذلك لقلّة يقينهم، وإعراض قلوبهم عن الله، فهم قوم لا يفقهون قدر عظمته ﷻ، ولذلك يستخفّون بمعاصيه ولا يرهبون عقابه قدر رهبتهم لكم ؛ فإنهم لو خافوا الله ما خافوا أحداً من عباده [6].

ونحو هذه الآية قوله ﷻ: ﴿ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً ﴾[النساء: 77].

---

[1] ابن زنجلة، حجة القراءات ص (706)

[2] أبو العلاء الحنفي، مفاتيح الأغاني في القراءات والمعاني (ص: 397)

[3]انظر: الطبري، جامع البيان (ج23/ 291-292).

[4]انظر: المرجع السابق (ج23/ 291-292).

[5]انظر: المرجع السابق نفسه (ج23/ 291-292).

[6] انظر: القشيري، لطائف الإشارات (ج3/ 563)؛ المراغي، تفسير المراغي (ج28/49)؛ سيد قطب، في ظلال القرآن (ج6/ 3528).

فاليهود يخشون الناس أكثر من خشيتهم لله ﷻ؛ ومن دلائل هذا الخوف والجبن ما ذكره الله ﷻ في قوله: ﴿ لَا يُقَٰتِلُونَكُمۡ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرٗى مُّحَصَّنَةٍ أَوۡ مِن وَرَآءِ جُدُرِۭۚ ﴾.

لقد بلغ الخوف والهلع منهم كل مبلغ، فلا يملكون مواجهة الأخطار، ولا يقدمون على قتال عدوهم ، بل يقاتلونكم في قرى محصنة بالدروب والخنادق ونحوها، ومن وراء الجدر والحيطان وهم محاصرون[1]،" فهم لهذا أجبن الناس، وأحرصهم على الحياة. إنهم لا يقاتلون أبدا في ميدان حرب، إلا إذا كانوا متحصنين في حصون يضمنون معها ألا ينال العدوّ منهم شيئا.. ولهذا قامت قراهم قديما وحديثا على نظام الحصون، بحيث إذا دهمهم عدوّ دخلوا هذه الحصون، واحتموا بها، وعاشوا فيها زمنا، بما جلبوا إليها من سلاح ومتاع"[2].

هكذا اليهود قديما وحديثاً.. فما تزال الأيام تكشف حقيقة الإعجاز في «تشخيص» حالتهم عند لقائهم بالمؤمنين بشكل واضح للعيان؛ إذ نشهد في واقعنا ما يحدث في بلادنا فلسطين بين المؤمنين وبين اليهود ، فما كانوا ليخرجوا للقتال إلا وقد اتخذوا من عدد الحرب حصوناً تحميهم من القتل، فإذا انكشفوا لحظة واحدة ولوا الأدبار كالجرذان؛ حتى لكأن هذه الآية نزلت فيهم ابتداء؛ ولهذا جاء قوله تعالى: ﴿ لَا يُقَٰتِلُونَكُمۡ جَمِيعًا ﴾ جامعاً بين اليهود جميعاً، في كل زمان ومكان على تلك الصفة التي وصفهم الله سبحانه بها، كذلك كان سلفهم، وكذلك يكون خلفهم[3]..

ب- قومٌ لا يفقهون ولا يعقلون:

اليهود قوم لا يعقلون: إيماء إلى أن ذلك من آثار ضعف عقولهم حتى صارت عقولهم كالمعدومة، فلا لب ولا عقل عندهم ليعقلوا المعقل الصحيح ، ، فإنهم لو كانت لهم عقول؛ لأدركوا ما فيه صلاحهم وحظهم ، ولكانت كلمتهم مجتمعة، وقلوبهم مؤتلفة[4].

وهم قوم لا يفقهون: "لا يفقهون مراتب الأمور، ولا يعرفون حقائق الأشياء، ولا يتصورون العواقب، وإنما الفقه كل الفقه، أن يكون خوف الخالق ورجاؤه ومحبته مقدمة على غيرها، وغيرها تبعاً له"[5].

---

(1) انظر: المراغي، تفسير المراغي (ج28/ 50).

(2) عبد الكريم الخطيب، التفسير القرآني للقرآن (ج14/ 871).

(3) انظر: سيد قطب، في ظلال القرآن (ج6/ 3529).

(4)انظر: البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل (ج5/ 201)؛ ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج28/ 107)

(5) السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص851).

والفقه:" فهم المعاني الخفية، ذلك أنهم تبعوا دواعي الخوف المشاهد وذهلوا عن الخوف المغيب عن أبصارهم، وهو خوف الله فكان ذلك من قلة فهمهم للخفيات"[1]؛ كما أنهم لا يفقهون أسباب النصر على الأعداء، ولا يفقهون سر كفاية الله تعالى رسوله والمؤمنين وكفالته لهم[2].

ونستحضر في هذا الموطن آيات كثيرة نفت الفقه عن أهل الباطل منها: قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا ۚ أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾[الأعراف: 179]

فأهل الباطل كلهم تغيب عنهم المعاني الحقيقية، بل يحكمون في ذلك بما يبدو لعقولهم القاصرة من الظواهر، دون ما وراءها من الفقه الباطن، فلا يفقهون[3] !

أ- عداوتهم الشديدة لبعضهم وتشتت قلوبهم:

"والمظاهر قد تخدع فنرى تضامن الذين كفروا من أهل الكتاب فيما بينهم، ونرى عصبيتهم بعضهم لبعض، كما نرى تجمع المنافقين أحياناً في معسكر واحد، ولكن الخبر الصادق من السماء يأتينا بأنهم ليسوا كذلك في حقيقتهم إنما هو مظهر خارجي خادع. وبين الحين والحين ينكشف هذا الستار الخداع؛ فيبدو من ورائه صدق الخبر في دنيا الواقع المنظور، وينكشف الحال عن نزاع في داخل المعسكر الواحد، قائم على اختلاف المصالح وتفرق الأهواء، وتصادم الاتجاهات، وما صدق المؤمنون مرة، وتجمعت قلوبهم على الله حقا إلا وانكشف المعسكر الآخر أمامهم عن هذه الاختلافات وهذا التضارب وهذا الرياء الذي لا يمثل حقيقة الحال؛ وما صبر المؤمنون وثبتوا إلا وشهدوا مظهر التماسك بين أهل الباطل يتفسخ وينهار، وينكشف عن الخلاف الحاد والشقاق والكيد والدس في القلوب الشتيتة المتفرقة! إنما ينال المنافقون والذين كفروا من أهل الكتاب.. من المسلمين.. عند ما تتفرق قلوب المسلمين، فلا يعودون يمثلون حقيقة المؤمنين التي عرضتها الآية في المقطع السابق في هذه السورة. فأما في غير هذه الحالة فالمنافقون أضعف وأعجز، وهم والذين كفروا من أهل الكتاب متفرقو الأهواء والمصالح والقلوب ﴿بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ ۚ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ﴾[4]".

---

[1] ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج28/ 104).

[2] انظر: محمد رشيد رضا، تفسير المنار (ج9/ 355).

[3] انظر: المرجع السابق (ج9/ 355).

[4] سيد قطب، في ظلال القرآن (ج6/ 3529)"

وما جاء في هذه الآية الكريمة من تقرير عداوة اليهود لبعضهم يتوافق ويؤيد ما جاء فيهم في قول الله ﷻ في سورة البقرة: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾ ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ ۚ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾

"ففي هذه الآية الكريمة بيانٌ أن اليهود لم يكونوا كتلة واحدة متضامنة، بل كانوا كتلاً عديدة متعادية؛ فقد أخذ الله عليهم العهد بالتضامن فلا يقتل بعضهم بعضاً ولا يظاهر أحد منهم غريباً على أحد منهم فنقضوا العهد حيث سفك بعضهم دم بعض وأجلى بعضهم بعضاً عن أرضه وظاهر بعضهم الغريب على بعض آخر بغياً وعدواناً"[1].

وقد روى المفسرون في صدد الآية أن بني النضير وبني قينقاع من يهود يثرب كانوا حلفاء للخزرج وأن بني قريظة كانوا حلفاء للأوس. وكان بين الخزرج والأوس خلافات تجرّ أحياناً إلى القتال، فكان كل من فريقي اليهود يقاتل مع حليفه فيقتل بعضهم بعضاً ويأسر بعضهم بعضاً ويجلي بعضهم بعضاً ويظاهر كل فريق حليفه نتيجة لذلك[2]؛ " فإن اليهود قد أصابهم ما أصاب الأمم من تفكك في وحدتهم، فكانوا يتسافكون دماءهم ويمالئ بعضهم جماعات أخرى بينهم وبينهم حرب، فينضم فريق منهم إلى بعض المتقاتلين، وآخرون إلى غيرهم فيقاتل بعضهم بعضاً، في ظل العدوين المتقاتلين، وقد أخذ الله تعالى عليهم العهد بمنع سفك دمائهم، وأخذ عليهم العهد بألا يخرج بعضهم بعضا من ديارهم، ومع أن ذلك العهد حفظ لجميعهم وحقن لدمائهم ويفرض التعاون بينهم – خالفوه"[3].

2- دعوة الأمة إلى التوحد والاتفاق والتماسك:

لقد بيّنت الآيات الكريمة أسباب ضعف اليهود ووهنهم وجبنهم، وكان من بينها: اختلاف قلوبهم وعداوتهم لبعضهم.

---

[1] دروزة عزت، التفسير الحديث (ج6/ 190).

[2] انظر: الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل (ج1/58).

[3] أبو زهرة، زهرة التفاسير (ج1/ 294).

"فإن اجتماع النفوس- مع تنافر القلوب واختلافها- أصل كلّ فساد، وموجب كلّ تخاذل، ومقتضى تجاسر العدوّ؛ واتفاق القلوب والاشتراك في الهمّة والتساوي في القصد يوجب كلّ ظفر وكلّ سعادة"[1] .

وفي هذا: عبرة للمسلمين وتربية لهم في كل زمان ومكان؛ ليحذروا من التخالف والتدابر ويعلموا أن الأمة لا تكون ذات بأس على أعدائها إلا إذا كانت متماسكة متحدة؛ فإن الدول الإسلامية ما هدّ كيانها، وأضعفها أمام أعدائها إلا تخاذلها أفرادا وجماعات، وانفراط عقد وحدتها، ومن ثم طمع الأعداء في بلادهم ودخلوها فاتحين وأذاقوا أهلها كؤوس الذل والهوان! [2].

3- بشائر من الله لرسوله وللمؤمنين:

لقد قررت الآيات حقيقة راسخة في نفوس اليهود والمنافقين وأتباعهم، وإن كانوا يحاولون إخفاءها وسترها، وهي أن خشيتهم من الناس أشد من خشيتهم من الله ﷻ ؛ فقلوبهم ملآى جبناً ورهبةً..

قال تعالى: ﴿لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِۚ﴾

والتعبير بالرهبة للإشعار بأنها رهبة خفية لا يعلمها إلا الله- تعالى- وأن هؤلاء المنافقين واليهود، مهما تظاهروا أمام المؤمنين بالبأس والقوة فهم في قرارة نفوسهم يخافون المؤمنين خوفاً شديداً[3].

"وفي كل ما سبق بشارة للنبي ﷺ والمسلمين بأن الله أوقع الرعب منهم في نفوس عدوهم"[4].

"وفي هذا تشجيع للمؤمنين على قتالهم، وحثّ للعزائم الصادقة على حربهم، فإن المقاتل متى عرف ضعف خصمه ازداد نشاطا وازدادت حميّته وكان ذلك من أسباب نصرته عليه"[5].

وهذا الإيحاء قائم على حقيقة وتعبئة روحية ترتكن إلى حق ثابت؛ ومتى أخذ المسلمون قرآنهم مأخذ الجد هان عليهم أمر عدوهم وعدو الله، وتجمعت قلوبهم في الصف الواحد، فلم تقف لهم قوة في الحياة؛ والمؤمنون بالله ينبغي لهم أن يدركوا حقيقة حالهم وحال أعدائهم فهذا نصف المعركة[6].

---

(1) القشيري، لطائف الإشارات (ج3/ 564).

(2) انظر: المراغي، تفسير المراغي (ج28/ 49)؛ ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج28/ 106)

(3)انظر: طنطاوي، التفسير الوسيط (ج305/14)

(4)ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج28/ 103)

(5)المراغي، تفسير المراغي (ج28/ 49).

(6)سيد قطب، في ظلال القرآن (ج6/ 3529). بتصرف

سادساً: العبر والعظات المستفادة:

1- ينبغي على الأمة الإسلامية أن تتحد وتتماسك وتتعاضد لتقوى على مواجهة أعدائها.

2- ينبغي على المسلمين أن يعرفوا حقيقة أعدائهم ونفوسهم الممتلئة خوفاً ورعباً، فينطلقوا للجهاد في سبيل الله بقوة وشجاعة.

3- اليهود كانوا ولا يزالون أعداء للمسلمين، فلا ينبغي لمسلم أن يواليهم؛ قال تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۖ﴾ [المائدة: 82]

المطلب الثالث: الكفر ملة واحدة ومصيره واحد

قال تعالى:﴿ كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ قَرِيبٗاۖ ذَاقُواْ وَبَالَ أَمۡرِهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ١٥ كَمَثَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ إِذۡ قَالَ لِلۡإِنسَٰنِ ٱكۡفُرۡ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّنكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦ فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِي ٱلنَّارِ خَٰلِدَيۡنِ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٧ ﴾

[الحشر: 15-17]

أولاً: المفردات:.

- قوله تعالى:﴿ كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ قَرِيبٗاۖ ﴾

اختلف المفسرون في المقصود بالذين من قبلهم على أقوال: أحدها: يعني به قينقاع رُوي عن ابن عباس -رضي الله عنهما- ؛ الثاني: أنهم كفار قريش يوم بدر ، قاله مجاهد، الثالث: أنهم بنو النضير أمكن الله منهم قبل قريظة، قاله قتادة. الرابع: أنهم بنو قريظة، كان قبلهم إجلاء بني النضير[1]؛ وقيل:" هو عام في كل من انتقم منه على كفره قبل بني النضير من نوح إلى محمد ﷺ"[2].

ويرجح بعض المفسرين ما روي عن ابن عباس بقرينة ضمير ﴿ قَبۡلِهِمۡ ﴾ العائد لبني النضير والذي يعني حادثاً لليهود[3].

ولكن الإمام الطبري له رأي آخر في الترجيح، فيقول بشأن هذا كلاماً رائعاً: "وأولى الأقوال بالصواب أن يقال: إن الله ﷻ مثل هؤلاء الكفار من أهل الكتاب مما هو مذيقهم من نكاله بالذين من قبلهم من مكذّبي رسوله ﷺ، الذين أهلكهم بسخطه، وأمر بني قينقاع ووقعة بدر، كانا

---

[1]انظر: الماوردي، النكت والعيون (ج5/ 509)؛ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج18/ 36).

[2] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج18/ 36).

[3]انظر: دروزة عزت، التفسير الحديث (ج7/ 322)

قبل، جلاء بني النضير، وكلّ أولئك قد ذاقوا وبال أمرهم، ولم يخصص الله ﷻ منهم بعضًا في تمثيل هؤلاء بهم دون بعض، وكلّ ذائق وبال أمره، فمن قربت مدته منهم قبلهم، فهم ممثلون بهم فيما عُنُوا به من المثل"[1].

- قوله تعالى:﴿ ذَاقُوا۟ وَبَالَ أَمۡرِهِمۡ ﴾

"سوء عاقبة كفرهم في الدنيا من القتل وغيره"[2].

ثانياً: سبب النزول:

لقد ساق المفسرون قصصاً مختلفة الصيغ والأسماء متفقة المغزى مسهبة البيان عن ابن عباس رضي الله عنهما وغيره في سياق الآية.

خلاصتها" أن الإنسان الذي قال له الشيطان اكفر هو شخص كان ناسكاً- بعض المفسرين ذكر أن اسمه: برصيص- أعيا الشيطان فاحتال عليه وكسب ثقته وعلمه اسم الله الأعظم فصار يشفي به المجانين والمصروعين والمرضى، ثم خالط الشيطان فتاة جميلة حتى جنّت فجاءوا بها إلى هذا الناسك فأعجبته وحينئذ استطاع الشيطان أن ينفذ إليه ويزيّن له مواقعتها ثم قتلها لإخفاء جريمته وجاء أهلها لتفقدها فشعر الناسك بالورطة التي تورط بها فظهر له الشيطان وقال له إن سجدت لي أنقذتك من ورطتك فسجد له وحينئذ قال له إني بريء منك إني أخاف الله!"[3].

ذكر هذه القصة ابن جرير[4] والقرطبي[5] وضعف ابن عطية أسانيدها[6]، وكذلك ضعفها ابن عاشور حيث قال بشأنها: " ولم ترد في الآخرة حادثة معينة من وسوسة الشيطان لإنسان معين في الدنيا، وكيف يكون ذلك والله تعالى يقول: ﴿فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّنكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ ، وهل يتكلم الشيطان مع الناس في الدنيا فإن ظاهرة قوله: قال إني بريء منك أنه يقوله للإنسان، وأما احتمال أن يقوله في نفسه فهو احتمال بعيد. فالحق: أن قول الشيطان هذا هو ما في آية: ﴿ وَقَالَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمۡ وَعۡدَ ٱلۡحَقِّ وَوَعَدتُّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُكُمۡۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوۡتُكُمۡ

---

[1] الطبري، جامع البيان (ج23/ 293)

[2] الزحيلي، التفسير المنير (ج28/ 95)

[3] دروزة عزت، التفسير الحديث (ج7/ 323).

[4] انظر: الطبري، جامع البيان (ج23/ 295)

[5] انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج18/ 37).

[6] انظر: ابن عطية، المحرر الوجيز (ج5/ 290).

فَٱسۡتَجَبۡتُمۡ لِيۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُمۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصۡرِخِكُمۡ وَمَآ أَنتُم بِمُصۡرِخِيَّ إِنِّي كَفَرۡتُ بِمَآ أَشۡرَكۡتُمُونِ مِن قَبۡلُۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴾ [إبراهيم: 22] "[1] .

وأما ما ذكره المفسرون –وإن صحّ– لا يعدو كونه مثالاً يصلح أن تصدق عليه الآية، ومعنى الآية أعم وأشمل من حصرها في مثال.

قال ابن كثير : "وقد ذكر بعضهم هاهنا– قصة لبعض عباد بني إسرائيل هي كالمثال لهذا المثال، لا أنها المرادة وحدها بالمثل، بل هي منه مع غيرها من الوقائع المشاكلة لها"[2].

وقال الشوكاني: "وهذا لا يدل على أن هذا الإنسان– المذكور في القصة الآتية– هو المقصود بالآية بل يدل على أنه من جملة من تصدق عليه"[3].

ثالثاً: المعنى الإجمالي:

استكمالاً لقصة بني النضير: يخبر الله ﷻعن بني النضير أن مثل بني النضير في هزيمتهم بعد نقضهم العهد كمثل الذين من قبلهم في الزمان والمكان وهم بنو قينقاع وغيرهم ممن نقضوا عهدهم فأخرجهم رسول الله ﷺ وذاقوا عاقبة كفرهم في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب أليم موجع شديد.

وكما كان حال بني النضير مع المنافقين حيث حرضوهم على الحرب والقتال وواعدوهم أن يكونوا معهم ثم خذلوهم وتركوهم وحدهم؛ فذلك أيضاً مثل الشيطان الذي أغرى الإنسان وأوصله للكفر بوسائله الخاصة، فلما كفر الإنسان تبرأ منه الشيطان وقال إني بريء منك إني أخاف الله رب العالمين؛ فكان عاقبة أمرهما –أي الإنسان والشيطان– أنهما في النار خالدين فيها، وذلك أي خلودهما في النار جزاء الظالمين أي المشركين والفاسقين عن طاعة الله عز وجلﷻ [4].

رابعاً: تحقيق المقاصد والأهداف:

1- الكفر ملةٌ واحدة:

" لقد ضرب الله ﷻ مثلاً للكافرين الضالين بكل من سبقهم في الضلال والعصيان؛ ووجه الشبه بين السابقين واللاحقين، أن الجميع قد اغتروا بمالهم وقوتهم، فتطاولوا على المؤمنين، ونقضوا

(1)ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج28/ 109)

(2)ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج104/8).

(3) الشوكاني، فتح القدير (ج5/ 245).

(4)انظر: الجزائري، أيسر التفاسير (ج5/ 315)

عهودهم معهم.. فكانت عاقبتهم جميعاً أن أذلهم الله- تعالى- في الدنيا، ولعذاب الآخرة أشد وأبقى"[1].

بل إن الله ﷻ ضرب لهم مثلاً أشد وقعاً على النفوس، وأنكى جرحاً في القلوب؛ إذ مثل لليهود في اغترارهم بمن وعدوهم النصرة من المنافقين، ولما جدّ الجدّ واشتد الحصار والقتال تخلّوا عنهم وأسلموهم للهلكة- كمثل الشيطان إذ سوّل للإنسان الكفر والعصيان، فلما دخل فيه تبرأ منه وتنصل وقال: ﴿ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [2].

وبهذا المثل يبيّن الله ﷻ لعباده أن مثال الكافرين واحد، وملتهم في الضلال والعصيان ونقض العهود والغدر واحدة، وأن أتباع الشيطان منهجهم الشيطانيّ واحد..

ولم يتمثل هذا المعنى في هذه السورة المباركة في هذه الآية فحسب، بل إن السورة التي تعايش أحداث بني النضير من بدايتها إلى النهاية لتقرره وتؤكد عليه، فليس قول المنافقين لإخوانهم اليهود ووعودهم لهم بالنصرة ببعيد، يقول الله ﷻ: ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ يَقُولُونَ لِإِخۡوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَئِنۡ أُخۡرِجۡتُمۡ... ﴾

2- مصير الكافرين واحد:

سنة ربّانية وعدلٌ إلهي لا شك فيه: أن مصير أتباع الشيطان واحدٌ، لهم العذاب الأليم في الدنيا والآخرة.

"تلك هي عاقبة الشيطان وصاحبه، لقد هلك الشيطان، وهلك معه من استجاب له، وتلك هي عاقبة المنافقين، وإخوانهم من اليهود؛ إنهم جميعاً إلى النار خالدين فيها وذلك جزاء الظالمين.. لا جزاء لهم إلا جهنم وبئس المصير" [3]...

3- التحذير من سبل الشيطان وفتنه:

"تحذرنا الآيات الكريمة من سبل الشيطان وهي الإغراء بالمعاصي وتزيينها فإذا وقع العبد في الهلكة تبرأ الشيطان منه وتركه في محنته وعذابه"[4].

---

[1] طنطاوي، التفسير الوسيط (ج14/ 306)

[2] انظر: المراغي، تفسير المراغي (ج28/ 52)

[3] عبد الكريم الخطيب، التفسير القرآني للقرآن (ج14/ 876)

[4] الجزائري، أيسر التفاسير (ج5/ 313).

ومن الآيات التي وردت في هذا المعنى قوله- تعالى-: ﴿ وَقَالَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمۡ وَعۡدَ ٱلۡحَقِّ وَوَعَدتُّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُكُمۡۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوۡتُكُمۡ فَٱسۡتَجَبۡتُمۡ لِيۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُمۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصۡرِخِكُمۡ وَمَآ أَنتُم بِمُصۡرِخِيَّ إِنِّي كَفَرۡتُ بِمَآ أَشۡرَكۡتُمُونِ مِن قَبۡلُۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴾

[إبراهيم: 22]

ولا ينفع الندم حين التبرء؛ واللوم كل اللوم على من أطاعه، فإن الله قد حذر منه وأنذر، وأخبر بمقاصده وغايته ونهايته، فالمقدم على طاعته، عاص على بصيرة لا عذر له؛ فكان عاقبتهما كليهما –أي الداعي الذي هو الشيطان، والمدعو الذي هو الإنسان حين أطاعه- إلى النار خالدين فيها، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ [فاطر: 6]؛ وهذا دأب الشيطان مع كل أوليائه، فإنه يدعوهم ويدليهم إلى ما يضرهم بغرور، حتى إذا وقعوا في الشباك، وحاقت بهم أسباب الهلاك، تبرأ منهم وتخلى عنهم[1].

ولذلك وجب حذر المؤمن من الشيطان وأتباعه وأصحاب الزّلّة وأصحاب الدعاوى.. هؤلاء كلّهم في درجة واحدة في هذا الباب- وإن كان بينهم تفاوت- لا تنفع صحبتهم في الله قال تعالى: ﴿ٱلۡأَخِلَّآءُ يَوۡمَئِذِۢ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلۡمُتَّقِينَ ﴾[الزخرف: 67] [2].

خامساً: العبر والعظات المستفادة:

التحذير من سبل الشيطان وأتباعه؛ لأنهم لا يدعون إلا للشر والضلال، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ [فاطر:6]

---

[1] السعدي، تيسير الكريم الرحمن (ص: 853) بتصرف ..

[2] القشيري، لطائف الإشارات (ج3/ 564) بتصرف يسير ..

المبحث الرّابع
المقاصد والأهداف لسورة الحشر من الآية (18-24)

المطلب الأول: وجوب تقوى الله واستشعار مراقبته ﷻ في السر والعلن

قال تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ۝١٨ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمۡ أَنفُسَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ۝١٩ ﴾ [الحشر: 18-19]

أولاً: المفردات:

- ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ ﴾

التقوى: خشية الله باتباع أوامره واجتناب نواهيه.

" أعاد هذا تكريراً، كقولك: اعجل اعجل، ارم ارم؛ وقيل التقوى الأولى التوبة فيما مضى من الذنوب، والثانية اتقاء المعاصي في المستقبل"[1].

- قوله تعالى:﴿ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ ﴾

ما قدمت: "أي أيّ شيء قدمت، وغد: هو يوم القيامة، سمى بذلك لقربه"[2].

- قوله تعالى:﴿ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمۡ أَنفُسَهُمۡۚ ﴾

قال الماوردي في معناها أربعة أوجه:

"أحدها: نسوا الله أي تركوا أمر الله ، فأنساهم أنفسهم أن يعملوا لها خيراً، قاله ابن حبان؛ الثاني: نسوا حق الله فأنساهم حق أنفسهم، قاله سفيان؛ الثالث: نسوا الله بترك شكره وتعظيمه فأنساهم أنفسهم بالعذاب أن يذكر بعضهم بعضاً، حكاه ابن عيسى؛ الرابع: نسوا الله عند الذنوب فأنساهم أنفسهم عند التوبة، قاله سهل؛ ويحتمل خامساً: نسوا الله في الرخاء فأنساهم أنفسهم في الشدائد"[3].

ولربما المعنى الذي يجمع كل ما سبق من المعاني: أنهم نسوا حق الله ﷻ فأنساهم أنفسهم بأن يقدموا لها أي خير ينفعها، والخير أعم من أن يُقصر على جانبٍ واحد.

---

(1) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج18/ 43).

(2) المراغي، تفسير المراغي (ج28/ 52).

(3) الماوردي، النكت والعيون (ج5/ 511).

ثانياً: اللطائف البيانيّة:

- قوله تعالى:﴿ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ﴾

▪كناية في كلمة ﴿ لِغَدٍ﴾ "كنى بها عن يوم القيامة؛ لقربها"[1].

▪"تنكير النفس والغد، أما تنكير النفس فاستقلال للأنفس النواظر فيما قدّمن للآخرة، وأما تنكير الغد فلتعظيمه وإبهام أمره كأن قيل لغد لا يعرف كنهه لعظمه"[2].

ثالثاً: المعنى الإجمالي:

يخاطب الله ﷻ عباده المؤمنين في الآية الكريمة؛ ليحثهم على التقوى بأداء فرائضه ﷻ، واجتناب معاصيه، ولينظر كل امرئٍ منهم فيما قدّم ليوم القيامة من الأعمال؛ أهي أعمال صالحة تنجيه، أم سيئات ترديه؟

فإن الله سبحانه خبيرٌ عليم بكل أعمال عباده، لا يخفى عليه منها شيء، وسيحاسبهم جميعاً عليها[3].

ثم ينهى الله المؤمنين عن أن يكونوا كالذين تركوا أداء حق الله الذي أوجبه عليهم، وأعرضوا عن ذكر الله ونسوه، فكان جزاؤهم أن أنساهم الله أنفسهم فلم ينالوا خيراً في الدنيا والآخرة لفسقهم وعصيانهم[4].

رابعاً: تحقيق المقاصد والأهداف:

1- وجوب تقوى الله ﷻ واستشعار مراقبته في السر والعلن:

"تجيء هذه الآيات بعد ما عرضت الآيات السابقة موقف جماعات المنافقين واليهود، من النبي والمسلمين، وكيف ينتهى بهم هذا الموقف إلى خسران الدنيا والآخرة جميعا؛ فتحمل الآية إلى المؤمنين دعوة مجددة إلى تقوى الله، وإلى إخلاص العبودية له وحده ﷻ"[5].

والتقوى كما قال عليٌّ رضي الله عنه في معناها: "هي الخوف من الجليل، والعمل بالتنزيل، والقناعة بالقليل، والاستعداد ليوم الرحيل"[6].

---

(1)الزحيلي، التفسير المنير (ج28/ 101)

(2)محيي الدين درويش، إعراب القرآن وبيانه (ج10/ 55)

(3) انظر: طنطاوي، التفسير الوسيط (ج14/ 308).

(4) انظر: المرجع السابق (ج14/ 308).

(5) عبد الكريم الخطيب، التفسير القرآني للقرآن (ج14/ 877).

(6) شحاتة صقر، دليل الواعظ إلى أدلة المواعظ (ج1/ 546)

وهي –كما قال طلق بن حبيب–: "العمل بطاعة الله على نور من الله، ترجو ثواب الله، وترك معصية الله على نور من الله، تخاف عقاب الله"[1].

وقد جاء الأمر بالتقوى في آيات كثيرة من القرآن الكريم، وبينت لنا الآثار الطيبة والفوائد العظيمة التي تترتب على تقوى الله في الدنيا والآخرة .

– "فالتقوى سبب لتفريج الكروب وسعة الرزق؛ يقول ﷻ : ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَـٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾[الأعراف: 96]، ويقول:﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ [الطلاق: 2–3].

– والتقوى سبب للفوز بالجنة، يقول– عز وجل–:﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّـٰتٍ وَنَهَرٍ ۝٥٤ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ۝٥٥ ﴾ [القمر:54–55] "[2].

ولا شك أن فوائد التقوى أجلّ من أن تحصر، فإن معيّة الله ﷻ تصاحب المتقين ومحبته ﷻ ينالها المتقين، يقول الحق تبارك وتعالى في أكثر من موطن في القرآن الكريم: ﴿ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [سورة البقرة:194]، ويقول ﷻ : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ ﴾ [النحل: 128]، ويقول سبحانه: :﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [التوبة: 4].

فمن صاحبته معية الرحمن، وحظي بحب الرحمن، فأي أبـــــوابٍ من الخيرات والبركات فتحت عليه ؟!

ولذا تبقى التقوى الأمر الحاضر في كثير من سور القرآن الكريم، وكما أن التقوى هي أمرٌ من الله لعباده، فهي وصية الرسول الكريم ﷺ لأمته..

2– الحث على المبادرة للعمل الصالح ومحاسبة النفس:

قال تعالى: :﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ﴾

لقد أمر الله ﷻ عباده المؤمنيـــــن بالتقوى والإعداد ليوم القيامة، هذا اليوم العظيم القريب ! وإن من تقوى الله ﷻ : نظر الإنسان فيما يقدم من عمل، ومحاسبته نفسه ومراجعتها، وتفقدها، وعلامة من نظر في عمله أن يحسن مراعاة يومه، ولا يكون ذلك إلّا إذا فكّر فيما عمله في أمسه؛ فإن رأى زللاً تداركه بالإقلاع عنه، والتوبة النصوح، والإعراض عن الأسباب الموصلة

---

[1] ابن القيم، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (ج1/ 459).

[2] راشد العبد الكريم، الدروس اليومية من السنن والأحكام الشرعية (ص: 624)

إليه، وإن رأى نفسه مقصراً في أمر من أوامر الله، بذل جهده واستعان بربه في تكميله وتتميمه وإتقانه [1].

إذاً: فالنظر والاعتبار لا يقتصر على محاسبة النفس ووزن أعمالها فحسب، بل ينبغي أن تؤتي هذه المحاسبة ثمارها من تصحيح الخطأ، والعدول عن الزلل، والتوبة النصوح، والمبادرة بالأعمال الصالحة.

3- الله خبير بعباده لا تخفى عليه خافية:

ويدل على هذا المقصد قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾

أي إنّ ﷻ تعالى عليم بأحوال عباده، مطلع عليهم، لا يخفى عليه شيء من شئونهم.

وهذا يدعو المسلم إلى استشعار مراقبة الله ﷻ في كل لحظةٍ وآن، والمراقبة تستوجب من المسلم ألا يراه الله ﷻ حيث نهاه، ولا يفقده حيث أمره.

والتأكيد على مدى علم الله ﷻومراقبته لعباده، وضرورة استشعار المؤمن لهذا معنىً لا يكاد يغيب عن معظم سور القرآن العظيم.

ومن ذلك ما جاء في وصايا لقمان لابنه: ﴿ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٖ فَتَكُن فِي صَخۡرَةٍ أَوۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَأۡتِ بِهَا ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٞ﴾ [لقمان: 60]

فالمراد من قول لقمان لابنه هنا الوصية باستشعار مراقبة الله، فلئن كان علم الله ﷻ محبط بحبة الخردل الصغيرة ولو كانت في السماوات الفسيحة أو في الأرض الوسيعة أو في الصخرة المنيعة ، فكيف بعلمه ﷻ بنا وبأعمالنا ؟

4- نسيان الله ﷻ فسق وعصيان وعاقبته العذاب والنيران :

قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمۡ أَنفُسَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ١٩﴾

بعد أن أمر الله عباده المؤمنين بالتقوى والإعداد ليوم القيامة ومحاسبة النفس على ما تقدم من عمل، نهاهم ﷻ أن يغفلوا عن ذكرهﷻ وينسوا أداء حقوقه ﷻ فيشبه حالهم أولئك الذين تركوا أداءَ حقه وناموا عن عبادته وذكره، فصرفهم عما فيه النفع والمصلحة لهم، وحرمهم حظوظهم من الخير والثواب، فإن الحرمان كل الحرمان أن يغفل العبد عن ربه، ويشابه من نسي أداء حق ربه، فكان عاقبته أن أنساه الله مصلحة نفسه، وأغفله عن منافعه، فصار أمرهم فرطاً، ورجع بخسارة الدارين [2]..

---

[1]انظر: القشيري، لطائف الإشارات (ج3/ 565)؛ السعدي، تيسير الكريم الرحمن (ص: 853)

[2]انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن (ص: 853)

خسارة في الدنيا إذ الغافل العاصي لم ينل خيراً، وخسارة في الآخرة إذ العذاب المقيم، خسارة يستحقها من اقترن به وصف الفسق : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴾ .

خامساً: العبر والعظات المستفادة:

1- وجوب تقوى الله ﷻ بفعل أوامره وترك نواهيه.

2- وجوب استشعار مراقبة الله ﷻ في كل لحظة وآن.

3- على المسلم أن يحاسِب نفسه قبل أن يحاسَب، وأن يزن أعماله قبل أن توزن، ومن ثم يقبل على الله بالتوبة والعمل الصالح.

4- وجوب ذكر الله ﷻ في كل الأحوال، وترك الغفلة، والتحذير من نسيان الله وعصيانه.

المطلب الثاني: أهل الجنة وأهل النار لا يستوون أبداً

قال تعالى:﴿ لَا يَسۡتَوِيٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۚ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ٢٠﴾ [الحشر: 20]

أولاً: المفردات:

- قوله تعالى:﴿ لَا يَسۡتَوِيٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۚ ﴾

أي: لا يتساوون عند الله في مكانتهم وفي حالهم، إذ أهل الجنة في النعيم، وأهل النار في العذاب المقيم [1].

ثانياً: اللطائف البيانيّة:

- قوله تعالى:﴿ لَا يَسۡتَوِيٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۚ ﴾ النار والجنة بينهما طباق.

ثالثاً: المعنى الإجمالي:

بعد أن أمر الله ﷻ عباده بالتقوى، ونهاهم أن يكونوا كالذين نسوا الله وعصوه، بيّن الله ﷻ المفارقة والموازنة بين من يعمل الصالحات وبين من يجترح السيئات؛ إذ إنّهم لا يستوون أبدا في حكم الله تعالى يوم القيامة، فشتان شتان بين من صار إلى جنة؛ وبين من آل إلى نار!! فأصحاب الجنة هم الفائزون بكل مطلوب، الناجون من كل مكروه، وأصحاب النار في العذاب المقيم[2].

---

[1] انظر: الماوردي، النكت والعيون (ج5/511).

[2] انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج8/ 107)؛ المراغي، تفسير المراغي (ج28/ 55).

رابعاً: تحقيق المقاصد والأهداف:

1- أصحاب النار وأصحاب الجنة لا يستوون أبـــداً:

وهذا مما هو معلومٌ من الدين بالضرورة لا شك فيه، إذ كيف يستوي من آمن واتقى، وسار في درب طاعة المولى، فوصل إلى جنته ورضاه ﷻ، مع من كفر وعصى، وعن طاعة ربه أدبر وتولى، فوصل إلى نارٍ تلظى!

شتان شتان بينهما، وهيهات لهما أن يستويا، فريقان افترق طريقهما في الدنيا، واختلف مآلهما في الآخرة، فلا يستويان!

"لا يستويان طبيعة وحالاً، ولا طريقاً ولا سلوكاً، ولا وجهة ولا مصيراً؛ فهما على مفرق طريقين لا يلتقيان أبداً في طريق، ولا يلتقيان أبداً في سمة، ولا يلتقيان أبداً في صف واحد في دنيا ولا آخرة"[1].

وهناك آيات أخرى تؤكد هذا المعنى، منها: قوله ﷻ : ﴿ قُل لَّا يَسۡتَوِي ٱلۡخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ ﴾ [المائدة: 100]؛ وقوله تعالى : ﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤۡمِنٗا كَمَن كَانَ فَاسِقٗاۚ لَّا يَسۡتَوُۥنَ ١٨ ﴾ [السجدة: 18]؛ وفي سورة ص : ﴿ أَمۡ نَجۡعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلۡمُفۡسِدِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ نَجۡعَلُ ٱلۡمُتَّقِينَ كَٱلۡفُجَّارِ ٢٨ ﴾

2- تنبيه الناس لفرط غفلتهم :

إن التفاوت بين هذين الفريقين : فريق أصحاب النار وفريق أصحاب الجنة معلوم بالضرورة، وإنما جاء ذكر هذا التفاوت والفرق للتنبيه على عظم ذلك الفرق[2]، بل يتعدى الغرض من التنبيه إلى إنذار الناس لفرط غفلتهم وقلة تفكيرهم في العاقبة وتهالكهم على إيثار العاجلة واتباع الشهوات بحيث باتوا لا يعرفون الفرق بين الجنة والنار، والبون العظيم بين أصحابهما، -وهذا كما تقول لمن يعق أباه: هو أبوك، تجعله بمنزلة من لا يعرفه، فتنبهه بذلك على حق الأبوّة الذي يقتضى البر والتعطف-[3].

خامساً: العبر والعظات المستفادة:

1- أصحاب الجنة وأصحاب النار لا يستويان أبداً -حالاً ومآلاً-.

2- على المسلم أن يترك الغفلة، ويسارع في الخيرات ليكون من أصحاب الجنة الفائزين.

---

[1] سيد قطب، في ظلال القرآن(ج6/ 3531).

[2] انظر: الرازي، مفاتيح الغيب (ج29/ 512).

[3] انظر: الزمخشري، الكشاف (ج4/ 508).

المطلب الثالث: إجلال قدر القرآن الكريم وبيان عظيم أثره وعظاته.

قال تعالى:﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [الحشر: 21]

أولاً: المفردات:

- قوله تعالى:﴿ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا ﴾

خاشعاً: أي ذليلاً خاضعاً، والمتصدع: المتشقق [1].

- قوله تعالى:﴿ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾

أي: "يتذكرون فيؤمنون ويوحّدون ويطيعون"[2].

ثانياً: اللطائف البيانيّة:

- قوله تعالى: ﴿ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ ﴾ " تمثيل" [3].

ثالثاً: المعنى الإجمالي:

يقول تعالى معظماً لأمر القرآن ومبيناً علو قدره، وأنه ينبغي أن تخشع له القلوب وتتصدع عند سماعه؛ لما فيه من الوعد الحق والوعيد الأكيد:

﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ ﴾ أي " فإذا كان الجبل في غلظته وقساوته لو فهم هذا القرآن فتدبر ما فيه لخشع وتصدع من خوف الله ﷻ، فكيف يليق بكم أيها البشر أن لا تلين قلوبكم وتخشع وتتصدع من خشية الله، وقد فهمتم عن الله أمره وتدبرتم كتابه، ولهذا قال تعالى: ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾"[4].

رابعاً: تحقيق المقاصد والأهداف:

1- إجلال قدر القرآن الكريم وعِظم أثره وعظاته:

بعد أن دعت الآيات السابقة إلى تقوى الله والمداومة على ذكره وعبادته، تأتي هذه الآية لترشد الناس إلى خير مرشد إلى تقوى الله، وخير هاد يهدى إلى الله، وخير مذكّر يذكّر به، وهو القرآن

---

[1] انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج18/44)؛ الرازي، مفاتيح الغيب (ج29/512).

[2] الجزائري، أيسر التفاسير (ج5/317).

[3] البيضاوي ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل (ج5/ 202)؛ الزحيلي، التفسير المنير (ج28/ 107)

[4] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج8/ 107)

الكريم، الذي يجب أن تخشع لهيبته القلوب، وتتصدع لدى سماع عظاته الأفئدة؛ لما فيه من وعد ووعيد، وبشارة وإنذار، وحكم وأحكام[1].

فقال سبحانه: ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ﴾

" وفي هذا تعظيم من الله ﷻ كتابه الكريم، وإخبار عن جلالته، وأنه حقيق بأن تخشع له القلوب، وترق له الأفئدة"[2].

يقول الله ﷻ عن القرآن الكريم في آية أخرى: ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ [القمر: 17]؛ ويقول فيه سبحانه أيضاً: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الإسراء: 82]، ويصفه سبحانه بأنه ذو الذكر في قوله: ﴿ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ﴾ [ص: 1].

والحديث عن القرآن الكريم كلام الله ﷻ لا تستغرقه الكلمات، ولا تحيط به العبارات، فهو دستور الله الخبير الحكيم، الذي أحاط بكل شيءٍ علماً.

2- التنبيه على قساوة الكفار وغلظ طباعهم والتعجب من حالهم!

إن معنى الآية الكريمة أنه لو كان في الجبل عقل كما في البشر، ثم أنزل عليه القرآن لخشع وخضع وتشقق من خشية الله[3]؛ فلو أُنزل القرآن على جبل أصم من الجبالِ الضخمة العاتية لرأيته – مع كونه مثلًا في القسوة–، علمًا في الرسوخ والثبات لبات متشققًا، متصدعًا من قوة خشية الله وشدة جبروته [4].

"وهذا القرآن لم يتجه إلى الجبل، وإنما اتجه إلى الإنسان؛ ومع هذا فإن كثيراً من الناس لم يقع هذا القرآن منهم موقعه من الجبل الأصم لو نزل عليه.. فلم يخشعوا له، ولم تلن قلوبهم به .. فهناك في الناس قلوب قاسية، أشد قسوة من حجارة هذا الجبل، كما يقول سبحانه: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۗ﴾ [البقرة: 74]" [5]..

---

[1] انظر: المراغي، تفسير المراغي (ج28/ 56)؛ عبد الكريم الخطيب، التفسير القرآني للقرآن (ج14/ 879)

[2] الشوكاني، فتح القدير (ج5/ 246)

[3] انظر: الرازي، مفاتيح الغيب (ج29/ 512)

[4] انظر: مجمع البحوث، التفسير الوسيط (ج10/ 1369)

[5] عبد الكريم الخطيب، التفسير القرآني للقرآن (ج14/ 880).

"فمن قرأ القرآن، أو استمع إليه، ولم يخشع قلبه له، ولم ينضح بقطرات من الخير والإحسان، ولم تبرق في سمائه بروق الهدى والإيمان- فليعلم- إن كان منه أن يعلم- أنه دون بعض الأحجار، قبولاً للخير، وتأثرا به"[1]..

"وفي هذا توبيخ الإنسان على عدم تخشعه عند تلاوة القرآن لقساوة قلبه وقلة تدبره"[2]؛ فما بال البشر لا يتأثرون ولا يهتدون ولا يتعظون!

فواعجباً لحالهم هذا، أي قسوة تسيطر على أفئدتهم فلا تتحرك لكل مواعظ القرآن التي تهز الجبال ! وأي غلظةٍ تحجزهم عن التأثر به، وأي طغيانٍ يحجزهم عن مناهل هداه؟!!

3- الامتنان من الله على رسوله الكريم بالتثبيت:

ذهب بعض المفسرين إلى أن الخطاب في هذه الآية الكريمة للنبي ﷺ ، فيكون معناها: " لو أنزلنا هذا القرآن يا محمد على جبل لتصدع من نزوله عليه ولما ثبت ، وقد أنزلناه عليك وثبتناك له وقويناك عليه، فيكون على هذا من باب الامتنان على النبي ﷺ لأن الله سبحانه ثبته لما لا تثبت له الجبال الرواسي"[3].

4- بيان الحكمة من ضرب الأمثال في القرآن:

﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾

ضرب الله في هذه الآية مثلاً، وضرب الأمثال حاضر في القرآن الكريم لما له من حكم عظيمة وفوائد؛ لأجل أن يتفكر الناس في آيات الله ﷻ ويتدبروها، فإن التفكر فيها يفتح للعبد خزائن العلم، وطرق العمل..

حيث إن هذا التفكر من خلال الأمثال: يقرب الحقائق إلى عقولهم، فيروا على مرآتها أحوالهم، ثم يسددوا ويقاربوا ويصلحوا ويعملوا بما تقتضيه من توجيهات حكيمة ومواعظ سديدة، وإرشادات نافعة، فينعكس ذلك على سلوكهم وأعمالهم؛ فيغدو ضرب الأمثال تبصرة وذكرى لمن كان له قلب، فإنما هي لمن يعقل، ويتفكر فيما عقل! [4]..

---

[1] عبد الكريم الخطيب، التفسير القرآني للقرآن (ج14/ 880).

[2]تفسير البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل (ج5/ 202).

[3]الشوكاني، فتح القدير (ج5/ 246)

[4]انظر: المراغي، تفسير المراغي (ج28/ 56)؛ السعدي، تيسير الكريم الرحمن (ص: 853)؛ طنطاوي، التفسير الوسيط (ج14/ 310)؛ عبد الكريم الخطيب، التفسير القرآني للقرآن (ج14/ 879).

خامساً: العبر والعظات المستفادة:

1- "استحسان ضرب الأمثال للتنبيه والتعليم والإرشاد"[1].

2- القرآن الكريم منار هداية وخير مرشد ومذكّر بالله، فعلى المسلم أن يداوم على تلاوته بتدبر وخشوعٍ.

المطلب الرابع: لله الأسماء الحسنى والصفات العلا المنزّهة عن كل نقص.

قال تعالى:﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الحشر: 22-24]

أولاً: المفردات:

- قوله تعالى:﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ﴾

قال ابن عباس رضي الله عنهما: "عالم السر والعلانية، وقيل: ما كان وما يكون. وقال سهل. عالم بالآخرة والدنيا، وقيل: الغيب ما لم يعلم العباد ولا عاينوه، والشهادة ما علموا وشاهدوا" [2]. وكل تلك المعاني واردة، فالله ﷻ يعلم كل شيءٍ، يعلم السر وأخفى.

- قوله تعالى:﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴾

"الرحمن الرحيم: اسمان دالان على أنه تعالى ذو الرحمة الواسعة العظيمة التي وسعت كل شيء، وعمت كل مخلوق، وكتب الرحمة الكاملة للمتقين المتبعين لأنبيائه ورسله، فهؤلاء لهم الرحمة المطلقة المتصلة بالسعادة الأبدية، ومن عداهم محروم من هذه الرحمة الكاملة"[3].

- قوله تعالى:﴿ ٱلْمَلِكُ ﴾

أي المالك لجميع الأشياء المتصرف فيها بلا ممانعة ولا مدافعة[4].

---

[1] الجزائري، أيسر التفاسير (ج317/5).

[2] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج45/18).

[3] السعدي، تفسير أسماء الله الحسنى (ص: 200)

[4] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج8/ 108)

- قوله تعالى:﴿ ٱلۡقُدُّوسُ﴾

ذكر الإمام ابن كثير في معنى (القُدُّوس) قوله: " قال وهب بن منبه: الطاهر، وقال مجاهد وقتادة: المبارك، وقال ابن جريج: تُقَدِّسه الملائكة الكرام"[1].

وقال القرطبي: " المنزه عن كل نقص، والطاهر عن كل عيب"[2].

وقال الإمام الشوكاني :" الطاهر من كل عيب المنزه عن كل نقص"[3].

- قوله تعالى:﴿ ٱلسَّلَٰمُ ﴾

"ذو السلامة من النقائص، الذي يسلّم على أوليائه، والذي سلم المؤمنون من عذابه"[4].

- قوله تعالى:﴿ ٱلۡمُؤۡمِنُ﴾

فيه ستة أقوال: أحدها: "أنه الذي أَمِنَ الناسُ ظلمَهُ، وأَمِنَ مَنْ آمَنَ به عذابَهُ، قاله ابن عباس ومقاتل؛ والثاني: أنه المجير، قاله القرظي؛ والثالث: الذي يصدِّق المؤمنين إذا وحَّدوه، قاله ابن زيد؛ والرابع: أنه الذي وحّد نفسه، لقوله عزّ وجلّ: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [آل عمران:18] ذكره الزجاج؛ والخامس: أنه الذي يُصدِّق عباده وعده، قاله ابن قتيبة؛ والسادس: أنه يصدّق ظنون عباده المؤمنين، ولا يُخيِّب آمالَهم"[5].

- قوله تعالى:﴿ ٱلۡمُهَيۡمِنُ﴾

فيه أربعة أقوال: "أحدها: أنه الشهيد، قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة والكسائي.

قال الخطّابي: ومنه قوله ﷻ: ﴿ وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِۖ﴾ [المائدة:48]، فالله الشاهد على خلقه بما يكون منهم من قول أو فعل؛ والثاني: الأمين، قاله الضّحّاك، قال الخطّابي: أصله: مؤيمن، فقلبت الهمزة هاء، لأنّ الهاء أخَفُّ عليهم من الهمزة؛ والثالث: المصدِّق فيما أخبر، قاله ابن زيد؛ والرابع: أنه الرقيب على الشيء، والحافظ له، قاله الخليل.

قال الخطابي: وقال بعض أهل اللغة: الهيمنة: القيام على الشيء، والرعاية له"[6].

---

[1] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج8/ 108)

[2] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج18/ 46).

[3] الشوكاني، فتح القدير (ج5/ 247)

[4] القشيري، لطائف الإشارات (ج3/ 567)

[5] أبو الفرج الجوزي، زاد المسير في علم التفسير (ج4/ 264)

[6] المرجع السابق(ج4/ 264).

- قوله تعالى:﴿ ٱلۡعَزِيزُ ﴾

الْعَزِيزُ: "الذي لا يغلب والقاهر الذي لا يقهر"[1] .

- قوله تعالى:﴿ ٱلۡجَبَّارُ﴾

قال ابن عباس: الجبار هو العظيم، وجبروت الله عظمته، وقيل: هو من الجبر وهو الإصلاح، يقال: جبرت الأمر، وجبرت العظم إذا أصلحته بعد الكسر، فهو يغني الفقير ويصلح الكسير؛ وقال السدي ومقاتل: هو الذي يقهر الناس ويجبرهم على ما أراد. وسئل بعضهم عن معنى الجبار فقال: هو القهار الذي إذا أراد أمرا فعله لا يحجزه عنه حاجز [2].

- قوله تعالى:﴿ ٱلۡمُتَكَبِّرُ﴾

المتكبر، "الذي تكبر عن كل سوء؛ وقيل: المتعظم عما لا يليق به وأصل الكبر والكبرياء الامتناع. وقيل: ذو الكبرياء وهو الملك- سبحان الله عما يشركون-"[3].

- قوله تعالى:﴿ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ﴾

"الخالق هنا المقدر؛ والبارئ المنشئ المخترع؛ والمصور مصور الصور ومركبها على هيئات مختلفة. فالتصوير مرتب على الخلق والبراية وتابع لهما"[4].

"فالخالق، البارئ، المصور، الذي خلق جميع الموجودات وبرأها، وسواها بحكمته، وصورها بحمده وحكمته، وهو لم يزل ولا يزال على هذا الوصف العظيم "[5].

ثانياً: اللطائف البيانيّة:

- قوله تعالى:﴿ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ ﴾ "الغيب والشهادة بينهما طباق" [6].

ثالثاً: المعنى الإجمالي:

لقد كان مما حوته هذه السورة الكريمة الاعتبار بتأييد الله لرسوله ونصره للمؤمنين، وذكر ما حل بالمنافقين؛ ثم كان التحذير من السير على نهج المعرضين عن شرع الله، والاستعداد ليوم

---

(1) ابن عطية، المحرر الوجيز (ج5/ 292).

(2) البغوي، معالم التنزيل (ج5/ 67) بتصرف..

(3) المرجع السابق (ج5/ 67).

(4) السعدي، تفسير أسماء الله الحسنى (ص: 170)

(5) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج18/ 48)

(6) الزحيلي، التفسير المنير (ج28/ 107)

القيامة بطاعة الله والتزام ذكره وخشيته، والاسترشاد بهدي القرآن الكريم منارة الهدى الدال على الخير [1]..

ثم اختتمت السورة الكريمة بذكر طائفة من عظيم صفات الله ذات الآثار العديدة في تصرفاته المناسبة لغرض السورة زيادة في بيان عظمة الخالق وقدرته وعزته[2].

فلا معبود بحق إلا هو ﷻ، عالم السر والعلن؛ الرحمن الرحيم الذي وسعت رحمته كل شيء الرحيم، الملك الذي له ملك السموات والأرض والمدبر للأمر في الأرض والسماء، القدوس الطاهر المنزه عن كل عيب؛ ذو السلامة من كل نقص، المؤمن المصدق رسله والمصدق عباده المؤمنين، المهيمن على خلقه الرقيب عليهم المتحكم فيهم لا يخرج شيء من أعمالهم وتصرفاتهم عن إرادته وإذنه، العزيز الغالب على أمره الذي لا يمانع فيما يريده. الجبار للكل على مراده وما يريده، المتكبر على كل خلقه وله الكبرياء في السموات والأرض والجلال والكمال والعظمة؛ سبحان الله وتعالى عما يشرك به المشركون[3].

هو الله الخالق المقدر لكل شيء، البارئ لهذا الكون، وهو الذي أوجد صوره على حسب حكمته وإرادته؛ لله سبحانه الأسماء الحسنى الدالة على محاسن المعاني وفضائلها وأشرافها؛ يسبح له لأجل هذا كل ما في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم الجامع للكمال كله[4].

رابعاً: تحقيق المقاصد والأهداف:

1- تقرير التوحيد وأنه لا إله إلا الله:

ابتدأت الآيات الكريمة التي اشتملت على كثير من أسماء الله الحسنى وأوصافه العلى بصفة الوحدانية وهي مدلول قوله ﷻ : ﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ ﴾ فلا إله غيره ﷻ ولا معبود بحقٍ سواه؛ وذلك لكماله العظيم، وإحسانه الشامل، وتدبيره العام، وكل إله سواه فإنه باطل لا يستحق من العبادة مثقال ذرة[5].

وقد كان الابتداء بهذه الحقيقة وهذه الصفة إذ هي الأصل فيما يتبعها من الصفات؛ ولذلك كثر في القرآن ذكرها عقب اسم الجلالة كما في آية الكرسي، وفاتحة آل عمران[6].

---

[1] انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج28/ 118).

[2] انظر: المرجع السابق(ج28/ 118).

[3] انظر: محمد حجازي، التفسير الواضح (ج654/3).

[4] انظر: الجزائري، أيسر التفاسير (ج5/ 318).

[5] انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن (ص: 854).

[6] انظر: ابن عاشور. التحرير والتنوير (ج28/ 119).

2- لله الأسماء الحسنى:

﴿ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ أي: "لله ﷻ الأسماء الكثيرة جداً، التي لا يحصيها ولا يعلمها أحد إلا الله هو، ومع ذلك: فكلها حسنى أي: صفات كمال، بل تدل على أكمل الصفات وأعظمها، لا نقص في شيء منها بوجه من الوجوه، ومن حسنها أن الله يحبها، ويحب من يحبها، ويحب من عباده أن يدعوه ويسألوه بها.

ومن كماله ﷻ وأن له الأسماء الحسنى، والصفات العليا، أن جميع من في السماوات والأرض مفتقرون إليه على الدوام، يسبحون بحمده، ويسألونه حوائجهم، فيعطيهم من فضله وكرمه ما تقتضيه رحمته وحكمته"[1].

ولقد روى الشيخان عن أبي هريرة –رضي الله عنه–: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الجَنَّةَ) [2].

والحديث الشريف هذا يقودنا إلى مسائل سأتحدث عن أهمها بإيجاز:

– ما هي أسماء الله ﷻ التسعة وتسعين المقصودة في هذا الحديث الشريف؟

– هل أسماء الله ﷻ منحصرة في تسعة وتسعين؟

روى الترمذي[3] عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :(إِنَّ لِلَّهِ تَعَالَى تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مِائَةً غَيْرَ وَاحِدٍ مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الجَنَّةَ، هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ المَلِكُ القُدُّوسُ السَّلَامُ المُؤْمِنُ المُهَيْمِنُ العَزِيزُ الجَبَّارُ المُتَكَبِّرُ الخَالِقُ البَارِئُ المُصَوِّرُ الغَفَّارُ القَهَّارُ الوَهَّابُ الرَّزَّاقُ الفَتَّاحُ العَلِيمُ القَابِضُ البَاسِطُ الخَافِضُ الرَّافِعُ المُعِزُّ المُذِلُّ السَّمِيعُ البَصِيرُ الحَكَمُ العَدْلُ اللَّطِيفُ الخَبِيرُ الحَلِيمُ العَظِيمُ الغَفُورُ الشَّكُورُ العَلِيُّ الكَبِيرُ الحَفِيظُ المُقِيتُ الحَسِيبُ الجَلِيلُ الكَرِيمُ الرَّقِيبُ المُجِيبُ الوَاسِعُ الحَكِيمُ الوَدُودُ المَجِيدُ البَاعِثُ الشَّهِيدُ الحَقُّ الوَكِيلُ القَوِيُّ المَتِينُ الوَلِيُّ الحَمِيدُ المُحْصِي المُبْدِئُ المُعِيدُ المُحْيِي المُمِيتُ الحَيُّ القَيُّومُ الوَاجِدُ المَاجِدُ الوَاحِدُ الصَّمَدُ القَادِرُ المُقْتَدِرُ المُقَدِّمُ المُؤَخِّرُ الأَوَّلُ الآخِرُ الظَّاهِرُ البَاطِنُ الوَالِيَ المُتَعَالِي البَرُّ التَّوَّابُ

---

[1] السعدي، تيسير الكريم الرحمن (ص: 854).

[2] [البخاري، صحيح البخاري، كتاب التوحيد/ باب إن لله مائة اسم إلا واحداً، (118/9)رقم الحديث(7392)]، [مسلم، صحيح مسلم ، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار/ باب في أسماء الله تعالى وفضل من أحصاها، (2063/4)رقم الحديث(2677)].

[3] [الترمذي، سنن الترمذي، أبواب الدعوات (530/5)رقم الحديث(3507)]؛ قال عنه الترمذي بعد روايته: "هذا حديث غريب حدثنا به غير واحد عن صفوان بن صالح، ولا نعرفه إلا من حديث صفوان بن صالح: وهو ثقة عند أهل الحديث وقد روي هذا الحديث من غير وجه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ ولا نعلم في كبير شيء من الروايات ذكر الأسماء إلا في هذا الحديث".

المُنْتَقِمُ العَفُوُّ الرَّءُوفُ مَالِكُ المُلْكِ ذُو الجَلَالِ وَالإِكْرَامِ، المُقْسِطُ الجَامِعُ الغَنِيُّ المُغْنِي المَانِعُ الضَّارُّ النَّافِعُ النُّورُ الهَادِي البَدِيعُ البَاقِي الوَارِثُ الرَّشِيدُ الصَّبُورُ).

وقد روى هذا الحديث غير وحد من المخرّجين كالحاكم في مستدركه، وابن ماجه في سننه، وروي من أكثر من طريق اختلف سرد الأسماء فيها، واختلف فيها العلماء وفي صحتها، وفي سرد الأسماء أهو مدرج أم مرفوع؟ وكلام العلماء يطول في هذا.

قال ابن كثير تعقيباً على هذا الحديث: "والذي عول عليه جماعة من الحفاظ أن سرد الأسماء في هذا الحديث مدرج فيه، وإنما ذلك كما رواه الوليد بن مسلم وعبد الملك بن محمد الصنعاني عن زهير بن محمد أنه بلغه عن غير واحد من أهل العلم أنهم قالوا ذلك، أي أنهم جمعوها من القرآن..

ثم ليعلم أن الأسماء الحسنى غير منحصرة في تسعة وتسعين بدليل ما رواه الإمام أحمد[1] في مسنده عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: (مَا قَالَ عَبْدٌ قَطُّ إِذَا أَصَابَهُ هَمٌّ وَحَزَنٌ: اللهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ، وَابْنُ عَبْدِكَ، ابْنُ أَمَتِكَ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ، مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ، عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ، سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ، أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي، وَنُورَ صَدْرِي، وَجِلَاءَ حُزْنِي، وَذَهَابَ هَمِّي، إِلَّا أَذْهَبَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ هَمَّهُ، وَأَبْدَلَهُ مَكَانَ حُزْنِهِ فَرَحًا "، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَعَلَّمَ هَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ؟ قَالَ: " أَجَلْ، يَنْبَغِي لِمَنْ سَمِعَهُنَّ أَنْ يَتَعَلَّمَهُنَّ)" [2]

3- آثار الإيمان بأسماء الله وصفاته:

أمرنا الله سبحانه بتدبر القرآن الكريم، وكانت أسماؤه مما حوته آيات القرآن الكريم، فوجب التدبر في معانيها، والتفكر فيها؛ لتزرع في القلب آثارها! فإن كل اسم من أسماء الله سبحانه ليوحي للمسلم بعظيم المعاني التي ينبغي عليه امتثالها في حياته..

" فالإيمان بأن الله عالم الغيب والشهادة.. يوقظ مراقبة هذا الضمير لله في السر والعلانية ويعمل الإنسان كل ما يعمل بشعور المراقب من الله المراقب لله، الذي لا يعيش وحده، ولو كان في خلوة أو مناجاة!" [3].

---

[1][أحمد، مسند أحمد، مسند عبد الله بن مسعود (341/7)؛(4318)] قال المحقق: إسناده ضعيف

[2]ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج465/3).

[3]سيد قطب، في ظلال القرآن (ج6/ 3533) بتصرف..

ورحمة الله التي وسعت كل شيء: تزرع في القلب شعور الطمأنينة لرحمة الله والاستروح.
ويتعادل الخوف والرجاء، والفزع والطمأنينة، وهو السلام ﷻ الذي يبعث في القلب هدوء وراحة وسلام.!

وصفات قوته ﷻ وعزته وغلبته وجبروته: تردع النفس عما يغضب الله، فهي تخشى انتقامه، وتوقن ألا غالب ولا ناصر ولا جبار إلا هو سبحانه، فأي سلطان لبشرٍ بعد هذا؟!

4- يسبح لله كل شيء ويخضع له:

﴿ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ ﴾إن كل ما في السموات والأرض من عوالم، يسبح لله، ويحمد له، ويتعبد لذاته، كما يقول سبحانه: ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ﴾ [الإسراء: 44]

وكل ما في السماوات والأرض ليخضع لله وعزته؛ ﴿ فَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ جَمِيعًاۚ ﴾ [فاطر: 10].

فإن من كمال الإله الواحد، المتفرد بالسلطان- أن يخضع لسلطانه كل شيء؛ ﴿ وَلِلَّهِ يَسۡجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا وَظِلَٰلُهُم بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ ۩ ﴿١٥﴾ ﴾ [الرعد: 15] [1]..

خامساً: العبر والعظات المستفادة:

1- لا إله إلا الله، ولا معبود بحق إلا الله، له -سبحانه- الأسماء الحسنى والصفات العلى.

2- على المسلم أن يتفكر في أسماء الله وصفاته، ويتدبر في معانيها، ويمتثل مقاصدها ومراميها، ويدعو الله ﷻ ويتوسل إليه بها.

---

[1] عبد الكريم الخطيب، التفسير القرآني للقرآن (ج14/ 887) بتصرف.

الفصل الثالث

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة الممتحنة

المبحث الأول

المقاصد والأهداف لسورة الممتحنة من الآية (1-6).

المطلب الأول:الولاء لله ﷻ ولرسوله وللمؤمنين.

قال تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمۡ أَوۡلِيَآءَ تُلۡقُونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ وَقَدۡ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلۡحَقِّ يُخۡرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمۡ أَن تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمۡ إِن كُنتُمۡ خَرَجۡتُمۡ جِهَٰدٗا فِي سَبِيلِي وَٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِيۚ تُسِرُّونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعۡلَمُ بِمَآ أَخۡفَيۡتُمۡ وَمَآ أَعۡلَنتُمۡۚ وَمَن يَفۡعَلۡهُ مِنكُمۡ فَقَدۡ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ١ إِن يَثۡقَفُوكُمۡ يَكُونُواْ لَكُمۡ أَعۡدَآءٗ وَيَبۡسُطُوٓاْ إِلَيۡكُمۡ أَيۡدِيَهُمۡ وَأَلۡسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ وَوَدُّواْ لَوۡ تَكۡفُرُونَ ٢ لَن تَنفَعَكُمۡ أَرۡحَامُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡۚ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَفۡصِلُ بَيۡنَكُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ٣ ﴾ [الممتحنة: 1-3]

أولاً: المفردات:

- قوله تعالى:﴿ تُلۡقُونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ ﴾

"إلقاء المودة هو إيصالها والإفضاء بها إليهم"[1].

قال الزجاج: " تلقون إليهم أخبار النبي ﷺ وسره، بالمودة التي بينكم وبينهم"[2].

- قوله تعالى:﴿ تُسِرُّونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ ﴾

ذكر الماوردي في المراد منها وجهين: "أحدهما: تعلمونهم سراً أن بينكم وبينهم مودة؛ الثاني: تعلمونهم سراً بأحوال النبي ﷺ بمودة بينكم وبينهم"[3].

- قوله تعالى:﴿ يُخۡرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمۡ ﴾

أي: يخرجون رسول الله ﷺ ويخرجونكم أيضًا من دياركم وأرضكم، وذلك إخراج مشركي قريش رسول الله ﷺ وأصحابه من مكة[4].

---

[1] الزمخشري، الكشاف (ج4/ 512) بتصرف.

[2] الزجاج، معاني القرآن (ج155/5).

[3] الماوردي، النكت والعيون (ج5/ 517).

[4] الطبري، جامع البيان (ج23/ 310) بتصرف..

- قوله تعالى:﴿ أَن تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمۡ ﴾

أن تؤمنوا: "لأن آمنتم بالله"[1]، أي كان إخراجهم لكم لأنكم آمنتم بالله.

- قوله تعالى:﴿ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴾

أي "أخطأ طريق الهدى"[2]، "وجار عن قصد السبيل التي جعلها الله طريقًا إلى الجنة ومحجة إليها"[3].

- قوله تعالى:﴿ إِن يَثۡقَفُوكُمۡ ﴾

إن يثقفوكم: " يظفروا بكم ويروكم"[4] " ويتمكنوا منكم"[5].

- قوله تعالى:﴿ أَرۡحَامُكُمۡ ﴾

المعنى: " ذوو أرحامكم وقراباتكم "[6].

- قوله تعالى:﴿ يَفۡصِلُ بَيۡنَكُمۡۚ ﴾

يفصل بينكم: " أي يفرق بينكم من شدة الهول"[7].

ثانياً: اللطائف البيانيّة:

- **قوله تعالى:**﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمۡ أَوۡلِيَآءَ ﴾

- " عبر– سبحانه– بالاتخاذ الذي هو افتعال من الأخذ، للمبالغة في نهيهم عن موالاة هؤلاء الأعداء، إذ الاتخاذ يشعر بشدة الملابسة والملازمة"[8].
- "أضاف سبحانه العدو إلى نفسه تعظيماً لجرمهم وتغليظاً فيه"[9] .

---

(1) البغوي، معالم التنزيل(ج5/ 70).

(2) الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل (ج4/ 280)

(3) الطبري، جامع البيان (ج23/ 311)

(4) البغوي، معالم التنزيل (ج5/ 70)

(5) النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل (ج3/ 467)

(6) أبو الفرج الجوزي، زاد المسير في علم التفسير (ج4/ 268)

(7) المراغي، تفسير المراغي (ج28/ 61)

(8) طنطاوي، التفسير الوسيط (ج14/ 322)

(9) القنوجي، فتح البيان في مقاصد القرآن (ج14/ 73)

- "المقابلة هنا بين عدوي وعدوكم – وأولياء فيها إبراز صورة الحال وتقبيح الفعل؛ لأن العداوة تتنافى مع الموالاة والمسارة للعدو بالمودة"[1].

- **قوله تعالى:﴿ تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمْ ﴾**

- " أَخْفَيْتُمْ وأَعْلَنْتُمْ بينهما طباق، فالإخفاء يقابل الإعلان" [2].
- ﴿ تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ.. ﴾ "عتاب وتوبيخ"[3]، "وتعجيب مستفاد من تعقيبه بجملة ﴿ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ ﴾ ، أي كيف تظنون أن إسراركم إليهم يخفى علينا ولا نطلع عليه رسولنا؟"[4].

- **قوله تعالى:﴿ وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ ﴾**

"البسط: مستعار للإكثار لما شاع من تشبيه الكثير بالواسع والطويل، وتشبيه ضده وهو القبض بضد ذلك، فبسط اليد الإكثار من عملها.

والمراد به هنا: عمل اليد الذي يضر مثل الضرب والتقييد والطعن، وعمل اللسان الذي يؤذي مثل الشتم والتهكم، ودل على ذلك قوله: بالسوء "[5].

ثالثاً: سبب النزول:

ذكر المفسرون أن هذه الآيات نزلت بشأن حاطب بن بلتعة، وقد سبق بيان ذلك عند الحديث عن سبب نزول السورة الكريمة[6].

رابعاً: المعنى الإجمالي:

يخاطب الله ﷻ عباده المؤمنين في هذه الآيات. يا أيها الذين اتصفتم بالإيمان: لا يليق بكم- لأجل هذا الوصف- أن تتخذوا عدو الله وعدوكم أولياء -ولو في الظاهر-، تلقون إليهم بالمودة، وتسرون إليهم بها، وهم الذين كفروا بالله وبرسوله، وأخرجوا رسولكم الكريم وإياكم من دياركم وأموالكم وأوطانكم لا لشيء أبداً إلا لأنكم تؤمنون بالله ربكم، فعجباً كيف تجعلونهم أولياء وتسرون إليهم بالمودة؟! إن كنتم خرجتم للجهاد في سبيل الله وابتغاء مرضاته فلا تتخذوهم

---

[1] الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (ج8/ 80)

[2] الزحيلي، التفسير المنير (ج28/ 118)

[3] المرجع السابق (ج28/ 118)

[4] ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج28/ 138)

[5] المرجع السابق ص (140)

[6] انظر (ص 21): من هذه الرسالة.

أولياء، كيف تلقون إليهم بالمودة؟ وتسرون إليهم بأخبار الرسول سرّا، والله يعلم السر وأخفى، ومن يتولهم منكم فقد ضل سواء السبيل، وأخطأ طريق الهدى والحق[1].

أيها المؤمنون: إن يظفر بكم هؤلاء الأعداء ويتمكنوا منكم، يظهروا لكم ما انطوت عليه قلوبهم نحوكم من بغضاء وحقد وعداوة، ولا يكتفون بذلك، بل يمدون إليكم أيديهم بما يضركم، وألسنتهم مما يؤذيكم، وودوا لو صدوكم عن دينكم؛ فهذه الموالاة لا نفع لكم فيها أبداً؛ ولئن كانت من أجل قرابتكم وأولادكم؛ فاعلموا أنه لن تنفعكم أرحامكم ولا قراباتكم، ولن تنفعكم أولادكم وأموالكم في شيء، يوم القيامة يفصل بينكم ويقضى بحكمه ويفرق بينكم ؛ ﴿ يَوۡمَ يَفِرُّ ٱلۡمَرۡءُ مِنۡ أَخِيهِ ٣٤ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ٣٥ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ٣٦ لِكُلِّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُمۡ يَوۡمَئِذٖ شَأۡنٞ يُغۡنِيهِ ٣٧﴾ [عبس:34-37].

فاعملوا لأجل هذا اليوم، وانظروا ماذا قدمتموه لهذا الغد، واعلموا أن الله بما تعملون بصير فسيجازيكم على كل عمل[2].

خامساً: تحقيق المقاصد والأهداف:

1- تربية المؤمنين على العقيدة والولاء لله ﷻ:

هذه السورة حلقة في سلسلة التربية الإيمانية والتنظيم الاجتماعي، وإقامة المجتمع المسلم على المنهج الإلهي المختار؛ وإقامة عالم رباني خالص في ضمير المسلم.

فمع الأحداث التي يعايشها المسلم يبدأ التوجيه والتوضيح وتسوق آيات الله ﷻ ألواناً من التربية التي تغرس العقيدة السليمة في قلوب المؤمنين، ويقوم رسول الله ﷺ باستخدامها بحكمة بالغة في بناء النفوس وتربيها، بحيث يكون اعتصام المسلمين بحبل الله وحده، وتجمعهم بعروة واحدة لا انفصام لها وتجعلهم يضحون من أجل العقيدة بكل شيء، ويقدمونها في تصرفاتهم على محبة الآباء والأبناء والعشيرة والأموال، وكل ما في هذه من الرغبات والمودات؛ فتبرأ نفوسهم من كل عصبية أخرى، عصبية للقوم أو للجنس أو للأرض أو للعشيرة أو للقرابة[3]..

فالأولوية في حياة المسلم هي رضا الله ومحبته، لا مودة إلا فيه ﷻ، ولا معاداة إلا من أجله ﷻ.

---

[1] انظر: طنطاوي، التفسير الوسيط (ج14/ 326).

[2] انظر: الحجازي، التفسير الواضح (ج3/ 657-658).

[3] انظر: سيد قطب، في ظلال القرآن (ج6/ 3536).

ومن أجل تربية المسلم هذه التربية القويمة احتوت الآيات على الكثير من التوجيهات والمبادئ؛ من أهمها:

أ- رابطة الدين أقوى من كل رابطة:

تعالج الآيات الكريمة مشكلة الأواصر القريبة، والعصبيات الصغيرة، وحرص النفوس على مألوفاتها الموروثة، ورغائبها وأهواء قلوبها، فتقرر الآيات أن القرابات وصلات البنوة وغيرها لا تنفع مع كفر [1]!

"بل إنها جاءت صريحة في أن ما يتعلق بالدين والعقيدة، يجب أن يقدم على ما يتعلق بالأرحام والأولاد؛ لأن الأرحام والأولاد لن تنفع يوم القيامة، وإنما الذي ينفع هو ما يتعلق بالاستجابة لما يفرضه الدين علينا من واجبات وتكاليف"[2].

وفي هذا تربية للنفس على العقيدة الإسلامية، وتقديمها على كل العلاقات والرغبات، والتضحية من أجلها بأغلى ما يملك المرء؛ بل إنها أغلى ما يملك، فإن قرب العبد من ربه وصلته به هو الكنز في الدنيا والآخرة.

ب- مراعاة ضعف النفوس:

لم يأتِ منهج التربية على العقيدة الإسلامية بمنأىً عن الإنسان المقصود من هذه التربية، بل جاء مراعياً طبيعة النفس البشرية وما فيها من الضعف البشري والميول الطبيعية ورواسب الماضي، وما تشهده من أحداث مضطربة ومؤثرات عديدة..

فها هو حاطب المسلم المهاجر، من شهد بدراً وشهدت له بدرٌ بالفضل الخاص والسبق والمكانة العلية..

ها هو في لحظة ضعف تشده إلى أهله وأولاده، فيمد يداً لأعداء ربه وأعدائه، ويفشي سر رسوله ﷺ، ويعرض للخطر صحابته!

لكن– على عظم خطر ما فعله حاطب– :

يناديه الله الرحيم الكريم برحمة بخطاب الإيمان، ويلقاه رسول الله ﷺ بحسن الظن والإحسان" فلا يعجل رسول الله ﷺ حتى يسأل: (مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا صَنَعْتَ) [3] في سعة صدر وعطف على لحظة الضعف الطارئة في نفس صاحبه، وإدراك ملهم بأن الرجل قد صدق، ومن ثم يكف الصحابة عنه: (صَدَقَ وَلاَ تَقُولُوا لَهُ إِلَّا خَيْرًا)ليعينه وينهضه من عثرته، فلا يطارده بها

---

[1] انظر: طنطاوي، التفسير الوسيط (ج14/ 327)؛ سيد قطب، في ظلال القرآن (ج6/ 3539)

[2] مجمع البحوث، التفسير الوسيط (ج10/ 1374) بتصرف..

[3] [البخاري، صحيح البخاري، كتاب المغازي/باب فضل من شهد بدراً، (ج5/77) رقم الحديث(3983)]

ولا يدع أحدا يطارده. بينما نجد الإيمان الجاد الحاسم الجازم في شدة عمر: " إِنَّهُ قَدْ خَانَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالمُؤْمِنِينَ، فَدَعْنِي فَلِأَضْرِبَ عُنُقَهُ"؛ فعمر – رضي الله عنه– إنما ينظر إلى العثرة ذاتها فيثور لها حسه الحاسم وإيمانه الجازم؛ أما رسول اللهﷺ فينظر إليها من خلال إدراكه الواسع الشامل للنفس البشرية على حقيقتها، ومن كل جوانبها، مع العطف الكريم الملهم الذي تنشئه المعرفة الكلية في موقف المربي الكريم العطوف المتأني الناظر إلى جميع الملابسات والظروف"[1]..

وفي هذا: " تلقين مستمر المدى بالإغضاء عن موقف قد يصدر من بعض الناس عن ضعف نفسي مهما كان خطير المدى والأثر؛ إذا ما كان هناك يقين بأن صاحبه مخلص غير خائن ولا غادر وله مواقف تضحية وإخلاص سابقة مشهودة"[2].

وفي هذا: "قبول عذر الصادقين الصالحين ذوي السبق في الإسلام إذا عثر أحدهم اجتهاداً منه"[3].

فواعجباً كيف عالج المنهج الإسلامي لحظة الضعف الخطيرة هذه، أي رحمةٍ شملت حاطباً من ربه؟ وأي سعة صدرٍ قوبل بها من رسوله؟ فأنبتت وعياً لدى المسلمين جميعاً..

ما أحوجنا إلى مثل هذه التربية القويمة التي تحسّن الإنسان وتحسن إليه وتراعيه، خاصةً وأننا في زمنٍ عصيبٍ يحتاج منا التريث والصبر عند التعامل مع الناس، وقبول أعذارهم، ومراعاة ضعفهم وأخطائهم، وعدم التسرع في الحكم عليهم..

ج- الحكمة في الدعوة إلى الله والتربية:

"إن هذه الآيات الكريمة فيها ما فيها من الأساليب الحكيمة في الدعوة إلى الفضائل واجتناب الرذائل؛ لأن الله ﷻ عند ما نهى المؤمنين عن موالاة أعدائه وأعدائهم، ساق لهم الأسباب التي تحملهم على قطع كل صلة بهؤلاء الأعداء. بأن ذكر لهم أن هؤلاء الأعداء قد كفروا بالحق، وحرصوا على إخراج الرسول والمؤمنين من ديارهم، وأنهم إن يتمكنوا من المؤمنين، فسينزلون بهم أشد ألوان الأذى.. وهكذا يجب أن يتعلم الدعاة إلى الله– تعالى– أن على رأس الوسائل التي توصلهم إلى النجاح في دعوتهم، أن يأتوا في دعوتهم بالأسباب المقنعة لاعتناق الحق، واجتناب الباطل"[4]..

---

[1] سيد قطب، في ظلال القرآن (ج6/ 3539)

[2] دروزة عزت، التفسير الحديث (ج9/ 272)

[3] الجزائري، أيسر التفاسير (ج5/ 323)

[4] طنطاوي، التفسير الوسيط (ج14/ 327)

2- النهي عن اتخاذ المشركين أولياء:

هذه الآيات الكريمة أصل في النهي عن موالاة الأعداء بأي صورة ولأي سبب أو مبرر كان، وقد ورد هذا النهي كذلك في السورتين السابقتين (سورة المجادلة وسورة الحشر) وبيّناه في موطنه؛ وإن كان المتأمل لمعاني هذه السورة الكريمة ليراها لم تترك وسيلة ولا طريقة للتنفير من موالاة الأعداء إلا ذكرتها؛ ومن تلك الوسائل نذكر:

أ- بيان موانع موالاة أعداء الدين:

نهت الآيات عن الموالاة وبيّنت أسباب النهي وموانع المولاة؛ لتنفير المؤمنين منها؛ وأهم ما يمنع هذه الموالاة أمران:

- ﴿ وَقَدۡ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلۡحَقِّ ﴾" أي وقد كفروا بالله ورسوله وكتابه الذي أنزله عليكم! فكيف بكم بعد هذا تجعلونهم أنصاراً وتسرّون إليهم بما ينفعهم ويضر رسولكم، ويعوق نشر دينكم"[(1)].
- ﴿ يُخۡرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمۡ أَن تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمۡ﴾" وهذا من عداوتهم البليغة أنهم ﴿ يُخۡرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمۡ ﴾ أيها المؤمنون من دياركم، ويشردونكم من أوطانكم، ولا ذنب لكم في ذلك عندهم، إلا أنكم تؤمنون بالله ربكم الذي يتعين على الخلق كلهم القيام بعبوديته، لأنه رباهم، وأنعم عليهم، بالنعم الظاهرة والباطنة، وهو الله تعالى"[(2)].

ونحو الآية قوله: ﴿ وَمَا نَقَمُواْ مِنۡهُمۡ إِلَّآ أَن يُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ﴾ [البروج: 8]؛ وقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيۡرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ ﴾[الحج: 40].

ب-الكفار يريدون ردَّكم وضُرَّكم:

الآيات الكريمة إذ تنهى المؤمنين عن ذلك تنبه إلي طبيعة المشركين تجاه المؤمنين، من حيث كونهم أعداءً خالصي العداوة، نفوسهم تمتلئ حقداً وكراهية، لا خير فيهم أبداً ولا يجدي فيهم معروف، ولا يبقون على مودة إلّا ضعفًا وخديعة، فإن أَمكنتهم الأَيام من المؤمنين طالت أَيديهم بالإِيذاءِ، وبسطوها بالسوءِ مع ترقب أَن يرجع المؤمنون عن دينهم[(3)]..

فهم: ﴿ لَا يَأۡلُونَكُمۡ خَبَالٗا﴾ [آل عمران:118]، يريدون أن يلحقوا بكم مضار الدنيا والدين جميعاً: من قتل الأنفس، وتمزيق الأعراض، وردّكم كفاراً؛ وردتكم عن دينكم أشد ما يبغون لكم،

---

(1) المراغي، تفسير المراغي (ج28/ 62).

(2) السعدي، تيسير الكريم الرحمن (ص: 855)

(3)انظر: الزمخشري، الكشاف (ج4/ 512)؛ الجزائري، أيسر التفاسير(ج5/ 322)؛ مجمع البحوث، التفسير الوسيط(ج10/ 1373).

أسبق المضارّ عندهم وأوّلها، لأن قلوبهم عمياء بظلمة الكفر في نفوسهم وعدم مراقبة الله عز وجل لأنهم لا يعرفونه ولا يؤمنون بما عنده من نعيم وجحيم يوم القيامة[1].

وعلى هذا فإن مودة أمثالهم منكر جسيم، وخطأ عظيم، لا يقبله عقل ولا دين..

قال ابن عاشور في بيان قول الله ﷻ: ﴿ إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ ۝٢ ﴾

" تفيد هذه الجملة معنى التعليل لمفاد قوله تعالى: ﴿ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾ باعتبار بعض ما أفادته الجملة، وهو الضلال عن الرشد، فإنه قد يخفى ويظن أن في تطلب مودة العدو فائدة، كما هو حال المنافقين المحكي في قوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾[النساء: 141] ، فقد يظن أن موالاتهم من الدهاء والحزم رجاء نفعهم إن دالت لهم الدولة، فبين الله لهم خطأ هذا الظن، وأنهم إن استفادوا من مودتهم إياهم إطلاعاً على قوتهم فتأهبوا لهم وظفروا بهم لم يكونوا ليرقبوا فيهم إلا ولا ذمة، وأنهم لو أخذوهم وتمكنوا منهم لكانوا أعداء لهم لأن الذي أضمر العداوة زمنا يعسر أن ينقلب ودودا، وذلك لشدة الحنق على ما لقوا من المسلمين من إبطال دين الشرك وتحقير أهله وأصنامهم"[2].

والمراد من كل ما سبق بيانه مما جاء في هذه الآيات الكريمة أن الموالاة لا تنفع أبداً، مع ما فيها من الضرر والأذى من قبل الكافرين، فإن من والاهم من المؤمنين فقد ضل سواء السبيل..

3- حكم نقل أسرار المؤمنين:

"لقد بينت الآيات الكريمة أن الذي ينقل أسرار المسلمين الحربية إلى الكافرين على خطر عظيم وإن صام وصلى"[3]؛ فما حكم من يقوم بمثل هذا الفعل؟ فمنهم من رأى أن للحاكم قتله إن رأى في ذلك مصلحة، ومنهم من قال يعزّر بحبسٍ حتى تظهر توبته أو نفيٍ من الموضع الذي كان فيه[4].

---

[1] انظر: الزمخشري، الكشاف (ج4/ 512)؛ مجمع البحوث، التفسير الوسيط(ج10/ 1373).

[2] ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج28/ 139)

[3] الجزائري، أيسر التفاسير (ج5/ 322)

[4] انظر: وزارة الأوقاف الكويتية، الموسوعة الفقهية الكويتية (ج16/314).

وتعد هذه المسألة الفقهية من أهم المسائل في واقعنا المعاصر، والذي نشهد فيه –للأسف– تعامل بعض المنتسبين إلى الدين الإسلامي مع أعداء الإسلام والمسلمين، كمثل الذي نراه في مجتمعنا الفلسطيني من تعامل بعض أبنائه مع اليهود كعملاء لهم ينقلون لهم أخبار المؤمنين ويكون عيناً لهم على المجاهدين، فيضرون بهذا المسلمين أشد الضرر ويكونون سبباً في استشهاد المجاهدين والأبرياء وتدمير البيوت والمنشآت! بل إن اليهود قاتلهم الله ما كان لهم أن يصلوا لأهدافهم إلا من خلال العملاء وما ينقلونه من معلومات!

ولذا يرى الباحث وجاهة القول الذي يرى أن للحاكم قتل الجاسوس إن رأى في ذلك مصلحة، خاصة ممن يثبت أن أخبارهم أدت إلى إزهاق أرواح المسلمين، بل لا ينبغي التهاون معهم في هكذا حال، وبهذا يتحقق ردع غيرهم ممن تسول لهم نفسهم المضي في هذا الطريق المشين!

4- الأرحام والأولاد لا يغنون من الله شيئاً:

لن تغني الأرحام والأولاد ولا الأموال من الله شيئاً، فكل ما يملك المرء لن ينفعه يوم القيامة، لن يدفع عنه عذاباً، ولن يجلب له خيراً، فليس ينفع سوى القرب من الله وخشيته وتقواه ..

هذا المبدأ أكدته الآية الكريمة بأكثر من وجه؛ منها:

أ- ﴿ لَن تَنفَعَكُمۡ أَرۡحَامُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡۚ ﴾

نبّه الله المؤمنين أنه: "لن تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم الذين أمسكوا بشركهم، فقد أصبحتم في حزب الله، وبقوا هم في حزب الشيطان، ولن يجتمع حزب الله وحزب الشيطان، ولن يتبادلوا المنافع بينهم.. فليس في جانب المشركين إلا السوء والضلال.. وكما فرق الإيمان بينكم وبين أرحامكم وأولادكم المشركين في الدنيا، كذلك يفرق بينكم وبينهم يوم القيامة.. فأنتم في رحمة الله ورضوانه، وهم في سخط الله وعذابه"[1]..

قال ابن كثير: " قراباتكم لا تنفعكم عند الله إذا أراد الله بكم سوءا، ونفعهم لا يصل إليكم إذا أرضيتموهم بما يسخط الله، ومن وافق أهله على الكفر ليرضيهم فقد خاب وخسر وضل عمله ولا ينفعه عند الله قرابته من أحد، ولو كان قريباً إلى نبي من الأنبياء"[2]. أخرج الإمام مسلم في باب عنونه بباب : [بيان بَابُ بَيَانِ أَنَّ مِنْ مَاتَ عَلَى الْكُفْرِ فَهُوَ فِي النَّارِ، وَلَا تَنَالُهُ شَفَاعَةٌ، وَلَا تَنْفَعُهُ

---

[1] عبد الكريم الخطيب، التفسير القرآني للقرآن (ج14/ 895).

[2]ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج8/ 115).

قَرَابَةُ الْمُقَرَّبِينَ]عَنْ أَنَسٍ، أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَيْنَ أَبِي؟ قَالَ: (فِي النَّارِ)، فَلَمَّا قَفَّى دَعَاهُ، فَقَالَ: (إِنَّ أَبِي وَأَبَاكَ فِي النَّارِ) [1].

ب-الخوف على الأولاد ليس أولى من الخوف على الدين:

الحرص على الأهل والولد لا ينبغي أن يقدّم على شئون الدين؛ والخوف عليهم ليس أولى من الخوف على الدين، ومحبتهم ليس أوجب من محبة الله ﷻ ورسوله ﷺ.

ومن ذلك ما قال القاضي أبو يعلى: "في هذه القصة دلالة على أن الخوف على المال والولد لا يبيح التقية في إظهار الكفر، كما يبيح في الخوف على النفس، ويبين ذلك أن الله تعالى فرض الهجرة، ولم يعذرهم في التخلُّف لأجل أموالهم وأولادهم؛ وإنما ظن حاطب أن ذلك يجوز له ليدفع به عن ولده كما يجوز له أن يدفع عن نفسه بمثل ذلك عند التقيَّة"[2].

5- الله محبٌّ لعباده، رحيمٌ بهم، مطلعٌ عليهم:

أ- محبة الله لعباده المؤمنين تشريف وتكليف:

تبدأ السورة بنداء ودود: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾.. نداء من ربهم الذي آمنوا به، يدعوهم باسم الإيمان الذي ينسبهم إليه؛ وفي مودة يجعل عدوهم عدوه، وعدوه عدوهم: ﴿ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمۡ أَوۡلِيَآءَ ﴾ ..فيشعر المؤمنين بأنهم منه وإليه، هم أحباؤه، يعاديهم من يعاديه، وفي هذا تشريف للمؤمنين الذي يسمعون نداء ربهم، ويلبونه، ويطيعون أمره؛ فهم رجاله المنتسبون إليه المستخلفون في الأرض المكلفون بنشر دينه وإصلاح الدنا[3]..

ب-رحمة الله ﷻ بعباده:

"هذه الآيات الكريمة تتجلى فيها رحمة اللهﷻ بعباده المؤمنين، حيث ناداهم بهذه الصفة مع وقوع بعضهم في الخطأ الجسيم، وهو إفشاء أسرار المؤمنين لأعدائهم قالوا: وفي هذا رد على المعتزلة الذين يقولون: إن المعصية تنافى الإيمان"[4].

ويشهد لهذا: أنه ﷻ لم يخرجهم بضلالهم عن عموم إيمانهم؛ لأن الضلال هنا عن سواء السبيل لا مطلق السبيل[1].

---

[1] [مسلم، صحيح مسلم ،كتاب الإيمان/ بيان بَابُ بَيَانِ أَنَّ مِنْ مَاتَ عَلَى الْكُفْرِ فَهُوَ فِي النَّارِ، وَلَا تَنَالُهُ شَفَاعَةٌ، وَلَا تَنْفَعُهُ قَرَابَةُ الْمُقَرَّبِينَ؛ (191/1)رقم الحديث(203)]

[2] أبو الفرج الجوزي، زاد المسير في علم التفسير (ج4/ 268)

[3] انظر: سيد قطب، في ظلال القرآن (ج6/ 3540)

[4] طنطاوي، التفسير الوسيط (ج14/ 327)

وفي هذا رحمة من الله، استشعرها حاطب في موقفه العصيب، فذكر أنه لما سمع الآيات: "غشي عليه من الفرح بخطاب الإيمان"[2].

ج- لا يخفى على الله شيء:

قال تعالى: ﴿ **وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ** ﴾

الله ﷻ أعلم بما يخفي عباده من دقائق الأعمال وما يظهرونه؛ سيّان في علمه ﷻ الإخفاء والإعلان، لا فرق بينهما ولا تفاوت! [3]

﴿ **وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ** ﴾ "والله بأعمال عباده ذو علم وبصر؛ لا يخفى عليه منها شيء، وهو بجميعها محيط، وهو مجازيكم بها إن خيرًا فخير، وإن شرًا فشرّ، فاتقوا الله في أنفُسكم واحذروه"[4].

سادساً: العبر والعظات المستفادة:

1- ولاء المسلم لله ﷻ ولعقيدته؛ فلا ينبغي أن يقدم على حب الله حب، ولا على خوف الله أي خوف، ولا ينبغي له أن يوالي أعداء الله ولو كانوا أقرب أقربائه.
2- الصبر والتريث عند التعامل مع الناس، وعدم التعجل في الحكم عليهم، بل إن الأفضل الاستيضاح وقبول الأعذار، ومعالجة الأخطاء بحكمةٍ ورويّة.
3- على الدعاة استخدام الحكمة والبحث عن الأسباب المقنعة والأدلة التي تقرب النفوس إلى الدعوة.
4- الله مطلع على عباده، لا يخفى عليه شيء، ما يتطلب من المسلم أن يستشعر مراقبة الله ﷻ في كل وقت وآنٍ.
5- فضل أهل بدر وكرامتهم، ومحبة الله ورسوله لهم؛ وقد قال فيهم رسول الله ﷺ:(لَعَلَّ اللَّهَ اطَّلَعَ إِلَى أَهْلِ بَدْرٍ؟ فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ، فَقَدْ وَجَبَتْ لَكُمُ الجَنَّةُ، أَوْ: فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ) [5].

---

[1] انظر: الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (ج8/ 83)

[2] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج18/ 52).

[3] انظر: الزمخشري، الكشاف (ج4/ 512)

[4] الطبري، جامع البيان (ج23/ 316)

[5] سبق تخريجه (ص21).

المطلب الثاني: الاقتداء بإبراهيم ﷺ في البراءة من المشركين.

قال تعالى:﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٤﴾ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٥﴾ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٦﴾ ﴾ [الممتحنة: 4-6]

أولاً: المفردات:

– قوله تعالى:﴿ أُسْوَةٌ ﴾

"أسوة بضمها وكسرها وهما لغتان، والمعنى: قدوة وإمام ومثال"[1] .

– قوله تعالى:﴿ وَالَّذِينَ مَعَهُ ﴾

اختلف الناس في المراد من ﴿ الَّذِينَ مَعَهُ﴾:

فقال قوم من المفسرين: من معه من المؤمنين[2]، وقال الطبري وغيره: أراد الأنبياء الذين كانوا في عصره وقريباً من عصره[3].

ورجح ابن عطية[4] القول الثاني؛ لأنه لم يرو أن إبراهيم كان له أتباع مؤمنون في مكافحته نمروداً، بدليل ما جاء في البخاري أنه ﷺ قال لسارة حين رحل بها إلى الشام مهاجرا من بلد النمرود: "لَيْسَ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ مُؤْمِنٌ غَيْرِي وَغَيْرَكِ"[5].

– قوله تعالى:﴿ كَفَرْنَا بِكُمْ ﴾

أي جحدناكم وأنكرنا دينكم[1].

---

[1]ابن عطية، المحرر الوجيز (ج5/ 295)

[2]انظر: الواحدي، التفسير الوسيط (ج4/ 284)؛ البغوي، معالم التنزيل (ج5/ 70).

[3]انظر: الطبري، جامع البيان (ج23/ 317)

[4]انظر: ابن عطية، المحرر الوجيز (ج5/ 295)

[5] [البخاري، صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء/ باب قول الله تعالى:" وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا"،(140/4)رقم الحديث(3357)]

- قوله تعالى:﴿ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ ﴾

بدا:" أي ظهر ذلك واضحاً جلياً لا لبس فيه ولا خفاء"[2]؛ والبغضاء:" نفرة النفس، والكراهية"[3].

- قوله تعالى:﴿ أَنَبْنَا﴾

"أي رجعنا في أمورنا كلها"[4].

- قوله تعالى:﴿ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾

في تفسيرها تأويلان:

"أحدهما: معناه لا تسلطهم علينا فيفتنونا ، قاله ابن عباس؛ الثاني: لا تعذبنا بأيديهم ولا بعذاب من عندك فنصير فتنة لهم فيقولوا لو كانوا على حق ما عذبوا ، قاله مجاهد"[5].

ورجح ابن عطية قول ابن عباس، لأنه على هذا المعنى دعاء لأنفسهم وأما على قول قتادة فهو دعاء للكفار[6]، "ولكن مقصدهم ليس الدعاء للكفار، وإنما هو دعاء لأنفسهم بالنصر بحيث لا يفتتن الكفار بذلك"[7].

ثانياً: المعنى الإجمالي:

بعد أن أنكر اللهُ على من والى الكافرين، وذكر لهم الموانع التي تمنع من ذلك، أكّد ﷻ الأمر بضرب المثل والنموذج في البراءة من الشرك والمشركين، فأمرهم ﷻ بأن يقتدوا بإبراهيم عليه السلام وأصحابه[8]..

فجاءت الآية الكريمة تخاطب المؤمنين: قد كان لكم أيها المؤمنون أُسوة حسنة: يقول: قدوة حسنة في إبراهيم خليل الرحمن، تقتدون به، والذين معه من أنبياء الله؛ حين قالوا لقومهم الذين كفروا بالله، وعبدوا الطاغوت: أيها القوم إنا برآء منكم، ومن الذين تعبدون من دون الله من

---

(1) الخازن، لباب التأويل (ج4/ 281)

(2) الجزائري، أيسر التفاسير (ج5/ 324).

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج28/ 145)

(4) الجزائري، أيسر التفاسير (ج5/ 324).

(5) الماوردي، النكت والعيون (ج5/ 518)

(6) انظر: ابن عطية، المحرر الوجيز (ج5/ 296)

(7) ابن جزي ، التسهيل لعلوم التنزيل (ج2/ 366)

(8) انظر: الشوكاني، فتح القدير (ج5/ 252)؛ المراغي، تفسير المراغي (ج28/ 64)

الآلهة والأنداد؛ كفرنا بكم، وأنكرنا ما كنتم عليه من الكفر بالله وجحدنا عبادتكم، وظهر بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدًا حتى تؤمنوا بالله وحده، وتفردوه بالعبادة[1].

قد كانت لكم أُسوة حسنة في إبراهيم والذين معه في هذه الأمور التي ذكرناها من مباينة الكفار ومعاداتهم، وترك موالاتهم إلا في قول إبراهيم لأبيه ﴿ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ ﴾ فإنه لا أسوة لكم فيه في ذلك، لأن ذلك كان من إبراهيم لأبيه عن موعدة وعدها إياه ؛ فلما تبين له أنه عدوّ لله تبرأ منه؛ فكذلك أنتم أيها المؤمنون بالله، فتبرّؤوا من أعداء الله من المشركين به ولا تتخذوا منهم أولياء حتى يؤمنوا بالله وحده ويتبرّؤوا عن عبادة ما سواه وأظهروا لهم العداوة والبغضاء[2].

ثم أخبر الله تعالى عن اعتصام إبراهيم والمؤمنين معه بالله حين فارقوا قومهم وتبرؤوا منهم فقال: ﴿ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ أي اعتمدنا عليك يا رب في جميع الأمور، وفوضنا أمورنا إليك، ورجعنا إليك بالتوبة من كل ذنب، وإليك المرجع والمآب والمعاد في الدار الآخرة؛ وهذا من دعاء إبراهيم وأصحابه، ومما فيه أسوة حسنة يقتدى به فيها، ومن تتمة دعائهم قوله:﴿ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَٱغْفِرْ لَنَا رَبَّنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ "أي يا ربنا لا تجعلنا مفتونين معذبين بأيدي الكفرة، واستر لنا ذنوبنا عن غيرك، واعف عنها فيما بيننا وبينك، فإنك أنت القوي الغالب القاهر، الذي لا يغالب، ولا يضام من لاذ بجنابك، وذو الحكمة البالغة"[3].

ثم تعود الآيات الكريمة لتؤكد أمر الدعوة إلى الاقتداء بإبراهيم عليه السلام فتخاطب المؤمنين:" لقد كان لكم في إبراهيم ومن معه أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر، ومن يتول عن ذلك، ولا يقتدى بالصالحين فليعلم أن الله هو الغنى عنه وعن عمله، المحمود في السموات والأرض، وهذا تهديد لمن لا يقتدى بالقدوة الحسنة"[4].

---

[1]انظر: الطبري، جامع البيان (ج23/ 317_318).

[2]انظر: المرجع السابق (ج23/ 317_318).

[3]الزحيلي، التفسير المنير (ج28/ 129)

[4] الحجازي، التفسير الواضح (ج3/ 659)

ثالثاً: تحقيق المقاصد والأهداف:

1- الاقتداء بإبراهيم ﵇ ومن معه في البراءة من الشرك والمشركين:

بعد أن ابتدأت هذه السورة الكريمة بالنهي الشديد عن موالاة المشركين؛ ونبذ أي عذرٍ للموالاة قد يتسلل إلى القلوب، تأتي هذه الآيات الكريمة مرتبطةً بذات السياق، بل وتربط هذه الأمة الواحدة ببعضها البعض برباط العقيدة والتوحيد..

فتضرب مثلاً للمسلمين في البراءة من المشركين بأبيهم إبراهيم ﵇، صاحب الحنيفية الأولى، ليتأسوا به، لا في العقيدة فحسب، بل كذلك في السيرة والتجارب التي عاناها مع عاطفة القرابة ووشائجها ثم خلص منها هو ومن آمن معه؛ لتكون نموذجاً ممتدًا على آماد الأزمان؛ ولتكون المنارة التي تقود المؤمنين في كل آن، ترشدهم وتعلمهم وتنبههم؛ إذ ليس هذا الأمر –البراءة من المشركين ولو كانوا أقرب الأقرباء– ليس جديداً ولا مبتدعاً ولا تكليفاً يشق على المؤمنين[1]..

فها هي ذات التجربة، قد قدم فيها إبراهيم ﵇ والمؤمنون أروع النماذج في الامتثال لأمر الله، أفلا يتأسى بها المسلمون ؟!

والتأسي المقصود ها هنا في ثلاثة أمور:

"أولاً: التبرؤ من الشرك والمشركين

ثانياً: الكفر بهم.

ثالثاً: إبداء العداوة والبغضاء وإعلانها وإظهارها أبداً إلى الغاية المذكورة حتى يؤمنوا بالله وحده، وهذا غاية في القطيعة بينهم وبين قومهم، وزيادة عليها إبداء العداوة والبغضاء أبداً، والسبب في ذلك هو الكفر، فإذا آمنوا بالله وحده انتفى كل ذلك بينهم"[2].

وعلى ما سبق يبدو جلياً مدى الإحكام والقوة في اختيار هذه القدوة وهذا النموذج وذلك من ناحيتين:

الأولى: كونها عائدة إلى إبراهيم ﵇، أبي الأنبياء، الذي هداه ربه إلى صراطٍ مستقيم؛ كما قال تعالى :﴿ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۚ ﴾ [الأنعام: 161]؛ والثانية: شدة حسم الأسلوب الذي يعلن به إبراهيم ﵇ والذين آمنوا معه لقومهم الكفار العداوة والبغضاء أبداً ما لم يؤمنوا بالله وحده؛ في ظروف مشابهة لما مر به المسلمون وقتها[3] .

---

(1) انظر: سيد قطب، في ظلال القرآن (ج6/ 3542)

(2) الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (ج8/ 85) بتصرف..

(3) انظر: دروزة عزت، التفسير الحديث (ج9/ 272)

ولقد كان بعض المسلمين يجد في استغفار إبراهيم لأبيه- وهو مشرك- ثغرة تنفذ منها عواطفهم الحبيسة ومشاعرهم الموصولة بذوي قرباهم من المشركين؛ فجاء القرآن ليشرح لهم حقيقة موقف إبراهيم في قوله لأبيه: ﴿ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ ﴾[1]..

فلقد قال إبراهيم عليه السلام هذا في بادئ دعوته، وقبل أن يستيقن من إصرار أبيه على الشرك؛ قاله وهو يرجو إيمانه ويتوقعه؛ ولكن لما تبيّن إصرار أبيه على الشرك تبرأ منه: ﴿ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُۚ ﴾[التوبة: 114] [2].

روى الطبري عن مجاهد: ﴿ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ ... إلى قوله: ﴿ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ ﴾ يقول: في كلّ أمره أسوة، إلا الاستغفار لأبيه.

وروى الطبري -أيضاً- عن قتادة، قوله: "﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ... ﴾الآية، ائتسوا به في كلّ شيء، ما خلا قوله لأبيه: ﴿ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ ﴾ فلا تأتسوا بذلك منه، فإنها كانت عن موعدة وعدها إياه" [3].وقد جاء ما يدل على أنها قضية عامة وليست خاصة في إبراهيم عليه السلام كما في قوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴾ [التوبة: 113].

ولهذا الموقف من إبراهيم عليه السلام من أبيه نظير ومواقف مماثلة في أمم متعددة، منها موقف نوح عليه السلام من ابنه [4] لما قال: ﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴾ [هود: 45]، فلما تبين له أمره من قوله تعالى: ﴿ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۖ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ اعتذر ودعا: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِۦ عِلْمٌۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾.

---

[1] انظر: دروزة عزت، التفسير الحديث (ج9/ 272)

[2] انظر: سيد قطب، في ظلال القرآن (ج6/ 3542)

[3] الطبري، جامع البيان (ج23/ 318)

[4] انظر: الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (ج8/ 87)

ومنها: موقف نوح ولوط من أزواجهما، وموقف زوجة فرعون من فرعون: ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمۡرَأَتَ فِرۡعَوۡنَ إِذۡ قَالَتۡ رَبِّ ٱبۡنِ لِي عِندَكَ بَيۡتًا فِي ٱلۡجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرۡعَوۡنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِي مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [التحريم: 11]

وهذا التأسي قد بين تمام البيان معنى قوله تعالى: ﴿ لَن تَنفَعَكُمۡ أَرۡحَامُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡۚ ﴾[1]..

قال الآلوسي: " قوله– تعالى-: ﴿ قَدۡ كَانَتۡ لَكُمۡ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ ﴾ تأكيد لأمر الإنكار عليهم، والتخطئة في موالاة الكفار، بقصة إبراهيم عليه السلام ومن معه، ليعلم أن الحب في الله جل جلاله والبغض فيه جل جلاله من أوثق عرا الإيمان، فلا ينبغي أن يغفل عنها"[2].

2- تثبيت قلب النبي ﷺ والتخفيف عنه:

"في هذه الآية فائدة في تخفيف الأمر على قلب الرسول ﷺ والمؤمنين بتعريفهم أنّ من كانوا قبلهم حين كذّبوا بأنبيائهم أهلكهم الله، وأنهم صبروا، وأنه ينبغي لذلك أن يكون بالصبر أمرهم"[3].

3- دعوة إلى الإيمان بالله جل جلاله والتحذير من الإعراض:

قال تعالى: ﴿ لِمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَۚ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ٦ ﴾ في هذه الآية الكريمة: "تهييج إلى الإيمان بالله واليوم الآخر، والعضّ عليهما بالنواجذ، وبيان أنهما ملاك الأمر كله يوم العرض والحساب"[4].

كما فيها تحذير من الإعراض عن الإيمان ولوازمه، ومن يعرض عما أمر الله تعالى به، فإنه لا يضر إلا نفسه، فإن الله هو الغني عن خلقه غنىً مطلقاً، المحمود من خلقه في جميع أقواله وأفعاله، لا إله غيره، ولا رب سواه [5]..

وقد بين تعالى غناه المطلق بقوله: ﴿ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴾ [لقمان: 26] .

---

(1) انظر: الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (ج8/ 87)

(2) الألوسي، روح المعاني (ج263/14).

(3) القشيري، لطائف الإشارات (ج3/ 571)

(4) المراغي، تفسير المراغي (ج28/ 67).

(5) انظر: الزحيلي، التفسير المنير (ج28/ 130)

4- وجوب التوكل على الله والإنابة إليه والافتقار إليه:

نبهت الآيات الكريمة على عجز الإنسان، ومدى افتقاره إلى مولاه ﷻ، فها هو خليل الله إبراهيم عليه السلام في خطابه لأبيه الذي يود لو هداه الله يقول: ﴿ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ ﴾..

وبالتالي على المؤمن أن يلجأ إلى ربه ويتوكل عليه، وينيب إليه..

والتوكل هو: " صدق الاعتماد على الله ﷻ في جلب المنافع الدينية والدنيوية ودفع المضار الدينية والدنيوية مع فعل الأسباب الشرعية والطبيعية المأمور تعاطيها"[1].

والمسلم مأمورٌ بالأخذ بالأسباب، والتوكل على الله ﷻ؛ ﴿ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ [آل عمران: 159]..

فالله يحب المتوكلين، والتوكل كله خير.

روي عن سعيد بن جبير أنه قال: " التَّوَكُّلُ عَلَى اللَّهِ جِمَاعُ الْإِيمَانِ"[2]..

ومع ضرورة التوكل على الله لا بدّ من الإنابة إليه ﷻ؛ والإنابة هي: التوبة والرجوع إلى طاعة الله ﷻ والاستعانة به سبحانه في فعل الخيرات وكل ما يقرب إلى مرضاته[3].

ثم في كل خطوة من خطوات حياة المسلم؛ ينبغي عليه أن يلجأ إلى الله ويدعوه بما يصلح دينه ودنياه..

5- الدعاء بكف فتنة الكفار:

لقد كان من الدعاء الوارد في هذه الآية الكريمة: ﴿ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً ﴾

قال مجاهد في معناه: "لا تعذبنا بأيديهم ولا بعذاب من عندك فنصير فتنة لهم فيقولوا لو كانوا على حق ما عذبوا" [4].

"وهي الشبهة التي كثيرا ما تحيك في الصدور، حين يتمكن الباطل من الحق، ويتسلط الطغاة على أهل الإيمان- لحكمة يعلمها الله- في فترة من الفترات.

والمؤمن يصبر للابتلاء، ولكن هذا لا يمنعه أن يدعو الله ألا يصيبه البلاء الذي يجعله فتنة وشبهة تحيك في الصدور"[5].

---

(1) أبو فيصل البدراني، شفاء الضرر بفهم التوكل والقضاء والقدر (ص: 31)

(2) ابن أبي الدنيا، التوكل على الله (ص: 47)

(3) انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن (ص:856)

(4) الماوردي، النكت والعيون (ج5/ 518)

(5) سيد قطب، في ظلال القرآن (ج6/ 3543)

رابعاً: العبر والعظات المستفادة:

1- وجوب الاقتداء بالأنبياء عليهم السلام، وكذا الاقتداء بالصالحين في أعمالهم الصالحة؛ ولا يتابعوا على أخطائهم.

2- لا يجوز لمسلمٍ أن يوالي أعداء الدين، ولو كانوا أقرب أقربائه؛ فالمقدم في كل حياة المسلم عقيدته.

3- استخدام أسلوب ضرب الأمثال في الدعوة والتعليم؛ لأنه يقدم نموذجاً للناس ويقرب المراد.

4- وجوب التوكل على الله سبحانه والإنابة إليه، والالتجاء إليه بالدعاء.

المبحث الثاني

المقاصد والأهداف لسورة الممتحنة من الآية (7-9).

المطلب الأول: تسلية المؤمنين وبث الأمل في نفوسهم.

قال تعالى:﴿ ۞ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجۡعَلَ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَ ٱلَّذِينَ عَادَيۡتُم مِّنۡهُم مَّوَدَّةٗۚ وَٱللَّهُ قَدِيرٞۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٧ ﴾[الممتحنة: 7]

أولاً: المفردات:

- قوله تعالى:﴿ عَسَى ٱللَّهُ ﴾

عسى: "كلمة تفيد رجاء حصول ما بعدها، فإذا صدرت من الله فما بعدها واجب الوقوع"(1).

قال الزمخشري: "عَسَى وعد من الله على عادات الملوك حيث يقولون في بعض الحوائج: عسى أو لعل: فلا تبقى شبهة للمحتاج في تمام ذلك؛ أو قصد به إطماع المؤمنين"(2).

ثانياً: سبب النزول:

- قوله تعالى: :﴿ ۞ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجۡعَلَ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَ ٱلَّذِينَ عَادَيۡتُم مِّنۡهُم مَّوَدَّةٗۚ وَٱللَّهُ قَدِيرٞۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٧ ﴾

روي عن ابن عباس -رضي الله عنهما- قوله: " كان من هذه المودة تزوج النبيﷺ أم حبيبة بنت أبي سفيان، تزوجها بعد وفاة زوجها عبد الله بن جحش بأرض الحبشة بعد أن تنصر زوجها فلما تزوجها النبي ﷺ لانت عريكة أبي سفيان وصرح بفضل النبيﷺ"(3).

---

(1) المراغي، تفسير المراغي (ج28/ 68).

(2) الزمخشري، الكشاف (ج4/ 515)

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج28/ 150)

وقد ضعّف ابن كثير هذا القول بناءً على أن رسول الله ﷺ تزوج بأم حبيبة بنت أبي سفيان قبل الفتح، وأبو سفيان إنما أسلم ليلة الفتح بلا خلاف[1] .

بل إن ابن عطية استبعد صحة ما روي عن ابن عباس –رضي الله عنهما– وذكر سبباً آخر، فقال: "وروي أن هذه الآيات لما نزلت وأزمع المؤمنون امتثال أمرها وصرم حبال الكفرة وإظهار عداوتهم لحقهم تأسف على قراباتهم وهم من لم يؤمنوا ولم يهتدوا حتى يكون بينهم الود والتواصل فنزلت: عَسَى اللَّهُ الآية مؤنسة في ذلك ومرجية أن يقع موقع ذلك بإسلامهم في الفتح وصار الجميع إخوانا، ومن ذكر أن هذه المودة تزويج النبي ﷺ أم حبيبة بنت أبي سفيان، وأنها كانت بعد الفتح، فقد أخطأ لأن النبي ﷺ تزوجها وقت هجرة الحبشة، وهذه الآيات نزلت سنة ست من الهجرة، ولا يصح ذلك عن ابن عباس إلا أن يسوقه مثالا وإن كان متقدما لهذه الآية، لأنه استمر بعد الفتح كسائر ما نشأ من المودات"[2].

ثالثاً: المعنى الإجمالي:

لما نهى الله المؤمنين عن موالاة الكفار وإلقاء المودة إليهم، وضرب لهم المثل بإبراهيم وقومه: حملهم ذلك على التشدد في معاداتهم ومقاطعتهم، فلما رأى الله عز وجل منهم الجدّ والصبر على الوجه الشديد وطول التمني للسبب الذي يبيح لهم الموالاة والمواصلة: رحمهم، وفتح لهم أبواب الأمل والبشرى بأن: لعل الله يجعل بينكم وبين أعدائكم من كفار مكة محبة بعد البغض، ومودة بعد النفرة، وألفة بعد الفرقة، بأن يهديهم إلى الدخول في دين الإسلام، فتتحول عداوتكم لهم، إلى أخوة صادقة. وصلة طيبة، ومحبة شديدة. والله قدير على ما يشاء، غفور لمن يتوب إليه[3].

وقد أنجز الله– تعالى– وعده، فهدى كثيراً من كفار قريش إلى الدخول في الإسلام، وقد تمّ ذلك بفتح مكة حين دخل المشركون في دين الله أفواجاً، وتم بينهم التصافي والتصاهر، وكان بينهم أتم ما يكون من وثيق الصلات؛ كما قال تعالى: ﴿ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا ... ﴾ [آل عمران: 103] [4]

---

[1] انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج8/118).

[2] ابن عطية، المحرر الوجيز (ج5/ 296).

[3]انظر: الزمخشري، الكشاف (ج4/ 515)؛ المراغي، تفسير المراغي (ج28/ 68.

[4]انظر: طنطاوي، التفسير الوسيط (ج14/ 333).

رابعاً: تحقيق المقاصد والأهداف:

1- بث الأمل والبشرى في نفوس المسلمين:

بعد أن نهى الله ﷻ المؤمنين عن موالاة الأعداء ولو كانوا أقرب أقربائهم، تأتي هذه الآيات الكريمة وفيها التسلية لقلوبهم التي يعلم الله ما بها من حنين ورغبة في زوال حالة العداء والجفوة[1].

فالآيات تخفف عن المؤمنين وتنسم عليهم بنسمة الأمل الندية في أن ينضم هؤلاء الأعداء إلى راية الإسلام وإلى صفوف المسلمين فيكون هذا هو الطريق لزوال الجفوة وقيام الود على أساسه الركين، فيجتمع الشمل، ويتحول العداء الذي بينهم إلى مودة ومحبة، والفرقة إلى ألفة، بسبب التقاء الجميع على طاعة الله- تعالى- وإخلاص العبادة له[2].

وهذا الرجاء من الله، معناه القطع بتحققه، والمؤمنون الذين سمعوه لا بد قد أيقنوا به، فالله قدير على ما يشاء من الجمع بين الأشياء المتنافرة والمتباينة والمختلفة فيؤلف بين القلوب بعد العداوة والقساوة فتصبح مجتمعة متفقة [3].

وفي التذييل بأن الله قدير، يشعر بأن تأليف القلوب ومودتها إنما هو من قدرة الله تعالى وحده، ولأن المودة المتوقعة بسبب هداية الكفار، والهداية منحة من الله، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ﴾ [القصص: 56] [4].

وقد صدق الله وعده، وملأ قلوب المؤمنين بشرىً وفرحاً، بعد أن فتحت مكة، ودخل الناس في دين الله أفواجاً، وكان من بين من أسلموا سادات من العرب[5]..

فأعداء الأمس باتوا اليوم إخوة في الدين..

كما قال الله ﷻ : ﴿ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا﴾ [آل عمران: 103]، وقوله تعالى: ﴿ وَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡۚ لَوۡ أَنفَقۡتَ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مَّآ أَلَّفۡتَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴾ [الأنفال:63].

---

[1] انظر: النسفي، مدارك التنزيل (ج3/ 469).

[2] انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج8/ 117).

[3] انظر: عاشور، التحرير والتنوير (ج28/ 150).

[4] محمد الأمين الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (ج8/ 90)

[5] انظر: طنطاوي، التفسير الوسيط (ج14/ 334).

وكما قال رسول الله ﷺ : (يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ، أَلَمْ أَجِدْكُمْ ضُلَّالًا فَهَدَاكُمُ اللَّهُ بِي، وَكُنْتُمْ مُتَفَرِّقِينَ فَأَلَّفَكُمُ اللَّهُ بِي) [1].

2- بث الشجاعة في نفوس المسلمين والتهيؤ للغزو:

"في الآية الكريمة بشرى تطمينية بين يدي ما اعتزمه النبي ﷺ من غزو مكة- والآيات قد نزلت بين يدي هذا العزم - من شأنها أن تشرح صدور المسلمين المهاجرين للغزوة وتهيىء نفوسهم لها وتبعث فيهم الإقدام والشوق والأمل بحسن النتائج، وانضواء كثير من الأقارب والأصدقاء إلى الإسلام"[2].

خامساً: العبر والعظات المستفادة:

1- الرجاء وحسن الظن بالله واللجوء إليه في كل أمر، فهو سبحانه القادر على طمأنة القلوب وهو سبحانه القادر على كل شيء.

2- الهداية بيد الله وحده؛ قال تعالى : ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ ﴾ [الأنعام: 125].

المطلب الثاني: علاقة المسلمين بغيرهم في السلم والحرب.

قال تعالى:﴿ لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ أَن تَبَرُّوهُمۡ وَتُقۡسِطُوٓاْ إِلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ٨ إِنَّمَا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَأَخۡرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخۡرَاجِكُمۡ أَن تَوَلَّوۡهُمۡۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٩ ﴾ [الممتحنة: 8-9]

أولاً: المفردات:

- قوله تعالى:﴿ لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ ﴾

اختلف أهل التأويل في الذين عُنُوا بهذه الآية على أقوال[3]؛ بناءً على اختلافهم في سبب نزول الآية الكريمة، وسيأتي بيان ذلك عند ذكر سبب النزول.

وفي التعليق على أقوال المفسرين الواردة في المراد من الآية، وأيها أرجح يقول الطبري كلاماً رائعاً: "وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: عُنِي بذلك: لا ينهاكم الله عن الذين لم

---

[1] [البخاري، صحيح البخاري، كتاب المغازي/ باب غزوة الطائف (157/5)رقم الحديث(4330)]

[2] دروزة عزت، التفسير الحديث (ج9/ 276)

[3] انظر: الطبري، جامع البيان (ج23/ 322-323)؛ الماوردي، النكت والعيون (ج5/ 520)؛ ابن عطية، المحرر الوجيز (ج5/ 296)؛ أبو الفرج الجوزي، زاد المسير في علم التفسير (ج4/ 270)

يقاتلوكم في الدين، من جميع أصناف الملل والأديان أن تبرُّوهم وتصلوهم، وتقسطوا إليهم، إن الله عزّ وجلّ عمّ بقوله: ﴿ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ ﴾ جميع من كان ذلك صفته، فلم يخصصْ به بعضًا دون بعض، ولا معنى لقول من قال: ذلك منسوخ، لأن برّ المؤمن من أهل الحرب ممن بينه وبينه قرابة نسب، أو ممن لا قرابة بينه وبينه ولا نسب غير محرّم ولا منهيّ عنه إذا لم يكن في ذلك دلالة له، أو لأهل الحرب على عورة لأهل الإسلام، أو تقوية لهم بكُراع أو سلاح"[1].

- قوله تعالى:﴿ تَبَرُّوهُمْ ﴾

من البر وهو : "حسن المعاملة والإكرام"[2].

- قوله تعالى:﴿ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ﴾

فيه وجهان: "أحدهما: يعني وتعدلوا فيهم ، قاله ابن حبان فلا تغلوا في مقاربتهم، ولا تسرفوا في مباعدتهم؛ الثاني: معناه أن تعطوهم قسطاً من أموالكم، حكاه ابن عيسى؛ ويحتمل ثالثاً: أنه الإنفاق على من وجبت نفقته منهم، ولا يكون اختلاف الدين مانعاً من استحقاقها"[3].

- قوله تعالى:﴿ وَظَٰهَرُواْ ﴾

أي أعانوا على المسلمين، وقد كان أهل مكة فريقين، منهم من يأتي بالأسباب التي لا يحتمل المسلمون معها البقاء بمكة، ومنهم من يعين على ذلك ويغري عليه[4].

ثانياً: اللطائف البيانيّة:

- **قوله تعالى** ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ ﴾ و﴿ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ ﴾ : "بينهما طباق السلب"[5]..

ثالثاً: سبب النزول:

- **الآية 9**

اختلف المفسرون فيمن نزلت هذه الآية على أقوال:

---

(1) الطبري، جامع البيان (ج23/ 323).

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج28/ 153).

(3) الماوردي، النكت والعيون (ج5/ 520).

(4) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج28/ 154).

(5) الزحيلي، التفسير المنير (ج28/ 134)

"أحدها: أنها في أسماء بنت أبي بكر، حيث أخرج البخاري عن أَسْمَاء بِنْت أَبِي بَكْرٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُا قَالَتْ: أَتَتْنِي أُمِّي رَاغِبَةً، فِي عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ، فَسَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ: آصِلُهَا؟ قَالَ: (نَعَمْ) قَالَ ابْنُ عُيَيْنَةَ: فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهَا: ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ .. ﴾ [1].

وأخرج أحمد عن عَبْدِ اللهِ بْنِ الزُّبَيْرِ عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: قَدِمَتْ قُتَيْلَةُ ابْنَةُ عَبْدِ الْعُزَّى بْنِ عَبْدِ أَسْعَدَ مِنْ بَنِي مَالِكِ بْنِ حَسَلٍ، عَلَى ابْنَتِهَا أَسْمَاءَ ابْنَةِ أَبِي بَكْرٍ بِهَدَايَا، ضِبَابٍ، وَقِرظٍ، وَسَمْنٍ وَهِيَ مُشْرِكَةٌ، فَأَبَتْ أَسْمَاءُ أَنْ تَقْبَلَ هَدِيَّتَهَا، وَتُدْخِلَهَا بَيْتَهَا، فَسَأَلَتْ عَائِشَةُ النَّبِيَّ ﷺ، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ ﴾[الممتحنة: 8] إِلَى آخِرِ الْآيَةِ، فَأَمَرَهَا أَنْ تَقْبَلَ هَدِيَّتَهَا وَأَنْ تُدْخِلَهَا بَيْتَهَا) [2].

- والثاني: أنها نزلت في خزاعة وبني مدلج، وكانوا صالحوا رسول الله ﷺ على أن لا يقاتلوه، ولا يعينوا عليه أحداً، قاله ابن عباس. وروي عن الحسن البصري أنها نزلت في خزاعة، وبني الحارث بن عبد مناف، وكان بينهم وبين رسول الله ﷺعهد، فداموا على الوفاء به.
- والثالث: نزلت في قوم من بني هاشم منهم العباس، قاله عطيّة العوفيّ ومرّة الهمدانيّ.
- والرابع: أنها عامة في جميع الكفار، وهي منسوخة بقوله عزّ وجلّ: ﴿ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ ﴾ [التوبة: 5]، قاله قتادة.
- والخامس: نزلت في النساء والصبيان"[3].

وأكثر المفسرين على أن الآية نزلت في قصة أسماء وأمها؛ فمنهم من ذكر الحديثين كالبغوي والقرطبي وابن كثير[4]؛ أما الطبري وابن عطية فقد ذكرا حديث عبد الله بن الزبير فقط[5].

ولكن بعض المحققين لم ير أن هذا الحديث هو سبب النزول: أن الأشبه برواية التصريح بالنزول أن مدرجة من ابن عيينة إذ خلت جميع الطرق من ذكر سبب النزول إلا عنده، مع

---

(1) [أخرجه البخاري، صحيح البخاري، كتاب الأدب/ باب صلة الوالد المشرك (4/8)رقم الحديث(5978)]

(2) [أحمد، مسند أحمد، مسند عبد الله بن الزبير(37/26) رقم الحديث (16111)]، حكم المحققين: "إسناده ضعيف لضعف مصعب بن ثابت: وهو ابن عبد الله بن الزبير، وبقية رجاله ثقات رجال الشيخين".

(3) أبو الفرج الجوزي، زاد المسير في علم التفسير (ج4/ 270).

(4) انظر: البغوي، معالم التنزيل (ج5/ 72)؛ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج18/ 59)؛ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج8/ 119).

(5) انظر: الطبري، جامع البيان (ج23/ 322)؛ ابن عطية، المحرر الوجيز (ج5/ 296).

اتصال الآية بقصة حاطب ﷺ ولا صلة لها بقضية أسماء – رضي الله عنها – وأمها إلا من حيث إن عموم لفظها يتناولها أما أن تكون سببها ابتداءً فلا؛ والله أعلم[1].

ويؤيد هذا ما سبق وأوردته من ترجيح الإمام الطبري لكون هذه الآية عامة، غير مخصوصة ولا منسوخة.

رابعاً: المعنى الإجمالي:

لما فتح الله للمؤمنين أبواب الأمل بهداية المشركين، ليكون ذلك رحمة لقلوبهم التي تود التواصل مع أقربائها المشركين؛ بين الله ﷻ كيف يتعامل المؤمنين مع الكافرين، فرخّص الله سبحانه في برّ فريق من المشركين، ونهى عن موالاة ومعاونة فريقٍ آخر..

فلم ينهَ الله ﷻ عَنِ مودة وصلة الكافرين الذي لم يقاتلوا المسلمين من أجل أنهم مسلمون، ولم يحاولوا إلحاق أي أذى بهم، كالعمل على إخراجهم من ديارهم؛ ولم ينهَ ﷻ عن الإحسان إليهم وإكرامهم، ومعاملتهم بما يقتضيه العدل والإنصاف، فالله سبحانه يحب من ينصف الناس ويعدل معهم؛ وإنما نهى الله سبحانه عن بر وصلة الذين قاتلوا المسلمين لأجل إسلامهم وإيمانهم، وأخرجوهم من ديارهم أو عاونوا على ذلك بالأسباب، فليس من الإيمان موالاة هذا الفريق المعادي الظالم، ومن يتولهم فقد ظلم نفسه ظلماً شديداً[2].

خامساً: تحقيق المقاصد والأهداف:

1- تحديد علاقة المسلمين بغيرهم في السلم والحرب:

هذه الآية الكريمة تحدد علاقة المسلمين بغيرهم من الكفار والمشركين؛ وإن كان بعض المفسرين قد ذهبوا إلى القول بأنها منسوخة؛ إلا أن الكثير من المفسرين لم يروا معنىً لهذا القول؛ إذ الآية لا تنهى المؤمن عن البر بقرابته من الكفار الذين لا يشكّلون أي أذى أو ضرر على مصلحة المسلمين، ولا شك أن هذا غير محرم[3].

وبمزيدٍ من التعمق في معنى هاتين الكريمتين ومقاصدهما: نجد أن هاتين الآيتين ترسمان المنهج الذي ينبغي أن يسير عليه المسلمون في التعامل مع غيرهم كلٌ حسب تعامله مع المسلمين، فالآيات تقسم الكفار إلى قسمين:

---

(1) انظر: أبو الفرج الجوزي، زاد المسير في علم التفسير (ج4/ 270)؛ خالد المزيني، المحرر في أسباب نزول القرآن من خلال الكتب التسعة (ج2/ 993) .

(2) انظر: طنطاوي، التفسير الوسيط (ج14/ 335-336).

(3) انظر: الطبري، جامع البيان (ج23/ 323).

– قسم مسالم لم يقاتل المسلمين ولم يعادِهم لا بقتال، ولا بإخراج من الديار، ولا بمعاونة غيرهم عليهم؛ فهؤلاء لم ينه الله المسلمين عن برهم والإقساط إليهم، مع التأكيد على أنهم ليسوا محلاً للموالاة لكفرهم[1]..

– أما القسم الثاني فهو قسم غير مسالم يقاتل المسلمين ويعاديهم ويخرجهم من ديارهم ويظاهر على إخراجهم، فهؤلاء نهى الله عن موالاتهم واتخاذهم أصدقاء أو معاونتهم ومودّتهم والتواصل معهم[2]؛ لما في ذلك من الإضرار بالمسلمين ومصالحهم، بل لما في ذلك من منافاة للإيمان إذ كيف يوالون من يعادي الله وعباده؟

والمتأمل لنص الآية يجد دقة ألفاظ القرآن الكريم عند الحديث عن كل قسم بما يوحي بالمعنى المراد من الآية الكريمة.

فمع ﴿ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ ﴾ كان اللفظ القرآني : ﴿ تَبَرُّوهُمۡ وَتُقۡسِطُوٓاْ إِلَيۡهِمۡۚ ﴾.

ومع ﴿ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَأَخۡرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخۡرَاجِكُمۡ ﴾ جاء اللفظ القرآني: ﴿أَن تَوَلَّوۡهُمۡۚ ﴾ .

ولا شك بأن هناك فرق ما بين التولّي والبرّ، وفرق ما بين الإذن بالبر والإقساط وبين النهي عن الموالاة والمودة[3].

وقد سبق الحديث في بداية هذه السورة الكريمة عن حكم التولي؛ "فإن الآيات وروحها وروح آيات أوائل السورة معاً تلهم أن القصد من التولّي هنا هو فعل ما ليس فيه مصلحة وخير للمسلمين أو ما فيه ضرر وخطر "[4].

ثم بالنظر إلى ختام كل آيةٍ من الآيتين الكريمتين نجد فيها: " مقابلة بين العدل والظلم فالعدل في الإحسان، والقسط لمن يسالمك، والظلم ممن يوالي من يعادي قومه"[5] .

---

[1] انظر: الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن(ج8/90).

[2] المرجع السابق(ج8/90).

[3] انظر: دروزة عزت، التفسير الحديث (ج9/ 279)؛ الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن(ج8/90).

[4] دروزة عزت، التفسير الحديث (ج9/ 279).

[5] الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن(ج8/93).

بكل ما سبق يتضح معنى الآية الكريمة ومقصدها العظيم الذي يتوافق مع روح الشريعة السمحاء وعدالتها مع الحفاظ على مصلحة أبنائه ، فبر الذين لا يعادون الإسلام وأهله جائز طالما لم يكن في ذلك أي ضرر على مصلحة المسلمين.

و إن أشد ما يظهر هذا المعنى وضوحاً : ﴿ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ فَلَا تُطِعۡهُمَاۖ وَصَاحِبۡهُمَا فِي ٱلدُّنۡيَا مَعۡرُوفٗاۖ ﴾ [لقمان: 15]

"فهذه حسن معاملة، وبر، وإحسان لمن جاهد المسلم على أن يشرك بالله ولم يقاتل المسلمين، فكان حق الأبوة مقدماً، ولو مع الكفر والمجاهدة على الشرك"[1]؛ وفي المقابل لا طاعة ولا مهادنة في المعصية ولا ولاء لأعداء في الدين.

2- الترغيب في العدل والإنصاف بعد وجوبهما[2]:

إن الإسلام دين رحمة وعدل، لا ينهى عن بر المشركين ممن لم يقاتل المؤمنين ولم يؤذهم، بل يوصي المؤمنين بمعاملتهم بالإحسان والعدل والإنصاف.

فلئن كان بتوصية الله للمؤمنين أن يستعملوا القسط مع المشركين به، فكيف بمعاملة المسلم لأخيه المسلم؟![3].

سادساً: العبر والعظات المستفادة:

1- لا ينهى الله ﷻ عن بر المشركين ممن لم يقاتل المؤمنين ولم يؤذهم –طالما لم يكن في ذلك إيذاء للمسلمين–، فللمسلم أن يبرهم ويصلهم وعليه أن يعاملهم بالعدل والإنصاف.

2- لا ينبغي لمسلمٍ أن يوالي مشركاً، أو أن يعينه بشيءٍ فيه إيذاء للمسلمين، ومن يفعل ذلك فأولئك هم الظالمون.

3- المسلم مأمور بالعدل والإنصاف مع المشركين الذين لا يشكلون خطراً على المسلمين، فكيف بهذا مع إخوانه المسلمين، فليس للمسلم أن يجانب العدل أبداً..

[1] الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن(ج8/96).

[2] الجزائري، أيسر التفاسير (ج5/ 328)

[3] انظر: الزمخشري، الكشاف (ج4/ 516)

المبحث الثالث

المقاصد والأهداف لسورة الممتحنة من الآية (10-13).

المطلب الأول: أحكـام المهاجرات من الكفر إلى الإيمان.

قال تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٖ فَٱمۡتَحِنُوهُنَّۖ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّۖ فَإِنۡ عَلِمۡتُمُوهُنَّ مُؤۡمِنَٰتٖ فَلَا تَرۡجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلۡكُفَّارِۖ لَا هُنَّ حِلّٞ لَّهُمۡ وَلَا هُمۡ يَحِلُّونَ لَهُنَّۖ وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُواْۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّۚ وَلَا تُمۡسِكُواْ بِعِصَمِ ٱلۡكَوَافِرِ وَسۡـَٔلُواْ مَآ أَنفَقۡتُمۡ وَلۡيَسۡـَٔلُواْ مَآ أَنفَقُواْۚ ذَٰلِكُمۡ حُكۡمُ ٱللَّهِ يَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡۖ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ١٠ وَإِن فَاتَكُمۡ شَيۡءٞ مِّنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ إِلَى ٱلۡكُفَّارِ فَعَاقَبۡتُمۡ فَـَٔاتُواْ ٱلَّذِينَ ذَهَبَتۡ أَزۡوَٰجُهُم مِّثۡلَ مَآ أَنفَقُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤۡمِنُونَ ١١ ﴾ [الممتحنة: 10-11]

أولاً: المفردات:

- قوله تعالى:﴿ **فَٱمۡتَحِنُوهُنَّۖ** ﴾

"اختبروهن في إيمانهن"[1].

- قوله تعالى:﴿ **لَا هُنَّ حِلّٞ لَّهُمۡ وَلَا هُمۡ يَحِلُّونَ لَهُنَّۖ** ﴾

قال ابن عباس:" لم يحل الله مؤمنة لكافر، ولا نكاح كافرة لمؤمن"[2].

- قوله تعالى:﴿ **وَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ** ﴾

"لا إثم عليكم ولا حرج"[3].

- قوله تعالى:﴿ **وَلَا تُمۡسِكُواْ بِعِصَمِ ٱلۡكَوَافِرِ** ﴾

"جمع عصمة: وهي أسباب الصحبة والبقاء في الزوجية، وكذلك العصمة في كل شيء، السبب الذي يعتصم به، ويعتمد عليه"[4].

- قوله تعالى:﴿ **وَسۡـَٔلُواْ مَآ أَنفَقۡتُمۡ وَلۡيَسۡـَٔلُواْ مَآ أَنفَقُواْۚ** ﴾

---

(1) محمد الخطيب، أوضح التفاسير (ج1/ 681)

(2) الواحدي، التفسير الوسيط (ج4/ 286)

(3) المراغي، تفسير المراغي (ج28/ 73)

(4) ابن عطية، المحرر الوجيز (ج5/ 297)

﴿ وَسۡـَٔلُواْ مَآ أَنفَقۡتُمۡ ﴾: "أي إن لحقت امرأة منكم بأهل العهد من الكفار مرتدّة، فاسألوهم ما أنفقتم من المهر على نسائكم اللاحقات بهم.

﴿ وَلۡيَسۡـَٔلُواْ مَآ أَنفَقُواْۚ ﴾: يعني المشركين الذين لحقت أزواجهم بكم مؤمنات إذا تزوجن منكم، فليسأل أزواجهن المهر.

والمعنى: عليكم أن تغرموا لهم الصّداق كما يغرمون لكم"[1].

– قوله تعالى:﴿ وَإِن فَاتَكُمۡ شَيۡءٞ مِّنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ إِلَى ٱلۡكُفَّارِ﴾

"أي بأن فرت امرأة أحدكم إلى الكفار ولحقت بهم ولم يعطوكم مهرها"[2].

– قوله تعالى:﴿ فَعَاقَبۡتُمۡ ﴾

قال المفسرون: معناه غنمتم أي غزوتم فأصبتم من الكفار عقبى وهي الغنيمة، وقيل ظهرتم وكانت العاقبة لكم، وقيل: أصبتموهم في القتال بعقوبة حتى غنمتم[3].

قال الطبري: "وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: أمر الله ﷻ في هذه الآية المؤمنين أن يعطوا من فرّت زوجته من المؤمنين إلى أهل الكفر إذا هم كانت لهم على أهل الكفر عُقْبى، إما بغنيمة يصيبونها منهم، أو بلحاق نساء بعضهم بهم، مثل الذي أنفقوا على الفارّة منهم إليهم، ولم يخصص إيتاءهم ذلك من مال دون مال، فعليهم أن يعطوهم ذلك من كلّ الأموال التي ذكرناها"[4].

ثانياً: اللطائف البيانيّة:

– قوله تعالى ﴿ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّۖ ﴾ "جملة اعتراضية للإشارة إلى أن التعامل مع الناس يكون بحسب الظاهر، فللإنسان الظاهر، والله يتولى السرائر"[5]..

– قوله تعالى ﴿ لَا هُنَّ حِلّٞ لَّهُمۡ ﴾ ﴿ وَلَا هُمۡ يَحِلُّونَ ﴾ "فيهما ما يسمى في علم البديع بالعكس والتبديل" [6].

---

[1] الصابوني، روائع البيان تفسير آيات الأحكام (ج2/ 551)

[2] الجزائري، أيسر التفاسير (ج5/ 329)

[3] البغوي، معالم التنزيل (ج5/ 74)

[4] الطبري، جامع البيان (ج23/ 339)

[5] الزحيلي، التفسير المنير (ج28/ 138)

[6]الزحيلي، التفسير المنير (ج28/ 138).

- قوله تعالى ﴿ وَإِن فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ ﴾" أريد بشيء تحقير الزوجات اللاء أبين الإسلام، فإن المراد قد فاتت ذاتها عن زوجها فلا انتفاع له بها"[1].

ثالثاً: سبب النزول:

- الآية (10)

أخرج البخاري عن عُرْوَة بْن الزُّبَيْرِ، أَنَّهُ سَمِعَ مَرْوَانَ بْنَ الحَكَمِ، وَالمِسْوَرَ بْنَ مَخْرَمَةَ: يُخْبِرَانِ خَبَرًا مِنْ خَبَرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي عُمْرَةِ الحُدَيْبِيَةِ، فَكَانَ فِيمَا أَخْبَرَنِي عُرْوَةُ عَنْهُمَا: أَنَّهُ لَمَّا كَاتَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سُهَيْلَ بْنَ عَمْرٍو يَوْمَ الحُدَيْبِيَةِ عَلَى قَضِيَّةِ المُدَّةِ، وَكَانَ فِيمَا اشْتَرَطَ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو أَنَّهُ قَالَ: لاَ يَأْتِيكَ مِنَّا أَحَدٌ، وَإِنْ كَانَ عَلَى دِينِكَ إِلَّا رَدَدْتَهُ إِلَيْنَا، وَخَلَّيْتَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ، وَأَبَى سُهَيْلٌ أَنْ يُقَاضِيَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ إِلَّا عَلَى ذَلِكَ، فَكَرِهَ المُؤْمِنُونَ ذَلِكَ وَامَّعَضُوا، فَتَكَلَّمُوا فِيهِ، فَلَمَّا أَبَى سُهَيْلٌ أَنْ يُقَاضِيَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ إِلَّا عَلَى ذَلِكَ، كَاتَبَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، «فَرَدَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَبَا جَنْدَلِ بْنَ سُهَيْلٍ يَوْمَئِذٍ إِلَى أَبِيهِ سُهَيْلِ بْنِ عَمْرٍو، وَلَمْ يَأْتِ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَحَدٌ مِنَ الرِّجَالِ إِلَّا رَدَّهُ فِي تِلْكَ المُدَّةِ، وَإِنْ كَانَ مُسْلِمًا، وَجَاءَتِ المُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ، فَكَانَتْ أُمُّ كُلْثُومٍ بِنْتُ عُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ مِمَّنْ خَرَجَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَهِيَ عَاتِقٌ، فَجَاءَ أَهْلُهَا يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَرْجِعَهَا إِلَيْهِمْ، حَتَّى أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِي المُؤْمِنَاتِ مَا أَنْزَلَ) [2] .

وفي لفظ للبخاري[3] وأحمد[4]: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ ﴾ حَتَّى بَلَغَ ﴿ بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ ﴾[الممتحنة: 10]).

هكذا جاء في سبب نزول هذه الآية وقد ذكر هذا الحديث بعض المفسرين كالبغوي والقرطبي وابن كثير وابن عاشور[5].

"ويتأكد أن ما جاء في الحديث سبب نزول الآية الكريمة لصحة سنده، وموافقته لسياق القرآن، وتصريحه بالنزول واحتجاج المفسرين به والله أعلم"[6].

---

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج28/ 162)

(2)[البخاري، صحيح البخاري، كتاب المغازي/ باب غزوة الحديبية (126/5)رقم الحديث(4180)]

(3)[البخاري، صحيح البخاري، كتاب الشروط/ باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب (193/3)رقم الحديث (2731)]

(4) [أحمد، مسند أحمد، حديث المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم (251/31)]

(5) انظر: البغوي، معالم التنزيل (ج5/ 73)؛ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج18/ 61).

(6) خالد المزيني، المحرر في أسباب نزول القرآن من خلال الكتب التسعة (ج2/ 995) بتصرف.

- الآية (11)

أخرج البخاري عَنِ الزُّهْرِيِّ، قَالَ عُرْوَةُ: فَأَخْبَرَتْنِي عَائِشَةُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، كَانَ يَمْتَحِنُهُنَّ وَبَلَغْنَا أَنَّهُ لَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: أَنْ يَرُدُّوا إِلَى المُشْرِكِينَ مَا أَنْفَقُوا عَلَى مَنْ هَاجَرَ مِنْ أَزْوَاجِهِمْ، وَحَكَمَ عَلَى المُسْلِمِينَ أَنْ لاَ يُمَسِّكُوا بِعِصَمِ الكَوَافِرِ، أَنَّ عُمَرَ طَلَّقَ امْرَأَتَيْنِ، قَرِيبَةَ بِنْتَ أَبِي أُمَيَّةَ، وَابْنَةَ جَرْوَلٍ الخُزَاعِيِّ، فَتَزَوَّجَ قَرِيبَةَ مُعَاوِيَةُ، وَتَزَوَّجَ الأُخْرَى أَبُو جَهْمٍ، فَلَمَّا أَبَى الكُفَّارُ أَنْ يُقِرُّوا بِأَدَاءِ مَا أَنْفَقَ المُسْلِمُونَ عَلَى أَزْوَاجِهِمْ، أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ وَإِن فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى ٱلْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ ﴾ [الممتحنة: 11]؛ وَالعَقْبُ مَا يُؤَدِّي المُسْلِمُونَ إِلَى مَنْ هَاجَرَتِ امْرَأَتُهُ مِنَ الكُفَّارِ، فَأَمَرَ أَنْ يُعْطَى مَنْ ذَهَبَ لَهُ زَوْجٌ مِنَ المُسْلِمِينَ مَا أَنْفَقَ مِنْ صَدَاقِ نِسَاءِ الكُفَّارِ اللَّائِي هَاجَرْنَ، وَمَا نَعْلَمُ أَنَّ أَحَدًا مِنَ الْمُهَاجِرَاتِ ارْتَدَّتْ بَعْدَ إِيمَانِهَا[1].

قال صاحب المحرر في أسباب نزول القرآن من خلال الكتب التسعة :" هكذا جاء في سبب نزول هذه الآية الكريمة، لكنّ المفسرين لم يذكروا هذا الحديث عند تفسيرها وإن كانوا ذكروا معناه كالطبري، وابن العربي وابن عطية، والقرطبي وابن كثير والسعدي وابن عاشور....... وما ذكره المفسرون يوافق تماماً ما روته أم المؤمنين – رضي الله عنها – إلا أن الخلاف بينهم ينصبُّ على الجهة التي يُعطى منها من فات له زوج إلى الكفار.....وعليه: فالحديث الذي سبق سبب نزول الآية الكريمة لصحة سنده، وتصريحه بالنزول، وموافقته لسياق القرآن، واتفاق المفسرين على معناه"[2].

رابعاً: المعنى الإجمالي:

"لما أمر الله المسلمين بترك موالاة المشركين، واقتضى ذلك مهاجرة المسلمين عن بلاد الشرك إلى بلاد الإسلام، وكان التناكح من أوكد أسباب الموالاة، فبين– سبحانه– أحكام مهاجرة النساء"[3]..

---

(1) [البخاري، صحيح البخاري، كتاب الشروط/ باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب (197/3) رقم الحديث(2733)]

(2) خالد المزيني، المحرر في أسباب نزول القرآن من خلال الكتب التسعة (ج2/ 997–998).

(3) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج18/ 61)

" فإنه لما كان صلح الحديبية، صالح النبي ﷺ المشركين، على أن من جاء منهم إلى المسلمين مسلماً، أنه يرد إلى المشركين، وكان هذا لفظاً عاماً مطلقاً، يدخل في عمومه النساء والرجال، فأما الرجال فإن الله لم ينه رسوله عن ردهم إلى المشركين وفاء بالشرط وتتميماً للصلح الذي هو من أكبر المصالح، وأما النساء فلما كان ردهن فيه مفاسد كثيرة، أمر الله المؤمنين إذا جاءهم المؤمنات مهاجرات، وشكوا في صدق إيمانهن، أن يمتحنوهن ويختبروهن، بما يظهر به صدقهن، من أيمان مغلظة وغيرها، فإنه يحتمل أن يكون إيمانها غير صادق بل رغبة في زوج أو بلد أو غير ذلك من المقاصد الدنيوية.

فإن كن بهذا الوصف، تعين ردهن وفاء بالشرط، من غير حصول مفسدة، وإن امتحنوهن، فوجدن صادقات، أو علموا ذلك منهن من غير امتحان، فلا يرجعوهن إلى الكفار، ﴿ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ﴾ فهذه مفسدة كبيرة في ردهن راعاها الشارع، وراعى أيضا الوفاء بالشرط، بأن يعطوا الكفار أزواجهن ما أنفقوا عليهن من المهر وتوابعه عوضا عنهن، ولا جناح حينئذ على المسلمين أن ينكحوهن ولو كان لهن أزواج في دار الشرك، ولكن بشرط أن يؤتوهن أجورهن من المهر والنفقة، وكما أن المسلمة لا تحل للكافر، فكذلك الكافرة لا تحل للمسلم أن يمسكها ما دامت على كفرها، غير أهل الكتاب، ولهذا قال تعالى: ﴿ وَلَا تُمْسِكُوا۟ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ ﴾ وإذا نهى عن الإمساك بعصمتها فالنهي عن ابتداء تزويجها أولى، ﴿ وَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقْتُمْ ﴾ أيها المؤمنون، حين ترجع زوجاتكم مرتدات إلى الكفار، فإذا كان الكفار يأخذون من المسلمين نفقة من أسلمت من نسائهم، استحق المسلمون أن يأخذوا مقابلة ما ذهب من نسائهم إلى الكفار..، وقوله: ﴿ ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ ﴾ أي: ذلكم الحكم الذي ذكره الله وبينه لكم يحكم به بينكم، ﴿ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ فيعلم تعالى، ما يصلح لكم من الأحكام، ويشرع لكم ما تقتضيه الحكمة. وقوله: ﴿ وَإِن فَاتَكُمْ شَىْءٌ مِّنْ أَزْوَٰجِكُمْ إِلَى ٱلْكُفَّارِ ﴾ بأن ذهبن مرتدات ﴿ فَعَاقَبْتُمْ فَـَٔاتُوا۟ ٱلَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَٰجُهُم مِّثْلَ مَآ أَنفَقُوا۟ ﴾ كما تقدم أن الكفار إذا كانوا يأخذون بدل ما يفوت من أزواجهم إلى المسلمين، فمن ذهبت زوجته من المسلمين إلى الكفار وفاتت عليه، لزم أن يعطيه المسلمون من الغنيمة بدل ما أنفق .

﴿ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴾ فإيمانكم بالله، يقتضي منكم أن تكونوا ملازمين للتقوى على الدوام"[1].

---

[1] السعدي، تيسير الكريم الرحمن (ص: 857)

خامساً: تحقيق المقاصد والأهداف:

1- وقفات مع امتحان المهاجرات:

أ. هل دخل النساء في عقد الصلح أم لا؟

اختلف أهل العلم هل دخل النساء في عهد الهدنة أم لا ؟ -أي في شرط ردّ من جاء مؤمناً إلى النبي ﷺ إلى قومه!- اختلفوا على قولين[1]:

أحدهما: أن العقد وقع على رد الرجال والنساء جميعاً؛ استدلالاً بالرواية التي وردت فيها الصيغة العامة لهذ الشرط: (لاَ يَأْتِيكَ مِنَّا أَحَدٌ، وَإِنْ كَانَ عَلَى دِينِكَ إِلَّا رَدَدْتَهُ إِلَيْنَا، وَخَلَّيْتَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ)[2] ؛ أو استدلالاً برواية صرحت بذكر الرجال والنساء؛ وعلى هذا تكون الآية مخصصة للعهد أو ناسخة له.

والثاني: أن الصلح لم يقع على رد النساء؛ بدليل الرواية التي جاء فيها اختصاص الشرط بالرجال: (لاَ يَأْتِيكَ مِنَّا رَجُلٌ وَإِنْ كَانَ عَلَى دِينِكَ إِلَّا رَدَدْتَهُ إِلَيْنَا) [3]؛ وعلى هذا القول: فلا نسخ ولا تخصيص.

وعند الحديث عن اختلاف المفسرين في هذه المسألة لا بد من الحديث عن ثمرة هذا الاختلاف! فالقول الأول التي أقرت فيه الآية الكريمة بمخالفة شرط العقد؛ لما فيه من ظلم للمرأة يدل على أن: " للنبي ﷺ أن يجتهد رأيه في الأحكام، ولكن لا يقره الله على خطأ"[4].

والقول الثاني الذي جاءت به الآية موافقة للعهد، مقررة له، يدل على حرص الشريعة الإسلامية على الوفاء بالعهد؛ وأنه لا ينبغي لطرف أن يستبد بتغيير أو تخصيص أو ترك شرط من شروطه دون موافقة الطرف الآخر[5].

ولذا نجد بعض المعاصرين يميلون للقول الثاني[6]، "وإن كان الأول هو قول الأكثر من المفسرين"[1]؛ لأن الثاني يوافق روح الشريعة الإسلامية ولا ينافيها.

---

(1) انظر: البغوي، معالم التنزيل (ج5/75)؛ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج18/62)؛ الشوكاني، فتح القدير (ج5/256)؛ ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج28/155).

(2) سبق تخريجه (ص197).

(3) [البخاري، صحيح البخاري، كتاب الشروط/ باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب (3/193) رقم الحديث (2731)]

(4) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج18/62) .

(5) انظر: الصابوني، روائع البيان تفسير آيات الأحكام (ج2/560)

(6) انظر: المرجع السابق (ج2/560)

يقول سيد قطب رَحِمَهُ اللَّهُ: " ويظهر أن النص لم يكن قاطعاً في موضوع النساء، فنزلت هاتان الآيتان تمنعان رد المهاجرات المؤمنات إلى الكفار، يفتنّ في دينهن وهن ضعاف.
ونزلت أحكام هذه الحالة الدولية معها، تنظم التعامل فيها على أعدل قاعدة تتحرى العدل في ذاته دون تأثر بسلوك الفريق الآخر، وما فيها من شطط وجور، على طريقة الإسلام في كل معاملاته الداخلية والدولية" [2].

ب. كيفية امتحان المهاجرات:

اختلف فيما كان الامتحان به على ثلاثة أقوال:

أحدها: ما ورد في جواب ابن عباس ﵁ حين سئل كيف كان امتحان رسول الله ﷺ النساء، قال: " كيف كان امتحان رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم النساء؟ قال: كان يمتحنهنّ بالله ما خرجت من بغض زوج، وبالله ما خرجت رغبة عن أرض إلى أرض، وبالله ما خرجت التماس دنيا، وبالله ما خرجت إلا حبًّا لله ورسوله"[3].

"والثاني: بأن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، قاله عطية العوفي

الثالث: بما بينه الله في السورة من قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ يُبَايِعۡنَكَ ﴾ " [4].

حيث أخرج البخاري عن أم المؤمنين عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ قَالَتْ: " إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺكَانَ يَمْتَحِنُ مَنْ هَاجَرَ مِنَ المُؤْمِنَاتِ بِهَذِهِ الآيَةِ": ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ يُبَايِعۡنَكَ﴾ [الممتحنة: 12] [5].

هذه الصيغ وغيرها مما ذكره المفسرون وإن اختلفت في ألفاظها، فالمتأمل لها يجد أن مقصودها ومعناها واحد، إنما هي صيغ لاختبار إيمان المهاجرات، والتوثق منه، والاستدلال على صدقهن.

---

(1) الشوكاني، فتح القدير (ج5/256).

(2) سيد قطب، في ظلال القرآن (ج6/3546).

(3) انظر: الطبري، جامع البيان (ج23/ 325)؛ الماوردي، النكت والعيون (ج5/522)؛ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج18/62)؛ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج8/ 121).

(4) الماوردي، النكت والعيون (ج5/522).

(5)[البخاري، صحيح البخاري، كتاب المغازي/ باب غزوة الحديبية (127/5)رقم الحديث(4182)]

ج. الغاية من امتحان المهاجرات:

لقد كانت الغاية من هذا الامتحان هي معرفة سبب الهجرة، أكانت فراراً بدينهن من أن يفتن فيه؟ أم فراراً من زوج، أو أهل؟ أكانت هذه الهجرة طمعاً في القرب من الله ولقاء رسوله؟ أم كانت طمعاً في مأرب من مآرب الحياة؟ هل كانت حبّاً في الله ورسوله، أم كان من أجل الدنيا؟

فإذا تبين أنهن على الإيمان: كان على المؤمنين أن يؤووهن إليهم، وأن يمسكوا بهن في مجتمع المؤمنين، وألّا يرجعوهن إلى الكفار ؟![1]

وهذه الغاية ذكرت بنص الآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ ﴾، وفقهها الصحابة الكرام ﷺ،و ومن ذلك ما بيّنه الصحابي الجليل عُرْوَة بن الزُّبير ﷺ: "إن رسول الله ﷺ كان صالح قريشًا عام الحديبية على أن يردّ عليهم من جاء بغير إذن وليه؛ فلما هاجر النساء إلى رسول الله ﷺ وإلى الإسلام، أَبى الله أن يُرْدَدْن إلى المشركين، إذا هنّ امْتَحنّ محنة الإسلام، فعرفوا أنهنّ إنما جئن رغبة فيه"[2].

د. رحمة الله بالنساء المهاجرات:

لقد كان أمر امتحان المهاجرات ومن ثم عدم ردّهن إلى المشركين لحكمةٍ بالغة ورحمة عظيمة.

وتتجلى هذه الحكمة في قول أم كلثوم لرسول الله ﷺحينما علمت بشرط الرد: " يا رسول الله أنا امرأة وحال النساء إلى الضعفاء ما قد علمت. فتردني إلى الكفار يفتنوني في ديني ولا صبر لي؟"[3]؛ وفي رواية أخرى: " يَا رَسُولَ اللهِ، إنّي فَرَرْت بِدِينِي إلَيْك فَامْنَعْنِي وَلَا تَرُدّنِي إلَيْهِمْ يَفْتِنُونِي وَيُعَذّبُونِي، فَلَا صَبْرَ لِي عَلَى الْعَذَابِ، إنّمَا أَنَا امْرَأَةٌ وَضَعْفُ النّسَاءِ إلَى مَا تَعْرِفُ، وَقَدْ رَأَيْتُك رَدَدْت رَجُلَيْنِ إلَى الْمُشْرِكِينَ حَتّى امْتَنَعَ أَحَدُهُمَا، وَأَنَا امْرَأَةٌ!" [4].

فالحكمة في عدم ردّ النساء المؤمنات إلى المشركين: هي أن النساء أرقّ قلوباً، وأسرع تقلباً، وأشدّ فتنةً من الرجال، فالنساء لا يصبرن طويلاً على موقع الفتنة من المشركين ولا صبر لهنّ على تحمّل البلاء والأذى، فلا يحتملن ما يحتمل الرجال من بلاء في سبيل العقيدة التي يعتقدنها، إنهن أسرع تحولاً، وأقل ثباتاً وصبراً من الرجال، وإن كان في بعض النساء ما في

---

[1] انظر: الصابوني، روائع البيان تفسير آيات الأحكام (ج2/556)؛ عبد الكريم الخطيب، التفسير القرآني للقرآن (ج14/ 906)

[2] الطبري، جامع البيان (ج23/ 327-328)

[3] [ابن سعد، الطبقات الكبرى، تسمية النساء المبايعات من قريش/ أم كلثوم بنت عقبة (ج8/183)]

[4] [الواقدي، المغازي، غزوة الحديبية (2/631)]

أقوى الرجال من عزيمة وثبات، إلا أن النساء في مجموعهن دون الرجال في هذا المقام؛ فرحم الله ضعفهنَّ، ومنع من ردّهن إلى الكفرة المشركين[1]..

هـ. اختصاص الامتحان بالنساء فقط:

"إن السبب في امتحانهن دون الرجال، هو ما أشارت إليه هذه الآية في قوله تعالى: ﴿ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ ﴾ ، كأن الهجرة وحدها لا تكفي في حقهن بخلاف الرجال، فقد شهد الله لهم بصدق إيمانهم بالهجرة في قوله ﷻ: ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴾ [الحشر: 8]، وذلك أن الرجل إذا خرج مهاجرا يعلم أن عليه تبعة الجهاد والنصرة فلا يهاجر إلا وهو صادق الإيمان فلا يحتاج إلى امتحان، بخلاف النساء فليس عليهن جهاد ولا يلزمهن بالهجرة أية تبعية، فأي سبب يواجههن في حياتهن سواء كان بسبب الزوج أو غيره، فإنهن يخرجن باسم الهجرة فكان ذلك موجباً للتوثق من هجرتهن بامتحانهن ليعلم إيمانهن، ويرشح لهذا المعنى قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ ۖ ﴾ ، وفي حق الرجال: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴾ ، وكذلك من جانب آخر، وهو أن هجرة المؤمنات يتعلق عليها حق مع طرف آخر، وهو الزوج فيفسخ نكاحها منه، ويعوض هو عما أنفق عليها، وإسقاط حقه في النكاح وإيجاب حقه في العوض قضايا حقوقية، تتطلب إثباتاً بخلاف هجرة الرجال، والله تعالى أعلم" [2].

2- الله وحده يعلم ما في القلوب:

﴿ **ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ ۖ** ﴾ بلاغٌ من الله ﷻ وبيانٌ بأنه وحده الذي يعلم ما في القلوب وحقيقة ما بها من إيمان؛ وأما ما جاء في خطابه ﷻ للمؤمنين:﴿ **فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ** ﴾

---

[1] انظر: الصابوني، روائع البيان تفسير آيات الأحكام (ج556/2)؛ عبد الكريم الخطيب، التفسير القرآني للقرآن (ج14/ 906)

[2] الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (ج8/ 97-98) بتصرف.

فهذا حسب علمهم الظاهر وظنهم الغالب بناءً على الحلف وظهور الأمارات حسبما تبلغه طاقتهم؛ لكنه لا ولن يبلغ إلى مرتبة اليقين، فوحده الله من يعلم حقيقة الإيمان، وهذا مما استأثر به علام الغيوب[1]..

فالبشر لهم الظاهر، والله يتولى السرائر، لا يملكون المعرفة الحقيقة والعلم القطعي بما في قلوب العباد.

3- تحريم نكاح المشركات:

قوله تعالى: ﴿ وَلَا تُمْسِكُوا۟ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ ﴾ " تحريم من الله عز وجل على عباده المؤمنين نكاح المشركات والاستمرار معهن" [2].

فتحريم الزواج بالمشركة التي لا تدين بدينٍ سماوي بالإجماع[3]، وبدليل قوله ﷻ في هذه السورة الكريمة: ﴿ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ﴾؛ وبدليل قوله تعالى:﴿ وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَـٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ﴾ [البقرة: 221].

وقد حرّمت الشريعة الإسلامية الغراء نكاح المشركات، وحظرت على المسلم أن يُبقي في عصمته امرأة لا تؤمن بالله، ولا تعتقد بكتاب أو رسول، وتنكر البعث والنشور، وذلك لما يترتب على هذا الزواج من مخاطر دينية، واجتماعية، وأضرار عظيمة، تلحق بالزوج والأولاد، وبالتالي تهدّد حياة الأسرة التي هي النواة لبناء المجتمع الأكبر[4].

4- تكريم الإسلام للمرأة:

لقد سبق الإسلام كل المذاهب والحركات في إعطاء المرأة حقوقها وإكرامها أشد الكرام، فالمرأة في الإسلام مكرّمة مصانة حقوقها، وقد ذكرت طرفاً من ذلك في سورة المجادلة وقصة خولة – رضي الله عنها–.

وفي هذه السورة أقف مع مشهدٍ آخر من مشاهد التكريم والعناية، في قوله تعالى: ﴿ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ﴾

---

[1] انظر: الزمخشري، الكشاف (ج4/ 517-518).

[2] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج122/8).

[3] انظر: الصابوني، روائع البيان في تفسير آيات الأحكام (ج564/2).

[4] المرجع السابق (ج567/2).

فمعنى الآية الكريمة: " لا حرج عليكم- أيها المؤمنون- في نكاح هؤلاء المؤمنات، بعد فراقهن لأزواجهن المشركين، وبعد استبرائكم لأرحامهن، وعليكم أن تدفعوا لهن مهورهن كاملة غير منقوصة.

ونص على دفع المهر لهن- مع أنه أمر معلوم- لكي لا يتوهم متوهم، أن رد المهر الى الزوج الكافر، يغنى عن دفع مهر جديد لهن إذا تزوجن بعد ذلك بأزواج مسلمين، إذ المهر المردود للكفار، لا يقوم مقام المهر الذي يجب على المسلم إذا ما تزوج بامرأة مسلمة فارقت زوجها الكافر "[1].

وفي هذا تكريم للمرأة وعناية بها واهتمام بحقها حتى في أصعب اللحظات..

5- الإسلام دين العدل:

لا ريب في أن الإسلام دين العدل، حث عليه وأمر به؛ ولم يكن ذلك فحسب بل إنّ العدل تجلى في أبهى صوره في أحكام الإسلام وتشريعاته.

وفي هذه الآيات الكريمة يظهر عدل الإسلام، في قوله تعالى: ﴿ وَإِن فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى ٱلْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَـَٔاتُوا۟ ٱلَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَٰجُهُم مِّثْلَ مَآ أَنفَقُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴾

ففي هذه الآية الكريمة يأمر الله أن يُعطى المسلم الذي آثرت زوجته الشرك وذهبت إلى المشركين مثل الذي أنفقه وأعطاه؛ فلفظ " مثل" يفيد بأن المهر المعطى ينبغي أن يكون مساوياً لما كان قد أعطاه الزوج من قبل، لا نقص فيه! [2]

وهذا من باب العدل يُعطى مثلما أعطى، ويعوّض على قدر ما خسر!

وأعمق من ذلك وأعظم: أن هذه الصورة البهية لعدل الإسلام لتتجلى بوضوح لا لبس فيه حينما يكون العدل مع الأعداء.

ومن ذلك ما ظهر في هذه الآيات الكريمة من قول الله ﷻ : ﴿ وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُوا۟ ۚ﴾

فهنا: "أمر الله- تعالى- إذا أمسكت المرأة المسلمة، أن يرد إلى زوجها المشرك ما أنفق، وذلك من الوفاء بالعهد، لأنه لما منع من أهله، بحرمة الإسلام، أمرﷺ برد المال إليه، حتى لا يقع عليهم خسران من الوجهين: الزوجة والمال"[3].

---

[1] طنطاوي، التفسير الوسيط (ج14/ 340)

[2] انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج148/18).

[3] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج64/18)

وهذا قمة العدل أن يكون مع الأعداء، أن يُعطوا كما كانوا قد أعطوا! وأن يأمر المسلمون بالإقساط معهم: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ۝٨ ﴾.

وإن كان حكم تراد المهر مخصوصاً بذلك الزمان في تلك النازلة خاصة بإجماع الأمة[1]؛ إلا أن روح هذا الحكم ومقصده من مراعاة العدل والإقساط باقية قائمة!

6- مسئولية الدولة تجاه أفرادها:

إن المتأمل في الآيتين السابقتين يرى فيها الكثير من الأحكام والمسئوليات، فقد أمر الله سبحانه فيهما بامتحان المهاجرات وإيوائهن إن صدقن الإيمان، وإعطاء أزواجهن ما أنفقوا عليهن، وبالمقابل إعطاء الأزواج المسلمين ما أنفقوه على زوجاتهم الملتحقات بالكفر وأهله.

فمن المسؤول عن أداء هذا الالتزام المالي لكلا الطرفين؟!

لقد صرّح كثير من المفسرين على أن المكلف بإرجاع المهور للأزواج الكفار أو إعطائه للأزواج المؤمنين في حال نكوص المشركين عن أدائه؛ إنما المكلف به الإمام وولاة الأمور! [2]

ففي هذه الحادثة: هذه المسلمة المهاجرة التي جاءت فارّة بدينها؛ لم يجعلها الإسلام تتحمل عبء هذه التضحية وحدها؟ ولم يحملها غرم دخولها في الدين وقد تخلت عن الدنيا؟ بل كانت العناية والتثبيت والإيواء والاحتواء بأن جعل الله ﷻ الإمام مسئولاً أن يردّ ما لزوجها من مال.

وهذا يقود إلى مسألةٍ في غاية الأهمية: وهي عِظم مسؤولية الدولة تجاه أفرادها؛ فلا تتركهم في حال ضعفٍ واستضعاف، أو شتاتٍ أو ضياعٍ، بل ينبغي أن تأخذ بأيديهم إلى صلاح نفوسهم وإصلاح مجتمعهم، فتهيأ لهم الظروف وتأخذ بالأسباب وتوفر لهم الإمكانات اللازمة لذلك.

يقول النبي ﷺ: (أَلاَ كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَالإِمَامُ الَّذِي عَلَى النَّاسِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ) [3].

هذا الذي جعل عمر بن الخطاب ﷺ يقول: " لَوْ مَاتَتْ سَخْلَةٌ عَلَى شَاطِئِ الْفُرَاتِ ضَيْعَةً لَخِفْتُ أَنْ أُسْأَلَ عَنْهَا"[4].

فهل فقه الحكام والولاة في كل زمان ومكان هذا الأمر؟!!

---

[1] انظر: ابن العربي، أحكام القرآن (ج231/4).

[2] انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج65/18)؛ ابن عاشور، التحرير والتنوير(ج159/28)

[3] [البخاري، صحيح البخاري، كتاب الأحكام، باب قول الله: "وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم" (62/9) رقم الحديث(7138)]

[4] [البيهقي، شعب الإيمان ، طاعة أولي الأمر/ باب قيام الأوزاعي مع المنصور وعظته إياه (506/9)].

7- رابطة الدين أقوى من كل رابطة:

هذا المقصد العظيم الذي ورد في مع بداية السورة الكريمة، مع أول آياتها حينما عاتب الله ﷻ حاطباً على موالاته لقرابته من المشركين، وشدد النهي عن موالاتهم واتخاذهم أصدقاء وهم الذين يعادون الله ورسوله والمؤمنين.

ثم أتت الآيات لتؤكد الآيات بعد ذلك على أن القرابة من أولاد وأرحام لا تغني من الله شيئاً، وضربت المثل بإبراهيم –عليه السلام– في البراءة من الشرك والمشركين.

كل ذلك لتعزز في نفس المؤمن روح الولاء للعقيدة الإسلامية دونما سواها والبراءة من كل من عاداها، وتربيه على التمسك بدينه والتضحية من أجله، وتزرع فيه أن الدين أقوى رابطة وألا اعتبار للروابط الدنيوية الأخرى.

ثم تعود ها هنا في هاتين الآيتين لذات المقصد، لتؤكد عليه وتثبته .

"ويتجلى هذا المبدأ في الحكم الشرعي الوارد في الآية من انتهاء عقد الزوجية ما بين المسلم والمشركة، أو ما بين المشركة والمسلم"[(1)]؛ في قوله تعالى: ﴿ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ ﴾ فلا صلة بين الكفر والإيمان، ولا رابطة إلا رابطة العقيدة والإيمان، ولا أنس ولا انسجام ولا توافق أو تفاهم أو استقرار إلا بين الذين يرتبطون بالله وبالإيمان.

8- جرأة المرأة المسلمة ودورها في الدعوة:

لقد كشفت الآيات الكريمة عن صورة من صور المجتمع في ذاك الوقت وهي : " أن بعض النساء المكيّات اللاتي أسلمن ولم يستطعن الهجرة وظلّت المتزوجات منهن في كنف أزواجهم المشركين كنّ يتحيّنّ الفرصة للهجرة إلى النبي ﷺ تاركات وطنهنّ وأهلهنّ وأزواجهنّ على ما كان يحفّ هذا العمل من أخطار ومصاعب؛ وفي هذا صورة رائعة للمرأة العربية ودورها في الدعوة الإسلامية وما بثّه الإسلام فيها من قوة وإخلاص وجرأة وإقدام وتضحية"[(2)].

سادساً: العبر والعظات المستفادة:

1- قال القشيري: " الامتحان طريق إلى المعرفة، وجواهر الناس تتبيّن بالتجربة ، ومن أقدم على شيء من غير تجربة تحسّى كأس الندم"[(3)].

2- وحده الله يعلم ما في القلوب، فلا ينبغي لأحدٍ أن يحكم على الناس.

---

(1) سيد قطب، في ظلال القرآن (ج6/ 3546)

(2) دروزة عزت، التفسير الحديث (ج9/ 283).

(3) القشيري، لطائف الإشارات (ج3/ 573).

3- حرمة زواج المسلم بالمشركة أو زواج المسلمة بمشرك.

4- "﴿ وَلَا تُمۡسِكُواْ بِعِصَمِ ٱلۡكَوَافِرِ ﴾ لا توافقوا من خالف الحقّ في قليل أو كثير" [1]

5- " ﴿ ذَهَبَتۡ أَزۡوَٰجُهُم ﴾ - إشارة إلى أن هؤلاء الزوجات إنما هن شيء قد ضلّ، وذهب في متاهات الحياة، فلا تأس عليه نفس، ولا يحزن له قلب"[2].

6- " قوله تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤۡمِنُونَ ﴾- هو تعقيب على هذه الأحكام، وأنها يجب أن تقوم عند المؤمن في ظل من تقوى الله، حتى لا يقع فيها جور، أو انحراف عن ميزان العدل والإحسان؛ وفى قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِيٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤۡمِنُونَ ﴾ - إلفات للمؤمنين إلى أنهم في هذا المقام، إنما يقيمون أمورهم على ميزان الإيمان، الذي فرق بينهم وبين المشركين، وهم لهذا مطالبون بأن يحضروا إيمانهم هذا كلّ تصرف يكون بينهم وبين المشركين، من أخذ أو إعطاء"[3]..

7- ﴿ ذَٰلِكُمۡ حُكۡمُ ٱللَّهِ يَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡۖ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴾ "ختم- سبحانه- هذه الآية الكريمة ببيان أن هذه الأحكام، إنما هي من الله- تعالى- العليم بأحوال النفوس، الحكيم في أقواله وأفعاله"[4]، "فلا يشرع إلا ما تقتضيه الحكمة" [5].

8- الإسلام دين عدل ورحمة، وتكريم لأهله وحرص عليهم.

9- الدولة مسئولة عن رعاية أفرادها، وتوفير سبل الحياة الكريمة لهم بما يؤهلهم لبناء أنفسهم ومجتمعهم.

10- للإمام عقد علاقات دبلوماسية مع الدول المجاورة حسب ما تقتضيه مصلحة المسلمين.

---

[1] القشيري، لطائف الإشارات (ج3/ 573).

[2] عبد الكريم الخطيب، التفسير القرآني للقرآن (ج14/ 909).

[3] المرجع السابق(ج14/ 909).

[4] الطنطاوي، التفسير الوسيط (ج14/ 341).

[5] الزحيلي، التفسير المنير (ج28/ 145).

المطلب الثاني: أحكـام مبايعة المؤمنات

قال تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ يُبَايِعۡنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشۡرِكۡنَ بِٱللَّهِ شَيۡـٔٗا وَلَا يَسۡرِقۡنَ وَلَا يَزۡنِينَ وَلَا يَقۡتُلۡنَ أَوۡلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأۡتِينَ بِبُهۡتَٰنٖ يَفۡتَرِينَهُۥ بَيۡنَ أَيۡدِيهِنَّ وَأَرۡجُلِهِنَّ وَلَا يَعۡصِينَكَ فِي مَعۡرُوفٖ فَبَايِعۡهُنَّ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُنَّ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ١٢ ﴾ [الممتحنة: 12]

أولاً: المفردات:

- قوله تعالى:﴿ يُبَايِعۡنَكَ ﴾

"أي: مبايعات لك، أو قاصدات مبايعتك، ومعاهدتك على الطاعة لما تأمرهن به، أو تنهاهن عنه.

وأصل المبايعة: مقابلة شيء بشيء على سبيل المعاوضة. وسميت المعاهدة مبايعة، تشبيهاً لها بها، فإن الناس إذا التزموا قبول ما شرط عليهم من التكاليف الشرعية، - طمعاً في الثواب، وخوفا من العقاب، وضمن لهم ﷺ ذلك في مقابلة وفائهم بالعهد- صار كأن كل واحد منهم باع ما عنده في مقابل ما عند الآخر " [1].

- قوله تعالى:﴿ وَلَا يَأۡتِينَ بِبُهۡتَٰنٖ يَفۡتَرِينَهُۥ بَيۡنَ أَيۡدِيهِنَّ وَأَرۡجُلِهِنَّ ﴾

"فيه ثلاثة أقاويل: أحدها: أنه السحر ، قاله ابن بحر؛ الثاني: المشي بالنميمة والسعي في الفساد؛ والثالث: وهو قول الجمهور ألا يلحقن بأزواجهن غير أولادهن، لأن الزوجة كانت تلتقط ولداً وتلحقه بزوجها ولداً ، ومعنى ﴿ يفترينه بين أيديهن﴾ ما أخذته لقيطاً ، ﴿وأرجلهن﴾ ما ولدته من زنى"[2].

- قوله تعالى:﴿ وَلَا يَعۡصِينَكَ فِي مَعۡرُوفٖ ﴾

أي : "فيما تأمرهن به من المحسنات وتنهاهنّ عنه من المقبحات؛ وقيل: كل ما وافق طاعة الله فهو معروف"[3].

ثانياً: المعنى الإجمالي:

يخاطب الله نبيه بشأن مبايعة المؤمنات: يا أَيها النبي إذا جاءك المؤمنات مبايعات لك ومعاهدات؛ فبايعهنّ على هذه الأمور ﴿ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشۡرِكۡنَ بِٱللَّهِ شَيۡـٔٗا ﴾ أي: ألا يشركن بالله شيئاً

---

[1] طنطاوي، التفسير الوسيط (ج14/ 344)

[2] الماوردي، النكت والعيون (ج5/525)

[3] الزمخشري، الكشاف (ج4/ 520)

من الأَشياء أَو شيئاً من الإشراك، ولا يسرقن، ولا يزنين، ولا يئدن أولادهم- كما كان يفعل أهل الجاهلية- أو يقتلونهم مخافة الفقر والحاجة، ولا يلحقن بأزواجهنّ ما ليس من أولادهم، ولا يعصينك في طاعة أو معروف فيما تأمرهن به، فإذا وافقن على هذه الشروط فبايعهن على ذلك وعلى سائر أحكام الإسلام ، وعاهدهن بضمان الثواب على الوفاءِ بهذه الأَشياءِ ، واطلب لهن من الله الرحمة والمغفرة، إذا وفين بالبيعة، فإن الله غفور رحيم، عظيم المغفرة والرحمة لمن استقام وتاب وأناب[1].

ثالثاً: تحقيق المقاصد والأهداف:

1- وقفات مع مبايعة المؤمنات:

أ. كيفية مبايعة النبي ﷺ للمؤمنات:

واختلف في بيعته ﷺ لهن على ثلاثة أقاويل:

"أحدها: أنه جلس على الصفا [ومعه عمر أسفل منه] فأمره أن يبايع النساء، قاله مقاتل.

الثاني: أنه أمر أميمة أخت خديجة خالة فاطمة بنت رسول الله بعد أن بايعته ، أن تبايع النساء عنه، قاله محمد بن المنكدر عن أميمة.

الثالث: أنه بايعهن بنفسه وعلى يده ثوب قد وضعه على كفه ، قاله عامر الشعبي. وقيل بل وضع قعباً فيه ماء وغمس فيه يده وأمرهن فغمسن أيديهن ، فكانت هذه بيعة النساء"[2]..

ب. هل البيعة خاصة بالنساء :

هذه الآية الكريمةُ وردت في مبايعة النبي ﷺ للنساء المؤمنات، ولكن هناك أحاديث بينت أن النبي ﷺ بايع الرجال في مواقف مختلفة؛ منها ما رواه الإمام أحمد عن عبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ قَالَ: كُنْتُ فِيمَنْ حَضَرَ الْعَقَبَةَ الْأُولَى وَكُنَّا اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلًا فَبَايَعْنَا رَسُولَ اللهِ ﷺ عَلَى بَيْعَةِ النِّسَاءِ، وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ تُفْتَرَضَ الْحَرْبُ عَلَى: (أَنْ لَا نُشْرِكَ بِاللهِ شَيْئًا، وَلَا نَسْرِقَ، وَلَا نَزْنِيَ، وَلَا نَقْتُلَ أَوْلَادَنَا، وَلَا نَأْتِيَ بِبُهْتَانٍ نَفْتَرِيهِ بَيْنَ أَيْدِينَا وَأَرْجُلِنَا، وَلَا نَعْصِيَهُ فِي مَعْرُوفٍ، فَإِنْ وَفَّيْتُمْ فَلَكُمُ الْجَنَّةُ) [3].

---

[1] انظر: الصابوني، روائع البيان تفسير آيات الأحكام (ج2/ 555)؛ مجمع البحوث، التفسير الوسيط (ج10/ 1388).

[2] الماوردي، النكت والعيون (ج5/ 524)

[3][أحمد، مسند أحمد، حديث عبادة بن الصامت (415/37)رقيم الحديث(22754)] قال المحقق: " حديث صحيح، وهذا إسناد حسن من أجل محمد بن إسحاق، وقد توبع، وباقي رجال الإسناد ثقات رجال الشيخين".

ج. **الحكمة من اختصاص البيعة بهذه الأمور:**

ذكر الله عز وجل ورسوله ﷺ في صفة البيعة خصالاً شتى، صرح فيهن بأركان النهي في الدين ولم يذكر أركان الأمر كالصلاة والزكاة والصيام وذلك لوضوح كون هذه الأمور ونحوها من أركان الدين وشعائر الإسلام؛ وإنما خص الأمور المذكورة لكثرة وقوعها من النساء، فقد قيل: إن هذه المناهي كان في النساء كثير من يرتكبها ولا يحجزهن عنها شرف النسب، ثم إن الإنسان إذا ترك شهوته من المعاصي هان عليه ترك سائرها مما لا شهوة له فيها [1].

2- **تحريم الشرك والسرقة والزنا والقتل والبهتان:**

وردت هذه البيعة والمعاهدة على ترك الشرك والسرقة وقتل الأولاد والزنا والبهتان؛ وقد عدّ الإسلام بعض هذه الأمور من الكبائر التي تهلك صاحبها وتوصله للنار.

أ. **تحريم الشرك:**

"الشرك في توحيد الإلهية والعبادة ينافي التوحيد كل المنافاة، وهو نوعان: أكبر وأصغر. فالأكبر: وهو أن يتخذ من دون الله نداً، يدعوه كما يدعو الله، أو يخافه أو يرجوه أو يحبه كحب الله، أو يصرف له نوعا من أنواع العبادة، فهذا الشرك لا يبقى مع صاحبه من التوحيد شيء، وهذا المشرك الذي حرم الله عليه الجنة ومأواه النار"[2].

وأما الشرك الأصغر: "فهو جميع الأقوال والأفعال التي يتوسل بها إلى الشرك، كالغلو في المخلوق الذي لا يبلغ رتبة العبادة، وكالحلف بغير الله ويسير الرياء ونحو ذلك"[3].

قال شيخ الإسلام: "الشرك نوعان: أكبر، وأصغر، فمن خلص منهما وجبت له الجنة، ومن مات على الأكبر، وجبت له النار.." [4].

"فإذا كان الشرك ينافي التوحيد، ويوجب دخول النار والخلود فيها، وحرمان الجنة إذا كان أكبر، ولا تتحقق السعادة إلا بالسلامة منه، كان حقاً على العبد أن يخاف منه أعظم خوف، وأن يسعى في الفرار منه ومن طرقه ووسائله وأسبابه، ويسأل الله العافية منه كما فعل ذلك الأنبياء والأصفياء وخيار الخلق؛ وعلى العبد أن يجتهد في تنمية الإخلاص في قلبه وتقويته، وذلك بكمال التعلق بالله تألهاً، وإنابة وخوفاً ورجاء وطمعاً وقصداً لمرضاته وثوابه في كل ما يفعله

---

[1] انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (18/ 73)؛ الشوكاني، فتح القدير (258/5).

[2] ابن القيم، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (ج1/ 348)؛ السعدي، القول السديد شرح كتاب التوحيد (ص: 31)

[3] السعدي، القول السديد شرح كتاب التوحيد (ص: 32)

[4] ابن تيمية، تفسير آيات أشكلت على كثير من العلماء (ج364/1)

العبد، وما يتركه من الأمور الظاهرة والباطنة، فإن الإخلاص بطبيعته يدفع الشرك الأكبر والأصغر، وكل من وقع منه نوع من الشرك فلضعف إخلاصه"[1]..

ب. تحريم السرقة:

ولا شك في أن السرقة حرامٌ، آثمٌ فاعلها، بل قد بينّ الإسلام لمرتكبها حداً ليرتدع هو وأبناء المجتمع المسلم عن هذا الفعل الذي فيه أخذ المال وأكله بغير وجه حق، فيحرم السارقُ صاحبَ الحق من حقه ويظلمه ويؤذيه!

"وقد اتفق الفقهاء على أن عقوبة السارق قطع يده لقوله تعالى: ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [المائدة: 38]؛ وهو الحد الذي أقامه النبي ﷺعلى من سرق في عهده، وجرى عليه عمل الخلفاء الراشدين دون اعتراض عليهم ، وأجمعت عليه الأمة"[2]...

ج. تحريم الزنا:

إن أحد أهم مقاصد الإسلام الأساسية حفظ النسل، وقد جاء الإسلام بالمحافظة عليه بأقوم الطرق وأعدلها، ومن ذلك أنه حرم الزنى وأوجب فيه الحد الرادع[3]؛ فكانت عقوبته من أشد العقوبات! لشدة فظاعة هذا الفعل وقبحه الذي تأباه الطباع السليمة والعقول الصحيحة؛ حتى إن الإسلام نهى عن كل ما يقرب إلى فعله، فقال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴾ [الإسراء: 32]

ساء سبيلاً وساء طريقاً؛ بل إنه بئس المسلك!

د. تحريم القتل:

إن حفظ النفس –كذلك– أحد أهم مقاصد الشريعة الإسلامية؛ وقد عد الإسلام قتل النفس بغير حق من الكبائر.

---

(1) السعدي، القول السديد شرح كتاب التوحيد (ص: 32)

(2) وزارة الأوقاف الكويتية، الموسوعة الفقهية الكويتية (ج336/24)

(3) انظر :الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (ج3/ 48)

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (اجْتَنِبُوا السَّبْعَ المُوبِقَاتِ)، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: (الشِّرْكُ بِاللَّهِ، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالحَقِّ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ اليَتِيمِ، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ المُحْصَنَاتِ المُؤْمِنَاتِ الغَافِلاَتِ) [1].

وفي حديث آخر بيّن النبي ﷺ الحالات التي يكون فيها القتل حقاً، حيث قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (لاَ يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ، يَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ، إِلَّا بِإِحْدَى ثَلاَثٍ: النَّفْسُ بِالنَّفْسِ، وَالثَّيِّبُ الزَّانِي، وَالمَارِقُ مِنَ الدِّينِ التَّارِكُ لِلْجَمَاعَةِ)[2]..

وقد نهت آيات كثيرة عن هذه الجريمة النكراء، وكذا أحاديث نبوية كثيرة؛ وقد كان الامتناع عن القتل أحد شرائط هذه البيعة، وإنما جاء هذا النهي عن قتل الأولاد بالتحديد، لأنّ النهي متصل بعادة وأد البنات على ما ذكر المفسرون[3].

ذلك أن كثيراً من النساء كنّ إذا ما ولدن بنتاً يخنقنها حال ولادتها سخطاً وكراهية ولادة البنات وتفادياً من غضب أزواجهن؛ ولقد ندد القرآن المكي بوأد البنات في سورة التكوير حيث قال تعالى : ﴿ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝٨ بِأَيِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ۝٩﴾ ؛ وفي سورة النحل:﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ۝٥٨ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ۝٥٩ ﴾.

ونهى عن قتل الأولاد من إملاق أو خشية إملاق في الآية [31] من سورة الإسراء : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَـٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَـٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴾ ؛ والآية [151] من سورة الأنعام: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَـٰدَكُم مِّنْ إِمْلَـٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ﴾ ، فجاءت الآية هنا مطلقة لتؤيد الأمرين معا[4]..

---

(1)[البخاري، صحيح البخاري، كتاب الوصايا/ باب قوله تعالى: "إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً.." (10/4) رقم الحديث(2766)].

(2) [البخاري، صحيح البخاري، كتاب الديات/ باب قوله تعالى: "أنّ النفس بالنفس.."(5/9) رقم الحديث (6878)].

(3) انظر: دروزة عزت، التفسير الحديث (ج9/ 290).

(4) انظر :المرجع السابق(ج9/ 290).

3- طاعة الرسول ﷺ واجبة:

ورد في الآية الكريمة أنّ من الأمور التي تمت عليها البيعة مع رسول الله ﷺ: عدم عصيان النبي ﷺ في معروف.

وقد اختلف المفسرون ما المقصود بالمعروف على ثلاثة أقوال:

"أحدها: أنه النَّوح، قاله ابن عباس.

والثاني: أنه لا يَدْعين ويلاً، ولا يَخْدِشْنَ وجهاً ولا يَنْشُرنَ شعراً، ولا يَشْقُقْنَ ثوباً، قاله زيد بن أسلم.

والثالث: أنه جميع ما يأمرهنّ به رسول الله صلّى الله عليه وسلم من شرائع الإسلام، وآدابه، قاله أبو سليمان الدمشقي"[1]..

ولقد روى المفسرون لهذه المعاني أحاديث وروايات قد تكون صحيحة؛ لكنها تكاد بظاهرها تبعد عن المعنى الرائع الدستوري الشامل الذي ورد في الآية الكريمة[2]؛ والذي يقتضي بوجوب طاعة رسول الله ﷺ في كل يأمر به من معروف، وفيما ينهى عنه من المنكرات.

ووجوب طاعة رسول الله ﷺ معلومٌ من الدين بالضرورة، وما أرسل الله ﷻ الرسل – في الأصل- إلا ليطاعوا، ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ ﴾ [النساء: 64].

إذ كيف لا يطاعوا وهم المبلغون عن ربهم شرعه؟ والحاملون أمانة رسالته؟ فطاعتهم طاعة لله، ومخالفتهم عصيان لله .

ومن الآيات التي حثت على طاعة الرسول، وحذّرت من عصيانه: قوله تعالى: ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴾ [آل عمران: 132]؛ وقوله تعالى:﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَٱحۡذَرُواْۚ فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴾ [المائدة: 92]؛ وقوله تعالى : ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ ﴾ [الأنفال: 46]؛ وقوله تعالى: ﴿ **قُلۡ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا عَلَيۡهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيۡكُم مَّا حُمِّلۡتُمۡۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهۡتَدُواْۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ** ﴾ [النور: 54]؛ وقوله تعالى: ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴾ [النور: 56].

---

[1] أبو الفرج الجوزي، زاد المسير في علم التفسير (ج4/ 274)

[2] انظر: دروزة عزت، التفسير الحديث (ج9/ 292)

وبالعودة إلى آية سورة الممتحنة والتأمل فيها، نجد أن الآية قرنت النهي عن عصيان النبي ﷺ بتعبير فِي ﴿مَعْرُوفٍ﴾ ؛ مع كونه ﷺ لا يأمر إلا به؛ فهو ﷺ معصوم عن الأمر بمعصية أو بما ليس فيه صلاح وخير وفائدة[1].

وإنما كان هذا التقييد تنبيهاً على أنه لا يجوز طاعة مخلوق في معصية الخالق[2]؛ بل وأعمق من ذلك: أنها تبين واجب المسلمين نحو أولياء أمورهم وواجب هؤلاء نحو المسلمين؛ حيث إنه ليس من حق ولي الأمر أن يأمر بمعصية، وأن ينتظر من الناس طاعة مطلقة بدون قيد؛ وبأن الطاعة الواجبة عليهم هي فيما هو متعارف عليه أو معروف بأنه خير وصلاح ومفيد ولا إثم فيه ولا منكر ولا عدوان- ولو كان النبي- وهذا من باب التعليم والتوكيد على هذا المبدأ الدستوري القرآني[3].

ويتأكد هذا الأمر ويتضح بالنظر في الآية الكريمة التي حثت على طاعة أولي الأمر، قال ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴾ [النساء: 59].

فهذه الآية إذ تحث على طاعة ولي الأمر لتنوه أن مردّ الحكم إلى أحكام الكتاب والسنة.

4- مغفرة الله ورحمته دافعٌ لتقوية العزائم:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ١٢ ﴾ واسع المغفرة والرحمة، يغفر الذنوب لمن تاب وأناب وأحسن، ورحمته ﷻ وسعت كل شيء..

وهذا الختام من الله ﷻ لآية المبايعة من شأنه أن يشد عزائم المؤمنات ويقويها ويعلي همتها بأن يبدأن بهذا العهد صفحة نقيةً صافية[4].

فمغفرة الله ورحمته ﷻ لا ينبغي أبداً أن تكون مدعاة للمعصية أو الاستهانة بها والعياذ بالله، وإنما مدعاة للإقبال على الله وتجديد التوبة دوماً والاستغفار والإنابة.

5- عناية الإسلام بالمرأة وإكرامه لها:

لقد وردت في هذه السورة صورٌ من مظاهر تكريم الإسلام للمرأة المسلمة وعنايته بها.

---

[1] انظر: دروزة عزت، التفسير الحديث (ج9/ 291).

[2] انظر: الشوكاني، فتح القدير (ج5/258).

[3] انظر: دروزة عزت، التفسير الحديث (ج9/ 291).

[4] انظر: عبد الكريم الخطيب، التفسير القرآني للقرآن (ج14/ 911).

"وهذه الآية مظهر جليل آخر من مظاهر عناية القرآن بالمرأة المسلمة وتقرير شخصيتها وأهليتها للتكليف والخطاب والتعامل استقلالاً مما فيه معنى تقرير كونها ركناً في الدولة الإسلامية كالرجل سواء بسواء، ومما فيه معنى دعم لكون قوامة الرجل عليها التي قررتها آية سورة النساء [34] هي منحصرة في الحياة الزوجية، وفي هذا ما فيه من روعة وجلال"[1].

رابعاً: العبر والعظات المستفادة:

1- مشروعية أخذ البيعة لإمام المسلمين ووجوب الوفاء بها.

2- "حرمة الشرك وما ذكر معه من السرقة والزنا وقتل الأولاد والكذب والبهتان وإلحاق الولد بغير أبيه"[2].

3- الطاعة لأولي الأمر تكون في حدود ما شرع الله تبارك وتعالى.

المطلب الثالث: النهي عن تولي الكفار والمشركين

قال تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَوَلَّوۡاْ قَوۡمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ قَدۡ يَئِسُواْ مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلۡكُفَّارُ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡقُبُورِ ١٣ ﴾ [الممتحنة: 13]

أولاً: المفردات:

- قوله تعالى:﴿ قَوۡمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ ﴾

"هم جميع طوائف الكفر، وقيل: اليهود خاصة، وقيل: المنافقون خاصة، وقال الحسن: اليهود والنصارى. والأول أولى لأن جميع طوائف الكفر تتصف بأن الله سبحانه غضب عليها"[3].

- قوله تعالى:﴿ قَدۡ يَئِسُواْ مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلۡكُفَّارُ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡقُبُورِ﴾

" في معنى الآية قولان: أحدهما كما يئس الكفار الأحياء من قراباتهم الذين في القبور أن يجتمعوا بهم بعد ذلك؛ لأنهم لا يعتقدون بعثاً ولا نشوراً، فقد انقطع رجاؤهم منهم فيما يعتقدونه. والقول الثاني معناه كما يئس الكفار الذين هم في القبور من كل خير، قال الأعمش عن أبي الضحى عن مسروق عن ابن مسعود كما يئس الكفار من أصحاب القبور قال كما يئس هذا الكافر إذا مات وعاين ثوابه واطلع عليه" [4].

---

[1] دروزة عزت، التفسير الحديث (ج9/ 289) بتصرف يسير.

[2] الجزائري، أيسر التفاسير (ج5/ 334)

[3] الشوكاني، فتح القدير (ج5/ 258)

[4] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج8/ 130)

قال الطبري: "وأولى القولين في ذلك عندي بالصواب قول من قال: قد يئس هؤلاء الذين غضب الله عليهم من اليهود من ثواب الله لهم في الآخرة، وكرامته لكفرهم وتكذيبهم رسوله محمدًا ﷺ على علم منهم بأنه لله نبيّ، كما يئس الكفار منهم الذين مضوا قبلهم فهلكوا، فصاروا أصحاب القبور"[1].

ثانياً: اللطائف البيانيّة:

- قوله تعالى : ﴿ قَدْ يَئِسُوا۟ مِنَ ٱلْـَٔاخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْقُبُورِ ﴾ " تشبيه مرسل مجمل. وفي الآية ما يسمى رد العجز على الصدر، فقد ختمت السورة بمثل ما بدئت به"[2].

ثالثاً: سبب النزول:

ذكر الواحدي في «أسباب النزول» أنها : "نزلت في ناس من فقراء المسلمين كانوا يخبرون اليهود بأخبار المسلمين ويواصلونهم فيصيبون بذلك من ثمارهم، فنهاهم الله تبارك وتعالى عن ذلك"[3].

رابعاً: المعنى الإجمالي:

ينهى تبارك وتعالى عن موالاة الكافرين في آخر هذه السورة كما نهى عنها في أولها فقال تعالى: "يا أيها الذين آمنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم يعني اليهود والنصارى وسائر الكفار ممن غضب الله عليه ولعنه واستحق من الله الطرد والإبعاد، فكيف توالونهم وتتخذونهم أصدقاء وأخلاء وقد يئسوا من الآخرة أي من ثواب الآخرة ونعيمها في حكم الله ﷻ[4]؛ لعنادهم رسول الله ﷺ المؤيد بالآيات البينات، والمعجزات الباهرات فهم قد أفسدوا آخرتهم بتكذيبهم له وعلموا أن لا سبيل لهم لنيل نعيمها[5]،كما يئس الكفار منهم الذين مضوا قبلهم فهلكوا" [6].

---

[1] الطبري، جامع البيان (ج23/ 348)

[2] الزحيلي، التفسير المنير (ج28/ 150)

[3] الواحدي، أسباب النزول (ج1/425).

[4] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج8/ 130)

[5] المراغي، تفسير المراغي (ج28/76).

[6] الطبري، جامع البيان (ج23/ 348)

خامساً: تحقيق المقاصد والأهداف:

1- النهي عن تولي الكفار والمشركين:

هذه الآية الكريمة التي اختتمت بها السورة الكريمة تنهى عن تولي كل من غضب الله عليهم من المشركين والكفار؛ وبهذا تنتهي السورة بما ابتدأت به.

وقد سبق الحديث عن هذا المقصد في هذه السورة التي تمحورت كل آياتها حوله، وفيما سبقها من سورة الحشر والمجادلة.

2- يأس الكافرين من الآخرة:

بيّنت الآية الكريمة موقف الكفّار من يوم القيامة؛ إذ هم آيسون منها أشد اليأس، معرضون عن العمل لها.

سادساً: العبر والعظات المستفادة:

1- لا يجوز لمؤمنٍ أن يوالي كافراً أو مشركاً في أي حال من الأحوال.

2- الله ﷻ غاضب على الكفار ما كفروا.

3- الكفار يائسون من الآخرة كيأسهم من الأموات.

الفصل الرّابع

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة الصف.

المبحث الأول

المقاصد والأهداف لسورة الصف من الآية (1-4).

المطلب الأول: مطابقة القول للعمل.

قال تعالى:﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝١ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٣ ﴾[الصف:1-3]

أولاً: المفردات:

- قوله تعالى:﴿ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ ﴾ "المقت أشد البغض"[1].

ثانياً: اللطائف البيانيّة:

- قوله تعالى : ﴿ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ "استفهام بأسلوب التوبيخ والإنكار"[2].
- في قوله ﴿ كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون﴾ المبالغة والتكرير؛ ولهذا اعتبرت هذه الجملة من أفصح الكلام وأبلغه في معناه لأمور؛ ذكرها صاحب كتاب إعراب القرآن وبيانه وهي[3]:

- قصد إلى التعجب بغير صيغة التعجب لتعظيم الأمر في قلوب السامعين؛ لأن التعجب لا يكون إلا من شيء خارق للعادة والنظائر.
- اختيار لفظ المقت لأنه أشد البغض وأبلغه.
- ثم لم يقتصر على أن جعل البغض كبيراً حتى جعله أشدّه وأفحشه؛ وقوله ﷻ ﴿ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ أبلغ من ذلك؛ لأنه إذ ثبت كبر مقته عند الله فقد تم كبره وشدّته وانجابت عنه الشكوك.
- التكرار لقولهﷻ: ﴿ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ وهو لفظ واحد في كلام واحد، ومن فوائد التكرار التهويل والإعظام وإلا فقد كان الكلام مستقلاً لو قيل كبر مقتا عند الله ذلك فما إعادته إلا لمكان هذه الفائدة.

---

(1) الزمخشري، الكشاف (ج4/ 523)؛ البيضاوي، أنوار التنزيل (ج5/ 208).

(2)الزحيلي، التفسير المنير (ج28/ 160)

(3) محي الدين درويش، إعراب القرآن وبيانه (ج10/77-78) بتصرف.

- قوله تعالى: ﴿ تَقُولُونَ ﴾ و ﴿ تَفۡعَلُونَ ﴾ بينهما طباق[1].

ثالثاً: سبب النزول:

سبق وأوردت سبب نزول هذه الآيات الكريمة عند الحديث عن السورة في المبحث التمهيدي من هذه الدراسة[2].

رابعاً: المعنى الإجمالي:

تبدأ السورة الكريمة ببيان أن الله ﷻ يسبح له كل ما في السماوات وما في الأرض؛ وهو الغالب على أمره، القاهر فوق عباده، الحكيم في تدبير خلقه.

وبعد أن وصف نفسه بصفات الكمال ذكر ما يلحق المخلوقين من صفات النقص؛ فعاتبهم سبحانه وأنكر عليهم عدم فعلهم ما وعدوا به، فقال ﷻ:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ٢﴾ أي لأى شيء ولأي غرض تقولون لوددنا أن نعمل كذا وكذا من أفعال الخير حتى إذا طلب منكم ذلك كرهتم ولم تفعلوا؟ ثم بيّن شدة قبح ذلك وأنه بلغ الغاية في بغض الله له، فقال: ﴿ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ٣﴾ أي عظم جرماً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون[3]..

خامساً: تحقيق المقاصد والأهداف:

1- تسبيح كل ما في السماوات والأرض لله ﷻ:

بدأت السورة الكريمة ببيان أن الله ﷻ يسبح له كل ما في السماوات والأرض، وتنزهه عما لا يليق به سبحانه، فهو العزيز الغالب على أمره، الحكيم ذو الحكمة البالغة.

وقد سبق الحديث عن هذا المقصد العظيم في السورة السابقة " سورة الحشر"، التي ابتدأت وانتهت بتسبيح اللهﷻ .

2- مطابقة القول للعمل:

أ. الوفاء بالعهود والمواثيق:

قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ٣﴾

---

(1) الزحيلي، التفسير المنير (ج28/ 160)

(2) انظر ص 25: من هذه الدراسة.

(3) انظر: المراغي، تفسير المراغي (ج28/ 80)

هذه الآيات الكريمة تحمل إنكاراً من الله ﷻ على المؤمنين الذين يقولون ما لا يفعلون، أو لم يفعلوا ما قالوا، هو إنكارٌ عليهم أن يظهروا خلاف ما يبطنوا، ويقولوا بألسنتهم ما ليس في قلوبهم؛ فهذا مما لا يليق بالمؤمن وأخلاقه؛ فالإيمان لا يجتمع مع الكذب والنفاق وعدم الوفاء [1].

ولهذا رأى كثير من علماء السلف -رحمهم الله- أن هذه الآيات الكريمة توجب كل من ألزم نفسه عملاً فيه طاعة أن يفي بها؛ سواءٌ أكان هذا الإلزام الذي أوجبه بنذرٍ أو عهدٍ أو وعدٍ أو عقد [2].

وهذا الحكم ليس بغريبٍ على روح الشريعة الإسلامية ونصوصها التي لطالما حثت أهل الإسلام على الالتزام بالصدق والوفاء، والبعد كل البعد عما يمس إيمان المسلم ويتجه به نحو النفاق كالكذب والغدر والخيانة.

فقد ثبت في الصحيحين عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (آيَةُ المُنَافِقِ ثَلاَثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ)[3].

وفي حديث آخر عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: (أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا: إِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ)[4].

قال ابن بطال في شرحه للحديثين: "أن تمام الإيمان بالأعمال، وأنه يدخل على المؤمن النقص في إيمانه بالكذب، وخلف الوعد، وخيانة الأمانة، والفجور في الخصام، كما يزيد إيمانه بأفعال البر "[5].

فإذاً.. إذا ما خالف قول المسلم عمله فكذب ولم يوفِ، فقد أوقع نفسه في أمرٍ عظم خطره، وارتبطت صلته بالنفاق.

ولذا نرى أن الآية الكريمة عبرت عنه بأشدّ صورة : ﴿ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٣ ﴾ فهو مقت، مبغوض، عند رب العباد.

---

[1]انظر: عبد الكريم الخطيب، التفسير القرآني للقرآن (ج14/ 916).

[2]انظر: الجصاص، أحكام القرآن (ج3/ 591)؛ تفسير القرطبي (ج18/ 78)؛ تفسير ابن كثير (8ج/ 132).

[3][البخاري، صحيح البخاري، كتاب الإيمان/ باب علامة المنافق، 16/1: رقم: 33]؛ [مسلم، صحيح مسلم، كتاب الإيمان/ باب بيان خصال المنافق، 78/1 : رقم 59)].

[4] [البخاري، صحيح البخاري، كتاب الإيمان/ باب علامة المنافق، 16/1: رقم 34].

[5] ابن بطال، شرح صحيح البخاري (ج1/90).

قال القشيري: " وفي الجملة: خلف الوعد مع كلّ أحد قبيح، ومع الله أقبح؛ ويقال: لم يتوعّد- سبحانه- زلّة بمثل ما على هذا حين قال: «كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا ما لا تَفْعَلُونَ"[1].

وكما أنكر الله على المخالفين أقوالهم وعهودهم، فقد أثنى سبحانه على من صدق وعده ووفى نذره، فقال ﷻ: ﴿ وَٱلۡمُوفُونَ بِعَهۡدِهِمۡ إِذَا عَٰهَدُواْۖ ﴾ [البقرة: 177]؛ وقال ﷻ: ﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا ﴾ [مريم: 54].

فجديرٌ بالمسلم ألا يقول ما لا يملك أن يفعله، فإذا ما قال صدق ووفى !

ب. لا يجوز ترك الدعوة إلى الله مخافة مخالفة القول للعمل:

إن ما سبق بيانه من مقصد الآيات العظيم في وجوب مطابقة القول للعمل، وعدم مخالفة المسلم لوعوده أو الكذب في أقواله، دعا بعض الناس إلى الخوف من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر خشية أن يقولوا ما لا يفعلون.

ورد عن النخعي أنه قال: " ثلاث آيات منعتني أن أقص على الناس: ﴿ ۞ أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ وَأَنتُمۡ تَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴾ [البقرة: 44] ؛ ﴿ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُۚ ﴾ [هود: 88]، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ٣ ﴾"[2].

" وعن بعض السلف أنه قيل له: حدثنا، فسكت، ثم قيل له: حدثنا. فقال: أترونني أن أقول ما لا أفعل فأستعجل مقت الله!" [3].

ولا شك أن هذا ليس مقصد الآية الكريمة، ولا ينبغي أن يحمل المسلم ما فيها على ترك الوعظ والدعوة، بل عليه أن يترك القول بلا عمل، فإذا أمر بخير يكون المبادر لفعله، وإذا نهى عن منكرٍ يكون المبادر في تركه.

أما أن يمنعه الخوف من مخالفة قوله عن الدعوة، فهذا خطأ، ولربما كان هذا مدخلاً من مداخل الشيطان على قلب المسلم ليثنيه عن الدعوة إلى الله.

---

[1] القشيري، لطائف الإشارات (ج3/ 575)

[2] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج18/ 80)

[3] المرجع السابق (ص80)

وقد وردت للسلف في هذا أقوال حسنة، أورد بعضاً منها:

قال الحسن لِمطرف: عِظ أصحابك، فقال: " أخاف أنْ أقولَ ما لا أفعل" ، فقال: "يرحمك الله، وأيّنا يفعل ما يقول، ودّ الشيطانُ لو ظفر منكم بهذه، فلم يأمر أحدٌ منكم بمعروف ولم ينهَ عن منكر "[1].

وقد روي عن بعض الحكماء بلغني أنهم كانوا يقولون عند وعظ الناس: " إني لأعظكم، وإني لكبير الذنوب، ولو أنَّ أحداً لا يعظ أخاه حتى يُحْكِم أمرَ نفسه لتُرك الأمر بالخير، واقتُصر على الشر، ولكن محادثة الإخوان حياة القلوب وجلاء النفوس، وتذكير مِن النسيان"[2].

وقال الغزالي: " مَن ترك العمل خوف الآفة والرياء، فإنَّ ذلك منتهى بغية الشيطان منه، إذ المراد منه ألاَّ يفوته الإخلاص، ومهما ترك العمل فقد ضيَّع العمل والإخلاص"[3].

والخلاصة: لا ينبغي لمسلم عرف الحق أن يترك الدعوة إليه، مع الحرص أن يكون المبادر للتمسك بهذا الحق؛ حتى لا يخالف الحق فيقول ما لا يفعل، ويأمر بالبر وينسى نفسه، فيستحق العذاب الشديد من الله سبحانه؛ " فليس في القيامة أشد حسرة من رجل عّلم الناس علماً فعملوا به، ولم يعمل به هو، ففازوا بسببه وهلك هو "[4].

ج. حرص الإسلام على شخصية الفرد والمجتمع المسلم:

إن الآيات التي أنكرت على المؤمنين عدم وفائهم في أقوالهم ومخالفتهم لها كل هذا الإنكار الشديد؛ إنما جاءت لحكمةٍ بليغة؛ لتربية المسلم تربية قويمة، وبناء شخصيته المستقيمة، التي يميزها الصدق والوفاء..

فالإسلام لا يريد من المسلم أن يكون ذا شخصيةٍ متزعزعةٍ، ظاهرها يناقض باطنها، وقولها يخالف فعلها؛ بل يريده أن يكون على قدر الأمانة التي يحملها في قلبه من الإيمان بالله والالتزام بدين الحق.

وهذا من باب الحرص على شخصية الفرد المسلم؛ بل يتعدى الأمر ليصل إلى مصلحة الجماعة المسلمة، التي عني الإسلام باستقرارها وارتباطها وتدعيم أواصر المحبة والأخوة فيها.

---

[1] الأنجري، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد (7ج/ 34)

[2] الباجي، سنن الصالحين(ص270).

[3] الأنجري، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد (ج7/ 34)

[4] الباجي: سنن الصالحين وسنن العابدين (ص270).

ولذا حث الإسلام على الوفاء:" فالوفاء بالوعد دليل على كريم الشيم، وجميل الخصال، وبه تكون الثقة بين الجماعات، فترتبط برباط المودة والمحبة حين يتعامل بعض أفرادها مع بعض، ويكونون يداً واحدة فيما انتووا من الأعمال، والعكس بالعكس، فإذا فشا في أمة خلف الوعد قلّت الثقة بين أفرادها، وانحلت عرا الروابط بينهم، وأصبحوا عقدا متناثراً لا ينتفع به، ولا يخشى منهم عدوّ إذا اشتدت الأزمات، وعظمت الخطوب، لما يكون بينهم من التواكل، وعدم ائتمان بعضهم بعضاً"[1].

"كما أن خلف الوعد دليل على حب الذات (الأنانية) وإهدار لمصلحة الآخرين وكرامتهم ووقتهم، وإخلال بالثقة بين الأفراد والجماعات"[2].

د. التواضع في طلب التكاليف ومتابعة النفس بالتوجيه والتثبيت:

بالعودة إلى سبب نزول هذه الآيات الكريمة؛ ثم التأمل في روحها ومقاصدها: نجدها من خلال الدعوة إلى تطبيق الأقوال، تلهم بضرورة متابعة المسلم نفسه بالتذكير الدائم، والتوجيه الدائم، والتربية الدائمة، بعد الاستعانة بالله ﷻ حتى يتغلب على لحظات الضعف، وتستقيم في طريقها؛ كما يلهمنا أن نتواضع في طلب التكاليف وتمنيها، ومراعاة القدرات عن الوعود والعهود[3].

فهؤلاء جماعة من المسلمين الأوائل يضعفون ويقولون ما لا يفعلون حتى يعاتبهم الله هذا العتاب الشديد، وينكر عليهم هذا الإنكار المخيف! [4].

قال القشيري:" إظهار التجلّد من غير شهود مواضع الفقر إلى الحقّ في كلّ نفس يؤذن بالبقاء عمّا حصل بالدعوى، والله يحب التبرّي من الحول والقوة"[5].

سادساً: العبر والعظات المستفادة:

1- يسبح لله ما في السماوات وما في الأرض، فهو الخالق الغني سبحانه، الحكيم في تدبيره وشرائعه؛ إذ كل ما فيها في صالح الإنسان وسعادته في الدنيا والآخرة

2- حرمة الكذب وخلف الوعد؛ فينبغي على المسلم إذا قال أن يصدق، وإذا وعد فليوفِ.

---

[1] المراغي، تفسير المراغي (ج28/ 81).

[2] الزحيلي، التفسير المنير (ج28/ 162).

[3] انظر: سيد قطب: في ظلال القرآن (ج6/ 3554).

[4] انظر: المرجع السابق (ج6/ 3554).

[5] القشيري، لطائف الإشارات (ج3/ 575).

3- "ينبغي للآمر بالخير أن يكون أول الناس إليه مبادرة، وللناهي عن الشر أن يكون أبعد الناس منه"(1)؛ ولا ينبغي لمن عرف الحق أن يترك الدعوة إليه متعذراً بالتقصير، بل عليه أن يجتهد ويبادر في إصلاح نفسه وغيره ما استطاع إلى ذلك سبيلاً.

المطلب الثاني: الدعوة إلى الوحدة والثبات في القتال في سبيل الله

قال تعالى:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفّٗا كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٞ مَّرۡصُوصٞ ٤﴾ [الصف: 4]

أولاً: المفردات:

- قوله تعالى:﴿ **بُنۡيَٰنٞ مَّرۡصُوصٞ** ﴾

ذكر القرطبي في معناها أقوالاً عدة: " قال الفراء: مرصوص بالرصاص، وقال المبرد: هو من رصصت البناء إذا لاءمت بينه وقاربت حتى يصير كقطعة واحدة، وقيل: هو من الرصيص وهو انضمام الأسنان بعضها إلى بعض، والتراص التلاصق، ومنه وتراصوا في الصف، ومعنى الآية: يحب من يثبت في الجهاد في سبيل الله ويلزم مكانه كثبوت البناء، وقال سعيد بن جبير: هذا تعليم من الله تعالى للمؤمنين كيف يكونون عند قتال عدوهم"(2).

وفنّد ابن عطية بعضاً مما سبق من الأقوال، فرجح أن يكون المرصوص: أي المعقود بالرصاص هو أصل اللفظة، أما معناها في هذه الآية الكريمة فيراد به الجد في مواطن القتال والثبات والتلاحم، وإنما ذكر الصف لأنه أشد الأحوال وأعمها، وهذه الحال نابت عن جميع الأحوال(3).(4)

---

(1) السعدي، تيسير الكريم الرحمن (ص: 858)

(2)القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج18/ 81)

(3) انظر: ابن عطية، المحرر الوجيز (ج5/ 302)

(4) قال القرطبي: "قد استدل بعض أهل التأويل بهذا على أن قتال الراجل أفضل من قتال الفارس، لأن الفرسان لا يصطفون على هذه الصفة. المهدوي: وذلك غير مستقيم، لما جاء في فضل الفارس في الأجر والغنيمة؛ ولا يخرج الفرسان من معنى الآية، لأن معناه الثبات"؛ الجامع لأحكام القرآن (ج18/81)؛ وكذلك قال ابن عطية في هذا الرأي: "وهذا ضعيف خفي على قائله مقصد الآية، وليس المراد نفي التصاف وإنما المقصد الجد في كل أوطان القتال وأحواله، وقصد بالذكر أشد الأحوال وهي الحالة التي تحوج إلى القتال صَفًّا متراصا، ونابت هذه الحال المذكورة مناب جميع الأحوال"؛ المحرر الوجيز (ج302/5).

ثانياً: اللطائف البيانيّة:

- قوله تعالى:﴿ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴾

- الصف هنا: "كناية عن الانتظام والمقاتلة عن تدبر "[1].
- ﴿كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾ " تشبيه مرسل مفصّل، حذف منه وجه الشبه، أي في المتانة والالتئام"[2].

ثالثاً: سبب النزول:

سبب نزول هذه الآية الكريمة هو ذاته سبب نزول الآيات السابقة، إذ الآيات مرتبطة ببعضها وسياقها واحد.

رابعاً: المعنى الإجمالي:

بعد أن أنكرت الآيات السابقة على المؤمنين مخالفتهم لأقوالهم ووعودهم –خاصة فيما يتعلق بموضوع الجهاد الذي تنزلت الآيات الكريمة بشأنه–: جاءت هذه الآية تحث المؤمنين على الجهاد في سبيل الله، وتدعوهم للثبات.

فقال سبحانه : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴿٤﴾ ﴾

فأعلم الله ﷻ من خلال هذه الآية أنه يحب المقاتلين في سبيله وهم صافون أنفسهم صفاً واحداً؛ ثابتاً متراصاً، لا يتزحزح ولا يتأخر أحدهم عن صاحبه؛ متفقي الكلمة بعضهم من بعض على عدوهم، فلا يخالف بعضهم بعضاً؛ كالبنيان المشيّد الواحد المتماسك[3]..

خامساً: تحقيق المقاصد والأهداف:

1– الحث على الجهاد في سبيل الله والثبات فيه:

"إن قوة الآيات تهزّ النفس هزاً شديداً سواء بإيذانها بمحبة الله للذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص أم بشدّة مقت الله للذين يقولون ما لا يفعلون، وفي القرآن آيات كثيرة جداً في الأمرين أي في التنديد بالمتثاقلين عن الجهاد المثبطين عنه المخلفين بوعودهم به والتنويه بالذين يقاتلون بصدق وإخلاص...حيث يدل كل ذلك على ما أعاره القرآن الكريم من

---

[1] ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج28/ 176)

[2] الزحيلي، التفسير المنير (ج160/28).

[3] انظر: الواحدي، التفسير الوسيط (ج4/ 291)؛ السمرقندي، بحر العلوم (ج3/ 442).

عناية عظمى لهذا الركن العظيم الذي كتب على المسلمين لما فيه من حياطة أمرهم وقوام وجودهم وكرامتهم وأمنهم وسلامتهم وعزة الإسلام وقوته"[1].

وقد يظهر أن معنى قوله تعالى: ﴿ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفّٗا كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٞ مَّرۡصُوصٞ ﴿٤﴾ ﴾ قد عني بأسلوب من أساليب القتال من خلال الصفوف؛ ولكن مقصد الآية أعظم فهي تحث على الجهاد وإحكام الأمر في القتال والاستعداد له استعداداً مناسباً مع الوحدة والاجتماع التام على الكلمة، ومقابلة العدو بقلوب ثابتة راسخة رسوخ البنيان الشامخ المحكم واستخدام أي أسلوب أو وسيلة تضمن النصر على الأعداء[2].

"ومن أجل ذلك قال العلماء أنه لا يجوز الخروج عن الصف إلا لحاجة تعرض للإنسان، أو في رسالة يرسلها الإمام، أو في منفعة تظهر في المقام، كفرصة تنتهز ولا خلاف فيها"[3].

2- **تعزيز روح العمل الجماعي في المجتمع المسلم:**

"ترسم السورة لوحة جميلة، وصورة مشرقة يحبها الله للمؤمنين وهم يقاتلون في سبيل الله لإعلان الدين صفًّا واحدًا كأنهم بنيان مرصوص"[4]، "بنيان تتعاون لبناته وتتضام وتتماسك، وتؤدي كل لبنة دورها، وتسد ثغرتها؛ لأن البنيان كله ينهار إذا تخلت منه لبنة عن مكانها تقدمت أو تأخرت سواء. وإذا تخلت منه لبنة عن أن تمسك بأختها تحتها أو فوقها أو على جانبيها سواء"[5]..

وهذا يؤكد أهمية العمل الجماعي في المجتمع المسلم؛ فالإسلام على شدة اهتمامه بالأفراد وبناء شخصيتهم كان كذلك حريصاً على بناء المجتمع المترابط المتماسك المنظم حتى في أشد اللحظات وأصعبها " القتال"؛ فهو لا يريد الفرد منعزلاً نائياً بنفسه بل يريده مرتبطاً بمجتمعه متعاضداً معه..

3- **تعزيز الشخصية المستقيمة القوية للفرد المسلم:**

لقد أنكرت الآيتان السابقتان على المؤمن أن يكون ذا شخصية مهزوزة مضطربة، يقول فلا يصدق، ويعد فلا يفي.

---

[1] دروزة عزت، التفسير الحديث (ج8/ 558)

[2] انظر: المرجع السابق (ص: 557)؛ الحجازي، التفسير الواضح (ج3/ 666).

[3] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج18/ 81)

[4] مجمع البحوث، التفسير الوسيط (ج10/ 1393)

[5] سيد قطب، في ظلال القرآن (ج6/ 3555)

ثم جاءت هذه الآية الكريمة تؤكد ذات الأمر من حيث كون الإسلام يعتني بشخصية الفرد أن تكون قوية مستقيمة، وجاء هذا التأكيد من خلال حث المسلمين على الجهاد والثبات فيه.
فهي إذ تضع المؤمن في خندق الجهاد الذي هو أعظم الأفعال، وأكرمها، وأصدقها، تضعه في أشد المواقف فيهون عليه ما سواها، فأي قول يقوله المؤمن المجاهد بعد هذا، هو قادر على الوفاء به؛ فإن من قدّم نفسه للاستشهاد في سبيل الله، لهو أقوى من أن يضعف عن الوفاء بكلمة يقولها[1]..

سادساً: العبر والعظات المستفادة:

1- "فضيلة الجهاد والوحدة والاتفاق وحرمة الخلاف والقتال والصفوف ممزقة حسياً أو معنوياً"[2].
2- محبة الله جَلَّ جَلَالُهُ للمجاهدين الثابتين المتحدين كالبنيان.

المبحث الثاني
المقاصد والأهداف لسورة الصف من الآية (5-9)

المطلب الأول: دروس وعبر من مناصحة موسى عليه السلام لقومه.

قال تعالى:﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِى وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ ۖ فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٥﴾ ﴾ [الصف: 5]

أولاً: المفردات:

- قوله تعالى:﴿ فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ﴾
الزيغ -في اللغة-: الميل والعدول عن الطريق[3]..
وهي عند المفسرين لا تخرج عن هذين الوجهين:" أحدهما: أنه العدول ، قاله السدي؛ الثاني: أنه الميل ، إلا أنه لا يستعمل إلا في الزيغ عن الحق دون الباطل"[4].

---

[1] انظر: عبد الكريم، التفسير القرآني للقرآن (ج14/ 917)
[2] الجزائري، أيسر التفاسير (ج5/ 338)
[3] انظر: ابن منظور، لسان العرب(ج8/432).
[4] الماوردي، النكت والعيون (ج5/ 528)

ومعنى الآية : "فلما أَصروا على الزيغ والانحراف عن الحق ؛ حرمهم الله التوفيق لاتباع الحق، وأَمال قلوبهم عن قبول الهداية" [1]..

- قوله تعالى:﴿ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴾

الفاسقين:" أي الخارجين عن الطاعة ومنهاج الصدق"[2].

ثانياً: اللطائف البيانيّة:

- قوله تعالى: ﴿ وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ ﴾

" قد" هاهنا لتكثير علمهم أي تحقيق تأكيده على عكس معناها الأصلي في التقليل"[3].

ثالثاً: المعنى الإجمالي:

بعد تأنيب التاركين للقتال والحث على الجهاد في سبيل الله والثبات فيه، ذكر الله ﷻ المؤمنين بقصة موسى ﵇ حين دعاهم لقتال الجبارين بقوله: ﴿ يَـٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَـٰسِرِينَ ﴾ [المائدة: 21] فلم يمتثلوا أمره وعصوه أشد العصيان[4]؛ ليحذر المسلمين أن يكونوا هكذا مع نبيهم الكريم.

فقال تعالى مخبراً عن عبده ورسوله وكليمه موسى بن عمران ﵇ أنه قال لقومه:

﴿ يَـٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِى وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ ﴾ أي يا قوم لم تلحقون الأذى بالشتم والانتقاص وتؤذونني بمخالفتكم ما آمركم به من شرع ربكم، أو لم تؤذونني ، وأنتم تعلمون يقيناً صدقي فيما جئتكم به من الرسالة ؟ [5].

ولكنهم – مع علمهم بصدق نبيهم– مالوا عن الحق وعدلوا عن اتباعه فصرف الله قلوبهم عن الهدى، وأسكنها الشك والحيرة جزاءً وفاقاً لزيغهم وانحرافهم وعصيانهم؛ فالله لا يهدي القوم الفاسقين ولا يوفق لإصابة الحق من اختار الكفر ونبذ طاعة الله ورسوله[6].

---

[1] مجمع البحوث، التفسير الوسيط (ج10/ 1394)

[2] المراغي، تفسير المراغي (ج28/ 82)

[3] درويش، إعراب القرآن وبيانه (ج10/ 81)

[4] انظر: المراغي، تفسير المراغي (ج28/ 83)؛ الزحيلي، التفسير المنير (ج28/ 165).

[5] انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج8/135)؛ الزحيلي، التفسير المنير (ج28/ 165).

[6] انظر: الرازي، مفاتيح الغيب (ج29/528)؛ المراغي، تفسير المراغي (ج28/ 84)؛ الزحيلي، التفسير المنير (ج28/ 165).

رابعاً: تحقيق المقاصد والأهداف:

1- دروس وعبر من مناصحة موسى عليه السلام لقومه:

أ. الصبر على الأذى في طريق الدعوة إلى الله عز وجل: -صبر موسى عليه السلام نموذجاً

تذكر هذه الآية الكريمة عتاب موسى عليه السلام لقومه على إيذائهم له: ﴿ يَٰقَوۡمِ لِمَ تُؤۡذُونَنِي وَقَد تَّعۡلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡۖ ﴾، هذا العتاب جاء بمودة تذكيراً لهم رغم سلسلة طويلةٍ من إيذاء قومه له.

"وفى القرآن الكريم مواقف كثيرة لإعنات اليهود لموسى، وشرودهم، وجماحهم عن طريق الهدى..

لقد أنجاهم الله على يد موسى من فرعون، ومما كان يسومهم، من سوء العذاب، وبين أيديهم، وأمام أعينهم ضرب موسى البحر بعصاه، فأقام من هذه الضربة طريقا في البحر يبسا، سلكوه، وعبروا به الجانب الآخر من البحر، على حين أنه أطبق على فرعون وجنوده حين اتخذوا هذا الطريق مركبا فكانوا من المغرقين..

ومع هذه المعجزة القاهرة، فإن بنى إسرائيل ما كادت تستقر أقدامهم في المكان الجديد، حتى أتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم، فقالوا لموسى، اجعل لنا إلها كما لهم آلهة..

وفى مكانهم الجديد ينزل الله عليهم المنّ والسلوى، ثم لا تلبث طباعهم النكدة أن تنفر من هذا الطعام، كما نفرت قلوبهم المظلمة من الإيمان بالإله الواحد، فقالوا لموسى: ﴿ فَٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُخۡرِجۡ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلۡأَرۡضُ مِنۢ بَقۡلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَاۖ ﴾ [البقرة: 61] .. وإنهم وهم يطلبون ما يرضى طباعهم الخبيثة، لا يقولون لموسى: ادع لنا ربنا، بل يقولون ﴿فَٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ ﴾ فكأنهم لا يعترفون بربّ موسى ربّا لهم.!

ويذهب موسى لميقات ربه، ثم يعود إليهم، فيجدهم قد اتخذوا من حليّهم عجلا جعلوه إلها يعبدونه، كما يقول سبحانه: ﴿ وَٱتَّخَذَ قَوۡمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعۡدِهِۦ مِنۡ حُلِيِّهِمۡ عِجۡلٗا جَسَدٗا لَّهُۥ خُوَارٌۚ أَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمۡ وَلَا يَهۡدِيهِمۡ سَبِيلًاۘ ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُواْ ظَٰلِمِينَ ﴾ [الأعراف: 148] .

فهذه المواقف الضالة، المسرفة في الضلال، هي التي كانت تؤذى موسى، وتزعجه، إذ كانت تهدم كل بناء يقيمه، وتفسد كل طريق يصلحه"[1].

فهذا جانب من إيذاء موسى ﷺ لقومه، فبمَ قابل كل هذا الإيذاء؟

لقد صبر وثبت وواصل الدعوة وما فتئ يحاول بكل وسيلةٍ وطريقةٍ أن يهدي قومه إلى الإيمان.

ففي الحديث الصحيح يقول رسول الله ﷺ: (رَحِمَ اللَّهُ مُوسَى قَدْ أُوذِيَ بِأَكْثَرَ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ) [2].

ب. تسلية قلب النبي ﷺ وكل الدعاة إلى الله ﷻ :

إن في ذكر قصة موسى ﷺ تسلية لقلب رسول الله ﷺ فيما أصابه من الكفار من أذىً [3]، وكذلك ما يراه في بعض المؤمنين من ضعف إيمان وتقصير، فإنّ أي مجتمعٍ لا يخلو من هذا الضعف الإنساني، وإن أي دعوة من دعوات الرسل لم تسلم من أن يقع في محيطها مثل ما يرى النبي ﷺ في محيط دعوته [4]..

فها هو موسى الذي جاء بالمعجزات والبينات وأنقذ قومه من الضياع والعذابات، وجد من الإيذاء منهم ما وجد!

فهذه دعوة للنبي للصبر، بل وهذا لكل الدعاة إلى الله ﷻ ؛ فمن سلك طريق الدعوة إلى الله مع العباد، لا بد أن يطولهم أذاه، فلا بدّ له أن يصبر ويحتسب.

ج. تحذير المسلمين من مخالفة أمر نبيهم الكريم:

ذكر الله ﷻ قصة موسى ﷺ بعد محبة المجاهدين في سبيل الله لتحذير أمة محمد ﷺ أن يفعلوا مع نبيهم ما فعله قوم موسى من الفرقة والعصيان والمخالفة[5].

وقد نهى الله سبحانه المؤمنين في سورة الأحزاب نهياً صريحاً أن يكونوا كأولئك الذين آذوا موسى؛ فقال ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوۡاْ مُوسَىٰ﴾.

---

[1] عبد الكريم الخطيب، التفسير القرآني للقرآن (ج14/ 918-919) .

[2] [البخاري، صحيح البخاري، كتاب فرض الخمس/ باب ما كان رسول الله ﷺ يعطي ..،4/95: رقم3150]

[3] انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج8/ 135)؛ الزحيلي، التفسير المنير (ج28/ 168)؛ مجمع البحوث، التفسير الوسيط (ج10/ 1393)

[4] انظر: عبد الكريم الخطيب، التفسير القرآني للقرآن (ج14/ 918).

[5] انظر: ابن عطية، المحرر الوجيز (ج5/ 302)؛ الشوكاني، فتح القدير (ج5/ 262)؛ القنوجي، فتح البيان في مقاصد القرآن (ج14/ 100)؛ الزحيلي، التفسير المنير (ج28/ 167).

د. إيذاء الرسل ﷺ جهل وزيغٌ عن الصراط المستقيم:

"الرسول من حقه الإكرام والإعظام، والانقياد بأوامره، والابتدار لحكمه؛ وأما أذية الرسول الذي إحسانه إلى الخلق فوق كل إحسان بعد إحسان الله، ففي غاية الوقاحة والجراءة والزيغ عن الصراط المستقيم، الذي قد علموه وتركوه"[1]؛ و"هذا إشارة إلى نهاية جهلهم"[2]؛ إذ علموا يقيناً فلم يعملوا!!

فلما أزاغوا وانحرفوا أزاغ الله قلوبهم عن الهدى؛ " وفي هذا تنبيه على عظيم إيذاء الرسول ﷺ حتى إنه يؤدي إلى الكفر وزيغ القلوب عن الهدى[3].

هـ. الجزاء من جنس العمل:

قال الله تعالى : ﴿ فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ۝٥﴾

فإنهم: "لمّا زاغوا عن طريق الرّشد أزاغ الله قلوبهم بالصدّ والردّ والبعد عن الودّ، ولمّا زاغوا بظواهرهم أزاغ الله سرائرهم"[4].

فهذه الآية الكريمة تفيد أن إضلال الله لعباده، ليس ظلماً منه، ولا حجة لهم عليه، وإنما ذلك بسبب منهم، فإنهم الذين أغلقوا على أنفسهم باب الهدى بعد ما عرفوه، فيجازيهم بعد ذلك بالإضلال والزيغ الذي لا حيلة لهم في دفعه وتقليب القلوب [عقوبة لهم وعدلاً منه بهم] [5].

كما قال تعالى: ﴿ وَنُقَلِّبُ أَفۡـِٔدَتَهُمۡ وَأَبۡصَٰرَهُمۡ كَمَا لَمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَنَذَرُهُمۡ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ﴾ [الأنعام: 110]

وقوله تعالى : ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴾[النساء: 115].

وهذا جزاء أعمالهم، جزاءٌ لهم من جنس ما قدموا، وهذا عدل الله ﷻ؛ فمن يعمل الشر يلقَ مثله، ومن يعمل الخير يجازى خيراً.

سنةٌ إلهية: ﴿ فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ ۝٨﴾

---

(1) السعدي، تيسير الكريم الرحمن (ص: 858)

(2) الزحيلي، التفسير المنير (ج28/ 166).

(3) الرازي، مفاتيح الغيب (ج29/ 528).

(4) القشيري، لطائف الإشارات (ج3/ 576).

(5) السعدي، تيسير الكريم الرحمن (ص: 858).

خامساً: العبر والعظات المستفادة:

1-"إن مخالفة أوامر الأنبياء والرسل موجبة لعقاب المخالفين، وقد أمر الله نبيه محمداً ﷺ أن يذكر لقومه العرب أنه لما أمر المؤمنين بالجهاد، فتثاقل بعضهم وتبرموا منه، كان حالهم كحال بني إسرائيل لما أمرهم موسى وعيسى بالتوحيد والجهاد في سبيل الله، خالفوا، فحل العقاب بمن خالف"[1].

2- " سوء الأدب مع الأكابر، وإذايتهم، سبب كل طرد وبُعد، وسبب كلّ ذُل وهوان، وحسن الأدب معهم وتعظيمهم، سبب كُلِّ تقريب واصطفاء، وسبب كُلِّ عز ونصر.

ألا ترى بنى إسرائيل حين أساؤوا الأدب مع نبي الله موسى بقولهم: ﴿ فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَـٰتِلَآ إِنَّا هَـٰهُنَا قَـٰعِدُونَ... ﴾ [المائدة: 24] كيف أذلَّهم الله وأخزاهم إلى يوم القيامة، وانظر أصحابَ نبينا ﷺ حيث تأدّبوا غاية الأدب، وقالوا يوم بدر: " يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّا لاَ نَقُولُ لَكَ كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ لِمُوسَى: ﴿ فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَـٰتِلَآ إِنَّا هَـٰهُنَا قَـٰعِدُونَ﴾ وَلَكِنِ امْضِ وَنَحْنُ مَعَكَ[2]" كيف أعزَّهم الله ونصرهم على سائر الأديان، ببركة حُسن أدبهم ـ رضي الله عنهم وأرضاهم"[3]..

3- يريد الله ﷻ الخير لعباده، فلا يضل من لجأ إليه وسعى للهداية؛ وإنما ضلال الكفار ظلم منهم لأنفسهم؛ لأنهم أعرضوا عن الهدى.

المطلب الثاني:دروس وعبر من مناصحة عيسى ﵇ لبني إسرائيل.

قال تعالى:﴿ **وَإِذۡ قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ يَـٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُم مُّصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَمُبَشِّرَۢا بِرَسُولٖ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِي ٱسۡمُهُۥٓ أَحۡمَدُۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ قَالُواْ هَٰذَا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ٦** ﴾ [الصف: 6]

أولاً: المفردات:

- قوله تعالى:﴿ **ٱسۡمُهُۥٓ أَحۡمَدُۖ** ﴾

وهو اسم نبينا محمد ﷺ [4]، وفي معناه قولان:

---

[1] الزحيلي، التفسير المنير (ج28/ 171)

[2] [البخاري، صحيح البخاري، تفسير القرآن/ باب: "فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلاَ إِنَّا هَا هُنَا قَاعِدُونَ"، 51/6 رقم الحديث 4609]

[3] الأنجري، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد (ج7/ 37)

[4] انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج18/83).

"أحدهما: -على أنه مبالغة من الفاعل- إي إن الأنبياء كلّهم حمّادون لله ﷻ ونبينا ﷺ أحمد، أي أكثر حمداً لله منهم.

والثاني: -على أنه مبالغة من المفعول- أي الأنبياء كلّهم محمودون لما فيهم من الخصال الحميدة، ونبيّنا أحمد أي أكثر مناقب وأجمع للفضائل والمحاسن التي يحمد بها" [1].

- قوله تعالى:﴿ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾

البينات هي: "الأدلة والعلامات" [2] "والمعجزات الباهرات"[3].

ثانياً: اللطائف البيانيّة:

- قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ قَالُواْ هَٰذَا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ٦ ﴾

"إن المتبادر أن يعود ضمير الرفع في قوله: جاءهم إلى عيسى ﵇، وأن يعود ضمير النصب إلى الذين خاطبهم عيسى؛ والتقدير: فكذبوه، فلما جاءهم بالمعجزات قالوا هذا سحر أو هو ساحر.

ويحتمل أن يكون ضمير الرفع عائداً إلى رسول يأتي من بعدي، وضمير النصب عائداً إلى لفظ بني إسرائيل، أي بني إسرائيل غير الذين دعاهم عيسى ﵇ من باب: عندي درهم ونصفه، أي نصف ما يسمى بدرهم، أي: فلما جاءهم الرسول الذي دعاه عيسى باسم أحمد بالبينات، أي دلائل انطباق الصفات الموعود بها قالوا هذا سحر أو هذا ساحر مبين فيكون هذا التركيب مبين من قبيل الكلام الموجه"[4]..

ثالثاً: القراءات المتواترة:

- قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ قَالُواْ هَٰذَا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ٦ ﴾

قرأ عاصم وابن كثير و نافع وأبو عمرو وابن عامر ﴿ **سِحْرٌ**﴾ بغير ألف؛ وقرأها حمزة والكسائي بألف ﴿ **سِاحْرٌ**﴾[5].

---

[1] البغوي، معالم التنزيل(ج5/80)؛ الثعلبي، الكشف والبيان عن تفسير القرآن (ج9/304). بتصرف

[2] الزحيلي، التفسير المنير (ج28/ 166)

[3] الجزائري، أيسر التفاسير (ج5/ 336)

[4] ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج28/ 187)

[5] انظر: أبو بكر بن مجاهد البغدادي، السبعة في القراءات (ج1/249).

رابعاً: المعنى الإجمالي:

بعد أن ذكرت الآية السابقة عتاب موسى لقومه لكفرهم وإيذائهم له، وبيان ما آل إليه حالهم من الضلال، جاءت هذه الآية تبيّن جانباً من دعوة عيسى عليه السلام لقومه.

فيخاطب الله نبيه ﷺ بأن يذكر لقومه: واذكر إذ قال عيسى ابن مريم: يا بنى إسرائيل – ولم يخاطبهم بصفة قومه؛ لأنه لا نسب له فيهم فيكونوا قومه– إني رسول الله إليكم مصدقاً ما تقدمني من التَّوْراة[1]، مبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد فشريعتي تؤيد الرسل السابقين واللاحقين، وهذا الاسم الجليل– أحمد– من أسماء النبي ﷺ وبشارته– عليه السلام– بالنبي محمد ﷺمما نطق به القرآن، وهو الصادق في خبره الذي لا يقبل الشك[2].

فلما جاءهم الرسل عليهم السلام بالأدلة الواضحة والمعجزات الباهرة قالوا: هذا سحر مبين، وردوا بالتكذيب والإعراض استكباراً وعناداً وقالوا: إن ما جئت به ما هو إلا ترّهات وأباطيل، وسحر واضح لا شك فيه؛ فانظر إلى الناس جميعاً وقد كذبوا برسلهم مع ظهور الآيات والمعجزات الدالة على صدق الرسل، فكانت عاقبة أمرهم خسراً؛ فاحذروا يا أمة محمد مثل هذه العاقبة! [3].

خامساً: تحقيق المقاصد والأهداف:

1- الصدق والتصديق صفة عيسى عليه السلام وكل الأنبياء عليهم السلام:

لقد بينت الآية الكريمة أن خطاب عيسى عليه السلام لمن أُرسل إليهم كان بقوله ﴿ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴾ ولم يقل يا قوم كما هو حديث الأنبياء إلى أقوامهم، وإنما كان ذلك لأنه لا نسب له فيهم فيكونوا قومه[4].

"وكان ذلك رغم أنّ بني إسرائيل نسبوه إلى أحدهم كذباً وافتراءً وبهتاناً؛ إلا أنه عليه السلام رفض هذا النسب المدّعى له، محتفظاً بنسبه السماوي، الذي كرمه الله به، متحدّيا بهت اليهود، ضارباً في وجوههم بهذا الافتراء الذي افتروه عليه، وعلى أمه البتول.. لأنه لا يقول غير الحق، ولا يقبل إلا ما هو حق!" [5].

فهو عليه السلام قد تحرى الدقة والأمانة حتى في خطابه لمن بعث إليهم؛ وفي نقله الرسالة لهم إذ جاء بها مؤيداً لشريعة نبيهم موسى عليه السلام.

---

[1] انظر: الزمخشري، الكشاف (ج4/ 525)

[2] انظر: الحجازي، التفسير الواضح (ج3/ 666).

[3] انظر: المراغي، تفسير المراغي (ج28/ 84)؛ الحجازي، التفسير الواضح (ج3/ 666).

[4] انظر: الزمخشري، الكشاف (ج4/ 525)

[5] عبد الكريم الخطيب، التفسير القرآني للقرآن (ج14/ 920).

فعيسى عليه السلام بيّن أنّه جاء مصدقاً لما تقدمه من التوراة؛ وإنما ابتدأ دعوته لهم بتنبههم على هذا التصديق لتقريب إجابتهم لشدة تمسكهم بالتوراة[1].

قال تعالى: ﴿ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [المائدة: 46].

وما سبق يقودنا وينبه عقولنا إلى أمرين في غاية الأهمية:

أحدهما: أن التدرج في إلقاء الشرائع والدعوة مطلوب؛ وأن البدء في دعوة الناس يكون بما هو قريبٌ من قلوبهم؛ ليشدهم إلى الدعوة فلا ينفروا أو يعرضوا..

فها هو عيسى عليه السلام: "لما ابتدأهم بهذه الدعوة لم يزد عليها ما حكى عنه في سورة آل عمران [50] من قوله: ﴿ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ۚ ﴾ ، فيحمل ما هنالك على أنه خطاب واقع بعد أول الدعوة؛ فإن الله لم يوح إليه أول مرة بنسخ بعض أحكام التوراة ثم أوحاه إليه بعد ذلك. فحينئذ أخبرهم بما أوحي إليه؛ وكذلك شأن التشريع أن يلقى إلى الأمة تدريجاً كما في حديث عائشة في «صحيح البخاري» أنها قالت: " إِنَّمَا نَزَلَ أَوَّلَ مَا نَزَلَ مِنْهُ سُورَةٌ مِنَ المُفَصَّلِ، فِيهَا ذِكْرُ الجَنَّةِ وَالنَّارِ، حَتَّى إِذَا ثَابَ النَّاسُ إِلَى الإِسْلاَمِ نَزَلَ الحَلاَلُ وَالحَرَامُ، وَلَوْ نَزَلَ أَوَّلَ شَيْءٍ: لاَ تَشْرَبُوا الخَمْرَ، لَقَالُوا: لاَ نَدَعُ الخَمْرَ أَبَدًا، وَلَوْ نَزَلَ: لاَ تَزْنُوا، لَقَالُوا: لاَ نَدَعُ الزِّنَا أَبَدًا، لَقَدْ نَزَلَ بِمَكَّةَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ وَإِنِّي لَجَارِيَةٌ أَلْعَبُ: {بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ} [القمر: 46] وَمَا نَزَلَتْ سُورَةُ البَقَرَةِ وَالنِّسَاءِ إِلَّا وَأَنَا عِنْدَهُ "[2]"[3].

الثاني: يقول سيد قطب في تفسيره لقول الله ﷻ : ﴿ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ ﴾ : "هذه الصيغة التي تصور حلقات الرسالة المترابطة، يسلم بعضها إلى بعض، وهي متماسكة في حقيقتها، واحدة في اتجاهها، ممتدة من السماء إلى الأرض، حلقة بعد حلقة في السلسلة الطويلة المتصلة.. وهي الصورة اللائقة بعمل الله ومنهجه. فهو منهج واحد في أصله، متعدد في صوره، وفق استعداد البشرية وحاجاتها وطاقاتها"[4]..

---

[1] انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج180/28).

[2] [البخاري، صحيح البخاري، فضائل القرآن/تأليف القرآن، (185/6) حديث رقم (4993)]

[3] ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج180/28).

[4] سيد قطب، في ظلال القرآن (ج3556/6)

2- بشارة عيسى عليه السلام بالنبي محمد ﷺ:

احتوت هذه الآية الكريمة بشارة عيسى عليه السلام بنبي الله محمد ﷺ.

"وقد بشّر كلّ نبيّ قومه بنبيّنا ﷺ، وأفرد الله- سبحانه- عيسى بالذّكر في هذا الموضع لأنه آخر نبيّ قبل نبيّنا ﷺ: فبيّن بذلك أن البشارة به عمّت جميع الأنبياء واحداً بعد واحد حتى انتهت بعيسى عليه السلام"[1].

وبشارة المسيح عليه السلام بأحمد أي برسول الله محمد ﷺ ثابتة بهذا النص، سواء تضمنت الأناجيل المتداولة هذه البشارة أم لم تتضمنها؛ فالظروف التي أحاطت بكتابة الأناجيل لا تجعلها هي المرجع في هذا الشأن [2]..

"إذ إن الإنجيل الذي يتحدث عنه القرآن، هو كتاب واحد، ولكنّ الذي في أيدى الناس اليوم ليس إنجيلاً واحداً، وإنما هو أربعة أناجيل، وقد كان في وقت ما خمسة وسبعين إنجيلاً، وقد وقع خلاف فيما بينها.. لأنها لا تعتمد على أصل واحد، ولا ترجع إلى الإنجيل الذي أنزل على المسيح عليه السلام، وإنما هي مرويات تتحدث عن السيد المسيح، وعن سيرته وأخباره، فيما يرويه عنه بعض حوارييه، أو من اتصل بحوارييه، وسمع منهم، وتتلمذ عليهم، وفى هذه السيرة عبارات من عظات السيد المسيح ووصاياه، وقد يكون فيها بعض آيات من الإنجيل السماوي، كان السيد المسيح يضمّنها عظاته ووصاياه"[3]..

وعلى أية حال: فهذه البشارة وردت في القرآن الكريم، وهو المرجع الفصل، الذي لا شك فيه ولا ريب.

"وقد قرئ القرآن على اليهود والنصارى في الجزيرة العربية وفيه قول الله : ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ.. ﴾ [الأعراف: 157]

وأقر بعض المخلصين من علمائهم الذين أسلموا كعبد الله بن سلام بهذه الحقيقة، التي كانوا يتواصون بتكتمها! كما أنه ثابت من الروايات التاريخية أن اليهود كانوا ينتظرون مبعث نبي قد أظلهم زمانه، وكذلك بعض الموحدين المنعزلين من أحبار النصارى في الجزيرة العربية. ولكن

---

[1] القشيري، لطائف الإشارات (ج3/ 577)

[2] انظر: سيد قطب، في ظلال القرآن (ج6/ 3557)

[3] عبد الكريم الخطيب، التفسير القرآني للقرآن (ج14/ 923)

اليهود كانوا يريدونه منهم. فلما شاء الله أن يكون من الفرع الآخر من ذرية إبراهيم، كرهوا هذا وحاربوه!" [(1)]..

ولقد أورد المفسرون في سياق الآيات التي نحن في صددها بضعة أحاديث تفيد أن بشارة عيسى عليه السلام بالنبي ﷺمما كان متداولاً على الألسنة في زمن النبي ﷺ وبيئته منها:

– حديث كَعْبٍ، قَالَ: " إِنِّي أَجِدُ فِي التَّوْرَاةِ مَكْتُوبًا: مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ، لَا فَظٌّ وَلا غَلِيظٌ، وَلا سَخَّابٌ فِي الأَسْوَاقِ، وَلا يَجْزِي السَّيِّئَةَ بِالسَّيِّئَةِ، وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَصْفَحُ، أُمَّتُهُ الْحَمَّادُونَ، يَحْمَدُونَ اللَّهَ فِي كُلِّ مَنْزِلَةٍ، وَيُكَبِّرُونَهُ عَلَى كُلِّ نَجْدٍ، يَأْتَزِرُونَ إِلَى أَنْصَافِهِمْ، وَيُوَضِّئُونَ أَطْرَافَهُمْ، صَفُّهُمْ فِي الصَّلاةِ، وَصَفُّهُمْ فِي الْقِتَالِ سَوَاءٌ، مُنَادِيهِمْ يُنَادِي فِي جَوِّ السَّمَاءِ، لَهُمْ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ دَوِيٌّ كَدَوِيِّ النَّحْلِ، مَوْلِدُهُ بِمَكَّةَ، وَمُهَاجَرُهُ بِطَابَةَ، وَمُلْكُهُ بِالشَّامِ "[(2)]

– وَرُوِيَ عَن أَبِي صَالح ذكْوَان، عَن كَعْب يَحْكِي، عَن التوارة، قَالَ:" نجد مَكْتُوبًا: مُحَمَّد رَسُول الله، عَبدِي الْمُخْتَار، لَا فظ وَلَا غليظ، وَلَا سخاب بالأسواق، وَلَا يَجْزِي بِالسَّيِّئَةِ السَّيئَة، وَلَكِن يعْفُو وَيغْفر، مولده بِمَكَّة، وهجرته بطيبَة، وَملكه بِالشَّام، وأمته الْحَمَّادُونَ، يحْمَدُونَ الله فِي السَّرَّاء وَالضَّرَّاء، يحْمَدُونَ الله فِي كل منزلَة، ويكبرونه على كل شرف، رُعَاة للشمس، يصلونَ الصَّلَاة إِذا جَاءَ وَقتهَا، يتأزرون على أَنْصَافهمْ، ويتوضئون على أَطْرَافهم، مناديهم يُنَادي فِي جو السَّمَاء، صفهم فِي الْقِتَال، وَصفهم فِي الصَّلَاة سَوَاء، لَهُم بِاللَّيْلِ دوِي كَدَوِيِّ النَّحْل "[(3)].

– ومنها حديث عن عبد الله بن مسعود أخرجه الإمام أحمد جاء : عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: " بَعَثَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺإِلَى النَّجَاشِيِّ، وَنَحْنُ نَحْوٌ مِنْ ثَمَانِينَ رَجُلًا، فِيهِمْ عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ، وَجَعْفَرٌ، وَعَبْدُ اللهِ بْنُ عُرْفُطَةَ، وَعُثْمَانُ بْنُ مَظْعُونٍ، وَأَبُو مُوسَى، فَأَتَوْا النَّجَاشِيَّ، وَبَعَثَتْ قُرَيْشٌ عَمْرَو بْنَ الْعَاصِ، وَعُمَارَةَ بْنَ الْوَلِيدِ بِهَدِيَّةٍ فَلَمَّا دَخَلَا عَلَى النَّجَاشِيِّ سَجَدَا لَهُ، ثُمَّ ابْتَدَرَاهُ عَنْ يَمِينِهِ، وَعَنْ شِمَالِهِ، ثُمَّ قَالَا لَهُ: إِنَّ نَفَرًا مِنْ بَنِي عَمِّنَا نَزَلُوا أَرْضَكَ، وَرَغِبُوا عَنَّا وَعَنْ مِلَّتِنَا، قَالَ: فَأَيْنَ هُمْ؟ قَالَ: هُمْ فِي أَرْضِكَ، فَابْعَثْ إِلَيْهِمْ، فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ، فَقَالَ جَعْفَرٌ: أَنَا خَطِيبُكُمُ الْيَوْمَ فَاتَّبَعُوهُ، فَسَلَّمَ وَلَمْ يَسْجُدْ، فَقَالُوا لَهُ: مَا لَكَ لَا تَسْجُدُ لِلْمَلِكِ؟ قَالَ: إِنَّا لَا نَسْجُدُ إِلَّا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، قَالَ: وَمَا ذَاكَ؟ قَالَ: " إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ بَعَثَ إِلَيْنَا رَسُولَهُ ﷺ ، وَأَمَرَنَا أَنْ لَا نَسْجُدَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلَّهِ ﷻ، وَأَمَرَنَا بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ "، قَالَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ: فَإِنَّهُمْ يُخَالِفُونَكَ فِي عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ قَالَ: مَا تَقُولُونَ فِي عِيسَى

---

(1) سيد قطب، في ظلال القرآن (ج6/ 3557)

(2) [البغوي، شرح السنة، كتاب الفضائل/فضائل سيد الأولين والآخرين، (210/13)، رقم الحديث3628]

(3)[البغوي، شرح السنة، كتاب الفضائل/فضائل سيد الأولين والآخرين، (210/13)، رقم الحديث3628]، [الدارمي، سنن الدارمي، كتاب علامات النبوة/صفة النبي في الكتب، (94/1)، رقم6]

ابْنِ مَرْيَمَ وَأُمِّهِ؟ قَالُوا: نَقُولُ كَمَا قَالَ اللهُ ﷻ، هُوَ كَلِمَةُ اللهِ وَرُوحُهُ، أَلْقَاهَا إِلَى الْعَذْرَاءِ الْبَتُولِ الَّتِي لَمْ يَمَسَّهَا بَشَرٌ، وَلَمْ يَفْرِضْهَا وَلَدٌ، قَالَ: فَرَفَعَ عُودًا مِنَ الْأَرْضِ، ثُمَّ قَالَ: يَا مَعْشَرَ الْحَبَشَةِ، وَالْقِسِّيسِينَ، وَالرُّهْبَانِ، اللهِ مَا يَزِيدُونَ عَلَى الَّذِي نَقُولُ فِيهِ مَا يَسْوَى هَذَا، مَرْحَبًا بِكُمْ، وَبِمَنْ جِئْتُمْ مِنْ عِنْدِهِ، أَشْهَدُ أَنَّهُ رَسُولُ اللهِ، فَإِنَّهُ الَّذِي نَجِدُ فِي الْإِنْجِيلِ، وَإِنَّهُ الرَّسُولُ الَّذِي بَشَّرَ بِهِ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ، انْزِلُوا حَيْثُ شِئْتُمْ، وَاللهِ لَوْلَا مَا أَنَا فِيهِ مِنَ الْمُلْكِ لَأَتَيْتُهُ حَتَّى أَكُونَ أَنَا أَحْمِلُ نَعْلَيْهِ، وَأُوَضِّئُهُ، وَأَمَرَ بِهَدِيَّةِ الْآخَرِينَ فَرُدَّتْ إِلَيْهِمَا، ثُمَّ تَعَجَّلَ عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ حَتَّى أَدْرَكَ بَدْرًا، وَزَعَمَ أَنَّ: النَّبِيَّ ﷺ، اسْتَغْفَرَ لَهُ حِينَ بَلَغَهُ مَوْتُهُ" (1).

والمقصد أن الأنبياء عليهم السلام لم تزل تنعته وتحكيه في كتبها على أممها وتأمرهم باتباعه ونصره ومؤازرته إذا بعث، وكان ما اشتهر الأمر في أهل الأرض على لسان إبراهيم الخليل والد الأنبياء بعده حين دعا لأهل مكة أن يبعث الله فيهم رسولاً منهم(2)، وكذا وصفه لموسى عليه السلام إذ كان مكتوباً في التوراة(3)، وكذا على لسان عيسى ابن مريم.

ومن ذلك قول الله: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ ﴾[الأعراف: 157]

وقول رسول الله ﷺ: (إِنِّي عِنْدَ اللهِ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَخَاتَمُ النَّبِيِّينَ، وَإِنَّ آدَمَ لَمُنْجَدِلٌ فِي طِينَتِهِ، وَسَأُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِ ذَلِكَ، دَعْوَةِ أَبِي إِبْرَاهِيمَ وَبِشَارَةِ عِيسَى قَوْمَهُ، وَرُؤْيَا أُمِّي الَّتِي رَأَتْ أَنَّهُ خَرَجَ مِنْهَا نُورٌ أَضَاءَتْ لَهُ قُصُورُ الشَّامِ، وَكَذَلِكَ تَرَى أُمَّهَاتُ النَّبِيِّينَ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِمْ)(4).

وبعد الحديث عن هذه البشارة العظيمة، نتطرق إلى ما تعنيه هذه البشارة.

والتبشير – في الأصل-: الإخبار بحادث يسر، وأطلق هنا على الإخبار بأمر عظيم النفع لهم؛ لأنه يلزمه السرور الحق فإن مجيء الرسول إلى الناس نعمة عظيمة.

وإنما أخبرهم بمجيء رسول من بعده؛ لأن بني إسرائيل لم يزالوا ينتظرون مجيء رسول من الله يخلصهم من براثن المتسلطين عليهم وهذا الانتظار ديدنهم، وهم موعودون لهذا المخلص لهم على لسان أنبيائهم بعد موسى، فكان وعد عيسى به كوعد من سبقه من أنبيائهم، وفاتحهم به في أول الدعوة اعتناء بهذه الوصية.

---

(1)[أحمد، مسند أحمد، مسند عبد الله بن مسعود، (409/7)، رقم 4400] قال المحقق: "إسناده ضعيف "

(2)ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج138/8).

(3) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج181/28).

(4) [أحمد، مسند أحمد، حديث العرباض بن سارية، (395/38)، رقم(17163)]، قال المحقق: "صحيح لغيره دون قوله: "وكذلك ترى أمهاتُ النبيين صلوات الله عليهم" وهذا إسناد ضعيف".

وفي الابتداء بها تنبيه على أن ليس عيسى هو المخلص المنتظر وأن المنتظر رسول يأتي من بعده وهو محمد ﷺ.

"ولعظم شأن هذا الرسول الموعود به أراد الله أن يقيم للأمم التي يظهر فيها علامات ودلائل ليتبينوا بها شخصه فيكون انطباقها فاتحة لإقبالهم على تلقي دعوته، وإنما يعرفها حق معرفتها الراسخون في الدين من أهل الكتاب؛ لأنهم الذين يرجع إليهم الدهماء من أهل ملتهم"[1]؛ قال تعـــــــــالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡۖ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنۡهُمۡ لَيَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴾ [البقرة: 146] .

3- النبي ﷺ أحمد ومحمدٌ في الدنيا والآخرة:

ورد في الآية الكريمة اسم أحمد هو اسم لنبينا محمد ﷺ، فمعنى أحمد أي أحمد الحامدين لربه، والأنبياء صلوات الله عليهم كلهم حامدون الله، ونبينا أحمد أكثرهم حمداً؛ وأما محمد فمنقول من صفة بمعنى محمود، ولكن فيه معنى المبالغة والتكرار؛ فالمحمد هو الذي حمد مرة بعد مرة؛ فاسم محمد مطابق لمعناه، والله سبحانه سماه قبل أن يسمي به نفسه. فهذا علم من أعلام نبوته، إذ كان اسمه صادقاً عليه، فهو محمود في الدنيا لما هدي إليه ونفع به من العلم والحكمة، وهو محمود في الآخرة بالشفاعة. فقد تكرر معنى الحمد كما يقتضي اللفظ. ثم إنه لم يكن محمداً حتى كان أحمد، حمد ربه فنبأه وشرفه، فلذلك تقدم اسم أحمد على الاسم الذي هو محمد فذكره عيسى عليه السلام فقال: ﴿ اسمه أحمد﴾؛ وذكره موسى عليه السلام حين قال له ربه:" تلك أمة أحمد، فقال: اللهم اجعلني من أمة أحمد".

فبأحمد ذكره قبل أن يذكره بمحمد؛ لأن حمده لربه كان قبل حمد الناس له؛ فلما وجد وبعث كان محمدا بالفعل، وكذلك في الشفاعة يحمد ربه بالمحامد التي يفتحها عليه، فيكون أحمد الناس لربه ثم يشفع فيحمد على شفاعته[2].

وفي الحديث الصحيح عن النبي ﷺ: (لِي خَمْسَةُ أَسْمَاءٍ: أَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَحْمَدُ وَأَنَا المَاحِي الَّذِي يَمْحُو اللَّهُ بِي الكُفْرَ، وَأَنَا الحَاشِرُ الَّذِي يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى قَدَمِي، وَأَنَا العَاقِبُ) [3].

---

[1] الجزائري، أيسر التفاسير (ج5/ 338)

[2] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج18/ 84) بتصرف..

[3] [البخاري: صحيح البخاري، المناقب/باب ما جاء في أسماء رسول الله، (185/4) رقم الحديث (3532)]

4-أشد الناس ظلماً وزيغاً من يكفر بالحق بعدما تبيّن:

إن الكفر بعيسى ومحمد عليهما السلام بعد ما ظهر من المعجزات الدالة على صدقهما، أمر يدعو إلى العجب، إذ كيف يكفرون برسالات الأنبياء، وينكرون وجود الله، أو يشركون به أحداً من خلقه بعد كل الحقائق والآيات، فهؤلاء المشركون هم أظلم الناس على الإطلاق؛ وأجهلهم وأضلهم(1).

وهذا الحال دأب الكفار والمشركين في كل وقتٍ وآن؛ فمع ظهور الحق وبيانه ووضوحه؛ يأبون إلا أن يعرضوا عنه عناداً واستكباراً وجهلاً.

وقد وصف الله ﷻ حالهم هذا في سورة الأنفال: ﴿ يُجَٰدِلُونَكَ فِي ٱلْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴾[الأنفال: 6]

وقال ﷻ : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى ٱلشَّيْطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴾[محمد: 25]

وقال في مصيرهم:: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَشَآقُّواْ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَىٰ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَٰلَهُمْ ﴾ [محمد:32].

سادساً: العبر والعظات المستفادة:

1- " بيان كفر اليهود بعيسى عليه السلام وازدادوا كفراً بكفرهم بمحمد ﷺ؛ بيان كفر النصارى إذ رفضوا بشارة عيسى وردوها عليه ولم يؤمنوا بالمبشر به محمد ﷺ" (2).

2- ينبغي على الدعاة إلى الله ﷺ أن يتدرجوا في الدعوة إلى الله بما يقرب قلوب الناس وأفئدتهم من الخير والصلاح.

المطلب الثالث: الدين الإسلامي يعلو ويظهر على جميع الأديان.

قال تعالى:﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰٓ إِلَى ٱلْإِسْلَٰمِ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٧ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ۝٨ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ۝٩ ﴾ [الصف: 7-9]

---

(1) انظر: الزحيلي، التفسير المنير (ج28/ 172)

(2)ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج181/28).

أولاً: المفردات:

– قوله تعالى:﴿ نُورَ ٱللَّهِ ﴾

في المقصود بنور الله ها هنا خمسة أقاويل: "أحدها: القرآن، يريدون إبطاله بالقول، قاله ابن زيد؛ الثاني: أنه الإسلام، يريدون دفعه بالكلام، قاله السدي؛ الثالث: أنه محمد ﷺ يريدون هلاكه بالأراجيف، قاله الضحاك؛ الرابع: أنه حجج الله ودلائله، يريدون إبطالها بإنكارهم وتكذيبهم، قاله ابن بحر؛ الخامس: أنه مثل مضروب، أي من أرد إطفاء نور الشمس بفيه فوجده مستحيلاً ممتنعاً فكذلك من أراد إبطال الحق، حكاه ابن عيسى" [1].

– قوله تعالى:﴿ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ﴾

في الإظهار ثلاثة أقاويل: "أحدها: الغلبة على أهل الأديان؛ الثاني: العلو على الأديان؛ الثالث: العلم بالأديان من قولهم قد ظهرت على سره أي علمت به"[2]..

ثانياً: اللطائف البيانيّة:

– قوله تعالى:﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ ﴾

- "في الآية استعارة تمثيلية: تمثيلاً لحالتهم في اجتهادهم في إبطال الحق بحال من ينفخ في نور الشمس بفيه ليطفئها تهكماً وسخرية بهم" [3]..
- "﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ ﴾ أفاد قصر الفعل أن إرادتهم كلها مصروفة لهذا الغرض وأنه لا إرادة لهم غير ذلك وأنه لا ينبغي أن يكون لهم إرادة لأنهم عبيد ؛ وأفاد قوله ﴿ بِأَفْوَٰهِهِمْ ﴾ أن ما يقولون من الكذب لا منشأ له غير الأفواه؛ لأنه لا اعتقاد له في القلوب لكونه لا يتخيله عاقل"[4].
- ورود الآية بلفظ (يطفئوا) مع أن الإطفاء هو الإخماد، ويستعملان في النار، ويستعاران فيما يجري مجراها من الضياء والنور؛ إلا أن الفرق بينهما: أن الإطفاء يستعمل في القليل والكثير، والإخماد يستعمل في الكثير دون القليل ، فيقال أطفأت السراج ولا يقال أخمدت السراج[5].

---

[1] الماوردي، النكت والعيون (ج5/ 530).

[2] المرجع السابق (ص530).

[3] درويش، إعراب القرآن وبيانه (ج10/ 85).

[4] البقاعي، نظم الدرر (ج20/30).

[5] انظر: الماوردي، النكت والعيون (ج5/ 530)

- " إضافة نور إلى اسم الجلالة إضافة تشريف، أي نوراً أوقده الله، أي أوجده وقدره فما ظنكم بكماله"[1].

– قوله تعالى: ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ۝٨ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ۝٩ ﴾

"إنما قال أوّلا: ولو كره الكافرون، وقال ثانيا ولو كره المشركون، لأنه ذكر أولا النور وإطفاءه فاللائق به الكفر، لأنه ستر وتغطية، وذكر ثانيا الحاسدين للرسول وأكثرهم من قريش، فناسب ذكر المشركين"[2]..

ثالثاً: سبب النزول:

ذكر القرطبي في سبب نزول الآية الكريمة ما حكاه عطاء عن ابن عباس: "أن النبي ﷺ أبطأ عليه الوحي أربعين يوماً، فقال كعب بن الأشرف: يا معشر اليهود، أبشروا! فقد أطفأ الله نور محمد فيما كان ينزل عليه، وما كان ليتم أمره، فحزن رسول الله ﷺ، فأنزل الله تعالى هذه الآية"[3].

رابعاً: المعنى الإجمالي:

بعد أن ذكر الله تعالى في الآيات السابقة أن الجاحدين لنبوته ﷺ من المشركين وأهل الكتاب لما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مفترى، بيّن سبحانه أنهم دعوا إلى الإسلام والحق المبين فجحدوا هذا النور المبين وظلموا أنفسهم[4]..

يقول تعالى ذكره: ومن أشدّ ظلمًا وعدوانًا ممن اختلق على الله الكذب، وجعل له أنداداً وشركاء وهو يدعى إلى التوحيد والإخلاص؟ إن أشد الناس ظلماً من دُعيَ إلى الإسلام والخضوع، فلم يجب بل وأخذ يفترى على الله الكذب بتكذيب رسوله وتسمية آياته سحرا؟ [5].

هؤلاء الظالمون ضلّوا وضاعوا، فالله ﴿ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾، أي لا يوفِّق القوم الذين ظلموا أنفسهم بكفرهم به لإصابة الحقّ، ولا يرشدهم إلى ما فيه صلاح نفوسهم ورشادها، لأنهم دسّوها باجتراح السيئات، وارتكاب الموبقات، فختم على قلوبهم، وجعل على أبصارهم غشاوة!

---

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج28/ 190)

(2) المراغي، تفسير المراغي (ج28/ 88)

(3) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج18/ 84)

(4) انظر: المراغي، تفسير المراغي (ج28/ 86).

(5) انظر: الطبري، جامع البيان (ج23/ 359-360).

يقول: ثم ذكر ﷻ مثلاً على ظلمهم واجتراحهم السيئات وهو جدّهم واجتهادهم في إبطال الدين، ﴿يُرِيدُونَ لِيُطۡفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفۡوَٰهِهِمۡ ﴾ يريدون إبطال الحق، وصد الدعوة؛ ولكن أنّى لهم أن يقاوموا هذه الدعوة الإسلامية المباركة، أنى لهم أن يطفئوا هذا النور الذي أوجده الله ويحميهﷻ ؛﴿ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ ﴾ يقول: الله معلن الحقّ، ومظهر دينه، وناصر محمدًا ﷺ على من عاداه، ولو كره الكافرون [1].

الله الذي يأبى إلا إتمام دينه ولو كره ذلك جاحدوه ومنكروه؛ هو ﷻ الذي أرسل محمدًا ﷺ بالهدى والقرآن وبيان فرائض الله على خلقه؛ ليعلي ويظهر دينه على جميع الملل والأديان، ولو كره ذلك المشركون [2].

خامساً: تحقيق المقاصد والأهداف:

1- أشد الناس ظلماً من يفتري على الله الكذب:

قال تعالى: ﴿ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ وَهُوَ يُدۡعَىٰٓ إِلَى ٱلۡإِسۡلَٰمِۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧﴾﴾

إن أشد الناس ظلماً وزيغاً من بلغ افتراؤه المبلغ الذي يفتري على الله الكذب، بتسمية آياته وشرعه سحراً بعد ما تبين الحق[3].

"وإنما كانوا أظلم الناس لأنهم ظلموا الرسول ﷺ بنسبته إلى ما ليس فيه إذ قالوا: هو ساحر، وظلموا أنفسهم إذ لم يتوخوا لها النجاة، فيعرضوا دعوة الرسول ﷺ على النظر الصحيح حتى يعلموا صدقه، وظلموا الناس بحملهم على التكذيب وظلموهم بإخفاء الأخبار التي جاءت في التوراة والإنجيل مثبتة صدق رسول الإسلام ﷺ .

وقد كان لجملة الحال وهو يدعى إلى الإسلام موقع متين هنا، أي فعلوا ذلك في حين أن الرسول يدعوهم إلى ما فيه خيرهم فعاضوا الشكر بالكفر.

وإنما جعل افتراؤهم الكذب على الله لأنهم كذبوا رسولاً يخبرهم أنه مرسل من الله فكانت حرمة هذه النسبة تقتضي أن يقبلوا على التأمل والتدبر فيما دعاهم إليه ليصلوا إلى التصديق، فلما بادروها بالإعراض وانتحلوا للداعي صفات النقص كانوا قد نسبوا ذلك إلى الله دون توقير "[4].

---

[1] انظر: الطبري، جامع البيان (ج23/ 359-360).

[2] انظر: المرجع السابق (ج23/ 359-360).

[3] انظر: الرازي، مفاتيح الغيب (ج29/ 529)؛ البيضاوي، أنوار التنزيل (ج5/ 209).

[4] ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج28/ 188) بتصرف.

2- الله لا يهدي من ظلم وطغى وعاند الحق:

وكما ختمت الآية الخامسة من السورة بقوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴾ ، ختمت هذه الآية الكريمة بقوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٧ ﴾.

فالله لا يوفق إلى الحق من أعرض عنه واستكبر، وعاند وكفر، رغم وضوح الحق وأدلته؛ وليس هذا -كما سبق ووضحت- ظلماً من الله لعباده؛ وإنما ظلماً من العباد لأنفسهم إذ تركوا الحق وأوردوا أنفسهم النار.

3- حث المؤمنين على الثبات والاعتزاز بدينهم:

يقول الحق تبارك وتعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ ﴾

﴿وَدِينِ ٱلۡحَقِّ ﴾أي: "الدين الذي يدان به، ويتعبد لرب العالمين الذي هو حق وصدق، لا نقص فيه، ولا خلل يعتريه، بل أوامره غذاء القلوب والأرواح، وراحة الأبدان، وترك نواهيه سلامة من الشر والفساد، فما بعث به النبي ﷺ من الهدى ودين الحق، أكبر دليل وبرهان على صدقه، وهو برهان باق ما بقي الدهر، كلما ازداد العاقل تفكراً، ازداد به فرحا وتبصراً"[1].

فتأتي هذه الآية لتؤكد على رسالة النبي محمد ﷺ وقوة ما فيها من الحق والنور الإلهي؛ وهذا يوقظ في المؤمن شعوره بتكاليف هذه الأمانة إذ يتبع الدين الحق الذي ينبغي أن يسود ويظهر، مما يحمل المؤمنين بهذه الدعوة على الثبات عليها وتأييدها والاستجابة إلى ما يدعوهم النبي إليه[2]..

4- الدين الإسلامي يعلو ويظهر على جميع الأديان:

إن الدين الإسلامي هو دين الحق الذي لا لبس فيه ولا خطأ؛ هو الدين الشامل الذي اختاره الله لعباده مذ جاء رسول الله ﷺ إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

تكفل الرحمن بحفظ هذه الرسالة، وتحدى المشركين أجمعين بإظهارها، ووعد المؤمنين بالتمكين لها ولأهلها.

﴿ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ۝٨ ﴾ ، ﴿ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ۝٩ ﴾.

---

(1) السعدي، تيسير الكريم الرحمن (ص: 859)

(2) انظر: دروزة عزت، التفسير الحديث (ج8/ 561)؛ سيد قطب، في ظلال القرآن (ج3549/6).

وللتمكين لهذه الدعوة وإظهارها، أوجه:

أ. **إيئاس الكافرين من صد الإسلام:**

يصف الله جهود ومحاولات أعداء الإسلام لصده وإبطاله: ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾. انكبّ سعيهم كله على هذا الهدف الشنيع، وأجمعوا محاولاتهم كلها، يريدون إطفاء نور الله وإبطال دينه والقضاء عليه؛ ولكن هيهات هيهات.

وهم في سعيهم مخفقون وعاجزون، فمن يملك إطفاء نورٍ أوجده رب العالمين؟

فكان من تمنّى أن يطفئ نور الإسلام بكيده كمن يحتال ويزاول إطفاء شعاع الشمس بنفثه ونفخه فيه- وذلك من المحال.

"ولله سرّ في علاه وإنما ... كلام العدى ضرب من الهذيان"[1].

ولقد أحبط الله كل محاولاتهم، فلا يزال هذا الدين باقٍ منتشر.

"وما تزال هذه الحقيقة تنبعث بين الحين والحين. وتنبض وتنتفض قائمة- على الرغم من كل ما جرد على الإسلام والمسلمين من حرب وكيد وتنكيل وتشريد وبطش شديد. لأن نور الله لا يمكن أن تطفئه الأفواه، ولا أن تطمسه كذلك النار والحديد، في أيدي العبيد! وإن خيل للطغاة الجبارين، وللأبطال المصنوعين على أعين الصليبيين واليهود أنهم بالغوا هذا الهدف البعيد! لقد جرى قدر الله أن يظهر هذا الدين، فكان من الحتم أن يكون:

ولقد تمت إرادة الله فظهر هذا الدين على الدين كله. ظهر في ذاته كدين، فما يثبت له دين آخر في حقيقته وفي طبيعته. فأما الديانات الوثنية فليست في شيء في هذا المجال. وأما الديانات الكتابية فهذا الدين خاتمتها، وهو الصورة الأخيرة الكاملة الشاملة منها، فهو هي، في الصورة العليا الصالحة إلى نهاية الزمان.

ولقد حرفت تلك الديانات وشوهت ومزقت وزيد عليها ما ليس منها، ونقصت من أطرافها، وانتهت لحال لا تصلح معه لشيء من قيادة الحياة. وحتى لو بقيت من غير تحريف ولا تشويه فهي نسخة سابقة لم تشمل كل مطالب الحياة المتجددة أبدا، لأنها جاءت في تقدير الله لأمد محدود.

فهذا تحقيق وعد الله من ناحية طبيعة الدين وحقيقته. فأما من ناحية واقع الحياة، فقد صدق وعد الله مرة، فظهر هذا الدين قوة وحقيقة ونظام حكم على الدين كله فدانت له معظم الرقعة المعمورة في الأرض في مدى قرن من الزمان. ..

---

[1] القشيري، لطائف الإشارات (ج3/ 577)

وما تزال لهذا الدين أدوار في تاريخ البشرية يؤديها، ظاهرا بإذن الله على الدين كله تحقيقا لوعد الله، الذي لا تقف له جهود العبيد المهازيل، مهما بلغوا من القوة والكيد والتضليل! " [1].

ب. الوعد بالتمكين وإظهار هذا الدين:

ومع الوعد بإيئاس كل محاولات أعداء الدين، وعد الله المؤمنين بالتمكين وإظهار هذا الدين.

﴿ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ﴾ أي: ليعليه على سائر الأديان، بالحجة والبرهان، ويظهر أهله وينصرهم ويرفع شأنهم ويعلى رايتهم، فأما نفس الدين، فهذا الوصف ملازم له في كل وقت، فلا يمكن أن يغالبه مغالب، أو يخاصمه مخاصم، وأما المنتسبون إليه، فإنهم إذا قاموا به، واهتدوا بهديه، في مصالح دينهم ودنياهم، ما كان لأحد أن يغلبهم، فإنهم ولا بد أن يظهروا على أهل الأديان، أما إذا قصر المسلمون وتركوا نهج دينهم فإن إهمالهم يكون سبباً في تسلط أعدائهم عليهم[2].

فهذا النور سوف يبسط سلطانه على الآفاق كلها، وسيبلغ به الله سبحانه وتعالى تمام كماله، وإن كره الكافرون هذا، وإن احترقت أكبادهم حسرة وكمدا، لما سيبلغه هذا الدّين من قوة وسلطان.. وتمام نور الله إنما يكون حين يطلع على آفاق الأرض جميعها، ويبسط سلطانه على كل صقع من أصقاعها. وهذا يعنى أن الإسلام سيكون يوما، هو دين الله على هذه الأرض.. فذلك هو تمام نور الله الذي وعد الله سبحانه وتعالى به[3].

والأسلوب الذي جاء به هذا التأكيد في الآيتين قوي بعث أشد اليقين في النفس وهو ما قصدته حكمة التنزيل على ما هو المتبادر.

"ولقد تكرر وعد الله بتمكين دينه ونصر رسوله والمؤمنين في آيات عديدة مكية ومدنية في سور سبق تفسيرها غير أن التوكيد بإظهار هذا الدين على الدين كله، أتى هنا لأول مرة، وقد تكرر بعد هذا مرتين: واحدة في سورة الفتح التي يقع ترتيبها بعد هذه السورة وأخرى في سورة التوبة بنص قريب لنص آيات الصف"[4]..

وجاء الوعد واضحاً وصريحاً بالتمكين للمؤمنين في آية سورة النور [55]: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ

---

(1) سيد قطب، في ظلال القرآن (ج6/3558)

(2) انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن (ص: 859)

(3) عبد الكريم الخطيب، التفسير القرآني للقرآن (ج14/ 936).

(4) دروزة عزت، التفسير الحديث (ج8/ 564)

﴿وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾

ومن الأحاديث النبوية التي تذكر توقعات أو تنبؤات النبي ﷺ بما سوف يكون لدين الله من انتشار وانتصار: حديث رواه الإمام أحمد عن تميم الداري قال رسول الله ﷺ: (لَيَبْلُغَنَّ هَذَا الْأَمْرُ مَا بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، وَلَا يَتْرُكُ اللهُ بَيْتَ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللهُ هَذَا الدِّينَ، بِعِزِّ عَزِيزٍ أَوْ بِذُلِّ ذَلِيلٍ، عِزًّا يُعِزُّ اللهُ بِهِ الْإِسْلَامَ، وَذُلًّا يُذِلُّ اللهُ بِهِ الْكُفْرَ) [1]

وَكَانَ تَمِيمٌ الدَّارِيُّ، يَقُولُ: " قَدْ عَرَفْتُ ذَلِكَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، لَقَدْ أَصَابَ مَنْ أَسْلَمَ مِنْهُمُ الْخَيْرُ وَالشَّرَفُ وَالْعِزُّ، وَلَقَدْ أَصَابَ مَنْ كَانَ مِنْهُمْ كَافِرًا الذُّلُّ وَالصَّغَارُ وَالْجِزْيَةُ "[2].

والإيمان بتحقيق وعد الله وإظهار الإسلام على الدين كله وتمكينه واجب على كلّ مسلم. لأن الله لن يخلف ما وعده للمؤمنين الصالحين. وفيما أمر الله ورسوله ورسماه في الكتاب الكريم والسنة الشريفة عظيم بواعث الثقة والاعتزاز وحوافز العزيمة والإقدام والاندفاع في المسلمين الصادقين للعمل على تحقيق وعد الله ونشر دينه. وهذا واجب لازم عليهم ويأثم المقصرون فيه.

"ومن الجدير بالذكر أن الإسلام ظل ينشر ويتسع بعد زوال السلطان العربي الذي استمر في القرون الثلاثة الأولى. لما فيه من قوة عناصر الجذب والاستجابة والاستقطاب حتى كان عدد المنضوين إليه بعد زوال ذلك السلطان أكثر من المنضوين إليه في عهده. ويكاد يكون الدين الوحيد الذي لا يتركه معتنقوه، والذي يزداد معتنقوه من الخارج مجددا وليس فقط بالنمو الذاتي ومن كل نحلة وفئة وجنس وفي كل مكان ولو تيسّر له دعوة قوية التنظيم والتمويل ودعاة مرشدون صالحون كثير والعدد لازداد اتساع انتشاره وانجذاب الناس له"[3]..

سادساً: العبر والعظات:

1. إن أشد الناس ظلماً من يفتري الكذب على الله، فيترك دين الحق ويدعي أنه الباطل، وهؤلاء المتوغلون في ظلمهم وغيهم يحرمهم الله من الهداية والتوفيق.
2. إيئاس كل محاولات إبطال الإسلام والقضاء عليه.
3. الدين الإسلامي يعلو ويظهر على كل الأديان، وسيبلغ نوره كل الآفاق.

---

[1] [أحمد، مسند أحمد، حديث تميم الداري، (155/28)، رقم الحديث16956]، قال المحقق: "إسناده صحيح على شرط مسلم".

[2] دروزة عزت، التفسير الحديث (ج8/ 564)

[3] المرجع السابق (ج8/ 564).

4. على المسلم أن يعتز بدينه فهو دين الحق، وعليه أن يستشعر الأمانة التي يحملها من خلال اتباعه لهذا الدين والتي تكمن في ضرورة الدعوة إلى الله والسعي الحثيث في إصلاح النفس والغير وفق منهج الله.
5. على المسلم أن يوقن بوعد الله بالتمكين، فلا ييأس ولا يُحبط مهما اشتد الخطب على أمة الإسلام.

المبحث الثالث

المقاصد والأهداف لسورة الصف من الآية (10-14)

المطلب الأول:التجارة الرابحة مع الله.

قال تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ١٠ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ١١ يَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ وَيُدۡخِلۡكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٢ وَأُخۡرَىٰ تُحِبُّونَهَاۖ نَصۡرٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتۡحٞ قَرِيبٞۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٣ ﴾ [الصف: 10-13]

أولاً: المفردات:

- قوله تعالى:﴿ وَأُخۡرَىٰ تُحِبُّونَهَاۖ نَصۡرٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتۡحٞ قَرِيبٞۗ ﴾

﴿ وَأُخۡرَىٰ تُحِبُّونَهَاۖ ﴾ ولكم خصلة أخرى تحبونها في العاجل مع ثواب الآخرة وتلك الخصلة: ﴿ نَصۡرٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتۡحٞ قَرِيبٞۗ ﴾، "قال الكلبي: هو النصر على قريش، وفتح مكة؛ وقال عطاء: يريد فتح فارس والروم" [1].

ثانياً: اللطائف البيانيّة:

- قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ١٠ ﴾

" لما كان الله تعالى بمنه وكرمه يثيب على الإيمان والعمل الصالح؛ شبه هذا الثواب، والنجاة من العذاب بالتجارة؛ فمن قدم عملاً صالحاً: لقي جزاء رابحاً"[2]..

- قوله تعالى: ﴿ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾

---

(1) البغوي، معالم التنزيل (ج5/ 80)

(2) محمد الخطيب، أوضح التفاسير (ج1/ 684).

جيء بلفظ الخبر والمراد به الأمر -أي آمنوا- إيذاناً بأن ذلك مما لا يترك [1]..

ثالثاً: المعنى الإجمالي:

بعد أن حث الله ﷻ المؤمنين على الجهاد في سبيله، ونهاهم أن يكونوا مثل قوم موسى في التواكل والتخاذل، وقوم عيسى في العصيان بعد ما تبين لهم الحق: ذكر ﷻ هنا أن الإيمان بالله والجهاد بالمال والنفس في سبيله هي التجارة الرابحة[2]..

فقال سبحانه في الآية بما جاء في معناه: يخاطب المؤمنين ليحثهم ويرشدهم: هل أعلمكم وأدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم وتوصلكم للنعيم المقيم، هي إيمانكم بالله ورسوله، وجهادكم في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم؛ فإنكم إن فعلتم ذلك يغفر الله لكم ذنوبكم ويصفح عنكم ويعفو ويدخلكم بساتين تجري من تحت أشجارها الأنهار ﴿وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٍۚ﴾ في بساتين إقامة، لا ظعن عنها.

فذلك هو الفوز العظيم والنجاة العظيم من نكال الآخرة وأهوالها، ولكم خلة أخرى سوى ذلك في الدنيا تحبونها: نصر من الله لكم على أعدائكم، وفتح قريب يعجله لكم؛ فبشر يا رسول الله المؤمنين بنصر الله إياهم على عدّوهم، وفتح عاجل لهم[3].

رابعاً: تحقيق المقاصد والأهداف:

1- التجارة الرابحة مع الله ﷻ:

هذه الآيات وصية ودلالة وإرشاد من أرحم الراحمين لعباده المؤمنين، لأعظم تجارة، وأفضل طريق توصل إلى الفوز بالجنة والنجاة من العذاب الأليم[4]؛ ألا وهي الإيمان بالله حق الإيمان والجهاد في سبيله، والإيمان التام هو التصديق الجازم بما أمر الله بالتصديق به، المستلزم لأعمال الجوارح، ومن أجلّ أعمال الجوارح الجهاد في سبيل الله[5].

فالإيمان والجهاد خير من الأموال والأنفس في الواقع، عند تأمل الإنسان مستقبله، وتعمقه في الفكر، لذا قال تعالى: ﴿ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾.

---

(1) انظر: البيضاوي، أنوار التنزيل (ج5/ 209)؛ الزحيلي، التفسير المنير (ج28/ 174)

(2) انظر: المراغي، تفسير المراغي (ج28/ 89).

(3) انظر: الطبري، جامع البيان (ج23/363-364).

(4) انظر: السعدي، تيسير الكريم المنان (ص: 860)

(5) انظر: المرجع السابق (ص: 860).

"إن جدوى الإيمان والجهاد في سبيل الله في الآخرة مغفرة الذنوب ودخول الجنات، والتمتع بالمساكن الطيبة الطاهرة في جنات إقامة دائمة، وتلك هي السعادة الدائمة الشاملة؛ وللإيمان والجهاد فائدة أو مزية أخرى في الدنيا وهي الظفر والنصر على الأعداء، وفتح بلاد الأعداء كمكة وفارس والروم في الماضي، وبشارة المؤمنين برضا الله عنهم"[1].

2- الحث على الجهاد:

حثت الكثير من الآيات الكريمة على الجهاد في سبيل الله ﷻ، ومنها قوله تعالى:

: ﴿ أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تُتۡرَكُواْ وَلَمَّا يَعۡلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمۡ وَلَمۡ يَتَّخِذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَلِيجَةٗۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴾ [التوبة:16]؛ وقوله تعالى ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافٗا وَثِقَالٗا وَجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ [التوبة: 41]؛ وقوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ [العنكبوت:69].

وكما أنّ الآيات السابقة حثت على الجهاد وأثنت على المجاهدين في سبيل الله، ففي أخر يرد التحذير والوعيد لمن ترك الجهاد:

﴿ قُلۡ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ وَإِخۡوَٰنُكُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ وَعَشِيرَتُكُمۡ وَأَمۡوَٰلٌ ٱقۡتَرَفۡتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٞ تَخۡشَوۡنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرۡضَوۡنَهَآ أَحَبَّ إِلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٖ فِي سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴾ [التوبة: 24].

وهذه السورة الكريمة التي تناولت في معظم آياتها الجهاد والحث عليه اتخذت الطريقين في الحث على الجهاد، فهي تارة تحذر المؤمنين من ترك الجهاد وعدم التزام وعودهم بشأنه، في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ ﴾

وتارة تثني على من جاهد وثبت: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفّٗا كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٞ مَّرۡصُوصٞ ﴾

وتارة تبين مصير من نكصوا عن أمر الله وأعرضوا عن قول أنبيائه كما فعل قوم موسى معه ومع عيسى –عليهما السلام–.

---

[1] الزحيلي، التفسير المنير (ج28/ 180)

وها هنا في هذه الآية تبين أن الإيمان والجهاد بنوعيه بالنفس والمال هي أعظم تجارة، بل هي التجارة الرابحة مع الله تعالى..

وأسلوب الحث والترغيب الذي جاءت عليه هذه الآية قويٌ تتميز به عن غيرها؛ إذ احتوت بشارتين للمؤمنين:

البشارة الأولى في الآخرة وهي رضا الله ومغفرته وجنته، وقد قدمت بالذكر لأنها خير وأبقى، والثانية دنيوية مما يحبونه: النصر والفتح القريب[1]..

"وفي هذه البشرى فيها من التشويق إلى الجهاد والتحبيب فيه والحث على حب الشهادة"[2]؛ " كما أنها تدخل في النفس الطمأنينة والرضا ويمدها بالسكينة والصبر "[3]، فتدفع ضعف الإنسان وتقاعسه وإيثاره حب السلامة –مما هو معهود في طبيعة النفس البشرية –[4]..

وإن كانت معظم الآيات التي حثت على الجهاد اقتصرت على الترغيب برضا الله والجزاء الأخروي؛ إذ إن الجهاد في سبيل الله ينبغي أن يكون لإعلاء كلمة الله وابتغاء مرضاته بعيداً عن أي غرض دنيوي؛ إلا أن ذكر الجزاء الدنيوي من الغنائم والفتح متسق مع طبيعة الحياة وليس الغاية منه أن يسعى المسلمون لملء أيديهم من المغانم[5]..

ويؤيد هذا أن الآية بنفسها حثت على الجهاد بالمال الذي هو قوام الحياة!

فإذا ما قدم المسلم الإسلام على نفسه وماله وبذلهما في سبيل الله صح إيمانه وعزمه.

خامساً: العبر والعظات:

1- التجارة الرابحة مع الله سبحانه وتعالى بالإيمان به وتقواه والجهاد في سبيله، فذلك هو الفوز العظيم بالفوز بالجنة ومساكنها الطيبة والنجاة من النار.

2- "الجهاد ضروب شتى: جهاد للعدو في ميدان القتال لنصرة الدين، وجهاد للنفس بقهرها ومنعها عن شهواتها التي ترديها، وجهاد بين النفس والخلق بترك الطمع في أموالهم والشفقة عليهم والرحمة بهم، وجهاد فيما بين المرء والدنيا بألا يتكالب على جمع حطامها، وألا ينفق

---

(1) انظر: دروزة عزت، التفسير الحديث (ج8/572)

(2) البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور(ج20/39).

(3) عبد الكريم، التفسير القرآني للقرآن (ج14/938)

(4) انظر: سيد قطب، في ظلال القرآن (ج6/3560).

(5) انظر: دروزة عزت، التفسير الحديث (ج8/572)

المال إلا فيما تجيزه الشرائع، وتقره العقول السليمة"[1]..فعلى المسلم أن يجاهد ما استطاع إلى ذلك سبيلاً.

3- "تحقيق بشرى المؤمنين التي أمر الله رسوله أن يبشرهم بها فكان هذا برهاناً على صحة الإسلام وسلامة دعوته"[2].

المطلب الثاني: الدعوة إلى نصرة الله ﷻ

قال تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ لِلۡحَوَارِيِّـۧنَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٞ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٞۖ فَأَيَّدۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمۡ فَأَصۡبَحُواْ ظَٰهِرِينَ ١٤ ﴾ [الصف: 14]

أولاً: المفردات:

- قوله تعالى:﴿ ٱلۡحَوَارِيُّونَ ﴾

الحواريون: " جمع حواري بفتح الحاء وتخفيف الواو وهي كلمة معربة عن الحبشية (حواريا) وهو الصاحب الصفي، وليست عربية الأصل ولا مشتقة من مادة عربية، وقد عدها الضحاك في جملة الألفاظ المعربة لكنه قال: إنها نبطية"[3].

والحواريون: "اسم أطلقه القرآن على أصحاب عيسى الاثني عشر، ولا شك أنه كان معروفا عند نصارى العرب أخذوه من نصارى الحبشة. ولا يعرف هذا الاسم في الأناجيل"[4]..

- قوله تعالى:﴿ فَأَيَّدۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمۡ فَأَصۡبَحُواْ ظَٰهِرِينَ ﴾

"فأيدنا الذين آمنوا بعيسى على عدوهم وهم مخالفو عيسى، كذلك قال ابن عباس، ومجاهد، والجمهور"[5]؛ " وذلك أنه لما رفع تفرق قومه ثلاث فرق: فرقة قالوا: كان الله فارتفع؛ وفرقة قالوا: كان ابن الله فرفعه إليه؛ وفرقة قالوا: كان عبد الله ورسوله فرفعه إليه وهم المؤمنون، واتبع كل

---

(1) المراغي، تفسير المراغي (ج28/90).

(2) الجزائري، أيسر التفاسير(ج5/343)

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج28/ 201)

(4) المرجع السابق (ج28/ 201)

(5) الواحدي، التفسير الوسيط (ج4/ 293)

فرقة منهم طائفة من الناس، فاقتتلوا فظهرت الفرقتان الكافرتان على المؤمنين، حتى بعث محمد ﷺ، فظهرت الفرقة المؤمنة على الكافرة"[1]..

"وقال مقاتل: تم الكلام عند قوله ﷻ: ﴿ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ ﴾، ﴿ فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُواْ ظَٰهِرِينَ ﴾ بمحمد على الأديان.

وقال إبراهيم النخعي: أصبح من آمن بعيسى ظاهرين بتصديق محمّد ﷺ أن عيسى كلمة الله وروحه بتعليم الحجة.

قال ابن قتيبة: فَأَصْبَحُوا ظاهِرِينَ أي: غالبين عليهم بمحمد"[2].

ويرى الباحث أنّ هذه المعاني جميعها وإن اختلفت فإنها تلتقي في أمرٍ؛ فسواءٌ كان المقصود من آمن بعيسى عليه السلام أو من آمن بالنبي محمد ﷺ، فإن من آمن منصورٌ من الله ومؤيدٌ..

ثانياً: القراءات المتواترة:

- قوله تعالى: ﴿ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ ﴾

"قَرَأَ ابْن كثير وَنَافِع وَأَبُو عَمْرو ﴿ كونُوا أنصاراً لله ﴾ : منونة؛ وَقَرَأَ عَاصِم وَابْن عَامر وَحَمْزَة والكسائي ﴿ أنصار الله﴾ مُضَافاً"[3].

التوجيه: "من قرأ على الْإِضافة كما تَقول كن نَاصِر زيد وحجتهم في ذلِك إجْماع الجمِيع على الْإِضافة في قَوله ﴿ نَحن أنصار الله﴾ وَلم يقل نَحن أنصار لله فكان رد ما اخْتلفوا فِيه إِلَى ما أجمعوا علَيه أولى أنصار "[4].

"وإضافة أنصاري خلاف إضافة أنصار الله لما أن المعنى في الأول: الذين ينصرون الله، وفي الثاني: الذين يختصون بي ويكونون معي في نصرة الله"[5].

ثالثاً: المعنى الإجمالي:

" يقول الله تبارك وتعالى آمراً عباده المؤمنين أن يكونوا أَنصار الله في جميع أَحوالهم بأَقوالهم وأَفعالهم وأَنفسهم وأَموالهم كما كان الحواريون أَنصار الله حين قال لهم عيسى: من أَنصاري إِلى

---

(1) أبو الفرج الجوزي، زاد المسير في علم التفسير (ص4/279).

(2) المرجع السابق(ص4/279).

(3) التميمي، السبعة في القراءات (ص: 635)

(4) ابن زنجلة، حجة القراءات (ص: 708)

(5) الرازي، مفاتيح الغيب (ج29/ 533)

الله؟ والحواريون: هم أَتباع عيسى وأَصفياؤه وأول من آمن به، قيل: كانوا اثني عشر رجلًا فوقهم في البلاد وبعثهم دعاة إلى الناس في البقاع المختلفة....

لَما بلَّغ عيسى – عليه السلام – رسالة ربه إلى قومه وآزر من آزره من الحواريين اهتدت طائفة من بني إسرائيل مما جاءَ به وضَلت، فخرجت عما جاءَ به وجحدوا نبوته ورموه وأُمه بالعظائم والأَباطيل وهم اليهود – عليهم لعنة الله المتتابعة إلى يوم القيامة – ونحلت فيه طائفة ممن اتبعه حتى رفعوه فوق ما أَعطاه الله من النبوة وافترقوا فرقاً وشيعاً، فمن قائل: إنه ابن الله، ومن قائل: إنه ثالث ثلاثة – الأَب والابن وروح القدس – وقوله تعالى – ﴿فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُواْ ظَٰهِرِينَ﴾ أَي: فنصرنا وقوينا الذين آمنوا بعيسى على عدوهم الذين كفروا به فصاروا بتقويتنا ومساعدتنا غالبين منتصرين قال زيد بن علي: ظاهرين بالحجة والبرهان.

وقيل المراد: ﴿فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ﴾أَي: فآمنت طائفة من بني إسرائيل بمحمد – عليه الصلاة والسلام – وكفرت به طائفة أُخري، فأَيدنا المؤمنين على الكفرة فصاروا غالبين، والله أَعلم"[1]..

رابعاً: تحقيق المقاصد والأهداف:

1– الدعوة إلى نصرة الله ﷻ:

يؤكد الله ﷻ في هذه الآية الكريمة على ما كان في الآيات السابقة من الحث على الجهاد ونصرة الله ﷻ، فقال سبحانه : ﴿ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ﴾ بإدامة النصرة له ﷻ بالأقوال والأفعال، والثبات على دينه والجهاد في سبيله بالنفس والمال[2]..

ثم ضرب ﷻ لهم مثلاً صادقاً في النصرة وهم حواريو عيسى عليه السلام؛ الذين استجابوا لعيسى عليه السلام إذ سأل من ينصره ويعينه؟ فبادروا ونصروا؛ فنصرهم الله ﷻ؛ فإنه من ينصر اللهَ ينصره الله.

قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾﴾ [محمد: 7].

فأنتم يا أيها المؤمنون انصروا الله ورسوله ودينه، –كما نصره الحواريون–؛ لينصركم الله ﷻ.

خامساً: العبر والعظات المستفادة:

1– وجوب نصرة الله ﷻ ودينه بالأقوال والأفعال.

2– الله ﷻ ينصر من ينصر دينه.

---

(1) مجمع البحوث، التفسير الوسيط (ج10/ 1406)

(2) انظر: الرازي، مفاتيح الغيب (ج29/ 532)؛ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج18/89)؛ السعدي، تيسير الكريم المنان (ص:860).

الخاتمة

سبحان الله وبحمده، عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته، اللهم صلِ على محمد عبدك ورسولك وعلى أزواجه وذريته، كما صليت على إبراهيم، وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد عبدك ورسولك وعلى أزواجه وذريته، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين، إنك حميد مجيد.

وقبل ختام هذا البحث المتواضع، ألخص بين يدي القارئ الكريم بعض النتائج والفوائد التي توصلت إليها، مجملة في النقاط التالية:

أولاً: النتائج:

1- إنّ علم مقاصد السور يُعين على فهم كتاب الله ﷻ فهماً صحيحاً من خلال استنباط المعاني والأهداف وتدبرها.

2- منهج القرآن منهج شامل ومتكامل في عرضه للقضايا المحورية، وعنايته بكافة جوانب الحياة.

3- اشتملت سورة المجادلة على مواضيع متعددة، وكان أول هذه المواضيع المهمة بيان حكم الظهار، الذي عدّه الإسلام منكراً وزوراً وحرّمه وغلّظ عقوبته؛ إذ الإسلام حريص كل الحرص على البيوت المسلمة.

4- أرشدت سورة المجادلة إلى آداب التناجي وضوابطه، وبيّنت آداب المجالس ومناجاة النبي ﷺ؛ فالقرآن يربّي المسلم على الأخلاق الفاضلة والأدب في التعامل مع الناس.

5- أكدت سورة المجادلة على أن انتماء المسلم لدينه، وأن الولاء والبراء من لوازم التوحيد، فالمسلم لا يحب إلا من يحب الله ورسوله، ولا يكون له أن يوالى أعداء الله ورسوله، ولو كانوا أقرب الناس إليه.

6- اشتملت سورة الحشر على عدة مواضيع، لكنها تناولت موضوعاً رئيسياً نزلت بشأنه وهو إجلاء بني النضير وما كان فيه من دورس وعبرٍ، وانتقلت السورة من خلاله لبيان أحكام الفيء.

7- الناس على ثلاثة منازل: منزلة المهاجرين ومنزلة الأنصار، وهاتان المنزلتان قد مضتا وبقيت واحدة وهي منزلة من تبعهم بإحسان، فأحسن ما يكون عليه المسلم الآن أن يكون بهذه المنزلة التي بقيت.

8- الكفر ملة واحدة فإنهم وإن تفرقت سبلهم فهم على الباطل ومعادة أهل الحق مجتمعون، ومصير أتباع الشيطان جميعاً واحد النار هي مأواهم وبئس المصير.

9- لله ﷻ الأسماء الحسنى والصفات العلا، وله ﷻ يسبح كل ما في السماوات وما في الأرض.

10- تمحورت سورة الممتحنة حول موضوع واحدٍ، عالجته من خلال نزولها بشأن قصة الصحابي الجليل حاطب بن بلتعة حين أفشى سر رسول الله ﷺ، فهذه السورة أكدت على أن انتماء المسلم لدينه وولاءه لعقيدته، ولا ينبغي له أن يوالي أعداء الدين أبداً.

11- تحث سورة الصف في جل آياتها على الجهاد في سبيل الله ﷻ، والثبات فيه، وتدعو لنصرة دين الله ﷻ.

12- التجارة الرابحة هي الإيمان بالله ﷻ والجهاد في سبيله.

ثانياً: التوصيات:

استناداً إلى ما تم التوصل إليه من نتائج في هذه الدراسة فإن الباحث يوصي بالآتي:

1- يوصي الباحث طلبة العلم بالاهتمام بعلوم القرآن الكريم، ومن بينها علم المقاصد فهو يعين على فهم القرآن الكريم فهماً صحيحاً، ويعين على استباط الحِكم والقيم من الآيات مما يسهم في تربية الجيل المسلم تربيةً ربانية وإصلاح النفس والمجتمع.

2- يوصي الباحث طلبة العلم والدعاة والمصلحين بنشر علوم القرآن بين الناس، وبثّ قِيمه وأحكامه بكل وسيلةٍ ممكنة.

3- وأخيراً أوصي نفسي وجميع المؤمنين بتقوى الله ﷻ وابتغاء مرضاته، والعمل الصالح.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع

ابن أبي الدنيا، أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي. (1413هـ). مجموعة رسائل بان أبي الدنيا كتاب التوكل على الله. تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا. ط1. بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية.

ابن أبي شجاع، محمد بن أبي المحاسن محمود بن أبي الفتح محمد أحمد الكرماني، أبو العلاء الحنفي. (1422هـ). مفاتيح الأغاني في القراءات والمعاني. تحقيق: عبد الكريم مصطفى مدلج. ط1. بيروت: دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع.

ابن أبي شيبة، أبو بكر عبد الله بن محمد العبسي الكوفي. (235هـ). مُصنف ابن أبي شيبة. تحقيق: محمد عوامة. (د.ط). (د.م): (د.ن).

ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري. (1399هـ). النهاية في غريب الحديث والأثر. تحقيق: طاهر أحمد الزاوى – محمود محمد الطناحي. (د.ط). بيروت: المكتبة العلمية.

الألباني، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري. (د.ت). ضعيف الجامع الصغير وزيادته. (د.ط). (د.م): المكتب الإسلامي.

الألباني، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري. (1423هـ). صحيح أبي داود– الأم. ط1. الكويت: مؤسسة غراس للنشر والتوزيع.

الألباني، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري. (1431هـ). موسوعة العلامة الإمام مجدد العصر محمد ناصر الدين الألباني. ط1. اليمن: مركز النعمان للبحوث والدراسات الإسلامية وتحقيق التراث والترجمة.

الإمام مالك. (145هـ). موطأ الإمام مالك بن أنس رواية ابن القاسم. تحقيق: السيد محمد بن علوي بن عباس المالكي. ط1. الإمارات: منشورات المجمع الثقافي.

الباجي، أبي الوليد سليمان خلف. (1424هـ). سنن الصالحين وسنن العابدين. تحقيق: إبراهيم عبد المجيد. ط1. بيروت: دار ابن حزم.

البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله الجعفي.(1422هـ). الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه. تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر. ط1. (د.م): دار طوق النجاة.

البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة. (1418هـ). صحيح الأدب المفرد للإمام البخاري. ط4. (د.م): دار الصديق للنشر والتوزيع.

البركاتي، أبو عاصم الشحات شعبان محمود عبد القادر المصري. (2012م). *الولاء والبراء في الإسلام*. ط1. (د.م): دار الدعوة الإسلامية.

البغوي ، محيي السنة ، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء. (1420هـ). *معالم التنزيل في تفسير القرآن*. ط1. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر. (د.ت). *نظم الدرر في تناسب الآيات والسور*. (د.ط). القاهرة: دار الكتاب الإسلامي.

البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر.(1408هـ). *مَصَاعِدُ النَّظَرِ للإِشْرَافِ عَلَى مَقَاصِدِ السِّوَرِ*. ط1. ج3. الرياض: مكتبة المعارف.

البنا، حسن أحمد عبد الرحمن محمد الساعاتي. (1423هـ). *نظرات في كتاب الله*. (د.ط). القاهرة: دار التوزيع والنشر الإسلامية.

البناء ، أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الغني الدمياطيّ. (1427هـ). *إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر*. تحقيق: أنس مهرة. ط3. لبنان: دار الكتب العالمية.

البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي. (1418هـ). *أنوار التنزيل وأسرار التأويل*. تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي. ط1. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني. (1423هـ). *شعب الإيمان*. تحقيق: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد. ط1. الهند: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي.

البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر. (1413هـ). *الأسماء والصفات*. تحقيق: عبد الله بن محمد الحاشدي. ط1. السعودية: مكتبة السوادي.

الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك.(1395هـ). *سنن الترمذي*. تحقيق:

ابن تيمية، شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام. (1417هـ). *تفسير آيات أشكلت على كثير من العلماء حتى لا يوجد في طائفة من كتب التفسير فيها القول الصواب بل لا يوجد فيها إلا ما هو خطأ*. تحقيق: عبد العزيز بن محمد الخليفة. ط1. الرياض: مكتبة الرشد.

الثعلبي، أحمد بن محمد بن إبراهيم ، أبو إسحاق.(1422هـ). *الكشف والبيان عن تفسير القرآن*. تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور. ط1. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

الجزائري، جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر. (1424هـ). *أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير*. ط5. السعودية: مكتبة العلوم والحكم.
ابن الجزري، شمس الدين أبو الخير ، محمد بن محمد بن يوسف.(1421هـ). *تحبير التيسير في القراءات العشر*. تحقيق: د. أحمد محمد مفلح القضاة. ط1. عمان: دار الفرقان.
ابن جزي، أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، الكلبي الغرناطي. (د.ت). *القوانين الفقهية*. (د.ط). (د.م): (د.ن).
ابن جزي، أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، الكلبي الغرناطي. (1416هـ). *التسهيل لعلوم التنزيل*. تحقيق: الدكتور عبد الله الخالدي. ط1. بيروت: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم.
ابن جني، أبو الفتح عثمان الموصلي. (1420هـ). *المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها*. (د.ط). (د.م): وزارة الأوقاف–المجلس الأعلى للشئون الإسلامية
ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد. (1422هـ). *زاد المسير في علم التفسير*. تحقيق: عبد الرزاق المهدي. ط1. بيروت: دار الكتاب العربي.
الحاكم، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع. (1411هـ). *المستدرك على الصحيحين. تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا*. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية.
الحجازي، محمد محمود. (1413هـ). *التفسير الواضح*. ط10. بيروت: دار الجيل الجديد.
ابن حجر، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد العسقلاني.(1419هـ). *المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية*. تحقيق: (17) رسالة علمية قدمت لجامعة الإمام محمد بن سعود. ط1. السعودية: دار العاصمة، دار الغيث.
ابن حجر، أحمد بن علي أبو الفضل العسقلاني الشافعي. (1379هـ). *فتح الباري شرح صحيح البخاري*. (د.ط). بيروت: دار المعرفة.
أبو حفص، سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني.(1419هـ). *اللباب في علوم الكتاب*. تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية.
ابن حنبل ، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن هلال بن أسد الشيباني. (1421هـ). *مسند الإمام أحمد بن حنبل*. تحقيق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون. ط1. (د.م): مؤسسة الرسالة.

ابن حيان، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف أثير الدين الأندلسي. (1403هـ). *تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب*. تحقيق: سمير المجدوب. ط1. (د.م): المكتب الإسلامي.

الخادمي، نور الدين بن مختار.(1421هـ). *علم المقاصد الشرعية*. ط1. (د.م). مكتبة العبيكان.

الخازن، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن. (1415هـ). *لباب التأويل في معاني التنزيل*. تحقيق: تصحيح محمد علي شاهين. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية.

ابن خالويه، أبو عبد الله، الحسين بن أحمد.(1401هـ). *الحجة في القراءات السبع*. تحقيق: د. عبد العال سالم مكرم، الأستاذ المساعد بكلية الآداب – جامعة الكويت. ط4. بيروت: دار الشروق.

ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر. (د.ت). *وفيات الأعيان وأنباء الزمان*. تحقيق: إحسان عباس. ط1. بيروت: دار صادر

ابن الخطيب محمد محمد عبد اللطيف. (1383هـ). *أوضح التفاسير*. ط6. مصر: المطبعة المصرية ومكتبتها.

الخطيب، عبد الكريم يونس. (د.ت). *التفسير القرآني للقرآن*. (د.ط). القاهرة: دار الفكر العربي.

الخفاجي، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر المصري الحنفي. (د.ت). *حَاشِيةُ الشِّهَابِ عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوِي، الْمُسَمَّاة: عِنَايةُ القَاضِى وكِفَايةُ الرَّاضِى عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوي*. (د.ط). بيروت: دار صادر.

الخلف، سعود بن عبد العزيز. (1420هـ). *أصول مسائل العقيدة عند السلف وعند المبتدعة*. (د.ط). (د.م): (د.ن).

الدارمي، أبو سعيد عثمان بن سعيد بن خالد بن سعيد السجستاني. (1416هـ). *الرد على الجهمية*. تحقيق: بدر بن عبد الله البدر. ط2. الكويت: دار ابن الأثير.

الدارمي، أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بَهرام بن عبد الصمد ، التميمي السمرقندي. (1412هـ). *مسند الدارمي المعروف*. تحقيق: حسين سليم أسد الداراني. ط1. السعودية: دار المغني للنشر والتوزيع.

الداني، عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو. (1414هـ). *البيان في عدّ آي القرآن*. تحقيق: غانم قدوري الحمد.ط1. الكويت: مركز المخطوطات والتراث.

أبو داود، سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني. (1430هـ). *سنن أبي داود*. تحقيق: شعَيب الأرنؤوط - محَمَّد كامِل قره بللي. ط1. (د.م): دار الرسالة العالمية.

درويش، محيي الدين بن أحمد مصطفى. (1415هـ). *إعراب القرآن وبيانه*. ط4. بيروت: دار الإرشاد للشئون الجامعية.

الرازي. زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي. (1420هـ). *مختار الصحاح*. تحقيق: يوسف الشيخ محمد.ط5 بيروت: المكتبة العصرية- الدار النموذجية.

الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين خطيب الري.(1420هـ). *مفاتيح الغيب*. ط3.بيروت: دار إحياء التراث العربي.

رضا، محمد رشيد بن علي بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني. (1990م). *تفسير القرآن الحكيم*. (د.ط). مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

الريسوني، أحمد. (1412هـ). *نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي*. ط2. (د.م): الدار العالمية للكتاب الإسلامي.

الزَّبيدي، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى.(د.ت). *تاج العروس من جواهر القاموس*. تحقيق: مجموعة من المحققين. (د.ط). (د.م): دار الهداية.

الزجاج، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق. (1408هـ). *معاني القرآن وإعرابه*. تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي. ط1. بيروت: عالم الكتب.

الزحيلي، وهبة بن مصطفى. (1418هـ). *التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج*. ط2. دمشق: دار الفكر المعاصر.

الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي فارسز (2002م). *الأعلام*. ط15. (د.م): دار العلم للملايين

الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، جار الله. (1407هـ). *الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل*. ط3. بيروت: دار الكتاب العربي.

السامرائي، فاضل بن صالح بن مهدي بن خليل البدري. (1423هـ). *لمسات بيانية في نصوص من التنزيل*. ط3. الأردن: دار عمار للنشر والتوزيع، عمان.

السبتي، عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي ، أبو الفضل. (1419هـ). *شَرْحُ صَحِيح مُسْلِمِ لِلْقَاضِي عِيَاض المُسَمَّى إِكْمَالُ المُعْلِمِ بِفَوَائِدِ مُسْلِم*. تحقيق: الدكتور يحْيَى إِسْمَاعِيل. ط1. مصر: دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع.

ابن سعد، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي. (1410هـ). *الطبقات الكبرى*. تحقيق: محمد عبد القادر عطا. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية.

السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله. (1420هـ). *تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان*. تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق. ط1. (د.م): مؤسسة الرسالة.

أبو السعود، العمادي محمد بن محمد بن مصطفى. (د.ت). *تفسير أبي السعود*. (د.ط). بيروت: دار إحياء التراث العربي.

السمرقندي، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم. (د.ت). *بحر العلوم*.(د.ط). (د.م) (د.ن).

ابن السُّنِّي، أحمد بن محمد بن إسحاق بن إبراهيم بن أسباط بن عبد الله بن إبراهيم بن بُدَيْح، الدِّيْنَوَرِيُّ. (د.ت). *عمل اليوم والليلة سلوك النبي مع ربه عز وجل ومعاشرته مع العباد*. تحقيق: كوثر البرني. (د.ط). بيروت:دار القبلة للثقافة الإسلامية ومؤسسة علوم القرآن.

سيد قطب، إبراهيم حسين الشاربي. (1412هـ). *في ظلال القرآن*. ط17. بيروت: دار الشروق.

السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين. (1394هـ). *الإتقان في علوم القرآن*. (د.ط). ج4. مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

الشاطبي، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي.(1417هـ). *المتوافقات*. تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان. ط1. ج7. (د.م): دار ابن عفان.

الشجري ، يحيى (المرشد بالله) بن الحسين (الموفق) بن إسماعيل بن زيد الحسني الجرجاني. (1422هـ). *ترتيب الأمالي الخميسية للشجري*. تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية

شحاتة، محمد صقر.(د.ت). *دليل الواعظ إلى أدلة المواعظ (موضوعات للخطب بأدلتها من القرآن الكريم والسنة الصحيحة)*. (د.ط). الاسكندرية: دار الفتح الإسلامي

شرف الدين، جعفر. (1420هـ). *الموسوعة القرآنية، خصائص السور*. تحقيق: عبد العزيز بن عثمان التويجزي. ط1 بيروت: دار التقريب بين المذاهب الإسلامية.

الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني.(1415هـ). *أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن*. (د.ط). بيروت: دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع.

الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله اليمني. (1414هـ). *فتح القدير*. ط1. بيروت: دار ابن كثير.

الصابوني، محمد علي. (1400هـ). *روائع البيان تفسير آيات الأحكام*. ط3. بيروت: مكتبة الغزالي – دمشق، مؤسسة مناهل العرفان.

الصابوني، محمد علي. (1417هـ). *صفوة التفاسير*. ط1. القاهرة: دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع.

الصَّلاَّبي، عَلي محمد محمد. (1422هـ). *تبصير المؤمنين بفقه النصر والتمكين في القرآن الكريم (أنواعه – شروطه وأسبابه – مراحله وأهدافه)*. ط1. الشارقة: مكتبة الصحابة.

الصنعاني، أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني. (1403هـ). *المصنف*. تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي. ط2. الهند: المجلس العلمي.

الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر. (1420هـ). *جامع البيان في تأويل القرآن*. تحقيق: أحمد محمد شاكر. ط1. (د.م). مؤسسة الرسالة.

الطحاوي، أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة الأزدي الحجري المصري.(1415هـ). *شرح مشكل الآثار*. تحقيق: شعيب الأرنؤوط. ط1. (د.م): مؤسسة الرسالة.

طنطاوي، محمد سيد. (1997م). *التفسير الوسيط للقرآن الكريم*. ط1.القاهرة: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة.

ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر التونسي. (1984هـ). *التحرير والتنوير*. (د.ط). ج30. تونس: الدار التونسية للنشر.

العبد الكريم، راشد بن حسين. (1431هـ). *الدروس اليومية من السنن والأحكام الشرعية*. ط4. السعودية: دار الصميعي.

أبو عبد الله، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد آل سعدي. (1421هـ). *تفسير أسماء الله الحسنى. تحقيق: عبيد بن علي العبيد*. (د.ط). السعودية: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

أبو عبد الله، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد آل سعدي.(1376هـ). *القول السديد شرح كتاب التوحيد*. تحقيق : المرتضى الزين أحمد. ط3. (د.م): مجموعة التحف النفائس الدولية.

العدوي، أبو الحسن، علي بن أحمد بن مكرم الصعيدي. (1414هـ). *حاشية العدوي على شرح كفاية الطالب الرباني*. (د.ط). بيروت: دار الفكر.

ابن العربي، القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر المعافري الاشبيلي المالكي. (1424هـ). *أحكام القران*. ط3. بيروت: دار الكتب العلمية.

عزت، دروزة محمد.(1383هـ). *التفسير الحديث*. (د.ط). القاهرة: دار إحياء الكتب العربية.

ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام الأندلسي المحاربي. (1422هـ). *المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز*. تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية.

أبو علي، الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسيّ الأصل. (1413هـ). *الحجة للقراء السبعة. تحقيق: بدر الدين قهوجي – بشير جويجابي*. ط2. بيروت: دار المأمون للتراث.

عمر، أحمد مختار عبد الحميد. (1429هـ). *معجم اللغة العربية المعاصرة*. ط1. (د.م): عالم الكتب.

الغرناطي، أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي ، أبو جعفر. (د.ت). *ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل*. (د.ط). بيروت: دار الكتب العلمية.

الفارابي، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري.(1407هـ). *الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية*. ط4. ج6. بيروت: دار العلم للملايين.

ابن فارس ، أحمد بن زكرياء القزويني الرازي. (1399هـ). معجم *مقاييس اللغة*. (د.ط). ج6. (د.م): دار الفكر.

الفاسي، أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الصوفي. (1419هـ). *البحر المديد في تفسير القرآن* المجيد. تحقيق: أحمد عبد الله القرشي رسلان. (د.ط). القاهرة: الدكتور حسن عباس زكي.

ابن الفراء، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد الشافعي. (1403هـ). *شرح السنة*. تحقيق: شعيب الأرنؤوط–محمد زهير الشاويش. بيروت: المكتب الإسلامي.

ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني.(1406هـ). *مجمل اللغة لابن فارس*. تحقيق: زهير عبد المحسن سلطان. ط2. ج2. بيروت: مؤسسة الرسالة.

الفراهيدي ،أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم البصري. (د.ت). *كتاب العين*. تحقيق: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي. ط1، ج8. بيروت: المكتبة العصرية– الدار النموذجية.

الفيروز أبادى، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب. (1416 هـ). *بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز*. تحقيق: محمد علي النجار. (د.ط). ج6. القاهرة: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي.

الفيروز أبادى، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب.(1426هـ). *القاموس المحيط*. تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة. ط8. ج1. بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع.

الفيومي، أحمد بن محمد بن علي. (د.ت). *المصباح المنير في غريب الشرح الكبير*.(د.ط). ج2. بيروت: المكتبة العلمية.

الفراء أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله الديلمي. (د.ت). *معاني القرآن*. تحقيق: أحمد يوسف النجاتي / محمد علي النجار / عبد الفتاح إسماعيل الشلبي. ط1. مصر: الدار المصرية للتأليف والترجمة.

القاضي، عبد الفتاح بن عبد الغني بن محمد. (د.ت). *البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة من طريقي الشاطبية والدُّرة – القراءاتُ الشاذةُ وتوجيهها من لغة العرب*. (د.ط). بيروت: دار الكتاب العربي.

القاضي، أبو محمد عبد الوهاب بن علي بن نصر البغدادي المالكي.(د.ت). *المعونة على مذهب عالم المدينة*. تحقيق: حميش عبد الحقّ. (د.ط).السعودية: المكتبة التجارية، مصطفى أحمد الباز.

القحطاني، محمد بن سعيد بن سالم. (د.ت). *الولاء والبراء في الإسلام من مفاهيم عقيدة السلف*. ط1. السعودية: دار طيبة.

ابن قدامة، أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي. (1388هـ). *المغني لابن قدامة*. (د.ط). مصر: مكتبة القاهرة.

القرافي، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المالكي. (1994م). *الذخيرة*. ط1. بيروت: دار العرب الإسلامي.

القرطبي، أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد .(1408هـ). *البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل لمسائل المستخرجة*. ط2. بيروت: دار الغرب الإسلامي

القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين. (1384هـ). *الجامع لأحكام القرآن*. تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش. ط2. القاهرة: دار الكتب المصرية.

القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك. (د.ت). *لطائف الإشارات*. تحقيق: إبراهيم البسيوني. ط3. مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

القطان، مناع بن خليل.(1421هـ). *مباحث في علوم القرآن*. ط3. ج1. بيروت: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع.

قلعجي، محمد رواس و قنيبي ،حامد صادق. (1408هـ). معجم *لغة الفقهاء*. ط2. (د.م): دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع.

القِنَّوجي، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري. (1412هـ). *فتحُ البيان في مقاصد القرآن*.(د.ط). بيروت: المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، صَيدَا.

القيرواني، أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي ثم الأندلسي القرطبي المالكي. (1429هـ). *الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه*. تحقيق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي – جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي. ط1. الشارقة: مجموعة بحوث الكتاب والسنة – كلية الشريعة والدراسات الإسلامية.

ابن قيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين الجوزية. (1416هـ). *مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين*. تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي. ط3. بيروت: دار الكتاب العربي.

الكاساني، علاء الدين، أبو بكر بن مسعود بن أحمد الحنفي. (1406هـ). *بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع*. ط2. بيروت: دار الكتب العلمية.

ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي البصري ثم الدمشقي. (1419هـ). *تفسير القرآن العظيم. تحقيق: محمد حسين شمس الدين*. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية.

الكرماني، محمود بن حمزة بن نصر، أبو القاسم برهان الدين ، ويعرف بتاج القراء. (د.ت). *غرائب التفسير وعجائب التأويل*. (د.ط). بيروت: دار القبلة للثقافة الإسلامية.

لبد، إبراهيم. (2015م). *الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف الحزب الثاني من القرآن الكريم*. (رسالة ماجستير غير منشورة). الجامعة الإسلامية غزة. فلسطين.

ابن ماجة، وماجة اسم أبيه يزيد – أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني. (1430هـ). *سنن ابن ماجه ت الأرنؤوط*. تحقيق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد – محمَّد كامل قره بللي – عَبد اللّطيف حرز الله. ط1. (د.م): دار الرسالة العالمية.

الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي. (د.ت). *تفسير الماوردي*. تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم. (د.ط). بيروت: دار الكتب العلمية.

المتقي الهندي، علاء الدين علي بن حسام الدين ابن قاضي خان القادري الشاذلي الهندي البرهانفوري ثم المدني فالمكي. (1401هـ). *كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال*. تحقيق: بكري حياني – صفوة السقا. ط5. (د.م): مؤسسة الرسالة.

ابن مجاهد، أحمد بن موسى بن العباس التميمي، أبو بكر البغدادي. (1400هـ). *كتاب السبعة في القراءات*. تحقيق: شوقي ضيف. ط2. مصر: دار المعارف.

مجمع اللغة العربية بالقاهرة. (د.ت). *المعجم الوسيط*.(د.ط). (د.م): درا الدعوة.

مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر. (1414هـ). *التفسير الوسيط للقرآن الكريم*. ط1. (د.م): الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية.

المراغي، أحمد بن مصطفى. (1365هـ). *تفسير المراغي*. ط1. مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده.

المرسي، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده. (1421هـ). *المحكم والمحيط الأعظم*. تحقيق: عبد الحميد هنداوي. ط1. بيروت: دار الكتب العالمية.

المزيني، خالد بن سليمان. (1427هـ). *المحرر في أسباب نزول القرآن من خلال الكتب التسعة دراسة الأسباب رواية ودراية*. ط1. السعودية: دار ابن الجوزي، الدمام.

مسلم، بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (د.ت). *المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ*. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. (د.ط). بيروت: دار إحياء التراث العربي.

ابن الملقن، سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري. (1411هـ). *مختصرُ استدرَاك الحافِظ الذّهبي على مُستدرَك أبي عبد اللهِ الحَاكم*. تحقيق: جـ 1، 2: عَبد الله بن حمد اللحَيدَان، جـ 3 – 7: سَعد بن عَبد الله بن عَبد العَزيز آل حميَّد.ط1. السعودية: دار العاصمة.

المناوي، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي.(د.ت). *الفتح السماوي بتخريج أحاديث القاضي البيضاوي*. تحقيق: أحمد مجتبى. (د.ط). الرياض: دار العاصمة.

ابن منظور، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين الأنصاري الرويفعى الإفريقى (1414هـ). *لسان العرب*. ط3. ج15. بيروت. دار صادر.

ابن مِهْران، أحمد بن الحسين النيسابورىّ. (1981م). *المبسوط في القراءات العشر*. تحقيق: سبيع حمزة حاكيمي. (د.ط). دمشق: مجمع اللغة العربية.

النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني. (1406هـ). *المجتبى من السنن*. تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة. ط2. حلب: مكتب المطبوعات الإسلامية.

النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين. (1419هـ). *تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)*. تحقيق: يوسف علي بديوي. ط1. بيروت: دار الكلم الطيب.

النفراوي ، أحمد بن غانم (أو غنيم) بن سالم ابن مهنا. (1415هـ). *الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني*. (د.ط). بيروت: دار الفكر.

النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف. (1392هـ). *المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج*. ط2. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف. (1412هـ). *روضة الطالبين وعمدة المفتين*. تحقيق: زهير الشاويش. ط3. بيروت: المكتب الإسلامي.

هرّاس، محمد بن خليل حسن. (1415هـ). *شرح العقيدة الواسطية، ويليه ملحق الواسطية*. ط3. (د.م): دار الهجرة للنشر والتوزيع.

الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي، النيسابوري الشافعي. (هـ1415). *الوسيط في تفسير القرآن المجيد*. تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، الدكتور أحمد محمد صيرة، الدكتور أحمد عبد الغني الجمل، الدكتور عبد الرحمن عويس. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية.

الواقدي، محمد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي بالولاء، المدني، أبو عبد الله. (1409هـ). *المغازي*. تحقيق: مارسدن جونس. ط3. بيروت: دار الأعلمي.

الفهارس العامَّــة

أولًا: فهرس الآيات القرآنية

م.	الآيـة	رقم الآية	رقم الصفحة
	سورة البقرة		
1.	﴿ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾	30	101
2.	﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَٱلْحِجَارَةِ ..	74	158
3.	﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ.....	84	144
4.	﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ....	186	31
5.	﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا﴾	187	35
6.	وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ..	221	204
7.	﴿ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ...	229	35
8.	﴿ إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِيَ ...	271	59
9.	﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾	286	76
	سورة ال عمران		
10.	﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا ﴾	8	97
11.	﴿ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾	97	42
12.	﴿ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ	103	188
13.	كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ...	110	127
14.	وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴾	126	111
15.	﴿ وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ ...	139	65
16.	﴿ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ	159	185
	سورة النساء		
17.	﴿ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ ...	77	141

.18	﴿ يَسۡتَخۡفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسۡتَخۡفُونَ	108	63
.19	﴿ لَّا خَيۡرَ فِي كَثِيرٖ مِّن نَّجۡوَىٰهُمۡ...	114	59
.20	وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ...	115	47
.21	﴿ ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمۡ...	141	175
.22	﴿ مُّذَبۡذَبِينَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِۚ ﴾	142	83+82
سورة المائدة			
.23	﴿ فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ...	24	234
.24	﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا ...	38	212
.25	﴿ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمۡ ...	52	84
.26	﴿ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾	54	96
.27	﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ...	78	47
.28	﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ...	82	146
.29	﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغۡوِ فِيٓ أَيۡمَٰنِكُمۡ...	89	117
.30	﴿ قُل لَّا يَسۡتَوِي ٱلۡخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ ﴾	100	156
سورة الانعام			
.31	﴿ ثُمَّ لَمۡ تَكُن فِتۡنَتُهُمۡ إِلَّآ أَن قَالُواْ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا	23	86
.32	﴿ بَلۡ بَدَا لَهُم مَّا كَانُواْ يُخۡفُونَ مِن قَبۡلُۖ وَلَوۡ رُدُّواْ ...	28	86
.33	﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ	125	189
.34	:﴿ دِينٗا قِيَمٗا مِّلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۚ ﴾	161	182
سورة الاعراف			
.35	﴿ وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَفَتَحۡنَا ...	96	153
.36	﴿ وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ ﴾	156	32
.37	﴿ وَلَقَدۡ ذَرَأۡنَا لِجَهَنَّمَ....	179	143

سورة الأنفال			
.38	﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ ...	13	47
.39	﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ	41	116
.40	﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ...	60	111
.41	﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا	63	188
سورة التوبة			
.42	﴿ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ ﴾	4	55
.43	﴿ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ	62	85
.44	أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ...	63	90
.45	﴿ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُواْ وَلَقَدْ قَالُواْ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ ...	74	85
.46	﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ ...	78	54
.47	﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ	78	58
.48	﴿ سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ...	95	85
.49	﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ...	100	127
.50	﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴾	103	77
.51	﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ...	113	183
.52	﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ ...	128	75
سورة هود			
.53	﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ...	45	183
.54	﴿ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُۚ ﴾	88	223
سورة الرعد			
.55	﴿ وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ ﴾	13	101

سورة ابراهيم			
56.	﴿ وَقَالَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ إِنَّ ٱللَّهَ ...	22	147
سورة الحجر			
57.	﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٌ ﴾	42	242
سورة النحل			
58.	﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا قَرۡيَةٗ كَانَتۡ ...	112	47
59.	﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ ...	128	55
سورة الاسراء			
60.	﴿ وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةٗ وَسَآءَ سَبِيلٗا ﴾	32	212
61.	﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ...	44	166+96
62.	﴿ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ...	44	166
63.	إِنَّ عِبَادِي لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٌۚ ...	65	88
سورة الكهف			
64.	﴿ فَمَا ٱسۡطَٰعُوٓاْ أَن يَظۡهَرُوهُ ﴾	97	36
سورة النور			
65.	﴿ قُلۡ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ ...	54	214
سورة النمل			
66.	﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلۡمُضۡطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكۡشِفُ ٱلسُّوٓءَ ﴾	62	31
سورة العنكبوت			
67.	﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ ...	69	252
سورة الروم			
68.	﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيۡنَا نَصۡرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾	47	55

سورة لقمان			
.69	﴿ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشۡرِكَ بِي ...	15	194
.70	﴿وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ﴾	19	4
.71	﴿ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٖ	60	49-154
سورة السجدة			
.72	﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤۡمِنٗا كَمَن كَانَ فَاسِقٗاۚ لَّا يَسۡتَوُۥنَ ١٨ ﴾	18	156
سورة الاحزاب			
.73	﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ ﴾	56	64
سورة سبأ			
.74	﴿بَيۡنَ يَدَيۡ عَذَابٖ شَدِيدٖ﴾	46	73
سورة الصافات			
.75	﴿ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾	159	100
.76	﴿ وَلَقَدۡ سَبَقَتۡ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلۡمُرۡسَلِينَ ...	171	90
.77	﴿ سُبۡحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلۡعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ١٨٠ ...	180	100
سورة غافر			
.78	﴿ يَعۡلَمُ خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ وَمَا تُخۡفِي ٱلصُّدُورُ﴾	19	49
سورة فصلت			
.79	﴿ وَمَا كُنتُمۡ تَسۡتَتِرُونَ أَن يَشۡهَدَ عَلَيۡكُمۡ ...	22	52
سورة الزخرف			
.80	﴿ وَمَن يَعۡشُ عَن ذِكۡرِ ٱلرَّحۡمَٰنِ نُقَيِّضۡ لَهُۥ ...	36	88
.81	﴿ أَمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّا لَا نَسۡمَعُ سِرَّهُمۡ وَنَجۡوَىٰهُمۚ ...	80	54
سورة محمد			
.82	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ ...	7	256
.83	﴿ إِن يَسۡـَٔلۡكُمُوهَا فَيُحۡفِكُمۡ تَبۡخَلُواْ ...	37	76

.84	﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَشَآقُّواْ	32	242
	سورة الحجرات		
.85	﴿ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ ...	7	96
	سورة الحديد		
.86	﴿ يَعۡلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا يَخۡرُجُ مِنۡهَا وَمَا يَنزِلُ ...	4	10
.87	وَأَنَّ ٱلۡفَضۡلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ...	29	10
	سورة المنافقون		
.88	﴿ إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشۡهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِۗ ...	1	136+85
.89	﴿ وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾	8	89
	سورة الطلاق		
.90	وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ ...	2	153
	سورة التحريم		
.91	﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمۡرَأَتَ فِرۡعَوۡنَ	11	184
	سورة المدثر		
.92	﴿ وَمَا يَعۡلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَۚ ﴾	31	110
	سورة الأعلى		
.93	﴿ سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى ﴾	1	101
	سورة الضحى		
.94	﴿ وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ ﴾	5	95

ثانيًا: فهرس أطراف الأحاديث النبوية

م	طرف الحديث	مصدر الحديث	الحكم عليه	الصفحة
1.	أَتَتْنِي أُمِّي رَاغِبَةً	البخاري	صحيح	191
2.	اتَّقُوا الظُّلْمَ	البخاري	صحيح	131
3.	أَتَى النَّبِيَّ ﷺ نَاسٌ مِنَ الْيَهُودِ فَقَالُوا	مسلم	صحيح	57
4.	اجْتَنِبُوا السَّبْعَ المُوبِقَاتِ	البخاري	صحيح	213
5.	إِذَا كَانُوا ثَلاَثَةٌ، فَلاَ يَتَنَاجَى اثْنَانِ دُونَ	البخاري	صحيح	60
6.	أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا	الشيخان	صحيح	136
7.	اسْتَنْزِلُوهُمْ مِنْ حُصُونِهِمْ	الترمذي	صحيح	114
8.	أَلاَ كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ	البخاري	صحيح	206
9.	أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَوْمًا يُحَدِّثُ وَعِنْدَهُ	البخاري	صحيح	86
10.	أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ، فَبَعَثَ إِلَى نِسَائِهِ	الشيخان	صحيح	124
11.	أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَيْنَ أَبِي؟	مسلم	صحيح	177
12.	أَنَّ كُفَّارَ قُرَيْشٍ كَتَبُوا إِلَى ابْنِ أُبَيٍّ	أبي داود	صحيح	107
13.	إِنَّ لِلَّهِ تَعَالَى تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا	الشيخان	صحيح	164
14.	إن من إجلالِ الله إكرامَ ذي الشيبَةِ المسلمِ	أبي داود	حسن	71
15.	أنزِلُوا النَّاسَ منازِلَهُم	أبي داود	صحيح	71
16.	أَنَّهُ سَمِعَ مَرْوَانَ بْنَ الحَكَمِ	البخاري	صحيح	197
17.	بَعَثَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺأَنَا وَالزُّبَيْرَ، وَالمِقْدَاد	البخاري	صحيح	21
18.	تذاكرنا أيكم يأتي رسول الله	أحمد	صحيح	24
19.	حَرَّقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ نَخْلَ بَنِي النَّضِيرِ	الشيخان	صحيح	114
20.	الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَسِعَ سَمْعُهُ الْأَصْوَاتَ	أحمد	صحيح	11
21.	خَيْرُ أُمَّتِي قَرْنِي	البخاري	صحيح	127
22.	رَحِمَ اللَّهُ مُوسَى قَدْ أُوذِيَ بِأَكْثَرَ مِنْ هَذَا	البخاري	صحيح	232

م	طرف الحديث	مصدر الحديث	الحكم عليه	الصفحة
23.	السَّاعِي عَلَى الأَرْمَلَةِ وَالمِسْكِينِ	الشيخان	صحيح	118
24.	قال لسارة حين رحل بها	البخاري	صحيح	179
25.	قَسَمَ النَّبِيُّ ﷺيَوْمًا قِسْمَةً	البخاري	صحيح	62
26.	قلت لابن عباس سورة الحشر	البخاري	صحيح	14
27.	قُلْنَا: فَإِنْ كَانُوا أَرْبَعَةً؟ قَالَ: "لَا يَضُرُّهُ	البخاري	صحيح	61
28.	قُومُوا إِلَى سَيِّدِكُمْ	البخاري	صحيح	69
29.	كَانَ رَجُلاَنِ مِنْ قُرَيْشٍ وَخَتَنٌ لَهُمَا مِن ثَقِيفَ	البخاري	صحيح	52
30.	كَانَ يَمْتَحِنُهُنَّ وَبَلَغْنَا أَنَّهُ لَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى	البخاري	صحيح	198
31.	كَانَتْ غَزْوَةُ بَنِي النَّضِيرِ وَهُمْ طَائِفَةٌ مِنَ	الحاكم	صحيح	106
32.	كُنْتُ امْرَأً قَدْ أُوتِيتُ مِنْ جِمَاعِ النِّسَاءِ	أحمد	صحيح	43
33.	كُنْتُ عِنْدَهُ وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا	أحمد	صحيح	11
34.	كُنْتُ فِيمَنْ حَضَرَ الْعَقَبَةَ الْأُولَى	أحمد	صحيح	210
35.	كيف كان امتحان رسول الله النساء	البخاري	صحيح	201
36.	لَا تَزَالُ الْمَسْأَلَةُ بِأَحَدِكُمْ	مسلم	صحيح	118
37.	لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي	البخاري	صحيح	132
38.	لَا يُحِبُّهُمْ إِلَّا مُؤْمِنٌ	البخاري	صحيح	129
39.	لاَ يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ	البخاري	صحيح	213
40.	لاَ يُقِيمُ الرَّجُلُ الرَّجُلَ مِنْ مَجْلِسِهِ ثُمَّ يَجْلِسُ	البخاري	صحيح	68
41.	لَقِيَتِ امْرَأَةٌ عُمَرَ، يُقَالُ لَهَا: خَوْلَةُ بِنْتُ ثَعْلَبَةَ	الدارمي	صحيح	32
42.	لَوْ أَنَّ الأَنْصَارَ سَلَكُوا وَادِيًا	البخاري	صحيح	129
43.	لَيَبْلُغَنَّ هَذَا الْأَمْرُ مَا بَلَغَ	أحمد	صحيح	249
44.	لَيْسَ المِسْكِينُ الَّذِي يَطُوفُ	البخاري	صحيح	118
45.	مَا عَلَى الأَرْضِ مُسْلِمٌ	الترمذي	صحيح	31

م	طرف الحديث	مصدر الحديث	الحكم عليه	الصفحة
46.	مَا كَانَ أَكْثَرُ دُعَاءِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ	الترمذي	حسن	96
47.	مَا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ، فَاجْتَنِبُوهُ وَمَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ	الشيخان	صحيح	122
48.	مَثَلُ الْمُنَافِقِ، كَمَثَلِ الشَّاةِ الْعَائِرَةِ	مسلم	صحيح	80
49.	مَنْ أحَب أن يَمْثُلَ له الرِّجَالُ قِياماً	أبي داود	صحيح	69
50.	مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَمْثُلَ لَهُ عِبَادُ اللَّهِ قِيَامًا	البخاري	صحيح	70
51.	مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا	أحمد	صحيح	72
52.	من قال حين يصبح	أحمد	غريب	14
53.	من قرأ ثلاث آيات	الدارمي	صحيح	17
54.	الناس على ثلاث منازل	الحاكم	صحيح	126
55.	نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ	البخاري	صحيح	111
56.	وَأَصْحَابِي أَمَنَةٌ لِأُمَّتِي	مسلم	صحيح	127
57.	وَالْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي صَدْرِكَ	مسلم	صحيح	59
58.	وَدِدْتُ أَنِّي لَقِيتُ إِخْوَانِي	أحمد	صحيح	130
59.	وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ	البخاري	صحيح	72
60.	يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ، أَلَمْ أَجِدْكُمْ ضُلَّالًا	البخاري	صحيح	189
61.	يَا مُقَلِّبَ القُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ	الترمذي	صحيح	96
62.	يُبْعَثُ كُلُّ عَبْدٍ عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ	مسلم	صحيح	86
63.	يَدْخُلُ عَلَيْكُمْ رَجُلٌ يَنْظُرُ بِعَيْنِ شَيْطَانٍ	أحمد	حسن	82

ثالثًا: فهرس الأعلام المترجم لهم

م	العَلَـــــــــم	الصفحة
1.	ابن عاشور	5
2.	البغوي	29
3.	الثعلبي	67
4.	السدي	44
5.	الشاطبي	4
6.	الفراء	44
7.	القشيري	31
8.	الريسوني	5
9.	الماوردي	50